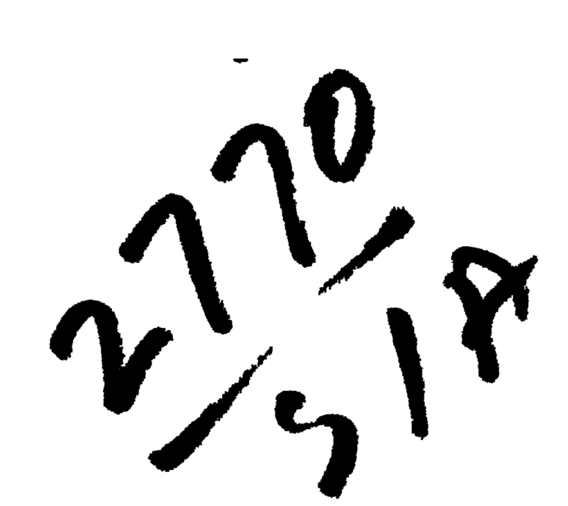
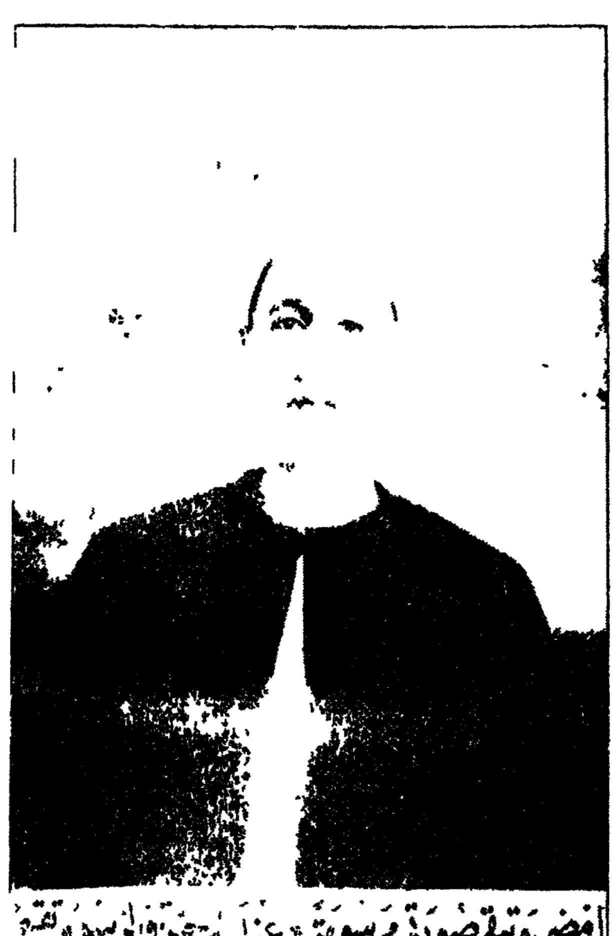




أمضي وتبقى صورتي مرسومة [illegible]
والهاشمي هو أحمد من أجله [illegible] تمثاله المرسوم [illegible]

ترجمة مؤلف ديوان الانشاء واسلوب الحكيم في منهج الانشاء القويم

(بقلم ولده الناشر لهذا الكتاب)

مؤلف هذا الكتاب والدي صاحب الفضيلة والعزة السيد احمد الهاشمي بك — ابن المغفور له الشيخ احمد الهاشمي شيخ شيوخ الازهر الشريف : بن ابراهيم بن مصطفى ابن السيد محمد ماضي الحسيني بن احمد الشاذلي بن احمد الدمنهوري بن حجازى الحلوانى بن شهاب الدين الحسيني بن عبد الوهاب الجوهري بن تاج الدين بن عبد الوهاب بن عبد الحميد بن عبد الرزاق بن احمد النووي بن ابراهيم بن يحى ابن سيدي محمد الدقاق بن يوسف محى الدين بن خليل بن علي بن محمود الوهاج ابن السيد صفي الدين شيخ الاسلام ابن يعقوب ابن ابراهيم بن محمود الحباك بن اسماعيل بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الهوارى بن يونس ابن السيد يحيي شيخ مشايخ الطرق الصوفية ابن زكريا بن محمد البنداري بن ابراهيم بن تقي الدين بن يونس بن خليل الحباك ابن يوسف بن محمد بن محمود بن علي بن احمد بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن حمد بن حسن ابن يوسف بن السيد عليّ الدين بن محمود الجوهري بن يحيي الجوهري بن خليل الجوهري ابن سيدي محمد الجوهري بن حسن الجوهري بن ابراهيم بن محمد بن تقي الدين الأصفهاني ابن احمد بن علي الحسني بن موسى بن خليل ابن محمد بن محمود النهاوي بن علي بن يحيي بن ابراهيم بن زكريا بن طه بن محمود بن جعفر بن حسن بن عبد الرؤوف ابن سيدي محى الدين الاسيوطي ابن علي بن ابراهيم بن محمود بن خليل بن محى الدين الاولى بن عبد المعطي ابن عبد الرحيم بن ابراهيم الحلبيني بن محمد بن صفي الدين بن موسى ابن سيد السادات ابراهيم بن يوسف بن يحيى بن ابراهيم بن محمد الدمنهورى بن يوسف

ابن علي بن نور الدين ابن سيدي مصطفى الخلوتي شيخ السجادة الأحمدية ابن علي بن موسى بن ابراهيم بن عثمان بن خضر بن محمد بن موسى بن يحيي بن علي ابن حسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن سيدنا الحسين بن الامام علي بن ابي طالب الهاشمي القرشي بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نذار بن معد بن عدنان :

ينتهي هذا النسب الشريف إلى سيدنا اسماعيل بن ابراهيم أبي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ولد والدي حفظه الله بمحلة زياد من أعمال المحلة الكبرى سنه ١٢٩٥ هـ وجاء به المرحوم جدي الى الازهر الشريف فحفظ في مكاتبه القرآن الكريم ومجموعة المتون الازهرية — ثم أخذ في تلقي العلوم النقلية والعقلية على كبار شيوخ الازهر كوالد المؤلف وشيخ الاسلام الانبابي والاشموني وجمال الدين الافغاني والرافعي والبحراوي والشربيني والبشري والشيخ محمد عبده وغيرهم ومكث مدة يدرس في الازهر الشريف الى أن تولى مدرساً فمراقباً في مدارس فكتوريا الانجليزية ٢٥ عاماً ثم مديراً لمدارس الجمعية الاسلامية سابقاً — ثم مديراً لمدارس فؤاد الأول حالاً ، وقد انتفع به وبمؤلفاته كثير من طلبة العلم في الشرق الاقصى والادنى حتى نبغ من بينهم الآن العلماء والعظماء والوزراء أمد الله في أجله خدمة للعلم والتعليم والتأليف م؟

نجل المؤلف

سيد احمد الهاشمي

الطالب بالمدارس

٢ ـ فهرس ديوان الانشاء ـ أو ـ أسلوب الحكيم في منهج الانشاء القويم

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

٦ ـ فهرس ديوان الانشاء ـ أو ـ أسلوب الحكيم في منهج الانشاء القويم

صفحة

صفحة

٨ ـ فهرس ديوان الانشاء ـ أو ـ أسلوب الحكيم في منهج الانشاء القويم

صفحة

صفحة

صفحة

ة

أيهما أهنأ للمرء الصحة أم الثروة
أثر السكك الحديدية في المدنيةوالحضارة
الشكر حجاب السعادة وجلاب الزيادة
وصف حديقة الحيوانات
آثار التواضع عند الله والناس
طاعة أولياء الامور مقياس رقي الامم
اهمية التربية لدى الامم الراقية
لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب
اذا أراد الانسان السفر براً فما الذي يستخدمه من الحيوانات الجمل أم الحصان
الطب والاطباء في الهيئة الاجتماعية
المال والبنون زينة الحياة الدنيا
وصف اللسان
عز من قنع وذل من طمع
لا نجاح لامة نبذت آثار أسلافها
٥ مضار الغيبة وقبائحها
٥ مضار الحسد وأسبابه
٥ العاقل يعول على أدبه والجاهل يعتمد على نسبه
٥ أيهما أفضل في بلادنا المصرية الصيف أم الشتاء
٥ صغار الامور يولد كبارها
٥١ النميمة مصدر الضلال والفساد
٥١ فوائد البريد والاسلاك البرقية
٥٢ السباحة في الماء تبعث على الرياضة والشجاعة

صفحة

صفحة

ديوان الانشاء

او

اسلوب الحكيم

في منهج الانشاء القويم

تأليف

السيد احمد الهاشمى بك

مدير مدارس فؤاد الاول بالقاهرة

الطبعة السابعة

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

سنة ١٣٤٨ هـ = سنة ١٩٢٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

نتلو آيات الحمد والثناء. على من أنشأ آدم وعلمه الاسماء. وأنطق بنيه باللغات البينات . في عموم الانحاء والجهات . ونروي أحاديث الصلاة والتسليم . على سيدنا محمد المنزل عليه القرآن الكريم والمرسل بدينه القويم . ذي (الاسلوب الحكيم) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهادين الى الصراط المستقيم

﴿ أما بعد ﴾ فان العلوم وان كثرت رياضها . وتدفقت بالفوائد حياضها . فأبهجها حديقة سقيت أدواحها بماء الكرم وأينعت ازهارها فأنبتت مكارم الأخلاق وحميد الخلال (الانشاء) الذي هو غريزة فطرية، تعززها ملكة اكتسابية — ولما عنيت بتدريس هذا العلم في المدارس الثانوية وضعت هذا الكتاب وسميته في الطبعات السابقة ﴿ اسلوب الحكيم . في منهج الانشاء القويم ﴾ بيد أني دعوته في هذه الطبعة الجديدة «ديوان الانشاء» متوخياً سلفاً لكل أديب مخلص النية على ما يتحفني به من ملاحظاته — وأسأل الله تعالى أن يمنحني توفيقه وهو المستعان

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

١ — ﴿ توحيد وتمجيد المولى سبحانه وتعالى ﴾

سبحان الذي توحد بوجوب الوجود ودوام البقاء، وتفرد
متناع العدم واستحالة الفناء . دلّ على وجوده خلق الأرض
لسموات العلى. وشهد بوحدانيته انتفاء الفساد عن الأرض والسما
زّه عن مشابهة الامثال والاكفاء وتقدّس عن الحدوث
لانقسام والتأليف والاجزاء . أحاط علمه بدبيب النملة السوداء
، الصخرة الصماء . في دياجير الظلماء . وأبدع المواد بقدرة قديمة
نتهة عن الانتهاء. له الاعادة ومنه الابداء. دبر الكائنات. وأحصى
لمخلوقات . وأحاط علمه بما لا يتناهى عدّه واحصاؤه . جلّت قدرته
بارکت اسماؤه وعظمت نعمته، وعمت آلاؤه. وقصرت عن ادراك
له أفكار العقلاء . وتحيرت في بيداء ألوهيته أنظار العلماء

وفي كل شيء له آية ... تدلّ على انه الواحد

وقال صلى الله عليه وسلم (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته
لكوا) فالنظر في الخلق يهدي بالضرورة الى المنافع الدنيوية ،
شيء للنفس طريقها الى معرفة من هذه آثاره. وعليها تجلّت انواره
، اتصافه بما لولاه لما صدرت عنه هذه الآثار على ما هي عليه
، النظام

بفيةّ المرء ليس المرء يدركها ... فكيف كيفية الجبّار في القِدم

هو الذي أنشأ الاشياء مبتدعاً   فكيف يدركه مستحدث الذ
وكلما رقّ الوجدان ولطفت الأذهان ونفذت البصائر ارتـ
الفكر وجلّت النتائج فوصل من بلغ به علمه بعض المنازل من ذ
الى معرفة هذه القدرة الباهرة ، واهتدى الى أنها كمال قدرة واج
الوجود ونهاية عظمته

كل ما يرتقي اليه بوهم   من جلال وقدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى   منه سبحان مبدع الاشياء

٢ — ﴿ الآثار العجيبة التي ابدعها مبدع الكائنات ﴾

(ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنـ
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السـ
من ماء فأحيي به الارض بعد موتها وبثّ فيها من كل د
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقـ
يعقلون) « قرآن كريم »

ان من أجال فكره في هذه الموجودات . وأدار نظره
عجائب خلق الله في الأرض والسموات . وما فيهما من العجا
والغرائب ، ومن اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان ، والمجـ
والذهاب مع تعاقبهما على ذلك بحالة منتظمة لا يتغيران مهما تعاقـ
الفصول وتوالت الاعوام . ومن السفن التي تجري على الماء لـ

الناس بها في امور معاشهم ومن انزال الماء من السماء فتنبت به الأرض بعد يبسها وتنتشر فيها الدواب بما تأكله من ذلك النبات . ومن تصريف الرياح وتقلبها جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً حارّة وباردة ومن الغيم المسخر بين السماء والأرض بلا علاقة تمنعه من السقوط ولا ممسك يمسكه يسير حيث شاء الله تعالى لاستدلّ على كمال قدرته نهاية عظمته

انظر الى السموات وما اشتملت عليه من الكواكب وعجائبها دورانها في أفلاكها بهذه الحركات المنتظمة مع اختلافها في الصغر والكبر والنور والظلمة — وغير ذلك

وانظر الى الأرض وما اشتملت عليه من البحار والجبال الأودية والكهوف والسهول والمعادن وخواصها ومنافعها

وانظر الى الحيوان الذي بلغ في الصنع أعلى منازل الغرابة وأسمى درجات الإحكام لو تأمل العاقل ما انطوى عليه من غريب التكوين بديع الصنع وما اشتمل عليه من الاعضاء الظاهرة والباطنة ووظيفة كل عضو منها واختلاف أبنيتها ودقائق صنعها لانبهر عقله وتحيّر لبّه لا سيما وقد اختلفت أصنافه — فمنه ما يعيش في الهواء وما يعيش في الماء وما يعيش على سطح الأرض وما يعيش في اثنين من ذلك منه ما يمشي على أربع، ومنه ما يمشي على بطنه فسبحانه تعالت قدرته

وانظر الى النبات وتباينه في الأشكال والأزهار والأوراق والا
والبذور والروائح والطعوم والألوان والمنافع والمضار. قال الله تع
(أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينه
إلا بالحق وأجلٍ مسمى وإنَّ كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرو
وقال تعالى (أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف
رُفعت والى الجبال كيف نُصبت والى الأرض كيف سُطِحَتْ)
فلا جرم أن من أوجد هذه الموجودات المتقدمة وأحكمها وأبد
ايجادها على غاية الإحكام والاتقان يكون موجوداً وقادراً أ
القدرة فسبحان من لا يقدر قدر قدرته إلا هو ولا يحيط بعظمته سو
مليك عزيز لا يرد قضاؤه حكيم عليم نافذ الامر قاه

٣ — ﴿ رأس الحكمة مخافة الله ﴾

مخافة الله هي الشعور بالقرب المعزَّز بالخشية من الذات الم
يبعثنا ذلك الشعور الى فعل المأمور به وترك المنهي عنه في الاجتما
والعزلة والى التسلّي والرضاء عند وقوع البلاء بينما الانسان لا ساعد
سواه جل شأنه — وباشتراط القرب يعلم الفرق بين الخوف من الا
والخوف من غيره، فان خوف الانسان من غيره يستدعي بعداً لا قر
وأما مخافة الله فتستدعي قرباً يجده الانسان من نفسه شاء أم أبى
ولذلك قال أبو القاسم القشيري مَنْ خاف شيئاً هرب منه، ومن خاف الا

ب اليه . ويختلف خوف الناس منه سبحانه وتعالى

فمنهم من يخافه هرباً من العقاب والعذاب وطلباً للأجر والثواب
لك حاصل بأصل الإيمان وعليه عامة الخلق قال عز شأنه (وخافون
كنتم مؤمنين)

ومنهم من يخافه لذاته وجلاله ، ويراد من الخوف هنا الخشية
ليه العارفون بالله — قال وهو أصدق القائلين (إنما يخشى الله من
ده العلماء) أي العارفون بذاته وبجلاله. وقال عليه الصلاة والسلام
نا أخوفكم الى الله جل جلاله)

وكذلك يختلف حب الناس له تبارك وتعالى مقداراً وكيفية
هم من يحبه لاحسانه والنعم

ومنهم من يحبه لكونه تعالى مظهر الجمال والكمال ، وهذا هو
ب الحقيقي الذي هام به أهلوه الألى أشرقت عليهم شمس الحكمة
ربوا لها

وبالجملة فالتعرف بالألوهية لا يحتاج إلى مرشد خارجي بل هو
صل بالفطرة والطبيعة — وتعيين المعبود الحق جل شأنه هو المحتاج
محالة الى الإرشاد ولم يكن ذلك إلا بهدايته سبحانه على لسان رسله
يهم الصلاة والسلام ليتمموا معرفة الإنسان به عز وجل فيهتدي
ديه وينتهي بنهيه كي يحظى بالنعيم الأبدي المقيم — وأهم ما هدتنا

اليه الرسل لا سيما المصطفى صلى الله عليه وسلم هو محبة الله تعالى . وق
جعلها الشارع شرطاً في الإيمان بقوله (لا يؤمن أحدكم حتى يكو
الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) وقال تعالى (والذين آمنوا أشد
حباً لله) فمحبتنا لله سبحانه وتعالى لذاته ولكونه محسناً منعماً متفضلا
على جميع عباده بجلائل النعم

وخوفنا منه تبارك وتعالى لجلالته وعظمته . ولكونه مصدر
الخير والكمال نأتمر بأمره وننتهي بنهيه حباً فيه لا خوفاً من عقا
ولا طلباً لثوابه فان الخير كله فيما أمر الله به والشر كله فيما نهى عن

٤ - ﴿ فوائد ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴾

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق وطبعهم على أخلاق حسنة تساعد
على انتظام حالهم ، وأخلاق تخالفها لأجل أن يتسابقوا بها في عمار
هذا الكون الذي قدر وجودهم فيه الى أجل معلوم . ولكن
لما كان تحديد الرغبة في السبق يوجب وقوف كل راغب عند حد
ويأسه من مجاوزته وبذلك تتعطل حركة المسابقة لم تعدل الأخلاق
في أصل الفطرة فصارت تلك الأخلاق السيئة في معرض الطغيان
والوصول الى حدٍ يصبح به ضررها أكبر من نفعها لذلك اقتضت
رحمة الله بعباده بمحض اختياره أن يرسل لهم أناساً منهم فطرهم على
الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة وأطلعهم على مكامن الأخلاق

رارها وكيفية علاجها ودرجة الاعتدال منها ليهدوهم ويرشدوهم
ما فيه صلاحهم وتقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم ويبينوا لهم
ر ليتبعوه والشر ليجتنبوه ويردوهم إلى حدّ الاعتدال في مثل هذه
خلاق قال تعالى (لقد منّ اللهُ على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً
أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقد بيّنَ الله تعالى وظيفة هؤلاء
سل وحكمة ارسالهم في قوله (رُسلاً مبشرين ومنذرين لئلا
كون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) وقد
ضت حكمة اللهِ تعالى أن يجعل لهؤلاء الرسل من الآيات
لعلامات الواضحات والحجج القاطعة والبراهين الساطعة ما يلجىء
صومهم إلى الإذعان والتصديق بكل ما جاءوا به من عنده جلّ
علا ، ويتركون ما هم عليه من العناد والحسد والتقليد قال تعالى
ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم اللهُ إنه
ويّ شديد العقاب) فهؤلاء الرسل والانبياء مهّدوا طرق الهدى
أوضحوا منار الحقيقة وطمسوا أعلام الجهالة فانتقلت الخليقة من
لخشونة الى النعومة ومن حضيض الهمجية الى ذروة المدنية، ونادى
منادي الخير في أهل الأرض أن أبشروا فقد غرست البركة « وجاء
لحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً »

وبالجملة ان نوع الانسان يحتاج إلى المصالح الضرورية الكثير
التي لا بقاء له بدونها مثل الغذاء واللباس والمسكن والآلات
وغيرها وإن الانسان الواحد لا يقدر أن يقوم بجميع هذه المصا
الضرورية بل لا بدّ أن يكون معه آخرون من بني نوعه حتى يطحن
هذا لذلك، ويخبز ذاك لهذا، ويزرع لهما ثالث وهكذا الحال في بنا
وغيره من الصناعات فهو يحتاج في تعيشه إلى اجتماعه مع بني
نوعه للتعاون والتشارك في تحصيل تلك المصالح الضروريه ولذلك
قيل (الانسان مدنيّ الطبع) فان التمدين هو هذا الاجتما
وذلك التعاون والتشارك لا يتمان بدون المعاملات والمعاوضات
التي تجري بينهم، ويقع فيها غالباً التنازع المؤدي إلى الاختلاف
والقتل واختلال أمور الدين والدنيا فلا بد لهم من قانون متفق علي
مبني على العدل والإنصاف بعيد عن الجور والاعتساف مشتمل على
نظام أمور معاشهم

والعناية الازلية وإن عمّت جميع الحيوانات بحيث أعطت كل
حيوان ما يليق من الآلات وهدته إلى ما فيه بقاؤه وبه قوامه لكن
في الانسان أشد لأنه أشرف الانواع الحيوانية وما عداه من تلك
الأنواع مسخر له فكيف يتصوّر أن الله مع تلك العناية الازلي
الشديدة في حقه لا يهديه إلى قانون من قبله لينقاد له العوا

واص ، ويحصل به انتظام أمور المعاش والمعاد — ذلك القانون

« الشرع »

ولما كانت ذات الله في غاية التقدس وذواتنا في غاية التدنس

يمكن وصول هذا الشرع بلا واسطة — ولا بد ان تكون هذه

سطة ذات جهتين تكون لهما مناسبة بالله بجهة — وبنا بجهة أخرى

ذا يلزم ان يكون الوسيط انساناً مقدساً متميزاً عن الآخرين

سوصية فيه من الله ، مختصاً بأمر يدل على تصديقه حتى يطاع

اد الناس اليه

٥ — ﴿ ما هي الحاجة الماسة الى الأديان ﴾

ان الدين أقوى أساس تشاد عليه دعائم الروابط الاجتماعية بين

راد أمم النوع الانساني مهما تباينت مشاربهم واختلفت أغراضهم

وافترقت أهواؤهم وتعددت لغاتهم ، فرابطة الدين أقوى مؤثر في

النفوس لانها أحرزت الشرفين وهما اتصال سندها بمبدع الكائنات

ودوامها الى آخر العمر فهي أجمع من الجامعات الاخرى كالجنسية

والوطن واللغة ـ وذلك لان رابطة الجنس وان دامت بدوام سببها

وهي القرابة فمصدرها وهم الآباء أقل مرتبة من الربوبية -- قال تعالى

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ولهذا نرى الرجل يقطع

أقاربه برابطة الدين مهما تمكنت في قلبه ، وهذا معلوم في كل زما
ومكان،وكم في الحوادث من شواهد على ذلك، واذا كانت الوحد
الجنسية بهذه المثابة من الضعف فمن باب أولى ما هو أضعف منه
وهو الوطن واللغة التي تترجم عن تلك النفوس المودعة في تلك
اللطيفة فهي ترجمان عنها ، فرع لها ، تابعة لاشارتها

فرابطة الدين اذا تمكنت من القلوب كانت حصناً حصيناً يلج
اليه الخائفون عند الدفاع عن أوطانهم والذب عن حياضهم -- كما أرهب
سيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه قيصر الروم (وقد انتهز فرص
التشاجر بينه وبين سيدنا علي فكتب اليه يهدده بالحرب أو دفـ
الجزية) فكتب يقول له « ان لم تكف عن هذا والا سلمت الا
لصاحبي وكنت أول سهم من سهامه يرمي به اليك» فكأنما ألجـ
فاه بهذا الخطاب بما أوقع في قلبه من الرعب مع اشتداد الامر بينـ
وبين سيدنا علي رضي الله عنه - كيف لا وان الرابطة الدينية هي
السبب في تقدم الفتح الاسلامي وانتشاره في بقاع الارض في
أقرب زمن

أنظر الى ألفة الأوس والخزرج في زمن النبوة مع ما كان بينهم
من شقاق وحروب دامت أعواماً كثيرة فألف الله بين قلوبهم
بوحدة الاسلام

وهؤلاء ملوك الغربيين أعمالهم شاهدة على ذلك باتحادهم على
الشرقيين خصوصاً الصينيين، وتألبهم أيام حروب اليونان واقتسامهم
لاد أفريقيا وغير ذلك مما لا يحصى في الحرب العالمية الكبرى
لة ١٩١٤ م

وبالجملة فالدين هدى وعقل، من أحسن في استعماله والاخذ
أرشده اليه نال من السعادة ما وعد الله على اتباعه، وقد جرب
لاج الاجتماع الانساني بهذا الدواء فظهر نجاحه ظهوراً لا يستطيع
ه الاعمى انكاراً، ولا الأصم اعراضاً، ولم يدع هذا الدين أصلاً
ن أصول الفضائل الا أتى عليه، ولا أماً من الامهات الصالحات
أحياها، ولا قاعدة من قواعد النظام الا قررها، فاستجمع للانسان
د بلوغ رشده حرية الفكر واستقلال العقل في النظر وما به
لاح السجايا واستقامة الطبع وما فيه انهاض العزائم الى العمل
سوقها في سبيل السعي -

٦ — ﴿ فوائد الاتحاد ومضار التنازع ﴾

نما الامة الوحيدة كالجسم وأفرادها كالأعضاء
كل عضو له وظيفة صنع لا ترى الجسم عنه في استغناء

من أعظم الاسباب وألزم الوسائل لسعادة الامة هو وحدتها
لتي تجعلها كالجسم الواحد، اذا شكى منه عضو تداعت له سائر

الأعضاء قال تعالى(انما المؤمنون اخوة)وقال عليه الصلاة والس
(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد
اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) وقال ع
الصلاة والسلام(مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخر؛

ومن المعلوم ان الناس مدنيون بالطبع « اي لا بدّ لهم ،
الاجتماع والمخالطة » لان الفرد الواحد لا يمكن ان يستقل بجم
حاجاته ولوازم حياته فهو مضطر بحكم الضرورة الى الاجتماع الذ
يجلب الى أمته الخير ويدفع عنها الشر والضير
الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وان لم يشعروا خ

فالاتحاد وارتباط القلوب ببعضها وتضافرها على أمر واحد واجتما
على كلمة واحدة من أهم أسباب السعادة وأقوى دواعي المودة والـ
فكم به عمرت بلاد.وسادت عباد.وانتشر عمران.وتقدمت أوط
وأسست ممالك . وسهلت مسالك . وقويت شوكة وأمنت غوا
وكثر تواصل - الى غير ذلك من فوائد الاتحاد الذي هو أعـ
لفضائل وأمتن الاسباب والوسائل —فمن تمسك به فقد استمسـ
بالعروة الوثقى وفاز بالسبب الأقوى فهنيئاً لأمة اتحدت . و
الخيرات اجتمعت.فتفوز على الامم الاخرى فوزاً عظيماً وتبلغ شأ
جليلاً وتخلد لها ذكراً جميلاً على صفحات التاريخ بكرة وأصيـ

قد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حتى كان أحدهم
يرث الآخر دون قراباته وذوي رحمه ، وبذلك كانت نصرتهم على
عدوهم مع قلة عددهم فدوّخوا الممالك وافتتحوا البلاد ومصّروا
الأمصار ومدّوا ظلال العمران وشيّدوا الممالك وسهلوا المسالك قال
الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً)

وأما التنازع والتفرق في الكلمة والرأي فهو سبب الضعف
والخذلان والفشل في جميع الأزمان ، بل هو مجلبة الفساد ومطية
الكساد وداعية الخراب والدمار وداهية العار والشنار ، فكم شاهدنا
من عائلات كبيرة كانت في رغد من العيش وبيوت كثيرة كانت
آهلة بأهلها حتى اذا دبّت فيهم عقارب التنازع وسرى سمها في قلوبهم
وأخذ منهم الشيطان مأخذه تفرقوا شذر مذر : وأصبحت بيوتهم
خاوية على عروشها — وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله (ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)

وبالجملة فمن نظر في مرآة التاريخ وتصفح غير قليل من أحوال
الامم وتقلبات الدهور وما حصل لها حتى آلت الى هذا الدثور رأى
أن عزها الذي كانت مغموسة فيه وفخرها الذي تلفعت بحواشيه
ومجدها الذي تقنعت به وتحلت بسرباله انما هو نتيجة ما تمسكوا به

وتملقوا بأهدابه حتى شربوا من العمر سائغه ولبسوا من الده
سابغه، وذلك لانهم قد اتحدت أهواؤهم واجتمعت كلمتهم واتفقم
وجهتهم وتواطأت أفكارهم فكان هذا أقوى عامل في رفـ
شؤونهم وأشد ساعد في اعلاء سطوتهم وأكبر نصير لنصرتهم
وحصن حصين لحفظ شوكتهم لا تنال أعداؤهم منهم مراماً بـ
يطأطئون رؤوسهم لهيبتهم اكراماً، ويخرون للأذقان لهم تعظيـ
واحتراماً ويبلغون فى الحضارة والمدنية شأواً عظيماً

تلك أمة لا غيب الله لها شمساً مشرقة ولا بلغ الله عدوه
أنوارها — والويل والثبور لأمة دبت بينهم عقارب الخلاف فتسر
فيهم ريح الشقاق، حتى قضى عليهم بالتشتت والفراق

٧ ﴿ فوائد التعاون والمساعدة ﴾

التعاون صفة تبعث الانسان إلى مساعدة أبناء جنسه وإلى
الاتحاد معهم قولاً وعملاً للحصول على المنفعه العامة

وبعبارة أخرى — هو تأثير الشعور بالوحدة الوطنية

والمنفعة العامة كامنة ضمن المنفعة الخاصة اذا نحا نحوها الافرا
وأخذ كل بيد الآخر وحافظوا على أسباب الائتلاف، وتوطدت
بينهم دعائم المحبة، وكانوا كبنيان واحد يشد بعضه بعضاً. قال عليه
الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يسد بعضه

مضا» وأما اذا تفرقت قلوبهم ولعبت بهم الأهواء فلا ترى للمنفعة
عامة لديهم محلاً ، ولا يكونون أمة بل آحاداً ، مجتمعين أجساماً مفترقين
لوباً وأهواء ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، تستحكم فيهم الميول
المتمكن في طباعهم العداوة والنفرة

ن القداح اذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش أيد
رت فلم تكسر وان هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد

ويصيرون كما قيل «غنماً متبددة في صحراء قد أحاطت بها أصناف
سباع فبقاؤها مدة سالمة، إما لأن السباع لم تصل اليها بعد (ولا بد أن
ل اليها يوماً ما) وإما لان السباع أدتها المراحمة الى القتال وتمنعها
دة الجوع من المضي مع الغضب الذي ربما أذهبته شدة الجوع
كاية أو يغلب فريق فريقاً فيصير الغالب غاصباً ويصير المغلوب
رقاً فتقع الغنم بين غاصب وسارق »

ولا سبيل الى التعاون على المنفعة العامة الا اذا أشرب في قلوب
فراد «حب الوطن» وصار لديهم الوطن كمنزل واحد هم أهلوه
عضاؤه — وقد جعله المشرع الأول عليه الصلاة والسلام من الخصال
ينية قال (حب الوطن من الايمان) والآثار الصادرة عن الحكماء
لسياسين مؤذنة بطلبه — وقد قصدوا بذلك بعث الافراد الى محبوب
حد وهو الوطن حتى تتفق أهواؤهم فتتألف قلوبهم فيعم الصلاح

بينهم. قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الا
والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) فالتعاون عليه مد
نظام الأمم وملاكها وحياتها والاحتياج اليه أمر فطري في الانسا
اذ لا يمكنه أن يقوم بمفرده بسائر وظائف الحياة البشرية فهو مضط
الى الاجتماع بطبيعته — ولما كان الاجتماع لا يخلو من المنازعات المفض
الى تغالب القوى المتنازعة كانت الحاجة ماسة ولا بد الى منع ذلك
التغالب — ومن اهم الوسائط في منعه وأعظم الوسائل في دفعه التعاو
والتناصر والتآلف والتضافر، فبالتعاون تدفع عوادي الطبيعة وتت
مخاطر الوحدة ويتسابق في ميدان الحياة فدعوه ذلك الى المثا
على العمل فيزرع ويستثمر ويعمر ويخترع ويبتدع ويتفيأ ظلا
العمران: الى غير ذلك مما تدعو اليه الطبيعة البشرية — ولولا التعا
لثبطت همته وقعدت به عزيمته، حيث يعتقد من نفسه العجز ع
مطاردة العوادي، ولا يقدر بفرده على اتقاء مخاطر الحياة البشر
فيكتفي من العيش نزره، ومن الحياة بقدر ما تقتضيه الطبيعة، وه
مناف للحكمة الالهية التي أودع الله من أجلها في الانسان العق

وبالجملة يجب التعاون على فعل الخيرات بحيث يقضي البعض
للبعض ما هو محتاج اليه ولا يمكنه الحصول عليه — وكذا التعاون ع
ترك المنهيات يرضي الله عنهم فيمنحهم خيره ويكفيهم شره، فمن

التعاون بقسميه فقد كملت سعادته وطابت حياته وهنئت عيشته

وقد نهى المولى تبارك وتعالى عن التعاون على فعل الشر والضير فان في التعاون على ذلك مفاسد كثيرة ومنكرات فظيعة كبيرة ورا ءها عذاب أليم وعقاب شديد

٨ — ﴿ العقل وفوائده ﴾

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

غير خاف أن أشرف الخواص التي تميز بها الانسان من الحيوان العقل) الذي هو سلطان القرائح ومصباح السوانح ومفتاح المصالح رأس العلوم. وسبب إدراك المعلوم. ومادة الفهم وينبوع الحكمة هو الموصل الى صلاح الدين والدنيا لا تستقيم الحياة الا به ولا تدور لامور الا عليه. وهو نور موضوع في القلب كنور البصر في العين ينقص ويزيد ويذهب ويعود، وكما يفقد نور البصر من العين ولا تتغير من أشكالها شيء كذلك اذا عدم العقل من القلب لا يتغير صفة — وكما تدرك بنور البصر شواهد الأمور. كذلك يدرك نور العقل كثير من المحجوب والمستور. فعمى البصر كعمى القلب

وكيف لا يكون العقل أجل موجود في البرية. وأشرف موضوع في هذه الخليقة الآدمية. وقد خصه الله تعالى بالانسان لشرفه

وكماله ، وعزته وجلاله (ان في ذلك لآيات لأولي النهى)

قال بعض الحكماء، العقل أمير والخصال رعية، فان قوي علي
أطاعته وان ضعف عنها خالفته . والجسم مدينة والعقل ملك يديره
وقواه وحواسه جنوده، وأعوانه وجوارحه رعيته. والنفس الأمار
بالسوء عبد ينازعه في مملكته ويسعى في هلاك رعيته . له شيع
وأتباع من الشهوات ، فصار الجسد كثغر وموضع جهاد ورباط
فان هو ضيع ثغره وأهمل رعيته غلبته النفس وقويت عليه بجنود شهوا
فأهلكته وأهلكت جنوده وان هو جاهدها حق جهادها وأحال بين
وبين شهواتها ومرادها كان ذلك سبباً لبقاء ملكه وعمارة حصو
هذا — والعقل ينقسم الى طبيعي معتاد ومكتسب مستفاد . فالأو
ما سبق الكلام عليه . والثاني ما تحصل بكثرة التجارب ، ومر
الايام والليالي بالمواهب والنوائب . وليس المكتسب بمنفصل
الغريزي بل هو نتيجته يزيده قوة وينميه. ويشيد أركان مبانيه

وبالجملة فالعقل يعقل صاحبه من شهواته لأنه نور في القل
يفرق به بين الحق والباطل . ومن آيات وفور العقل في الانسا
تدبر العواقب والاخذ بالحزم في كل الامور وترك الأماني والتود
الى الناس ومداراتهم والحياء وحسن الخلق وصدق الفراسة ومخال
هوى النفس والاعتبار بحوادث الزمان وقد روي عن جبراءيل أ

أتى آدم عليهما السلام وقال له : أتيتك بثلاث فاختر واحدة . قال
وما هي. قال — العقل والحياء والدين. قال آدم — اخترت العقل. فقال
جبرائيل الى الحياء والدين ارجعا — فقد اختار العقل عليكما، فقالا: أُمرنا
أن نكون مع العقل حيث كان

٩ — ﴿ فوائد العلم ومضار الجهل ﴾

لا يخفى ان العلم أفضل مكتسب. وأشرف منتسب. وأنفس
خيرة تقتنى . وأطيب ثمرة تجتنى . به يتوصل الى معرفة الحقائق
يتوسل الى نيل رضا الخالق . وهو أفضل نتائج العقل وأعلاها
أكرم فروعه وأزكاها. لا يضيع أبداً صاحبه . ولا يفتقر كاسبه
لا يخيب مطالبه. ولا تنحط مراتبه . والعلم لا يوصل الى معرفة فضله
جلالة قدره الا بالعلم، كما لا يجهل شرف مكانه وعلوّ شأنه الا أهل
لجهل لقصور أفهامهم عن عظيم منافعه وكريم مواقعه، وهو اسم من
سماء الله عز وجل وصفة من صفاته — وهو عظيم في نفسه وحامله
زيز في قومه، إن قال فكلامه مرفوع . وإن أمر فأمره مسموع
و وسيلة لكل فضيلة وذريعة لكل شريعة . ونور زاهر لمن
ستضاء به، وقوت هنيء لمن تقوّت به، ترتاح به الأنفس اذا هو غذّاها
تفرح به الافئدة اذا هو قواها، والدليل على الخير، والعون على المروءة
والصاحب في الغربة، والمؤنس في الخلوة والشرف في النسب — قال

الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقال سبحانه وتعالى (شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) وقال عليه الصلاة والسلام (اطلب العلم من المهد الى اللحد) وقال ايضاً « كونوا للعلم وُعاة ولا تكونوا له رُواة » وقال ايضاً (من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » — بخلاف الجهل فانه رأس الفضائح ومعدن القبائح. ومضمار العثار. ومعيار الشنار. وسبب الخمول. ودليل التخلف وداعية المقت — ان نطق صاحبه تعرّض للخزي والذم وإن تصرف صاحبه في حال سقط لليدين والفم، وهو دليل على غلظ الطبع وجمود الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكدر النفس وقد عصم الله تعالى منه أنبياءه وحذر منه أولياءه فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقال عليه الصلاة والسلام (لا فقر أشد من الجهل) وقال ايضاً « الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما » وقال ابن المعتز نعمة الجاهل كروضة على مزبلة

وبالجملة فالعلوم كثيرة، والمعارف جمة، وأنواعها مختلفة وبعضها أشرف من بعض والاحاطة بجميعها محال. فحينئذ يختار من العلم أرفعه، ويستعمل منه أنفعه، ومازال العلم من الانسان بمنزلة الروح من الجسد فكما يحيا الجسد بالروح كذلك يحيا صاحب العلم في

ناس بعلمه

وقد أبان الله عز وجل فضل العلم عن الجهل بقوله (هل يستوي ين يعلمون والذين لا يعلمون) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين أحدهما عالم والآخر عابد فقال « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً »

وقال المسيح بن مريم عليه السلام عالجت الأبرص والأكمه فأبرأتهما وعالجت الجاهل فأعياني — ألم تر أن الانسان بالعلم استخدم أنواع الموجودات وانتفع بأصناف الكائنات . وأظهر ب الاعمال . وأخضع شوامخ الاثقال وطار على البخار . واختصر ولات البحار والقفار . واستخدم البرق رسول أخباره . والنور مور آ ره . وجعل الكون بأجمعه تحت طوعه . ومادة فكره منعه . فاستنبط واستخرج واستظهر واستنتج . وأبدع وصوّر حكم وقدّر . وبدّل وغير . وأمسك وطير . وحلل وركب حصر وغيب وبحر وصعد . وجسم وشكل . واختصر وطول سعب وسهل وأكثر وقال

فالعلم هو الكنز الذي يقنى . والثروة التي لا تنفد ولا تفنى

أجل ما يبتغى دوماً ويكتسب — ويقتنى من حلى الدنيا وينتخب

علم شريف عميم النفع قدر فمت — لمن يزاوله بين الملا رتب

ان عاش عاش سعيداً سائداً أبداً لا يستضام ولا يشنا فيجتنب
وان يمت فثناء شائع حسن وبعده رحمة ترجى وترتقب

فبالعلم تستنير الافكار. وتبصر الأبصار. وتظهر الأسرار وتس
المقاصد . وتصفو الموارد. وبه ارتقى الإنسان ونجح، وكدَّ وكد
وأدلى ومتح. وأخذ ومنح. وغرس وفلح، وطار وسبح. فما العلم الا ك
الانسان . وحلية العقول والأذهان . وسور الشرائع والأديان

١٠ — ﴿ المسلم مَنْ سلم المسلمون من يده ولسانه ﴾

هذا الحديث النبوي من جوامع الكلم ونوابغ الحكم أفاد
المسلم الذي يعتدّ باسلامه (بحيث يكون سبيلاً لصلاح د
ودنياه) هو من لا يصدر عنه أذى ولا سوء لأحد بقول ولا ف
ومن لا يصدر عنه السوء والأذى فانما يصدر عنه الخير والنفع ضرو
أن الإنسان إما نافع أو ضار فنفي أحد الوصفين عنه يستلزم ثبو
الآخر له

اذا أنت لم تنفع فضرّ فانما يرجى الفتى كيما يضرّ وينفع

فمن لم يكن له من اسلامه ما يمنعه عن أذى إخوانه فهو جد
أن لا يسمى مسلماً فضلاً عما يلحقه من الذام — وآثر اليد واللسا
بالذكر لكونهما أقوى آلات الجسم وأكثرها نفوذاً في الأعما
ولما كانت آلات البدن خادمة للارادة منفذة لأوامرها فأين

جهتها توجهت كأن الانسان عبارة عن قوتين احداهما آمرة
الأخرى مأمورة فالآمرة معنوية لطيفة لا نرى لها عملاً وان كنا
شعر بها بخلاف المأمورة فان أعمالها مرئية محسوسة — مثلاً اذا
ذكرت أن لك صديقاً تود أن تزوره فانك تجد من ذلك في
سك تأثراً وانفعالاً يبعث أعضاءك على السعي الى ذلك الصديق
يارته ، فهذا الانفعال الذي وجدته ليس شيئاً محسوساً بل الذي
س به حركة أعضائك في السعي اليه — ومعلوم ان الارادة النفسية
، كغيرها من اللطائف المودعة في الانسان ساذجة في مبدأ نشأتها
رة عن الجولان في الأشياء فهي لذلك محتاجة لأن تربى حتى
تأمر الا بما ينفع ، ولا تمضي الا في ما ينبغي المضي فيه ، ولو
كت على سذاجتها وقصورها لم تهتد الى ذلك اذ هي قوة روحانية
قوة الأرادية كأنها محصلة لعدة قوى كلها مثلها في أنها خلقية
الانسان ، أو تتولد فيه بالاختلاط والتدريب

وبالجملة كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتفرس في أحوال الناس
رى من أمراض قلوبهم وآفات نفوسهم ما لا يرون هم من أنفسهم
رشد الإنسان الى ما يراه انجع في علاجه ويصف له دواء دائه فقط
ع الرفق والتلطف به

١١ — ﴿ اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ﴾

خلق الحق سبحانه وتعالى الانسان وَقوّمه في أحسن تقو
وجعل له فضلاً على سائر المخلوقات في نفسه وجسمه

أما فضله في نفسه فبالقوة المفكرة التي بها العقل والعـ
والحكمة والتدبير والرأي. وأما في جسمه فباليد العاملة واللسا
الناطق وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على كل ما أوجد
هذا العالم، وأما بالنسبة لقواه الجسمية فهو فيها أقل من كثير
الحيوانات — وأما القوى العقلية فهو متفرد بها، ولذا كان له السلـ
العام والتصرف التام في كل ما أوجد في هذا العالم فلا تغادر أوامره ما يط
في جو السماء، ولا ما يسبح في لجج الماء، ولا ما يدبّ على و
البسيطة ولا ما استكنّ فيها

ثم ان الانسان من حيث ما يتغذى وينسل فنبات. ومن حيـ
ما يحس ويتحرك فحيوان، ومن حيث الصورة التخطيطية فكصو
في جدار — ما فضله الا العقل واللسان

فمن صرف همته كلها الى تربية الفكر بالعلم والعمل فجدير بأ
يسمى إنساناً ومن دعته وحكمت عليه نفسه الشريرة بصرف همته الى
تربية القوة الشهوية التي تعود منفعتها على الجسم — فحقيق بأن يلحـ

الق البهائم (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل)

ثم إن الحكيم العليم جلت قدرته حكم على الانسان بالسعي أمل للحصول على ما به يقوّم وجوده، ويطيب عيشه، ويدفع عنه مادي الحوادث

ولما حكم سبحانه وتعالى على تلك المقوّمات بالخفاء تحت أستار فيه وجب على الانسان أن يستخدم عقله وأعماله الجسمية في بكشف الغطاء عن تلك المقوّمات فينتفع بها في قوام حياته ودوام لذاته عمل ما به تزجية المعاش له ولغيره لأجل بقاء بني نوعه

ولما عرف أنه غير قادر على الوصول إلى تلك الغاية بنفسه لا بد من وسائط توصله إلى ما استكن تحت طيّ الفكر عمد الاستعمال القوة العاقلة واستمال الخليقة واستعان بها فتوصل إلى حض بفكرته، وأخضع بعض العوالم لخدمته، فنال مقصوده أراأمل على مرغوبه

بالا ومن البحث والتنقيب وأعمال الفكر وقياس المجهول على ولام انكشف له ما انكشف — لأنه كلما ارتقى في معارج التمدين أحضارة تزداد رغبته في استجلاء غوامض الامور واستطلاع عملقها وما استتر تحت حجب الحكمة فهو إلى الآن مجد في طلبه كثير السعي والاجتهاد في استخراج غوامض أسراره وهذا

مصداق قوله صلى الله عليــه وسلم (منهوما ن لا يشبعان طال
وطالب مال) وحيث قصــد الانسان إفراغ عمل نافع يلزمه أن ي
له بقلبه وقالبه، وذلك لأ جل أن لا تتوزع قواه الى غيره فيطول
العمل بل ربما تسارع الى العامل الملل والـكسل، ويدخل في
الخلل، وحينئذ يتعوّد الانسان الضجر والـكسل ويميل الى حب ا
والهوينا فلم يؤد حقاً ولم يصبر على عمل ولم يتوصل الا الى
والفاقة كما قيل

رأيت التواني زوّج العجز بنته وساق اليها حين زوجه
فراشاً وطيئاً ثم قال لها اتّـكي رويدكما لاشك ان تلد

فمن ترك العمل، أو عمل ولم يتفن، عاد وبال ضرره على نفس
الهيئة الانسـانية لانه عضو منهـا، وكل عضو ترك ما لا
أوجد يبطل نفعه — فحق الانسـان ان لا يذهب عامة أوقا
في إصلاح أمر دينه ودنياه وفي موصلاته الى غاياته وذلك لا ي
الا بالعمل وإتقانه لتتم الفائدة ويعم النفع ويرضى الخالق عليه
ولما كان عمر الانسان ولو طال كزيارة ضيف. اوسحابة
ولا يعلم في اي وقت يكون منهاه. ولا مبلغ مداه. لزمه في كل
من لحظات الحياة. أن يقرن عمله بتذكار لقاء مولاه. فانه هو الذي
القوّة والقدرة على العمل والتمتع بنتيجة ما أتمه ونواه . فيعمل

الدنيوي . مع ملاحظة أمره الأخروي وبذلك يكون في الزمن الواحد قد عمل عملين وفاز برتبتين فيكون في الدنيا منعماً بمحاسن أعماله المأثورة وبعد موته بحسن السيرة

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

وهذه مرتبة عالية ومنقبة سامية لا ينالها إلا الذين صرفوا أوقاتهم في تهذيب النفس وتربية العقل فتخلوا عما يشين من الرذائل وتحلوا بما يزين من الفضائل

١٢ — ﴿ فوائد تعميم المنافع ﴾

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

هي ولا مداجاة في الحق قوام العمران . وسرّ نظام الاجتماع الانساني وطريق تقدم المدنيه لا تقوم بدونها سعادة ولا تتم مع عدمها حضارة — ترتقي الأمم بتمسك أفرادها بها، وتنحط باعراضهم عنها أرأيت لو أهمل الانسان جانبها وصرف عنان عنايته عنها مكتفياً بالاشتغال بمصلحته الذاتية ومنفعته الشخصية لا يهمه غير نفسه ولا يعنيه سوى أمره ان سلم فعلى الدنيا السلام أو مرض فلا برئ أحد من الأنام هل تبقى بين الناس صلات، او يقوم اتحادها على عمل مفيد ومشروع حميد، هل يمكن ان يكون للأمة جند منظم يردّ عنها طوارىء الأعداء ويبذل روحه في مواقف الكفاح صوناً

لشرفها وحياطة لحوزتها ويفتتح لها البلدان ويقوم بكبح جماح أهل العصيان طلباً لتأييد منعتها وتقوية شوكتها واعلاء كلمتها لو لم تكن قلوبهم مُشرّبة حب المنفعة العمومية، قال عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

أم هل يمكن ان يكون لها من أمرائها ووزرائها ومجالس نوّابها سياسة يدبّرون أمرها ويرفعون قدرها يجهدون أفكارهم في تحسين مستقبلها ويكدحون في توسيع نطاقها مع أنهم يتيقنون أنهم ربما لن يتمتعوا باجتناء ثمار تدبيرهم لبعد أجله عنهم وكان يمكنهم لو كانت المنفعة الشخصية عنايتهم أن يتفرّغوا لاداراتهم الخاصة واستيفاء لذائذهم وادراك أوطارهم — ولا سيما أصحاب الثروة الواسعة منهم

أم هل يمكن اذا لم تكن للمنفعة العامه حقيقة تقصد أن تعاني العلماء مشاق الأسفار وتقتحم الأخطار في البحث على أثر يشاهدونه أو خبر يروونه أو علاج يجرّبونه او مظنون يحققونه، وقد يتوقعون على أموالهم وأنفسهم اتلافاً في غضون أبحاثهم واختباراتهم ويقدمون بعد ذلك عليه طمعاً في حقيقة تنكشف للخالفين ومخبوء يظهر للتالين

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وبالجملة حب المنفعة العمومية رأس الفضائل وأس الخلال الحميدة ولو رُبّيَ الناشئون منا عليه وتعوّدوه من الصغر لما تعاقبت علينا

الصروف الفادحة وألمت بنا النوائب الموهنة التي منها انتشار السرقة في البلاد والعبث بين العباد، ومنها ظهور داء الرشوة، ومنها التكاسل في الأعمال الخطيرة والتهاون في الأمور العظيمة وتفرّق قلوب الرجال وذهاب كل في مجال وفقد عروة الارتباط وسوء الادارة كل ذلك لم ينشأ الا من حب المنفعة الخاصة والوقوف عند حدها

ولو أني حُبيتُ الخُلد فرداً   لَمَا أحببتُ بالخلد انفرادا
فلا هطلت عليّ ولا بأرضي   سحائب ليس تنتظم البلادا

فالمرء المشغف بذاته. العامل على لذاته. أي مجد له إذا لم تتعد آثاره، وأي خير فيه اذا اقتصرت مزاياه على نفسه ولم ينتفع به بنو جنسه، وأي فضل له في حبس آثاره في صحن داره

اذا ما قضيتم ليلكم بمنامكم   وأفنيتمو أيامكم بمدام
فمن ذا الذي يغشاكمو في ملمة   ومن الذي يلقاكمو بسلام

فاذا أوتي المرء حكمة لقمان وفصاحة داود ومال قارون وجمال يوسف وقوة عوج وعمر نوح ولم يشركه في هذه النعم أحد، فأي فائدة للدنيا من وجوده، وأي ذكر له يبقى بعد مماته

خلقوا وما خلقوا لمكرمة   فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد   فكأنهم رزقوا وما رزقوا

فمن جعل غايته مصلحته الذاتية ثارت فيه الشرور وهاجت عنده

الشهوات ، وانما تستّر عن العيون بستار العجز ، وحجاب الضعف بخلاف من اتّجه وجهة المنفعة العـامة فان الفضائل تمتزج بلحمه ودمه ويحلو له مصافحة الحسنات ومكافحة السيئات ولو نافرته الأيام وعانده الزمان « وكل ميسر لما خلق له »

١٣ — ﴿ لـكل امرىء من دهره ما تعوّدا ﴾

وينشأ ناشىء الفتيان منّا   على ما كان عوّده أبوه

من المعلوم أن الطفل يولد مجرداً من كل الوسـائل خالياً عن معرفة الأشياء عديم البصـيرة فارغ السريرة عارياً عن الوظائف العقلية لا يرى الا ما يقع عليه بصره ولا يشعر الا بما يؤثر في جسمه ولا يسمع ضوضاء العالم ولا ينظر إلى أشباح الـكائنات الا بمرآة خيالية وهو حينئذ محاط من أهله بالشفقة والحنان فيربو جسمه وتنمو قواه حتى يستقبل الحياة الانسانية وتنتشر فيه مبادىء القوّة العقلية فينظر الى العالم فيراه مشهداً غريب الأحوال ومرسحاً تلعب فيه الآمال فتشمله شمول هذا الظهور وتلعب برأسه نشوة تلك الامور فيبيت بها مشغوفاً ويصبح اليها ملهوفاً — فان لم توجّه قواه من مبدأ هذا الظهور الذي يكون فيـه كقطعة الشمع المرنة القابلة افراغها في أي قالب ، وتشـكيلها بأية صورة الى وجهة حسنة وغاية نافعة استعملها كيفما توجه بهيمته . فينشأ ضائعاً في مفازة العمر ، حائراً لا

يلبث حتى يرى نفسه قائماً في وسط هذه الدنيا مغموراً بأمواج هذا العالم تلطمه ضرباته وتأخذه ضجاته مع تزاحم حاجاته وتوالي حسراته فيندفع بخيالاته الكاذبة الى مطامع خاسرة خائبة، ويصير مضغة بين أضراس الأماني الخاطئة ومسقطاً لنوائب الزمان، فيمكث يصارع الحال، ويأسف على الماضي ويرتعد من المستقبل — ولو وجه أهله قواه من أول نشأته على التدريج الى سبيل نفعه وتفهم ونفع وطنهم لسار من مبدأ أمره في هذه الطريق المفيدة حتى يعتاد الأعمال النافعة، ويصير عضواً عاملاً في أمته، فيعيش وقد حصل على مزايا نفعه، وعلم خاصة نفسه، فينظر في أفراد الكائنات نظر حكمة وتدبير، ويسعى خلف ابتناء ثمراتها، حتى يمد عليها ظلال رايته ويخضع الصعاب تحت رياسته، ويسعى في طرق المكاسب فيحسن لديه المسعى، ويطيب له المربع وما ذلك الا لتربيته وتعويده من مبدأ نشأته سلوك طرق المنفعة والخير — فالمرء ابن عادته (ولكل امرىء من دهره ما تعوّدا) ومن شبّ على شيء شاب عليه — الا ترى أن أولاد الفلاحين بتعويدهم مباشرة الاعمال ومعاناة الكدّ ينشؤون مولعين بفلح الارض وزراعتها والعمل فيها كآبائهم، وكذلك الكاتب والخياط - وغيرهم

وبالجملة: الطفل يشبّ ويكبر على الشكل الذي أفرغ في قالبه

والصورة التي منحها له أهله: والعادة التي صادفها في طريق تربيته .

ان خيراً فخير – وان شراً فشر

والابن ينشا على ما كان والده ان الأصول عليها ينبت الشجر

فيجب على الآباء وولاة أمور الأحداث أن يقوموا بتربيتهم وتعليمهم على الوجه الأكمل حتى يخرجوا من ربقة السؤال ويسلموا من تبعة التقصير وتوجه الاثم اليهم لو أهملوهم من ذلك وهم تحت تصرفهم وفي رعايتهم و (كل راع مسئول عن رعيته) فضلاً عن أن يكونوا لهم عوناً على المعيشة ونوال السعادة وأثراً حسناً يذكرون به ، ونعمة جليلة يغبطون عليها

نِعَمَ الاله على العباد كثيرة وأجلّهن نجابة الأولاد

وقال آخر

لكل امرئ في الخير والشر عادة وكل امرئ جار على ما تعودا

ولو سلكت كل عائلة ذلك المنهج القويم . وقامت بحقوق التربية والتعليم لم تلبث أن تؤلف أمة سامية القدر . جليلة الذكر . لا يشق غبارها . ولا يضام جوارها . ولا يقوم لها عنيت . ولا يسطو عليها اصليت . بل ينهض بها الوفاق . وينحط دونها الشقاق . وتكون أسّ حضارة . ورأس عمارة – ومن نظر الى الامم وتأمل أحوالها وعلم مبدأها ومآلها ، يرى العجب العجاب في التقدم والانقلاب

نشأ ذلك من اعتنائهم بالتربية، فترى كثيراً من الأمم حلوا ارضاً مجدبة قحلة ومفاوز يابسة محلة . بتربيتهم وعلمهم وحسن تدبيرهم وجودة تصرفهم اصبحت لهم جنة مثمرة . وروضة مزهرة. وأغدقت عليهم بصنوف النعم . وأظهرت شأنهم بين الأمم . حتى عوّضوا الكهوف بالقصور. والكلأ بالزهور . والجلود بالحرير والحصباء بالسرير . الى غير ذلك من أنواع التقدم والرفاهية

وأيت صلاح المرأ يصلح أهله ويهديهم عند الفساد اذا فسد
يعظم في الدنيا لفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

فيجب علينا معشر الامة المصرية أن نباريهم ونبذل أنفس ما لدينا حتى نجدّد شرفنا التالد، ونجلب حظنا الشارد، ويستقيم الاود وتصلح البلد

فلله الحمد هاهي المدارس قد قام سوقها وانتظم سيرها وأحكم أمرها مفتّحة أبوابها مستوفاة أسبابها تنادي طالبيها وتمنح محبيها

١٤ — ﴿ فوائد المدارس ﴾

المدرسة دار التربية والتأديب والتمدين والتهذيب تصلح شأن المرء بما يتلقاه فيها من المعارف وما يكتسبه فيها من العلوم المفيدة التي تجعل عنده استعداداً لان يكون في المستقبل رجلاً قادراً على القيام بما يوصله الى مطلوبه من الواجبات أحسن قيام وتبثّ في روحه

حب الوطن وأهله وتزيد عنده قوة الادراك وتربي له العقل وتجعل عنده من الخصال أحسنها ومن اللطائف أحمدها وترسده الى الطريقة التي يجب اتباعها والوسائط التي ينبغي اتخاذها للحصول على الشرف والكمال ومستقبل الآمال

وبالجملة فالمدرسة مطلع شموس العلوم والمعارف ومشرق أنوار الفوز والسعادة ترضع الناشىء فوائد الأدب من صغره وتقوّم ما اعوجّ من أخلاقه وعاداته حتى ينشأ كاملاً مهذباً عالماً بحقوقه عارفاً ما يجب له وعليه وتعدّ له مستقبلاً يضمن له الرفاهية والسعادة وتصونه من طوارئ العلل والآفات وتحفظه من أسباب الامراض والعاهات وتعلمه كيف يطلب الثروة من حسن مواردها وأشرف طرقها وتهديه الى الطريق الذي يرقى به أوج الكمال

١٤ - ﴿ فوائد المعارض العمومية ﴾

المعرض مدرسة رجال التجارة وأرباب الصناعة فيه تخلع الناس ثياب الكسل ، وتتزين بحلل الجد والعمل، فهو ميدان تتسابق فيه الصناع وتتنافس فيه الزرّاع فيشمر كل منهم عن ساعد الجدّ والعزم ويطلق عنان العناية والحزم . فيه تعرض نتائج الآراء السديدة والأفكار المفيدة — فمن حاز قصب السبق في هذا الميدان يمنح وساماً دلالة بشرفه وعلامة بنشر اجتهاده وتنشيطاً له وتنافساً لغيره فكل يتسابق في اتقان

عمله وابراز مخترعه وإظهار ما اكتشفه من الآثار وماجناه من الثمار

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

فبذلك يكون الإنسان أدى ماخلق لأجله وهو العمل وطرح التقاعد والكسل. فاذا نظرنا إلى معرض باريس وما احتوى عليه من الصنائع المتنوعة والفنون المختلفة التي تدهش الأبصار وتحتار في كيفيتها الأفكار نستدلّ دلالة واضحة على تمدين الأمم الأوربيّة واتساع دائرة علومها وصنائعها وزيادة ثروتها

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح

فالمعرض مدرسة علمية صناعية تجارية زراعية لجميع الأمم ومصباح يستضاء به فى تقدم الصنائع والفنون ومفتاح به تظهر جميع الخبايا ودقائق المعقول والمنطوق فهو ميدان تتسابق فيه الافهام وتتجلى فيه كفاءة الرجال ، والرجال بالاعمال

وبالجملة فالمعارض مظاهر أعمال الأمم وبراهين تفاوت الهمم ومشارق أنوار الاختراع ومجمع أحاسن المصنوعات ونظام نفائس المبتكرات وتختلف باختلاف الممالك ، وتباين حاجاتهم وحاصلاتهم ، ومبلغ علومهم وقوة مداركهم وميلهم إلى جليل الأعمال وعظيم الآمال

١٥ — ﴿أي الأمرين أكثر نفعاً للتعلم﴾
(أتعليمه بالرغبة أم تعليمه بالرهبة)

لا خلاف فى أن الطباع ليست سواء فى أفراد النوع الانساني فهذا حاد الذكاء، سهل الانقياد، شغوفاً بالتحصيل، لا يطلب سوى هديه إلى طريق التحصيل والتهذيب ، إلا أنه لا ينبغي إرسال لجامه كيلا ينتج قبل أوانه فتضعف قواه فيما بعد

وذاك يكون حاد الذكاء : ولكنه بطيء. وهذا لا يلزمه سوى استعمال المهماز وحثّه على صرف الجهد

وآخر يكون حاد الذكاء مشغوفاً بالتحصيل ولكنه عنيد صعب المراس فيؤخذ بتلطيف طباعه وتهذيب أخلاقه

وآخر يكون سهل الانقياد شغوفاً بالتحصيل ولكنه كاسد الفكر بطيء الفهم — وهذا يحتاج الى رقة المعاملة والتنهيض تارة والمساعدة أخرى كيلا يضعف جأشه أو ينبعث بأسه فيقعد الدهر ملوماً محسوراً -- وربما وصل الى الغاية المطلوبة

وآخر يكون كاسد الفكر بطيء الفهم كسولاً عن العمل وهذا يمكن تقويمه مع الصبر وتوالي الزمن

وآخر يكون مع كسادة فكره وبلادة فهمه خبيث الطبع شرير النفس — ومثل هذا لا ينبغي اليأس منه بادىء بدء بل يحسن

أخذه بالإصلاح والتقويم والتهذيب الى أن تضيع فيه الحيل

ومرتبة الاضطرار والرهبة-- ومرتبة الاختيار والرغبة: تختلف باختلاف استعداد القوى العقليه

فالنفس مجبوله على شيم مهملة. وأخلاق مرسلة، لا يستغني محمودها عن التأديب ولا يكتفى بالمرضيّ منها عن التهذيب لأن لمحمودها أضداداً مقابلة يسعدها هوى مطاع، وشهوة غالبة فان من أغفل تربيتها تفويضاً الى العقل. وتوكلاً على أن تنقاد إلى الاحسن بالطبع أعدمه التفويض درك المجتهدين وأعقبه التوكل ندم الخائبين فصار من الأدب عاطلاً وفي صورة الجهل داخلاً لأن الأدب مكتسب بالتجربة أو مستحسن بالعادة. ولكل قوم مواضعة وذلك لا ينال بتوقيف العقل ولا بالانقياد إلى الطبع حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة وبالدربة والمساطاة: ثم يكون العقل عليه قيماً وزكي الطبع اليه مسلماً

وان أوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الناشئ بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً: وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين

قال بعض الحكماء (اقذعوا ــ ادفعوا ــ نفوس ابنائكم فانها طلعة وحادثوها بالحكمة فانها سريعة الدثور فانكم اذا لم تزعوها تنزع بهم الى شر غاية) وهذه مرتبة الاضطرار والرهبة. بخلاف

مرتبة الاختيار والرغبة، ففيها تقوى إرادة الناشيء بحكمة ما حصل عليه من التجارب والتأمل في الأسباب والنتائج،فيرى أن اضطراره الى طاعة البواعث النفسية والجسمية قد صار اختيارياً

وبالجملة يحسن بالمعلم أن يتعرف كل ناشئ ليعلم أطباعه وأخلاقه واستعداداته الجسمية والعقلية كي يعامله بحسبها فلا يعامل الكل باللطف، كما لا يسوق الجميع بعصى الخشونة. فان منهم من تصلحه القساوة، بينما الآخر يصلحه المعروف. ومن ينفعه الاحسان بينما يسوء الآخر،ومن يؤثر فيه النظر بينما الآخر يحتاج الى العصا كما قيل

البعض يضرب بالعصا والبعض تكفيه الاشارة

ومنهم من يسوقه المهماز بينما الآخر يلزمه اللجام

.لكن التعليم بالرغبة المبنية على أساس متين من العظة العالية والحكمة البالغة أولى وأفيد من التعليم بالرهبة التي لا تجلب الا الخبل .والقنوط والملل.بل تورث الخوف والجبن وتعوّد الناشئ على العمل في الجهر، والكسل في السر — فاذاً سياسة الرفق واللطف قد تفعل ما لا تفعله سياسة الشدّة والعنف،ومن لم يكن له من نفسه زاجر — فهيهات ان تؤثر فيه الزواجر

١٧ — ﴿ما هي الحاجة الماسة الى بناء المستشفيات للفقراء﴾

الانسان في هذه الدنيا عرضة للأمراض والعلل: غير ان الناس

منهم الغنيّ والفقير . فالغنيّ بما له من الثروة قادر على دواء نفسه متى شعر بألم في جسمه فهو يحضر من أمهر الأطباء وأحذقهم من يرجو الشفاء على يديه . أما الفقير فان المرض اذا ألمّ به لم يجد ما ينفقه على دوائه وشفائه، فيمكث أسير الأدواء حليف العلل : لا جهلاً بالطب وفوائده، ولكن خلت يداه وأعوزته الحاجة وقعد به الدهر عن ذلك — لهذا تدعو الشفقة والانسانية ان يقوم أغنياء الامة وحكومتها بانشاء مستشفيات لهذه الطبقة يلجأ اليها مريضهم فيمدّ بالدواء ومساعدة الأطباء

ولقد اعتنت الحكومات المتمدينة بالحيوان الأعجم وعرفت الحاجة الى انشاء جمعيات للرفق به — وحينئذ الانسان أولى بهذه الشفقة وأحق بتلك المرحمة — ولا يخفى ان الفقراء هم السواد الأعظم من الأمة فمتى اعتنت بهم ولاحظتهم في أمراضهم كثر أفرادها وصارت مهيبة قوية . على ان الأغنياء في أشدّ الحاجة الى هؤلاء الناس أهل البؤس والفاقة ، فهم القائمون بالأعمال العظيمة التي لا يباشرها الغني بنفسه — كيف لا وان لبناء هذه المستشفيات أكبر فائدة وهي منع انتشار العدوى بين أفراد الناس : فليخش الأغنياء من ذلك وليعلموا ان في أموالهم حقاً للفقراء والبؤساء فيجب السعي في ازالة ما يعتريهم من الأمراض والآلام التي تذهب

بحياتهم : واحترام هؤلاء الاقوياء في جسم الهيئة الاجتماعية وجلب الصحة اليهم حتى تكتسب البلاد منهم حياة جديدة وقوة عظيمة بفضل ساعدهم وتحملهم المشاق ومثابرتهم على العمل حتى اذا أصيب أحدهم بمرض لا يبيت يتقلب على فراش الشقاء بين أولاده وأهله الضعفاء بعد أن كان يوصل ليله بنهاره في الجدّ والعمل ليصون نفسه عن ذلّ السؤال

وبالجملة فالمستشفيات من أهم ما تحتاج اليه الامم لحفظ صحة أفرادها من غوائل الامراض وطوارئ العلل المعرض اليها الانسان بطبيعة جسمه وحوادث الجوّ فهي التي حفظت النفوس في أجسامها وردّت جيوش الادواء على أعقابها كيف لا وقد ثبت (أن صحة الابدان مقدّمة على صحة الاديان) وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (داووا مرضاكم بالصدقة) وقال أيضاً (اللهم أعط منفقاً خلفاً وممسكاً تلفاً) وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً

٨ — ﴿ الجبال وفوائدها ﴾

الجبال هي تلك الأجرام والاجسام الشامخة التي لها أعظم منّة وأكبر نعمة على الانسان في كل زمان ومكان فهي التي يتّخذ منها مواد البناء على اختلاف أنواعها فتشيد منها المنازل والقصور

التي تقينا قيظ الحر وزمهرير البرد ويتخذ منها بناء القلاع والحصون التي بها ندافع عن أوطاننا وأنفسنا وأولادنا وأموالنا وأعراضنا بل هي قد تكون في الواقع الحدود الطبيعية او الحصون المنيعة للبلاد المحافظة بها المحافظة لاستقلالها كجبال الحبشة في افريقيا وسويسرة في أوروبا

وهي التي تستخرج منها المعادن الثمينه كالحديد والنحاس والقصدير ونحوها من الجواهر ذات القيم الكبيرة التي نقلت الانسان من الاعصر الهمجية الى نور العرفان والاستكشاف والاختراع فكلما تقدّمت الامم فى الحضارة والمدنية كانت الحاجة ماسة في عدم الاستغناء عن منفعة تلك الجبال التي لها أيضاً دخل عظيم في تحسين حالة الجوّ وفي تنظيم انحدار المياه من قممها وفوقها بقوّة في المجاري والانهار . فنشأ احياء موات الاراضي وريّ الشراقي منها فأخصبت وأصلحت البلاد وأروت العباد . على أنها واقيات للارض من طغيان البحار عليها قال تعالى (وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بكم والجبال أوتاداً)وقال تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتاً)

وبالجملة خلق الله سبحانه وتعالى الجبال لمنافع وفوائد متعدّدة لا يحيط بجميعها الا هو . فمن ذلك ان الله تعالى أنزل من السماء ماء ليحيي به العباد والبلاد وجعل الجبال لتستقر في بطونها المياه ويخرج أولا فأولاً بقدر معلوم . ومن الجبال ما ليس في باطنها محل

للمياه فجعل الثلج محفوظاً على ظاهرها الى ان يحله حر الشمس فيكون منه أنهاراً « صنع الله الذي اتقن كل شيء »

ومن منافع الجبال ماينبت فيها من أنواع العشب والعقاقير التي لاتوجد الا فيها، وما ينبت فيها من أنواع الاخشاب العظيمة فيعمل منها السفن وتعمر منها المساكن، وما ينبت فيها من مزارع للانعام ومزارع لبني آدم ومساكن للوحوش ومواضع لأجناح النحل

ومن فوائدها ان جعلت أعلاماً يستدل بها المسافرون على الطرقات فى نواحي الارض ، ويستدل بها المسافرون في البحار على المين والسواحل

ومن فوائدها ان الفئة الضعيفة الخائفة من عدوان من لا تطيقه تتخذ عليها مايحصنهم ويؤمنهم ويمنع عنها من تخافه فتطمئن لذلك

١٦ — ﴿ البراكين والزلازل ﴾

ان جوف الارض حارٌّ بطبيعته: فاذا حفر الانسان وجد الحرارة تزداد — وهكذا كلما نزل الى أسفل حتى اذا وصل الى عمق بعيد ألفى حرارة كافية لتبخير المياه بسرعة مدهشة . فان صادف هذا البخار أرضاً سهلة تصاعد من مسامها بدون ان تحدث براكين ولا تفجر — وان صادف جبالاً فلا يسعه الا ان يخترق تلك الصخور العظيمة القاسية ويتخذ معه ما يجده في سبيله من طبقات الارض

كالحديد والكبريت والنحاس والقصدير ونحوها ويقذفه للناس ينتفعون به: وهذا مشاهد كثيراً في الجبال التي على شواطئ البحار والمحيطات، او القريبة منها كشواطئ آسيا الشرقية وأمريكا الغربية وجزر اليابان وجزيرة اسلنده وكثير من بلاد في أوربا — ومن المعلوم أن الارض طبقات بعضها فوق بعض وكلها تسمح للمياه بأن تتخللها فتدخل فيها فتبخرها الحرارة، والبخار من طبعه يتصاعد ولكنما الجبال تمنعه فيتراكم تحتها ويتزايد وهو شديد وخصوصاً عند ما يمتزج مع ما يقابله مما في جوف الأرض فيحدث الانفجار في باطنها على أثر تراكم تلك الأبخرة المائية بدرجة تمدد عظيمة فينشأ عنه انكماش الطبقة السطحية: وتتدحرج الصخور التي في باطنها بعضها على بعض فيحدث من انفصال أجزاء الجبل بعضها من بعض تمزق ورجة عظيمة واضطراب لسطح الارض يشعر به غالب العالم لأن القارات يتصل بعضها ببعض. وكذا الجزائر بواسطة سلاسل عظيمة تخترق البحار والمحيطات

وهذا الاهتزاز هو الزلازل التي تنشأ غالباً من البراكين: وقد لا ينشأ من ذلك لجهات الألب — وكما تحدث الزلازل براً تحدث بحراً ويحصل لمائه مدٌّ فيغرق البلدان ويدمرها وتعلو أمواجه نحو خمسين متراً فيحدث ما تقشعر له الابدان ولا يخفى سمعه على الآذان

وبالجملة ان سبب اشتعال البراكين نفوذ الماء الذي على سطح الأرض الى المواد التي في جوف الأرض فيولد مقداراً من البخار فيدفع ما يكون أمامه بقوّة غريبة . وبعض هذه البراكين هائج أبداً كبركان استرمبولي الذي يبلغ ارتفاعه ٢١٧٥ قدماً . وبعضها يهيج أحياناً وأحياناً يسكن كبركان فيزوف بالقرب من نابولي وفي العالم ستمائة واثنان وسبعون جبلاً نارياً تتولد منها البراكين وتنشأ لأجلها الزلازل التي يخوف الله بها عباده في مشارق الارض ومغاربها

٢٠ — ﴿ أبو مسلم الخراساني ﴾

هو عبدالرحمن بن سالم الخراساني، مقيم الدولة العباسية، ومبيد الدولة الأموية ، وُلد بقرية (ماوانه من قرى خراسان سنة ١٠٠ للهجرة ، في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ومات أبوه وهو حَدَث فتولى تربيته عيسى وإدريس ابنا معقِل العجلي ، وأحبّهُ عيسى كولده لما عرفه من لقانته وادبه ، فلما اعتُقل عيسى بواسط بتهمة التشيُّع للعباسيين، والدعوة للإمام محمد بن علي العباسي . رأى أبو مسلم أن يكون قريباً منه ليخدمه في بعض شئونه فاشتغل خرّازاً بالكوفة وكان يختلف الى مربّيه في (واسط)

ولما علم الدعاة للعباسيين صلته بعيسى عادوا الى الإمام فوصفوا له حال أبي مسلم ، فطلبه من عيسى ، فأشخصه اليه ، ولما

رآه أعجبه سمتُه ورجا أن يكون الفتح على يديه ، ثم مات الإمام محمد ، فاتصل بابنه ابراهيم ، وعليه تخرج في الفقه والأدب والحديث وفصُح في العربية مجوّداً كأحسن أبنائها ، ثم أراد أن يوجههُ الى خراسان زعيماً للدعاة مع صغر سنه ، فخطب في وفد من وجوه خراسان ، خشية أن يعودوا فينفسوا على أبي مسلم منزلته فيفسد تدبيره: قال «اني قد رأيت أن أولي الأمر هناك أبا مسلم لما جرّبت من عقله ، وبلوت من أمانته ، وأنا موجهه معكم فاسمعوا له وأطيعوا، وقد رجوت أن يكون هو الذي يسوق لنا الملك فعاونوه وكانفوه ، وانتهوا الى رأيه »

ولما وصل الى خراسان شمر للدعوة ، موصياً أصحابه بالتنكر والتزي بزي التجّار ، فجاب البلاد سهلها وحزْنها ، وكلما رحل من بلد أو كورة ترك فيها نقيباً يحذو حذوه أمراً ونهياً ، وكان في دعوته حذراً : أخوف ما يخافه أن تعلم به عيون الأمويين فيأخذوا عليه الطريق ، ولكن حزمه وكتمانه قد بلغاه ما أمّل ، فاجتمع له خلق يسمعون قوله فيتبعونه ، ويرونه فيعظمونه ، حتى بلغ من حبهم إياه أن كانوا يتحالفون به فلا يحنثون ؛ ويذكرونه فلا يملون

ولما وثق بقوة أتباعه صدع بالدعوة في سفنون (قرية قريبة من مرو) وفي ذلك الحين سُمي بالإمام ابراهيم ، فاعتقله مروان

آخر بني أمية بحرّان ، ثم دسّ له السمّ في السجن فقتله، فاستشاط أبو مسلم ؛ وصمم على أخذ مرو وهي أكبر كُوَر خراسان وقبل أن يهاجمها علم أن بين أميرها نصر بن سيار ، وهو من هو شجاعة وبأساً ، وبين جُدَيع بن علي المعروف بالكِرْمانيّ زعيم اليمانية في خراسان تخاصماً وتدابراً ، فرأى أن يضرب هذا بذاك ويدافع الحرب ، مستبقياً جيشه ، حتى إذا جازت حيلته قضى على الغالب ، أو أدخَلَهُ في أمره ، وقد تم له ما رأى ، فقُتِلَ الكرماني واستأمنَ نصر حين رأى جنوداً أولي قوة وبأس شديد ، لا قِبلَ له بها ، ثم فَرّ على غفلة من أبي مسلم في ولده وحاشيته ليلاً

ولما تم لأبي مسلم ملك خراسان وجّه قُوّاده غرباً وجنوباً لتقفو أشياع بني أمية ، وانتشر جنده ينتقصون ملكهم من أطرافه ، فتقابل قحطبة بن شبيب وأبو عون العكلي مع مروان على نهر الزاب ، فاقتتلوا وانهزم مروان الى الشام ، ثم الى مصر ، وتقفاه أبو عون حتى قتله بها — وبذلك أدال ابو مسلم دولة بني أمية ، وأقام دولة بني العباس

وكان أبو العباس السفاحُ وأخوه المنصورُ وأولاد عمهما عليّ قد هربوا الى الكوفة حينما قُتِل ابراهيم الامام ، واختفوا في دار أبي سلمة الخلاّل ، فجاء أبو مسلم اليهم ، بعد ان طهّر خراسان من أتباع بني أمية ؛ ودخل عليهم معزياً مبايعاً أبا العباس ، آخذاً بيده

الى مسجد الكوفة ليصلي بالناس ويخطبهم فيبايعوه بالخلافة

وتولى أبو مسلم خراسان عن السفاح، فنظم شؤونها، وعظمت مهابته، حتى لم يتوجه لاخماد ثورة إلا انضم الثائرون اليه من غير أن يُصلت سيفاً أو يشرع رمحاً

مات السفاح فخرج عمه عبد الله بن عليّ على المنصور، داعياً لنفسه بالخلافة، زاعماً ان أبا العباس عهد اليه بها، واستمال الناس حتى اجتمع له جند كالسيل، فقال ابو جعفر لأبي مسلم: أيها الرجل انما هو أنا أو أنت لهذه العظيمة! فقال: بل أنا أيها الأمير، وفصل في اثني عشر ألفاً من جند خراسان، حتى اذا تراءى الجمعان انحاز الى ابي مسلم من كان مع عم الخليفة. وبقي وحده الى ان استأمن أبا مسلم، فأمنه وعفا عنه

وكلما تقدم الزمان بأبي مسلم حسنت أحدوثته، وطار في الآفاق صيته، وشعر بعظمة وجلال لم يحرزهما خليفة، من أجل ذلك توجس المنصور منه خيفة، وقال في نفسه «إن من أقعد دولة كان أحد ملوكها ينطق بالكلمة في دمشق فيسمع صداها فيما بين الصين وجبال أطلس، لجدير أن يسلبنا الخلافة، ويقضي عليها في مهدها».

واستشار بعض بطانته في أمره، فأوغر صدره عليه، وحذره غب[illegible]

ولما استقدمه المنصور لمناظرته في شؤون الدولة، أدرك [illegible]

نيته ، فأتمر أهل الرأي من قواده في إجابة الخليفة ؛ فأباها بعضهم خشية أن يفتك به، ورضيها آخرون على أن يحتاط، ففصل ابو مسلم ببعض جنوده متمثلاً :

« ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الا قوام»!

ولما وصل الى المنصور احتفى به . وتلقاه بالأشراف وكبار القواد مترجلين ، حتى اذا اطمأن ابو مسلم ، وحسب الأمر لا يعدو البحث في أمور الدولة ، بيّت له ابو جعفر ليأخذه بغتة ، وفي اليوم الثالث من قدومه أمر الخليفة حاجبه أن يجرد أبا مسلم من سيفه اذا استأذن عليه ، وأعدّ له كميناً خلف الستار

دخل ابو مسلم بعد ان جرّد فالتقى الدهاء بالدهاء ، وتقابلت القوة بالقوة ، وظهر تنكّر المنصور له ، فأيقن بالهلكة ، ثم تضرع واستكان ، وهوى يقبل اليد والرجل ، وترجى البقاء ، مستشفعاً بسالف إحسانه ، ومشكور بلائه ؛ ولكن حمّ القضاء ، فصفق الخليفة ، وخرج الكمين ، فاخترطوه بسيوفهم ، وبضّعوه تبضيعاً ولفّوه في بساط ، ثم دفنوه برومية (من مدائن كسرى على نهر دجلة) سنة ١٣٧ هـ

ولما بلغ منعاه جنده هاجوا ، واستلوا السيوف ، واعتزموا الأخذ بثأر وليهم ، ولكن المنصور استرضاهم بالمال ، وأقنعهم بخيانة

ابي مسلم ، وفساد طويته ، فانصرفوا راضين

وكان ابو مسلم جميلاً حسن التقاسيم،قصيراً أسمر اللون ،نقي البشرة ، أحور العين ، عريض الجبهة ، كثيف الشعر ،طويل الظهر قصير الساق ، وكان شديد البطش والفتك ، يقتل بالظِّنة ، ويأخذ بالكلمة ، لا يحفل بالحوادث الجسام ، تأتيه من ي النواحي ، أما الدهاء فقد بلغ فيه الغاية ، وحسبك منه انه عمل للدولة العباسية وأقامها بين أسماع بني أميه وأبصارهم ، يمر بهم فيحسبونه صديقاً ووليّاً ، وما يمر بهم إلا ليُسنِّيَ الطريق لأمته، ويمهِّدها لدولته ،وهو جدير أن يفخر بما نال ، وأن يرفع الصوت بما قال

«أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت   عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا»

في أبيات مشهورة

ومن عجيب دهائه انه لما وجدت الدعوة في خراسان ،وظهرت المسوِّدة على بني أمية،حار مروان،وطلب الى شيخ الكتاب عبدالحميد أن يرسل الى ابي مسلم كتاباً يخلب اللب ، عله يتلهَّى به ، فيفسدَ صنيعه ، ويحبَطَ عمله . فمضى عبد الحميد يكتب حتى سطَّر وقْر بعير وأنفذه الى ابي مسلم، فأدرك الحيلة ،ونسل الكتاب فحرقه ،وكتب على جُذاذة منه

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى   عليك ليوث الغاب من كل جانب !

ولعل لنشأته مع الدعاة المتكتمين ، وصلته بالأئمة المتسترين، أثراً في دهائه وتكتمه ، حتى بلغ ما بلغ

وكان أبو مسلم كبير النفس أبياً طموحاً الى المعالي ، يرى السعادة في نيل السلطان ، قيل له ماالسرور؟ قال « ركوب المهالجة وقتل الجبابرة ، وإقبال الزمان ، وعزة السلطان »، ومن أجل ذلك كان يعمل لرجع الملك الى الفرس طامعاً ان ينال مأربه بالدعوة العباسية ، ولكن مصارع الرجال تحت بروق الاطماع

٢١ — ﴿ اسباب ونتائج نهضة اوربا ﴾

هي الحركة العقلية العظيمة ، التي انتظمت أوربة منذ القرن الخامس عشر ، فأيقظتها من سباتها ، وابتعثت فيها حياة أدبية فنية ، مكنتها ان تقبض على صولجان السيادة والعزة ، وأن تبسط سلطانها ، وتمد نفوذها ،وتوسع ثروتها،وترأب ما أثأته يد الجهل في القرون الخالية

لهذه النهضة عوامل قوية أزاحت غشاوة الجهل عن أعين القوم ، بعد ان لبثوا يضربون في بيداء الجهالة ، ويرسفون في قيود الأوهام حِقَباً طوالاً ،وكان ذلك الجهل الشامل مبدأ العلم،والسكون السائد أول الحركة ، ولا غرو فالظلام الحالك يسبق نور الفجر

كان من أعظم العوامل في ظهور تلك النهضة« الجامعات» التي

كانت منتشرة في اوربة منذ قامت دولة شارلمان ، وكانت وقفاً على التعليم الديني حتى القرن الثالث عشر، ثم لما لاحت تباشير الاصلاح والنهضة اتسعت دائرة التعليم فيها بما أضيف الى علومها ، فخرجت لاوربة رجالاً من أولي الرأي والعمل، حملوا ألوية النهضة، وعبّدوا السبل لمن تلا تِلوَهم من قواد الآراء وذوي العزائم القوية

وكان لاختراع «البارود» تأثير هام فيها اذ كان نظام الفروسية يقضي بحماية الضعفاء والانتصار للمظلومين ، وفي ذلك اخضاع لهم وذهاب بالنخوة والبأس من نفوسهم ، فلما ظهر هذا الاختراع استطاع الضعفاء ان يدفعوا عن أنفسهم ، واستغنوا عن حماية الفُرسان والأمراء ، وكان ذلك مبدأ استقلال الارادة والفكر اللذَيْن قامت عليهما قوة الابتداع والابتكار فيما بعد

أضف إلى ذلك تأثير الحروب الصليبية ، التي نشِبت بين اوربة والشرق من(١٠٩٦—١٢٧٨)في إيقاظ العقول، وتنبيه العزائم وشحذ القرائح ، بما قبسه أهل اوربة من آثار الحضارة العباسية في المشرق ، فنظموا مدارسهم، ونبغ من بينهم شعراء وعلماء وفلاسفة قلما تجد في تاريخ اوربة من يدانيهم قبل تلك الحروب ، وكان لها أثر آخر أعظم شأناً ، هو جمع كلمة الاوربيين ، واستلال سخائمهم وتناسي أحقادهم ، وتألبهم على الشرق ، لمدافعة أهله ، بل مهاجمتهم

في ديارهم

ولما فتح الأتراك قسطنطينية هاجر كثير من علمائها وطلابها يحملون معهم أنفس الذخائر العلميـة ، وأقدم الرقوق التي تحوي بحوث العصور الخالية ، ممـا كانت مدارسته وقفاً على الخواص في دولة الروم الشرقية. رحلوا بها الى أقطار اوربا الغربية فرحبت بهم وخاصة أهل ايطاليا ، وانتشرت اللغة الاغريقية ، فقرأ الناس أشعار هوميروس ، وأفـكار افلاطون وغيره من فلاسفة يونان ، بعد ان درست من اوربة ، فانطلق العقل من قيود الوهم ، وجال الفـكر في ميادين الحقائق ، وحبب الى الناس ان يتركوا الخرافات التي منعت عقولهم عن التفـكير ، وغلت أيديهم عن العمل

نعم ، كان للحروب الصليبية ودخول الاتراك أوربة أثر قوي في توحيد الـكلمة ، وظهور الحمية القومية ، والنعرة الجنسية والدينية والعمل على تنمية القوى الحربية حتى اذ أحس الاوربيون خطر الاتراك يتهـددهم ، ظهر الروح القومي ، وبرزت القوة الـكامنة التي كسبوها بمجالدة المسلمين نحو قرنين . وعملوا على اخراج العرب من اسبانيا ، وضـايقوا الأتراك في المشرق ، حتى فقدوا قوتهـم تدريجاً ، فقام الغرب يجدد حملاته على الشرق بدعوى تعمير أراضيه المهملة، وتعليم شعوبها الجاهلة. وكان في ذلك القضاء على استقلال الشرقيين

وامتداد نفوذ أوربة وعظمتها

وقد أتاح الله وقتئذ للعالم اختراعاً كان له من عجيب الأثر في امتداد النهضة وشمول أثرها ، ما لا يعهد الا للقوى السحرية، ذلك هو اختراع «الطبعة» التي جعلت تداول الكتب يسيراً ، فأوقدت سراج الآداب في أوربة، وأحيت موات العقول، فظهر النبوغ في طبقات كثيرة، ومال الناس إلى البحث، وشاركوا أصحاب العقول الراجحة في العصور المختلفة ، ووقفوا على المذاهب والآراء المتباينة لم يركبوا لذلك صعباً ، ولا تجشموا عناء

ثم ظهر الكشافون البحريون «دي جاما وكُلُمْبُ وماجلان» فقاموا بأعمال جليلة. فتحت لاوربة أبواباً للعمل والرزق، فانتشرت التجارة وارتقت الثروة رقياً لم تحلم به أمة ولا أمم من قبل

وكان للاصلاح الديني الذي وضع أساسه « لوثير » في ذلك العهد أكبر الآثار في تحرير العقول من ربقة التقليد، وتلك الحرية هي مفخرة التاريخ الحديث ، وعليها قامت المدنية الأوربية ، وبها استطاعوا الافتنان في الأعمال المدهشة ، والاتيان بالاختراعات العجيبة ، كما نظمت الحياة الأدبية والاجتماعية ، ونبه الناس إلى التفتيش عن صحة ما يعلمون وما يعتقدون ، فقام دعاة الإصلاح وفلاسفة المربين، يغيرون نظم التربية والتعليم، ويدعون الى التجديد

فكثر التأليف وأنشئت المدارس ، وتقدمت الصحف ، ولم يبق باب من أبواب الأدب والفن إلا سار فيه الإصلاح والتجديد سيراً حثيثاً

وان ما يظهر اليوم في أوربة من مظاهر الحضارة الزاهية من نشر الآداب السامية ، وحرية الفكر ، والميل إلى البحث والاستقصاء في طلب الحقائق ، واتساع العقل ، وتغير نظم التعليم وأساليبه ، ورقي آداب الاجتماع ، وبسطة السلطان ، وضخامة الثروة ، كل أولئك من ثمار تلك العوامل التي ساعدت على نهوض أوربة

بدأت النهضة في إيطاليا التي آوت طلاب العلم والمهاجرين من أهل قسطنطينية ثم سرت منها إلى فرنسا وجرمانيا وهولندة وانكلترة . وكان أساس الدعوة في إيطاليا وفرنسا إحياء العلوم والفنون والآداب ، أما في جرمانيا وهولاندة وانكلترة ، فقد كان أسسها الإصلاح الديني ، إذ شملت الدعوة الى طلب العلم والأدب حسن ذلك

ولقد درجت النهضة الأوربية إلى الكمال منذ القرن الخامس عشر ، غير أنها أوسعت الخطى في القرنين التاسع عشر والعشرين ولا تعلم الغاية التي يقف عندها مجهود العقل البشري

٢٢ — ﴿ وصف سفينة تحترق ليلاً ﴾

قصدنا الى طلب العلم في أوربة ، فحزمنا أمتعتنا ، ولحقنا بالسفينة

« فيكتوريا » وهي سفينة كبيرة يجد المسافر فيها من أسباب الراحة والرفاهية ، ما يجده في المدن العظيمة، والأمصار الواسعة، فسارت بسم الله مُجْراها تمخر عباب البحر الأبيض ،تتهادى على صفحة الماء كما تتهادى العروس ، فقضينا فيها خمسة أيام بأحسن حال ، وأنعم بال . كان البحر فيها هادئاً والجو دافئاً ، والسفْر يمرحون في أمن وبلَهنية ، وكنت وصحبي نتجاذب أطراف الأحاديث فيما نكون عليه في الغربة ، مغتبطين بما هيأ الله لنا من الاستمتاع بعجائب الطبيعة ، ومحاسن الكون

وبينا نحن في اليوم السادس ، وقد اجتازت السفينة مضيق جبل طارق إلى المحيط الأخضر ، إذ أحسسنا انقلاباً في الجو لم نعهده قبلاً ، فهبت علينا ريح باردة شديدة ، عكرت علينا صفونا فغادرنا سطح السفينة الى بهوها الأعظم: نلهو ونتسامر،ولما أرخى الليل سدوله، أخذنا مضاجعنا ونمنا هزيعاً من الليل ، ثم استيقظ بعض السفْر بدخان سد المعاطس وضايق الانفاس ،ثم اشتد وتكاثف فرأينا البحارة في هياط ومياط واذا أجراس الخطر تنذرنا بالحريق

يا لهول تلك الساعة ! لم يكد القوم يستريحون حتى هبّوا من نومهم مذعورين مروعين ، لا يدرون ما يأتون ولا ما يذرون،ملك قلوبهم الجزع ، وطار بأحلامهم الفزع ، فوقفوا مبهوتين حائرين

يصيحون وقد عز عليهم البكاء ، وينادون ولا من يجيب النداء

استحوذ اليأس على المسافرين ، وفقدوا الأمل وهو سراج النفوس ، ولولا ما قام به البحارة ، والمهندسون من المعاونة على انقاذ السفينة ، فاقتحم بعضهم النيران ، وساعدهم بعض المتطوعة الأبطال لألقاء ما اشتعل في اليم ، فخنقهم الدخان ، ونكصوا على اعقابهم خاسرين ، وأسرع آخرون الى المضخات فأداروها ، ولكن ضاعت جهودهم بمناوأة الريح ، وحبط ما صنعوا فيها

ظلت النار تمتد في السفينة شيئاً فشيئاً ، والملاحون عاجزون عن مغالبتها ، فلم يسع الربان إلا أن استصرخ السفن القريبة منه بالبرق الأثيري وأمر أن تلقى زوارق النجاة في الماء ، ونادى الركاب أن اهرعوا اليها ان كنتم ناجين

لم يكد المسافرون يسمعون ذلك النداء حتى طارت نفوسهم شعاعاً ، وأيقنوا ان الموت مدركهم لا محالة : بالماء او بالنار

في وسط تلك المناظر المحزنة ترى رجالاً مستبسلين لا يهابون الموت ، يجودون بحياتهم لانقاذ السفينة وركابها ، اولئك هم البحارة الذين لم يدخروا وسعاً في مكافحة النيران الا بذلوه ، ثم لم ينالوا منها مأرباً ولا شفوا نفساً

ووقف الضباط وسط القوم يحملونهم على النظام كرهاً ، وينزلون

الاطفال والنساء والشيوخ والعجزة،قبل الشبان والكهول والقادرين خفقت القلوب ، ووجمت النفوس ، وسالت العيون ،تذرف الدمع المتون ، وصاحوا جميعاً . الى اللقاء ! ان اذن الله بالبقاء

أما السفينة فقد أتت النيران على أكثرها، ولم يبق من خشبها الا دكان صغير، وقف عليه المهندسون والبحارة ينظرون الى عروس البحار وهي تصعد زفراتها ، ونادوا بابعاد الزوارق عنها ، حتى لا تجتذبها اليها وهي تهوي الى مستقرها . وما هي الا هنيهة حتى سمعنا صوتاً أصم الآذان ، حسبناه رعداً قاصفاً ، فاذا مراجلها قد انفجرت ، واذا الربان وبحارته آخر من يغادرونها

اشتعلت السفينة كلها ، وصارت كجبل من نار ، فكان لها منظر عجيب في ذلك الليل البهيم ، ولم تلبث أن هوت الى قرار المحيط وساد الظلام والسكون

اخذت الزوارق تخبط فى هذا الظلام الحالك حتى أودى كثير ممن بها جوعاً وبرداً ، واشفاقاً ووجداً ، ولما استيأسنا من النجاة وايقنا بالهلاك أنسنا ناراً من بعيد ، تقترب منا شيئاً فشيئاً ،فعلمنا انها سفينة آتية لانجائنا، فأحييت ميت آمالنا ،وانتشلتنا من اهوال البحر،وواسانا ركابها، وهنئونا بنجاتنا ،وسارت حتى القت مراسيها وبلغتنا مأمننا فحمدنا الله على سلامتنا

٢٣ — ﴿ وصف البرتقال ﴾

هو فاكهة من الفصيلة الليمونية ، حلوة الطعم ، عبقة الرائحة والبرتقالة في حجم جُمع اليد أو أكبر منه قليلاً ، كرية الشكل صفراء اللون، غزيرة الماء ، ظاهرها قشرة خشنة طرية ، ثخينة أو رقيقة وباطنها فصوص متراصة متضامة كالأهلة ، يتألف من جملتها اللب ، ويختلف عدد هذه الفصوص بين سبعة واثني عشر فصاً ، وكل منها غلاف رقيق شفاف ، يحتوي أكياساً صغاراً مستطيلة ، بها ماء أصفر حلو وفي بعض الفصوص بذور الى خمس ، وبعضها لا بذر فيه

وموطنه الأصلي شمال الهند وغربها وجنوب الصين، ولا يزال ينمو في هذه الجهات برياً . ثم نقل الى فارس بُعيد المسيح ، ولم يذكر في الكتب المقدسة ، ولا عرفه العرب الا بعد فتحهم فارس ونقل من فارس الى اوربة في القرن التاسع الميلادي ، والى امريكة في القرن السادس عشر . ويزرع الآن في المناطق المعتدلة الى الدرجة ٤٤ شمالا و ٣٥ جنوباً . وأشهر جهاته ممالك بحر الروم وما في عرضها من الامريكتين وجزائر الهند الشرقية والغربية

وشجرة البرتقال جميلة معتدلة الساق ، كثيرة الاغصان مورقة ، نضرة ، لامعة ، يبلغ ارتفاعها الى اربعين قدماً ، وتثمر بعد سبع سنين ، وقد تعمّر طويلا ، ففي اسبانيا أشجار مضى عليها نحو

ستة قرون ، ولا تزال تؤتي أكلها كل حين باذن ربها . وأزهارها صغيرة عبقة الى البياض ماهي ، تظهر في مارس وابريل ، ثم تكون ثمراً يجنى في اكتوبر او نوفمبر ، ويبقى نحو ستة أشهر ، وقد يبقى أكثر من ذلك ، لوروده من بلاد يتأخر نضجه فيها . واذا أريد إصداره الى ممالك بعيدة جمع من أشجاره قبل ان يتم ينعُهُ ، حتى لا يعطب ، وقد يشاهد في الشجرة أكمام وأزهار وثمار يانعة وغير يانعة في وقت واحد

وأنواع البرتقال كثيرة ، وأسماؤه مختلفة ، حسب اختلاف منابته ، وأكثرها شيوعاً في مصر البرتقال البلدي واليوسفي واليافوي، اما الاول فيمتاز باستدارته ورقة قشرته وملاستها وكثرة مائه ، وشدة حلاوته ، ومنه نوع يمتاز بعصارة حمراء قانئة ، يسمى البرتقال الدموي . واما اليوسفي فهو أصغر من سابقه حجماً، وأظهر انبعاجاً ، وأرق ماء ، وأضوع شذى ، وقشرته خشنه ، تحتوي كثيراً من زيت عطر، وتكاد تكون مفصولة عن اللب، لولا خيوط واهنة تصل بينهما ، واما اليافي فهو أضخم حجماً من البلدي، وأغلظ قشراً ، وأشد حلاوة ، وأقل بذراً

وأجود انواع البرتقال عامةً اليافي والمالطي ، وما يخرج في جزائر الهند الغربية

والنَّارَنج نوع من البرتقال ، أصله من اشبيلية، ولا يختلف عنه الا في الطعم ، فهو شديد الحموضة والمرارة . والليمون من هذه الفصيلة ايضاً، وهو نوعان : حلو وحامض، وهو أصغر من البرتقال

والبرتقال فاكهة تنقي الدم وتنعش الجسم ، وقد ينتبذ ، او يضاف الى الكعك ، ويعمل من قشره رُبّ (مُربّى)، ويعمل النارنج مُربّى ويُخلّل ، ويعصر على بعض الاطعمة كالليمون ليكسبه طعماً مقبولاً ، اما زهره فيستقطر منه ماء عَطِر ، وتزدان العرائس به ويتخذ من شجره أثاث نفيس متين ، وقد تطعم به مصنوعات من خشب آخر لنفاسته

٢٤ — ﴿ وصف يوم قائظ ﴾

أصبحنا يوم الخميس السادس عشر من شهر يوليه ؛ والشمس ساطعة ، والسماء صافية الأديم ، ورقة أنفاس النسيم ، تذكرنا بمحاسن أيام الربيع ؛ ولم نزل كذلك حتى كانت الشمس في رابعة النهار ، فاذا الجو قد اكفهر وجهه ،وتغيرت خلائقه، فعبس وبسر ثم احتدم وزفر ، فكان له حر ينضج الجلود ، ويذيب الجلمود

ما كادت الشمس تستوي في كبد السماء ، حتى أوقدت نارها وأذكت أوارها ، وأرسلت الينا أشعة حامية ، كشواظ من نار فغدت البسيطة من وقدة الحرّ بساطاً من الجمر ، ينبعث الفيح

منها ، ومن كل ما عليها

خمدت قوة الإنسان ، وضعفت حيلته ؛ وجنح الى الدعة والكسل : وجفت شفاهه ، ونضب ريقه ، وتصبب عرقه ، واحمر وجهه من رهج الشمس ، ووهنت مفاصله من ألم الحر ، فكان لا يطيق عملاً ولا راحة ، ولا تؤده حركة ولا سكون

« وأصابت نبت الربا عين شمس أورثته مذلة واصفرارا
كلما جال طرفها ترك النا س سكارى وما هم بسكارى »

ونام بعض التجار والصناع في حوانيتهم ، وأوى بعض العمال إلى الأشجار فناموا تحتها ، وتفيؤا ظلالها ، وجالت عجلات الماء ترش الأرض ، لتكسر من حدة الحر ، فلم تجد نفعاً :

« وهاجرة صادق حرها تكاد الثياب بها تلهب
كأن الحرابيَّ من حرها تلوّحُ بالنار أو تُصلب »

ولم تكن البيوت أحسن من الشوارع حالاً ، فقد أغلقت منافذها ، فصارت أشبه بالسجون : لا ضياء ولا هواء

لم يستمرئ الناس في ذلك اليوم طعاماً ، ولا أطاقوا عملاً ، لكن حُبب إليهم البارد من كل شيء ، ينقعون به الغلة ، ويبردون العلة ، فلم يزدهم إلا كرباً وحرقاً :

يعلو به الكرب ويشتد القلق وتنضحُ الأبدان فيه بالعرق

وكانت الريح تركد أحياناً فتضيق الأنفاس، وتحرج الصدور وتثور أحياناً فتلفح الوجوه ، وتسفي التراب من التلال، فاغبر الجو واكفهر وجه السماء، وفسد الهواء ، وقذيت العيون ، وشجيت الحلوق ، ولم يبق في قوس الصبر منزع

ولما فاح الحر ، واشتدت الهاجرة ، أضحت الشوارع خلاء وخشعت الأصوت فلا تسمع الا همسا، وكنت ترى الحيوان قد تتابعت زفراته ، وتوالى نهيجه ، وأخرج لسانه من فمه ، وحاول قطع الرباق ، وخلع القيود ، ليأوى الى حظائره، وعادت الطيور الى أوكارها ، وجثمت في مقارها ، واختفت الهوام في أحجارها ، وإنى تعجب فعجب أن يجمع الحر بين ضدين ، ويؤلف بين متعاديين فترى العصفور يستظل كرهاً مع الضب، والقط ينسى عداوة الكلب

أما الأشجار فقد صوحت، وتساقطت ثمارها ،وذبلت أوراقها والتوت أغصانها ، وحالت نضرتها ، وضاعت بهجتها

« في زمان يشوي الوجوه بحر ويذيب الجسوم لو كن صخرا

لا تطير النسور فيه اذا ما وقفت شمسه وقارب ظهرا

ويود الغصن النضير به لو أنه من لحائه يتعرى

ونصلت ألوان الثياب . وقل رواؤها ، وتقصفت أطرافها وأصيب خلق كثير بضربة الشمس ، ومرض أطفال بالحمى من شدة

الحر ، ولم يبق حيوان ولا نبات ولا جماد إلا مسّهُ أذاه

ولما حان الأصيل خرج الناس من بيوتهم ،وكأنما نشروا من قبورهم،يطلبون الخلاء والمنازه بضفاف الأنهار،وكانت الليلة راكدة الريح ، والأرض تتنفس أنفاساً حارة ثقيلة

«فعادت كتنور الاماء سجرنه وألقين فيه الجزل حتى تضرما»

فلم يطب لهم مغدى ولا مراح،وآبوا الى بيوتهم حائرين،وصعد كثير الى سطوح المنازل ينامون عليها ، وهاجت دواب الأرض وهوامّها ، وضاق الناس بها ذرعاً ، حتى بلغت الروح الحلقوم

« من عقرب تسعى كسعي اللص سلاحها في إثره [illegible]

وحية [illegible] قاتلا زوّد [illegible] »

وأصبح الناس يتحدثون [illegible] في [illegible] ويتضرعون إلى الله تبارك وتعالى ألا يصيبهم بمثل ذلك اليوم

٢٥ — ﴿ الاحسان جند منصور بين يدي المصلح ﴾

الاحسان هو اسداء المعروف لبني الانسان،ويظهر في بذل المال للمحرومين وفي الجاه يستشفع به ذوو الحاجات،والارشاد الى الخير [illegible] به الجاهل المغمور،وفي القوة تبذل في اغاثة الملهوف، وحماية الضعيف وهو من أوضح الأدلة على شفقة الانسان وتقديره نعمة [illegible]

وإذ كان الناس متفاوتين في طباعهم وقدرهم ، فمنهم [illegible]

والعامل، والغبي والذكي، والضعيف والقوي، حقّ على غنيهم أن يُسْعِفَ فقيرهم، فليس من الانسانية أن يرى الرجل أخاه محدوداً يتضور جوعاً، وتقضقضُ عظامه برداً، وينظر اليه بعين جامدة وقلب كالحجر أو أشد قسوة

«وحسبك داء أن تبيت يبطنة   وحولك أكباد تحن إلى القدّ»

ولا من الدين أن ترى صاحب الحاجة معذباً حائراً، وفي طاقتك أن تشفع له فيما لا يضر بالدين أو المروءة، وتتركه يحرق الأرّم ويبكي نفسه وأهله، ولو أسعفته لوجدت منه عبداً يدين بالمعروف ورجلاً نافعاً أمته، عاملاً في رقيها

الاحسان بجميع مذاهبه ووجوهه مفيد للمجتمع أيما فائدة، فهو ينقي أدرانه، ويقيه العلل الاجتماعية المدمرة، فاذا تواصى الناس بالمعروف، وأغاثوا ذا الحاجة الملهوف، نجوا مما تجره الفاقة والزمانة وفراغ الأيدي من العمل، من الأمراض الفاتكة بالارواح، والجرائم المقلقة للنفوس

ارجع بصرك إلى أهل الغرب تجد بلادهم خالية من تلك المناظر التي تقذى بها العيون، وتحرج الصدور، فلا ترى جيوش السالبين يلبسون الظلام، ويكمنون في الأحجار والأشجار، ولا جماعات المتكففين يناكبون السابلة، ويأخذون عليها الطريق، ولا أهل

الزمانة والأمراض القتالة، يخالطون الصحاح، ويلابسونهم في الغدو والرواح

تأمل حكمة الزكاة في الإسلام تجدفيها ترفيهاً للمحروم، وتخفيفاً لآلامه، وتطهيراً للنفس من رذيلة الشح والحرص (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وتداركاً لما عساه أن يحدث في قلب الفقير من الضغينة والحقد على أخيه المليء، فيتنازعان، ويؤول أمرهما إلى قتال يهلكهما معاً، ورغبة أن يتآلفا ويتعاونا على البر والتقوى

وما خزائن الغني تفيض بالنضار، وبيادره تجتمع فيها الغلال والأثمار، وساعه تجوب الأقطار، إلا عرق العامل، سال فأخصب وأجدى، وجهده بذل فأنمى وأزكى، فاذا لم يكانفه أولو النعمة ذهبت قوته، وشلت يده، فوقف دولاب الأعمال، وغاض معين المال

الزكاة وقاية من المذاهب الاشتراكية الجائرة، التي تفسدعلى الجادّ تدبيره، وتأخذ على العاقل تفكيره، وتريد أن تجعل من الناس أمة واحدة، وجنةٌ من التخاصم بين الموسرين والمعسرين وما نبتت المذاهب الاشتراكية إلا حيث تمكنت الأثرة من نفوس الأغنياء، فغلوا أيديهم عن بني قومهم، وضنوا عليهم بما يخفف نكد العيش وآلام الحياة

وليس الإحسان الى كل الناس مثمراً، ولا في كل المواضع

جائزاً فقد تنعكس آثاره فينقلب نفعه ضراً: كالإحسان الى المتكاسلين ومن يتصنعون الامراض حباً في الراحة، واستدراراً للمال من أسهل طريق، واللئام الذي يجحدون آلاء المنعم وينكرون فضله بل يناصبونه العداء، ويقاتلونه بما أعطاهم إن أمكنتهم الفرصة «اتق شر من أحسنت اليه». والمحسن الحازم من يتخير لمعروفه منبتاً حسناً، وقلباً كريماً، من ذوي الحاجات والآلام الواضحة، ومن أذلهم الزمان بعد العزة ووضعهم بعد الرفعة

«ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع»

وخير وجوه الإحسان إنشاء المدارس لنشر التعليم والتربية وإقامة الملاجىء الناهضة بأعباء العجزة والمستضعفين، وتأسيس دور العلاج للمرضى والمعتلين، وبناء المصانع والمعامل للمتعطلين وإعانة الجيوش الذائدة عن بيضة البلاد، وغير ذلك من أعمال البر العامة

وللإحسان تأثير عظيم فى النفوس فهو يبعث على ائتلاف القلوب وتضافرها للمصلحة العامة، ويدعو الى الوئام، ونبذ الخصام، وينشر لواء الهدوء والسكينة، واذا ما شعر المحسن اليه أن غيره يفيض عليه من خيره امتنع عن اجتراح السيئات، وحافظ على المحسن ودمه، كما يحافظ على نفسه، وأثر ذلك فيه فأعطى مما أخذ من هو أشد منه بؤساً، وأخلى منه يداً

« يجود علينا الخيرون بمالهم ونحن بمال الخيرين نجود »

والإحسان دليل على كمال الإيمان وحسن الظن بالله ، وعدم الركون الى الشيطان الذي يعد الناس الفقر ويأمرهم بالبخل، وعلامة على الشجاعة إذ يقدم المحسنون بلا مبالاة ، فيؤثرون الناس على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

ولا يخلو بلد من محسنين يعشقون المعروف ، وينفقون في سبيله التالد والطريف ، ولكن نظام الإحسان يختلف باختلاف البلاد تقدماً وتأخراً ، فسبيل الإحسان في بلاد الغربيين المدارس والملاجىء ، ودور العلاج ، وتشجيع الباحثين والكاشفين ، وإقامة المعامل ، وبناء البيوت للعمال ، الى غير ذلك . أما نحن في مصر ، فلا نسلك سبيل السوي فيه ، مع سخائنا وكثرة برنا ، وإلا فما هذه الطرق الغاصة بالعجزة والمتكففين ؟ وما أولئك الصبية الذين تعافهم النفوس يجوبون الطرقات والقهوات ، يلتقطون فضالات اللفائف؟ وإن تعجب، فعجب أن تجد من بين المتكففين قوماً يلبسون الأسمال والمرقعات ، ويتعامون أو يتبالهون ، حتى إذا جن الليل خلعوا شباك نصبهم واحتبالهم ، وارتدوا أخرى ، فعاثوا في الأرض فساداً ، وأهلكوا الحرث والنسل ، وهم يستمرئون ذلك المرعى الوبيل ، ويخرجون أولادهم في مهنتهم فيقعدون عن العمل، ويكونون

عالة ، تتم بهم البلوى ، ويزيد الفساد

لو أحسنا لأنفسنا وأمتنا ، لاصطفينا لمبراتنا أبوابا أحسن أثراً وأعم نفعاً ، واحتذينا الغربيين فنظمنا جماعات للإحسان تصرفه في وجوهه ، واكتتبنا في مصانع وشركات تؤوي القادرين على العمل ، فتنتفع مصر بجهودهم ، ويعيشون بمنجى عن الصغار والهوان وحق على أولي الأمر أن يضربوا على أيدي الملحفين في السؤال وهم في غنى لتصان كرامة الأمة ، وتزيد فيها الأيدي العاملة لرفاهيتها

٢٦

ومن سعد حظ المرء وُجْدان زوجة تطيب بها هذي الحياة وتعذب

التربية هي إيصال الاحياء الى ما يمكن من كمال . وقد عالج الإنسان فنونها منذ نشأته، إذ عرف حاجته الى النبات فاستنبته والى الحيوان فاستأنسه، واتخذ منهما غذاءه وكساءه، وكنّه وعَوْنه بضروب من الصناعات ابتدعها، وربّى ذراريه ليخلفوه في الأرض فورّثهم تجاربه في سبيل الحصول على القوت ، ومدافعة عدوه من الحيوان

ثم لما تألفت الجماعات ، واتسع العمران ، انقسمت تربية الإنسان أقساماً ثلاثة هي، تقويم الجسم بالغذاء ، وتثقيف العقل بالمعارف ، وتهذيب الخُلُق بحب الخير والعمل به

كان الإنسان يقوم بتربية أولاده في المنزل ، فلما انتظمت

المجتمعات أعانه على التربية عوامل أخرى قلّلت من عنائه ، تلك هي المدرسة ، والمجتمع ، والدين ، والحكومة ، والمنزل أهم تلك العوامل وأوضحها أثراً في إنماء القوى الجسمية ، وتربية الملكات العقلية والخلقية ، لأنه الأساس الذي تقوم عليه العوامل الأخرى ، إذ يتعهد الأطفال إبّانَ المرونة واللُّدُونة ، فتكون نفوسهم مستعدة لقبول ما يعرض عليها من صُوَر الخير والشر ، وأقبل للتأديب والزجر ، لعدم رسوخ الملكات ، وتمكن العادات

إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ولا يلين اذا قوّمته الخشبُ

فاذا أخذهم المربي وقتئذ بالحسَنِ ألِفوه ودَرَجُوا عليه . حتى يصير لهم عادة وطبعاً

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه

ويقتضي نظام الحياة أن يقوم ربُّ الأسرة بالعمل لجلب الرزق وأن تتفرّغَ ربة الأسرة لإدارة البيت وتربية الابناء ، إذ التربية أهم أعمالها ، بل وظيفتها التي خلقت لها ، وسعادة الأسرة وشقاؤها متوقفان على قيام الأم بوظيفتها ، فهي إن شاءت جعلت منزلها جنّةً يمرح فيها ولْدانُها ، أصحاء الأجسام ، مُهَذَّبِي العقول ، يَفيضون بِشراً وسروراً ، ويأوي اليه زوجها . فيجدُ نعيماً مقيماً ، وسعادة تذهب بمتاعبه وآلامه ، وإن شاءت جعلته جحيماً يأوي اليه شياطين الإنس

الذين يقوضون بنيان المجتمع ، ويفسدون كيانه

وما الأمة إلا أسرة كبيرة — أعضاؤها الأسر الصغيرة، فإذا فسد عضو منها تداعى له سائر الأعضاء ، وشقيت الأمة، فرأيت في أبنائها عجزة لا يستطيعون عملاً ، وجهالاً لا يغنون فتيلاً ، وأشراراً لا يعرفون إلى الخير سبيلاً

قلب نظرك في التاريخ تجد أمثلة كثيرة ، تنبىء بما للأمهات من أثر في صعود الأمم وهبوطها ، وإليك مثلاً من تاريخ الأمة العربية المجيدة التي كانت المرأة فيها من أكبر العوامل على مابلغته في جاهليتها وإسلامها . من عزة قعساء . وهمة شماء ، أحدثتا في العالم انقلاباً لم يعرف التاريخ مثله

وقفت الخنساء بنت عمرو بن الشريد يوم القادسية تشد إزر بنيها الأربعة ، ليصدقوا القتال ، وينصروا دين الله ، ولما حميت المعركة استشهدوا جميعاً ، فلم تذرف عليهم دمعة ، ولا أسالت عبرة وهي التي علمت النساء من قبل كيف يبكين الأعزاء ، ويندبن النصراء وكانت تلك التضحية الغالية وأشباهها أعظم الآثار في ارتفاع كلمة الإسلام ، وخفوق أعلامه على ممالك كسرى وقيصر ، ولا غرو ، فالتي تهز المهد بإحدى يديها تهز العالم بالأخرى

عرفت الأمم أثر المرأة في تربية أبنائها ، وفي إسعاد العالم

فأقبلوا عليها يعلون من شأنها ، ونادوا بتعليمها وتهذيبها ، لتؤدي وظيفتها حق أدائها ، ووضعت كل أمة خُطَّة لتعليم المرأة ، تلائم حاجتها وعوائدها، وخير ما يناسب المرأة عندنا تعليمها العلوم المعينة على النجاح في ترقية الأسرة وترقية حالها

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وأول ما ينبغي أن تعلمه البنت في فن تدبير الصحة، لتحافظ على صحتها وأبنائها ، فتخرج للمجتمع رجالا أقوياء أصحاء ، يضطلعون بالأعمال المثمرة كالزراعة والصناعة والذود عن حياض الوطن ، وما تتطلبه الحياة من جهد وقوة. وأن الأمهات الجاهلات ليقتلن بجهلهن من الأطفال كل عام ما يربو على قتلى الحروب الطاحنة . ثم لا بد من تعلم « الحساب » لتضبط الدخل والخرج ، وتدبر ثروتها وثروة بعلها ، فتستغنى عن غيرها ، وكذلك فن « تدبير المنزل » فتقتصد في النفقة فتعيش آمنة على مستقبلها، ولا ترهق الزوج بسرفها، وينبغي أن تعلم من الجغرافية ما تعرف به علاقة بلادها بغيرها ، وتقف على مختلف الحاصلات ، وما بين الأمم من منافع متبادلة . وحاجة المرأة الى معرفة التاريخ والدين ماسة شديدة . ففي التاريخ المثل الصالح تضربه لأبنائها ، لينشأوا على حب الوطن . أما الدين فهو منبع الاخلاق الفاضلة التي ينبغي أن تأخذهم بها منذ نعومة أظفارهم

وهو يزعها ويحصنها من نزغات الشيطان

وأساس ذلك كله أن تعرف القراءة والكتابة لأنهما من الأدوات التي لا غنى عنها ، فان شاءت أن تتوسع في بعض العلوم كالتاريخ والجغرافيا واللغات،أو حِذْق الفنون كالتصوير والموسيقى والشعر ، فلاضير ، إلا إذا شغلتها عن تربية الولد ، أو أضرت بحال الزوج

وصفوة القول أنه لا بد أن تُعَلَّم المرأة كل ما ينمّ قواها الجسمية والعقلية والخلقية ، لتسعد في حياتها ، ويَسعَدَ بها أبناؤها وزوجها ،وتزول عوامل الحزن والهم ، وأسباب الخلاف والشقاق التي يجلبها رأس فارغ . ويد مُتَعطِّلة

ولقد تنبه الرأي العام في مصر إلى تعليم البنت ، وأخذت الحكومه تبث المدارس المختلفة في المدن والقرى ،وإنا لنرقب هذه النهضة المباركة بعين الأمل في صلاح المستقبل ، فان تعليم البنت وتربيتها خير ما تعالج به أمراض الشرق وآفاته

٢٧ — ﴿ الالعاب الرياضية وما ينجم عنها ﴾

اللعب من الغرائز القوية في الحيوان ، يظهر فيه منذُ نشأته فترى صغاره تعدو يَمنة ويَسرة،تَقْفِزُ وتطفِر ،وتستخفي في حظائرها وتظهَر ، وتناغي أمهاتها ، في عملها وراحتها ، وترى الطفل يركب

القصب خيلا ، ويجمع الأحجار بيتاً ، ويخُط الأرض حقلاً، ولا تخمد حركته أو يَجُنَّ الليل فيخافَ الظلام

ويكاد اللعب يكون مميز الحياة الأولى وقِوامَها ، وأشدّ ضروراتها،وهو مقدّمة حياة العمل،وصورة المستقبل،ولا يستطيع مُرَبٍّ أن يحول بين الصغار وبينه

وكلما كبر الأطفال ترقت ألعابهم ، وتغير نظامها ، فمن حركة لا قصدَ لها ، وعَبَثَ بكل ما يقع تحت الحسّ ، إلى نظام يجمعهم في سلك واحد ، ويحسون فيه ضرورة التعاوُن والتآزُر

والألعاب جسمية وعقلية . فالجسمية كالسباحة ، والتجديف وركوب الخيل ، والسبْق ، والرمي ، والمبارزة ، والمصارعة،ورفع الأثقال ، والقفيْزَى، والقُلة، وازلاج الجسم ، والجري بالقَبقاب والكرة تُدَهْدَهُ بالرأس ، أو تدفع بالايدي والأرجل والصوالجة وهي أكثرها ذيوعاً

والعقلية : كالشطْرنج ، والنّرد ، والورق . وهي بنوعها أقل الاشياء تغيُّراً، فاللاعبون اليوم يتناولون ألعاب اليونان والرومان، والهند ، والفرس ، والعرب ، دون أن يحدثوا فيها تغييراً يذكر

ويرى بعض الناس أن اللعب مَضْيَعة للزمن ، مَجلَبة للشر عقبة في سبيل التربية، حائل دون العمل لكسب الرزق،ولكنهم

واهمون ، لأن اللعب من ضروريات الحياة ، ومن أقوى عوامل التربية والإصلاح

اللعب ينفّس عن الجسم ، يخرج القوة الزائدة على الحاجة، ولو بقيت لآدت الجسم وآذته ، ويقوّي العضلات ويفتِلُها ، ويمرّن الأعضاء فتصلُب وتشتدُّ ، وينقّي الدم من خبث الأطعمة، والفضلات السامة، فتنشط دورته، ويقوي على درء الجراثيم الفتاكة، والأمراض المهلكة ، وفي صحة الجسم سلامة العقل ، إذ أنهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، فكلما صح الجسم ازداد العقل قوة ونشاطاً

واللعب مظهر للميول الكامنة في نفوس الأحداث : من طاعة او عناد ، وهمة أو خمول ، باعث للغرائز الدافعة الى العمل في أطوار الحياة الأولى : كالحركة وحب الاستطلاع وما اليهما ، ولو لم يقوّها اللعب لخمدت جذوتها ، فخرج الطفل بليداً هزيلاً ، وإنا نرى الساقين بين اللعب والعمل ، والجاعلين للجد ساعة ، وللهو أخرى ، يفيدون من أوقاتهم وأعمالهم أضعاف ما يفيده المنبتون «فان المنبتّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»، ويجدون في أجسامهم نشاطاً وقوة على درء الضعف والعلل

واللعبُ مقوّم للأخلاق مهذب للطباع . ولقد عُنيت الأمم الحديثة به اذ كانت الحياة تحتاج الى جهاد وكفاح مستمر — وذلك

يتطلب العقل المدبر ، والرأس المفكر ، والجسم الأيد . فافسحت لها مجالاً واسعاً ، وشجعت القائمين بها ـ وكذا يعنى المصريون الآن بالالعاب لما لها من الفوائد التي لا تحصى ، ولكن ينبغي ألا تشغل الألعاب المرء عن العمل لانها وسيلة . لا غاية

٢٨

﴿ كل من في الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفات ﴾

قضت ارادته جل وعلا اختلاف الأعمال والآمال بين الرجال فالملك والسوقة والعالم والجاهل والزارع والصانع والتاجر وغير أولئك لهم أماني فى هذه الحياة، ومطامع ينظرون ليها ويجاهدون ويجالدون وراءها ، فهذا يطلب ملكاً أو جاهاً أو صيتاً أو ربحاً أو لباساً أو تقاماً أ سرقة الى غير ذلك من أغراض النفوس وميولها

كل له غرض يسعى ليدركه والحر يجعل ادراك العلا غرضا

والناس شتى في المسعى واتخاذ الوسائل فقد يتخذ بعض الناس القوة وإنفاق المال انيل وطره، والآخر يأخذ حرفة الذكاء والفطنة واتقان العمل وجودته مع الاخلاص لله سبحانه وتعالى ولهذا الواجب القائم به، وغير هذين يتخذ النفاق وسوء الاخلاق وبذاءة الاقوال والمكر والمهارة في الاحتيال وسلب الأموال. فهذا يستخرج السمك من البحار وغيره يقتنص الطور من الهواء ويصيد المفترس من الغابات

أو يتخذ من الزرع مأكله وملبسه ومسكنه . أو يستخرج المعادن ويستخلصها بثاقب فكره ويستخدم البخار والكهرباء ويسبر غور البحار وينتزع الاسفنج واللؤلؤ والمرجان أو ينشر سطوته وسلطانه بالقوة والرجال والسياسة و بذل المال أو يطمح الى الرقي بجده وأمانته سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

٢٩ — ﴿ اتق شرّ من أحسنت اليه ﴾

اتخاذ الأصدقاء محمود ومحبوب والإحسان الى الإنسان مأمور به وجميل. والعاقل يحترس مهما أعطى وأجاد فيحفظ سره ولا يودعه لمن لا يستحقه ولا يعقله ولا يوقفه على دخائله «فأي الرجال المهذب» وكم من صديق حميم انقلب عدواً فيكون عالماً بالأسرار واقفاً على الدخائل عارفاً بأماكن الضعف — وقد قيل حسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة والثقة نكبة

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

وإذا كاشفك العدو ببغضائه اتخذت له العدّة اللازمة للوقاية من ضرره. وأضر الاعداء من أظهر لك الصداقة ليستدر بمعروفك ويتمتع بخيراتك وأنت غفل عن مكايده. واللبيب من أخذ الحيطة من الناس وعاملهم بالحسنى وقدم لهم الخير مع الاحتراس من شرورهم

ولم أر أحسن عاقبة وألذ مغبة من اتخاذ الاصدقاء وكسب محبة الناس مع اتقاء شرورهم ، وتحمل هفواتهم ، والغض عن سيئاتهم، والعفو عن سقطاتهم، وعدم افشاء السر لهم ، افشاء يؤدي إلى اظهاره في يوم ما، ولا يبقى على حال إلا الله سبحانه وتعالى، وما أقرب نسيان المعروف من الانسان، فينقلب الصديق عدواً، ويعلن الحرب العوان على أخدانه ، ويضربهم في حصونهم الكامنة ، ويعرف الداء الخفي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما »

كن بذئب صائد مُستأنساً　　　وإذا أبصرت إنساناً فَفِرْ
واجعل الناس كشخص واحد　　　ثم كن من ذلك الشخص حذر

٣٠ — ﴿ المثابرة والصبر سرّ النجاح ﴾

قد ينال المرء مايتمنى إذا عمل بجدّ وثبات، وصحبه الحزم والعزم وإجادة الرأي ، وقوة العقل ، وصواب الفكر، ومشى بحكمة وتؤدة وتأنٍ وقوة عزيمة، وأخلص لله في عمله، وأتقنه بقدر ما يمكن. لأن اجتناء ثمار الأعمال يأتي بالثبات ، ولا يحصل على الفائدة العظيمة إلا بالروية والتحلي بمكارم الأخلاق ، وأكثر الناس ثباتاً ونجاحاً ورقياً أهل العزم والصبر

وقلّ من جدّ في أمرٍ يحاوله　　　واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

إن الذين نالوا المراكز العالية، وتربعوا على دست الوظائف السامية ، هم الذين تحملوا آلام الحياه ، وتكلفوا مشاقها ، وقابلوها بعزيمة تهد الجبال هدًّا ، وتدك العوالي دكًّا ، حتى صعدوا إلى قمة السعادة ، وبلغوا ذروة المعالي ، وفازوا بالنعيم والمدنية ، وتمتعوا بالحضارة والخيرات الجمة

أخلِقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُدْمن القرع للأبواب أن يلجا

وأما اليأس فهلاك بتأخر وضعف ، وسوس ينخر في عظام الرقيْ ، ومن استسلم اليه هوى ، وساء حاله ، ونكد عيشه، ولا خير في حياته ، لأنه ما أتمّ عملاً ولا أدرك مطلباً (انه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون) فاليأس أقبح شيمة ، ومن صبر ظفر ، أو كاد (واصبر وما صبرك إلا بالله) (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) (ان الله مع الصابرين)

٣١ — ﴿ فوائد التاريخ ﴾

التاريخ عزيز المذهب ، جمّ الفوائد ، كثير الفرائد ، شريف الغاية، يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتمّ فائدة الاقتداء بهم ، في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا ، فهو محتاج لمآخذ متعدّدة ، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبّت يفيضان بصاحبهما

الى الحق ، وينكبان به عن المزلاّت والمغالط ، وينظر الى الاعمال الصادرة من الأبطال ذوي النفوس الزاكية ، والقلوب الصافية ويرى دقائق سياستهم، وطرق كياستهم، وكيف ارتفعوا الى منصّة الرياسة والقيادة ، فلا يشق غبارهم ، ولا يدرك مجدهم، إلا من عمل مثلهم ، وسبر غور أخلاقهم ليتحلى بها

ليس بانسان ولا عاقل من لم يع التاريخ في صدره
ومن درى أحوال من قدمضى أضاف أعماراً إلى عمره

والتاريخ رسول السلف الى الخلف، ومدرسة الغافل، وموعظة العاقل ، ومعلم الملوك والرعايا ، وميدان تجارب ، ومحل عبر

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل مافعلوا

وقال الإمام علي كرّم الله وجهه :

«أي بنيّ . إني وان لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي . فقد نظرت في أعمالهم ، وفكّرت في أخبارهم، وتبصّرت في آثارهم. حتى عدت كأحدهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره

٣٢ — ﴿ ما هي الطرق الموصلة الى نجاح التلميذ ﴾

اذا شاء التلميذ أن ينجح في أعماله ويبرّز على أقرانه، فعليه أن يصغي إلى ما يلقى عليه من الدروس والنصائح . وألاّ يدعها عرضة للنسيان والإهمال

وأن يؤدي أعماله في أوقاتها المعينة لها، ولا يتركها حتى يتراكم بعضها على بعض فتثقل عليه، ويعجز عن القيام بها، فتنصرف نفسه عن أدائها ويضيع وقته سدى

وأن يعتمد على نفسه في الأعمال التي لا يصح أن يكلها ألى غيره، فان كل أنسان مشغول بعمله الخاص به، ولا تنتظر من أحد أن يقوم بأعمالك تمام القيام

ماحك جلدك مثل ظفرك　　　فتولّ أنت جميع أمرك

« ولا تكل الى غيرك ما يختص بمباشرتك »

وإنما رجل الدنيا وواحدها　　　من لا يعوّل في الدنيا على رجل

وكيف تنتظر ممن ينافسك في ميدان المباراة أن يعطيك من النصح وإتقان أعمالك ما يريد أن يسبقك فيه

وعليه أن يقسّم أوقات المذاكرة، ويجعل لكل علم وقتاً معيناً يتعهّد فيه ما أخذه من دروسه

فإذا خفي عليه شيء منها سأل عنه أُستاذه في الوقت المناسب ولا ينبغي له أن يدع دروسه بلا مذاكرة إلى قُبيل الامتحان بأيام معدودة، ثم يكدّ ذهنه في مراجعتها بحال قد تؤدّي به إلى ضعف الجسم عن أداء الامتحان، كما يحب لنفسه ويحب له أولياء أموره

وأن يأخذ نفسه وقت الامتحان بالرّويةِ وإنعام النظر فيما

يلقى عليه من الأسئلة ، ولا يبتدىء في جواب حتى يعلم علم اليقين أنه هو المراد من السؤال، وألاّ يدع للوهم والجزع واليأس على نفسه سبيلا فإن جَمَعَ تلميذ كل ما سبق فبشّره بعد ذلك بالنجاح والفوز المبين

٣٣ — ﴿ فوائد المطالعة ﴾

إنك لن تستطيع أن تكون أديباً أو كاتباً مجيداً طلق اللسان سلس البيان ، إلا إذا كنت واسع الاطلاع على أساليب اللغة ، متضلعاً من فنونها ، فتختار من جزل الألفاظ ورائع العبارات ما تملك به على المخاطب سمعه وعلى القارىء فؤاده ولبه، فتستميل القلوب والنفوس بسحر لفظك، وتسترق العاصي وتستدني القاصي بآيات وعظك، فتنبّه الغافل ، وتَهُزُّ الخامل ، إلى مراقي السُّؤْدَدَ والكمال

تُشرف بالمطالعة على ما أودع في بطون الكتب من ثمرات العقول والأفكار ، ونتائج العلوم والأنظار ، وديعة السلف إلى الخلف ، وميراث الآخرين من الاولين ، بها تستعرض أمام عينيك بدائع المخلوقات وخواص الكائنات ، وما تجشّمتَ الاخطار ، ولا ترامت بك الفيافي والقفار، فتقيس الأشباه والنظائر بعضها ببعض فيصح منك الاستنتاج ويشحذ فكرك ويكمل عقلك ويصيب حكمك

واعتبر ذلك بحال طالبين أحدهما أمعن في الاطلاع على خبايا الكتب ، وتحلّى بما فيها من علم وأدب ؛ والآخر حجب نفسه عن

أسرار الحكمة ـ تجد الأول ارتفع به فضله الى أعلى عليين، والآخر هوى به نقصه الى أسفل سافلين، وحرم ميزة الانسان، وكأنهما كاف

٣٤ ـ ﴿ البحار وفوائدها ﴾

المراد بالبحار مايشمل تلك المحيطات التي تغمر ثلاثة أرباع الكرة الأرضية بالماء. وما أودع فيها من بدائع المخلوقات وأحاسن الموجودات خلقها جل شأنه وجعلها مصدر الحياة، ومنشأ الغيث، وقوام المعيشة ونظام العمران ، وسبل التراسل ، وحلية الكون

فاذا سطعت عليها أشعة الشمس تصاعد من مائها بخار ينعقد في أعالي الجو سحباً تحملها الرياح الى حيث منابع الأنهار التي يزول بها الجدب، وتنشر بها بشائر الخصب، ويحيا بها الانسان والحيوان والنبات (وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)

وعليها تسير الجواري المنشآت فيها كالاعلام ، مترسلة بين الممالك والقارات ، حاملة أنواع البضائع وأصناف المصنوعات، ونتائج العلوم وثمرات الافكار

وفيها تسبح الاسماك المختلفة الانواع التي نتغذى بلحومها ونتداوى بزيوتها

ويستخرج منها اللؤلؤ والمرجان المستعملان في الحلية والزينة

ويستخرج منها أيضاً الاسفنج المستعمل في نظافة الاعضاء والادوات
وقد يستخرج من مائها ايضاً الملح بواسطة أحواض صناعية كما في ملاحات رشيد : ولا يخفى ماله في اصلاح الأغذية التي هي قوام الجسم وسبب بقائه ونمائه

وان الجهات التي حرمت من البحار لا تتوفر لهـا كل تلك الفوائد: ولا تكاد تصلح للاقامة فيها

واعتبر ذلك بالصحراء الكبرى وجهاتها الشاسعة: فلما أن خلت من البحار كانت مهب رياح السموم وخلوًّا من الحيوان والنبات اللهم إلا في قليل من جهاتها صلح بواسطة جواري العيون فيه

وقد نبهنا جلت حكمته على مجامع فوائدها بقوله تعالى (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

٣٥ — ﴿ الشوارع وتنظيمها وتجميلها ﴾

الشوارع طرق عامة يسلكها الناس مشاة وركباناً، بين مبكر لتجارته ، وغادٍ لصناعته ، وطاوٍ مديدها في بطون المركبات وسريع المخترعات ، الى حيث جليل الأعمـال ، ومعاهد التعليم والعرفان، ومتردد فيها ذهاباً وجيئة لحمل الأثقال، وأنواع البضائع ونفائس الأموال ، وهكذا تظل الطرق جمع النهار ، وناشئة من

الليل ، مزدحمة بالمارّين . وغاصة بالمتردّدين

وان سُبلاً هذا شأنها لجديرة بالاتساع والتمهيد ، ورصفها بدقاق الحصى ومهتدم الأحجار ، فلا تضيق بأهلها ، ولا تتسخ بانسكاب الأمطار فيها.وأن تنظف بالرش والكنس تخفيفاً لوطأة الحرّ ، وإخماداً لما يثور على الأعين والأفئدة من الأتربة المتحملة بجراثيم الأمراض.وأن توَشّى جوانبها بياسقات الأشجار،وتزين ميادينها (ساحاتها) ببدائع الأزهار ، استجلاباً للظل وترويحاً للنفوس، وتنقية لما فسد من الهواء بتنفّس الانسان والحيوان،وأن تنار ليلاً تعميماً للانتفاع بها. ودفعاً لما عساه يحصل من الأخطار وشرور أهل العدوان ، وأن يقوم عليها من رجال الشّرطة من يصدُّ هجمات المغيرين ، ويدفع أخطار المجرمين ، ويميز ذوي الشمال من أهل اليمين

وعلى الجملة—انتظام الشوارع شأن من شؤون الأمم الراقية فكمال تنسيقها وتمام ترتيبها تابع لكمال ترقيّهم وتقدم حضارتهم

٣٦ — ﴿ كيف يختار الانسان لنفسه صديقاً ﴾

يميل الانسان الى معاشرة بني جنسه ، ويحنُّ الى وطنه ويشتاق الى اخوانه ، ويكره الوحدة ، ويسأم العزله،وخير صاحب يركن اليه بعد الخبرة ، من يوفق الطبع ، ويبعث على اخائه حسن

الخلال، فيتوسم فيه الطباع الكريمة،والصفات الطيبة ، ويتجلى فيه كمال المروءة وحب الخير والانصاف والشهامة والصراحة في الرأي والصدق في القول ورجاحة العقل وقوة الرأي ، مع فكر ثاقب وسماحة النفس وكرم العاطفة،ولطف الذوق والاخلاص في العمل واتقانه ، وأداء الواجب واستقامته وسيرته الطيبة

والشدائد مسبار الاخاء . فالصديق الصدوق من ساعد في الشدة،وعاون وقت الحاجة ودافع بالنفس والمال

جزى الله الشدائد كلّ خير عرفت بها عدوي من صديقي

فاختر أيها العاقل أخاً كرُمت أخلاقه وطهُرت أعراقه وحسنت آدابه واستمسك بودّه وحافظ على إخائه،وإن بدت لك منه هفوة فسترها ، وان وقعت زله فاغتفرها وعامله بالحسنى وشاوره وقدّم له المحبة والاجلال ، وأطع أوامره واهجر أعداءه ، وتخلّق بأخلاقه وارض له ما ترضاه لنفسك

٣٧ — ﴿ مقارنة بين المتعلم والكسلان في الهيئة الاجتماعية ﴾

المتعلم له درجة عالية ومستقبل حسن،يسود على قومه، ويبلغ المنزلة السامية فى نفوسهم ويشرف،وكم متعلماً اتسع أمامه ميدان الرزق الواسع،وأغدق الله عليه بالخيرات والبركات،وابتسم له الثغر و تفتحت له أبواب الخير والسعادة ، ورزق شابه لعز، فبرح في

بجارته بعلوّ همته،وحسن تدبيره ، وينجح في صناعته بثاقب فكره وقوّة عقلهوثبات عزمه.وانه ممتليء نشاطاً وغيرة وذو مكانة وتجلة واحترام،على ان المتعلمين هم عماد الحكومة وقضاتها وولاة أمورها وساستها وزعماؤها . وأما الكسلان الذي فترت همته عن طلب العلم فجهول خاب مسعاه وساء حاله وارتمى في بحار الشقاءوالمسكنة وعيشه رديء وحالته بؤس ويتجرع كأس الآلام ويتفتت كبده أسفاً على حرمانه من معاهد التربية ، ويسكب الدمع ندماً على ما ضيع ولات ساعة مندم

والعلم طلابه فضلاء،أمر الله به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وقل رب زدني علماً)

وقال حكيم «تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم أو وسطاً سدتم»

العلم يرفع بيتاً لا عماد له　　　والجهل يهدم بيت العزوالشرف

٣٨ — ﴿ العوم والسباحة من لوازم الحياة ﴾

العوم والسباحة من أنواع الرياضة البدنيه التي تقوّي العضلات وتنمي الجسم وتزيد الفكر قوة ونشاطاً ، وقد اعتنت الأمم الراقية بالسباحة وعلمت أبناءها فنها ليكون لهم دراية بضروبها فيركبون البحر ويعبرون النهر بقلب مطمئن فلا يخشون غرقاً أو خطراً، وتمخر أسنة عباب الماء وركابها في سلام وأمان ، واذا طرأ حادث الغرق

سبحوا الى شاطيء السلامة ونجوا — والعوم من حيل صائدي الاسماك وحرفة الملاحين، فيساعدهم على أداء مهنتهم ويزيدهم قوة ونجاة وكسباً حلالاً — فكم من غريق تقاذفت به الأمواج ونجاه الماهر في السباحة وأزال عنه الخطر الداهم، وكم من سفينة جاءها ريح عاصف وأدركها الغرق، فنجا من يعرف السباحة ومات الآخرون الذين لايعومون والسباحة تمكّن صاحبها من الفرار من حريق أو حيوان مفترس أو عدو كامن له وقد وجد عبور البحار نجاة له فيصل الى الشاطيء الآخر بحسن سباحته — والماهر في السباحة يغوص البحر لاستخراج نفائسه ودرره وانتشال ما وقع فيه من متاع وحلي ثمين ويخرجه بصدر رحب منشرح بلا تعب

وان من واجب الحكومات أن تدرّب جنودها على العوم حتى اذا قذف بهم العدوّ «والحرب خدعة» الى ساحل بحر أو ضفة نهر سبحوا في هذا البحر أو النهر واطمأنّت نفوسهم، وقويت عند الدفاع قلوبهم وتحققت سلامتهم بمعرفة السباحة — وللسباحة عظيم المزايا في الصحة، وفي النجاة للقاطنين بجوار البحار، والساكنين على شواطيء الأنهار

٣٩ — ﴿ كيف تختار لنفسك بيتاً صحياً تسكنه ﴾

البيت الصحي هو البيت المقام على جفاف الارض وصلابتها

بعيداً عن المستنقعات والمراحيض والمعامل والمستشفيات والاصطبلات،وتدخله أشعة الشمس، ويتجدّد هواؤه الطاق النقي وفيه النوافذ الكافية، والحديقة الغناء، ومرافقه مستوفاة وجواره حسن . وتنظف حجراته وأثاثه وجدره وسقفه بالمحسّات اللازمة لازالة ما علق بها،وتكنس أرضه وتخرج القمامة منه ويزال ما على أبوبه ونوافذه من الأتربة؛ويكون على نهر جار أو طريق متسع أوشارع كبير ليسهل الوصول اليه

٤٠ — ﴿ الغد ليس في اليد ﴾

الغد أقدارٌ مكتوبة وغيوب يعلمها الله سبحانه وتعالى، وأعمار موهومة أو منهوبة، وأرزاق مقدرة أو مسلوبة ، وآجال محدودة وموعده أول النهار وقُبَيْلَ الأسحار،فترى فيه الفجاءات والأخبار ويُقضى المحتوم، ويظهر المكتوم، وينفجر المختوم . وهو مصدر الآمال . ومظهر الأعمال ، ومصرف الأموال . وميدان سباق الرجال ، يدأبون ويسرحون ويمرحون في نوره الساطع وبهائه وجماله،فالغد اليوم الثاني وفيه المخبآت — قال تعالى(وما تدري نَفسٌ ماذا تكسبُ غداً) وقال الشاعر

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

٤١ — ﴿ وصف طيارة ﴾

الطيارة سفينة الهواء، وقاطرة الفضاء، تسمو إلى العلا. وتصعد إلى العلياء، وتسير في الرياح كالطائر الذي يحلق في الجو، وتنزل أزراً، وهي طائرة. وتجتاز الأفق بآلة يدفعها ربانها كما يشاء، ولها جناحان يساعدان على الطيران، وعدة كالصندوق مخزن السائل الذي يولد الحرارة ويدير آلتها ويحرك عدتها فترفرف بجناحيها، ولها في المؤخر ما يشبه ذيل الطائر لتركن اليه عند الهبوط وتنزل من أعلى بلا ضرر، وقد أغنت الإنسان عن السفر في البر والبحر، ووفرت عليه المشقات التي كان يتكبدها، والأموال الطائلة التي كان ينفقها هذا إلى سرعة الوصول وراحة البال، والتنزه في الهواء النقي، وقد تكون نقمة في الحرب ومصيبة على الأعداء، بما ترسل عليهم شواظاً من نيران قنابلها وقذائفها، فتبيد الجيوش، وتهدم المنازل والمدائن، وتغرق السفن، وتعطل القطارات، وتوقف حركة الأعمال وتتلف الزرع، وأول من فكر في الطيران «عباس بن فرناس» الأندلسي: فانه صنع لنفسه جناحين وغطاهما بالريش وطار

ولكنه لم يحترس فسقط على مؤخره فتهشم، ثم صنع «ريت وأخوه» طيارتهما وطارا بها مائتين وخمسين ميلاً سنة ألف وتسعمائة وخمس؛ وقد ارتفع «غارو» الفرنسي نحو خمسة آلاف وأربعمائة متر

٤٢ — ﴿ وصف سيارة ﴾

السيارة مركبة جميلة،تسير بقوة الدفع،ذلولة المركب، حسنة المنظر،سريعة العَدْو،توصّل الانسان الى غرضه بأقرب زمن،وتقرب البعيد، وتقصي القريب، يجلس فيها السائق وخلفه الراكب متكئاً على النمارق، ذات بوق ينفخه السائق فيظهر صوت يُعلم المارّ في الشارع فيخليه،ويتجنب طريقها لتمرّ مرّ السحاب أو البرق اللامع ولها أربع عجلات لكل واحدة إطار من منفوخ المطاط على شكل المحيط لتكون سريعة السير والجولان،ولها عدّة في صدرها يوضع بجوارها السائل الذي يولد الحرارة في علبة ثانية لتنشأ القوة الكامنة التي تحرك هذه العجلات . وفائدتها سهولة المواصلات وربط بعض الجهات ببعض، وانتهاز الفرصة لأصحاب الأعمال،ونجدة المستغيث وعون على الامن والنظام في البلاد

هذا- وقد أفادت فائدة جليلة في البلاد التي لا يمر فيها القطار فتنقل الركاب بأجر قليل الى الجهات النائية بلا مشقة

٤٣ — ﴿ وصف مصر ﴾

تقع مصر في الشمال الشرقي من قارة افريقية—أرضها زراعية مخصبة، نباتها حسن وخيراتها جمة وماؤه اعذب وهواؤها جيد وسكانها هادئون كرماء لطاف وفهم يحبون الغريب ويقدّمون له صنوف النعيم

والاحترام، ويحسنون وفادته، ويبذلون قصارى جهدهم في قضاء مآربه ويعطفون عليه بصدر منشرح وثغر بسام وطيب خاطر وحسن نية — ولذا يؤمها من البلاد النائية ألوف من الزوار والسياح ينظرون الى مناظرها البديعة وآثارها الخالدة وعاديات ملوكها القدماء كالأهرام العظيمة والتماثيل وبقايا الفراعنة والصور والنقوش والمباني والمساجد والكنائس من آثار العرب وتماثيل اليونان والرومان السابقين — وحاضرتها القاهرة ومن ثغورها الاسكندرية وبور سعيد وفيها أربع عشرة مديرية ويزيد عدد سكانها عن أربعة عشر ألف ألف يشتغل أغلبهم بالزراعة وللصناعة فيها نصيب وافر -- ولكن لا تقوم بحاجات أهلها، وتجارتها واسعة، ونيلها حياتها، عليه أنشئت القناطر والجسور، ومنها فتحت فوهات الترع والمصارف لسهولة ري الأرض وسقي الحيوان. وفيها السكك الحديدية تربط جهاتها ببعض وتقرب بعيدها، والأسلاك البرقية والمسرة والمركبات الكهربائية بالقاهرة والاسكندرية

وهي من أقدم البلاد حضارة وتقدماً دخلها كثير من الأنبياء والعلماء والحكماء كسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام وكثير من أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي كنانة الله في أرضه ومحط رحال العلماء وكعبة الفضلاء وفيها أكبر جامعة هي الأزهر الشريف بناه جوهر الصقلي أحد قواد المعز لدين الله الفاطمي سنة

خلفاء الفواطم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وسمّيت بالقاهرة نسبة الى القاهر « المريخ » برج الطالع السعيد الذي اختاره جوهر الصقلي لمبدإ بنائها وتخطيطها

٤٤ — ﴿ وصف الأهرام ﴾

بَنى ملوك مصر القدماء الأهرام العديدة وجعلوها حصناً حصيناً متيناً لتحفظ جثتهم بعد الموت من عبث العابثين، اعتقاداً أن حفظ الجسم بعد الموت على صورته يبقي الروح متمتعاً بالحياة . وهي تَدُل على دقة البناء وفخامته وجمال التماثيل، وإنه لبناء معجز ومظر غريب ووضع عجيب، وشكل بديع ، وآية من آيات البراعة والتقدم في فنون الهندسة والمعمار والنقش والتصوير. بنى من أعظم الحجارة والصخور وهو بناء بديع الالصاق مربع القاعدة مخروط الشكل تحيط به مثلثات أربعة أضلاعها متساوية وأطرافها محدودة تنتهي بنقطة واحدة يمكن الصعود اليها بتعب وعناء – بناء لا يتأثر بهبوب الرياح وهطل الأمطار وزعزعة الزلازل مع إحكام الصنعة واتقان الهندام وحسن الوضع — منها الهرمان العظيمان بالجيزة ، يقال منقوش عليهما « إني بنيتهما فمن يدعي قوة في ملكه فليهدمهما فإن الهدم أيسر من البناء » وقد فتح الملوك مدخلهما بعد مشقة وكدّ ، فوجدوا ممراً طويلاً يقطعه الانسان منحنياً تعظيماً للملك بعد موته كما كان يعظّم في حياته

وفي منتهى الممر مرقى إلى حجرتين على اليمين منهما حوض عظيم هو قبر الملك عليه كثير من النقوش والتصاوير، وقد احتمل الملوك تماثيل من ذهب وفضة وزينوا بها المتاحف، وبنى الملك خوفو هرم الجيزة الأكبر الذي يقرب منه صورة من صخر رأسها رأس إنسان وجسمها جسم أسد وهذا رمز للعقل والقوة، ويسمى «أبا الهول»

٤٥ — ﴿ وصف ليلة عرس ﴾

اجتمع صفوة الأحباب وخيرة الأخدان وعلية القوم وزينة الخلان والأصدقاء في ليلة أنس وسرور وفرح وحبور، فأخذ حسنها بمجامع القلوب وقد سطع نورها وتم بهاؤها وطلع بدرها على أعلام منشورة وثريات منثورة ورحبة فسيحة واسعة الأرجاء حوت الجمال والرونق والصفاء في أرض صفراء فوقها نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وعين جارية. وسرر مرفوعة وأكواب موضوعة وكراسي صفت صفاً محكماً للزائرين المشرفين، ومنسوجات هذه المقاعد مزركشة وحللها بديعة قد نصبت عليها موائد الكرم والطعام الشهي يتناوله أهل المودة والوفاء، وإخوان الصفاء

٤٦ — ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾

آية كريمة تدل على أن العمل الصالح يكسب صاحبه السعادة التامة والنعمة العامة في الدنيا، ويجعل له النعيم الدائم في الآخرة

والحياة الطيبة والعمل الصالح هو المتقن الذي يجلب رضا الله تعالى والناس — والقول الطيب والاخلاق الحميدة وحسن المعاشرة والذكر الحسن والسيرة الطيبة — وعمل النافع المفيد الخالد الأثر مثل انشاء المستشفيات ومعاهد العلم واطعام الفقير وتشجيع العاملين

وكل امرىء يولي الجميلَ مُحبّبٌ   وكل مكان ينبت العز طيّبُ

أما من أنفق حياته في اللهو واللعب وصرف ماله في شهواته وزينته: أو جاد به تفاخراً فهو من الأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا، وباؤا بكره الناس لهم، ومات وهو مذموم في الدنيا والآخرة — وأما العاملون المجدون الصالحون، فنضرب بهم الأمثال في حسن الأعمال، والهدى والنور، والعلم والعرفان بما تركوه مدى الدهر

مَنْ يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

وما للمرء خيرٌ في حياة   إذا ما عُدَّ من سقطِ المتاع

ولنا قدوة بخير الخلق صلى الله عليه وسلم ، فحياته كلها عملٌ صالح، وفضل وخير، وحذا حذوَه الخلفاء الراشدون والعاملون المتّقون

تدول أحاديث الرجال وتنقضي   ويبقى حديث الفضل والحسنات

٤٧ — ﴿رأيتُ الناس قد مالوا   إلى مَنْ عنده مالُ﴾

المال مجلب الفضائل، وسبب مكارم الاخلاق، وزينة العقلاء

ومصدر الكرم والإحسان، يكثر الاخوان، ويدعو إلى الاصدقاء والخلان، وبه ينقلب العدو حبيباً والبعيد قريباً ويصير الصعب سهلاً

وإن قلّ مال المرء أقصاه أهله ... وأعرض عنه كل إلف وصاحب

وكذّبه الأقوام في كل منطق ... وإن كان فيهم صادقاً غير كاذب

المال يقضي الحاجات، ويجلب اليسر والرخاء، ويكسب الثناء والحمد بمواساة الفقراء، وتربية اليتامى، وإعانة المساكين، وبناء دور العلم والمستشفيات، وبه البذخ والترف والإسراف، والعجب والبخل، وكسب الرذائل والقبائح، وهنا تضيع منه الفائدة: لأن الخير لا يأتي إلا بالخير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. وصاحب المال إن أنفقه في وجوه الخير سبب له الخير والمدح والذكر الحسن والسيرة الطيبة وكان ذخيرة عند الله سبحانه وتعالى ينفعه في الآخرة (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)

أما إذا أنفقته في الموبقات فوبال عليه لأنه يهوي به إلى الهلاك والدمار، ويقوده إلى الضياع والمذمة ويسبب له العذاب الأليم.

فالمال نعمة كبرى لمن حافظ عليه وأنفقه في طلب المحامد وأعمال البر، وتشييد معاهد التربية ودور الصناعة، وجاهد به نفسه وتحلى بالمكارم والكرم، أرضى الله سبحانه وتعالى [illegible]

٤٨ – خير الصنائع في الأنام صناعة   تنبو بحاملها عن الإزلال

صناعة في اليد أمان وسلامة من الفقر، وباب التقدم، وعامل النجاح، وينبوع الفلاح، ومصدر الثروة، وطريق الغنى، وهي عماد الأمم وحضارتها، وسبب رخائها ويسرها وسعادتها. والصناع هم الذين يوصلون أمتهم إلى الراحة وذرا الحضارة، وهم العضو العامل في جسم الشعب، إذ الطعام والأثاث والمصابيح والآلات البخارية وغير ذلك صنع النجار أو البناء أو الحداد أو الفلاح أو النحاس أو صانع الأدوات التي تسد حاجتنا الضرورية، وتسهل علينا سبل المعيشة والحياة الرغدة. ولقد اعتنى بالصناعة الأمم الراقية وأنشأوا لها معاهد التعليم للنبوغ والاختراع والابتداع، وأوجدوا لها ما يرقيها من المعادن والوقود، وأغدقوا على العمال الأجر الوافر، والرزق الواسع، فيصنع العامل إلى بلاده ما يلزم لها ويرفع مقامها إلى العلا ويبعد عنها المشقات ليكون لها الحظ الأوفر، وتصبح ذات نفوذ عظيم وسلطان وملك كبير، ولا تفتقر إلى غيرها، وبذلك يزيد مالها وتعظم ثروتها ويضحى أفرادها أغنياء قادرين على الأعمال الجسيمة وإبرازها في أسواق العالم ليعيشوا عيشة راضية تتمتع باليسر والرخاء، والسعادة الكاملة والنعمة الشاملة

٤٩ — ﴿ فوائد إنشاء المتنزّهات في المدن ﴾

المدن أحوج البلاد الى حدائق زاهرة ، ورياض نضيرة ومتنزهات أنيقة ، وجنات غناء ، ذات أشجار فيحاء ، تهدي أريجها الى الأفق فتعطر النسيم وتنقي الهواء ، وتكون مستراضاً لأصحاب الأعمال العقلية ، يهرعون اليها بعد انتهاء أشغالهم ، فينعمون النظر ويمتعون البصر ، ويستنشقون الهواء الجيد ، وعليل النسيم ، فيشفي منهم العليل ، ويبرأ السقيم ، وتزول عنه الأكدار ، وتنصرف الهموم ووساوس الأفكار ، ويشحذ ذهنه ، وتصفو قريحته ، وينعم باله ، ويحسن حاله — وذلك لأن المدينة مملوءة بالسيارات والمركبات ويمنع ارتفاع مبانيها تخلل الهواء النقي في أرجائها — لهذا وجب مرعاة للصحة وجود هذه البساتين في المدينة لتزيل الأضرار والهواء الفاسد فتحيا الناس حياة طيبة وتحفظ صحتهم من الجراثيم التي تؤذي أجسامهم ، وتكاد تهلك أبدانهم ، على انها تشرح الصدر ، وتبسط النفس ، وتجلب الأفراح بحسن منظرها وجمال طبيعتها

٥٠ — فوائد الخيالة (السينماتوغراف)

تظهر الخيالة صوراً متحركة تمثل الوقائع أحسن تمثيل وترسم الأشباح مرات عديدة ، في أوضاع مختلفة ، ليتجلى منظرها . يعظم وقعه في النفوس لتكشف عما وراءها من الأخلاق والعادات

والأفعال — وتمثل جيشاً جراراً وجنوداً زاحفةً على الأعداء لتحثّ على الشجاعة وتثير الهمم العالية لاقتحام الأخطار بلا وجل، وهكذا ترسم كبار الأعمال، وقواد الجنود، والملوك والأمراء وغيرهم ليرى الشعب المنزلة العالية التي نالوها، والدرجة السامية التي وصلوا اليها بأعمالهم، هذا الى رسم الرذيلة واظهارها بمظهر الدناءة وتقبيح وبعض مرتكبيها، وهي تمثل الصور غالباً بحجمها الطبيعي. واذا أريد تكبيرها وضعت بلورات مكبرة أمام المصباح فتظهر بحجم كبير يسرّ الناظرين، وهي تمثّل الحوادث، والوقائع الحربية، لتكون عظات، وعبراً، يتخلّى عنها العقلاء المفكرون، وهي تبهر اللب وتستوقف البصر، برسم صور على الآلة كأنها أشخاص حيةٌ تروح وتغدو، وتصعد وتهبط، وتشير وتأكل وتشرب، وتفرح وتحزن وتكرّ وتفرّ، وترسم صور الأبطال والمغنيين، وعظماء الرجال والفاتحين والمخترعين والمؤلفين الأفاضل .

٥١ — ﴿ فوائد دور التمثيل عند الامم الراقية ﴾

دور التمثيل الحق معاهد التربية الصحيحة، لأنها تمثل الأخلاق الفاضلة بأجلى معانيها، وتبعث على حب الخير، والميل الى الفعل الجميل إذا كان الممثلون علماء في الأخلاق، منزهين عن الدنايا والقبائح، وهي درس مجسمة بالغة، وذكرى حية، وحكم رشيدة، ومنبع سرور [illegible]

يشرح الصدور ، ويبسط النفوس ، بما يتلى فيه — ويرى من المشاهد البهيجة ، والمناظر النضيرة ، عظة تتلوها عظات ، وعبرة أثر عبر ، فيتأمل الفكر ، وتسمع الأذن ، وترى العين حوادث الأقدمين ، وشجاعة القادة العظماء ، وأفعال الملوك والأمراء ، وحكم الشعراء ، ونثر الأدباء

التمثيل مرآة العصور الغابرة ، ينعكس على أشعتها التاريخ الماضي والتمثيل أستاذ ماهر يقوّم المعوج ، ويرد الضال ، ويرشد الخاطىء ويلقي على شباب المستقبل صحفاً من أخلاق آبائهم وأجدادهم وآرائهم ليسير بهم الى مستوى الكمال وقمة العلا وذرا السعادة والمجد والعز والفخار اذا كان القائمون به أهل فضل وأدب وعلم وتأثير عظيم

تبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وبالجملة — والتمثيل يهذّب العواطف ، ويرقّي الوجدان ويطهّر الأخلاق من الأدران ، ويشذّب الذاكرة من الأذى والقذى ، وينقي النفوس والضمائر ، وانه التاريخ صادق يهدي الى الحق والى الصراط السوّي

٥٢ — ﴿ مَدَنِيَّة الشرق لها التقدم والسبق على مدنية الغرب ﴾

إذا ما خلا المرء بنفسه ، وحاسب ضميره ، قال ان مصر خاصة والشرق عامة ، لهما اليد الطولى في رقي الأمم الاجنبية ، ولا تزال المدنية الشرقية ذات القدح المعلى والتأثير الفعال في مدنية الغربيين

من الوجهة المعنوية والاخلاقية — فالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام شرقي وشريعته شرقية ، وهو الذي أعطى مثلاً أعلى للرقي ، وإقامة العـدل المؤسس على دعائم الحق مع حسن الشمائل وكمال الآداب ومكارم الأخلاق

٥٣ — ﴿ من فتح مدرسة أغلق سجناً ﴾

المدرسة تهذّب أبناء الأمة ، وتربّيهم تربية شريفة ، بعيدة عن الإجرام ، وتطهّر اخلاقهم من جراثيم الشرور ، وأدران القبائح وتتعهد هذه الأغصان الغضّة فتنميها على نزاهة النفس ونقاوتها من اللؤم والمكر ، فتترعرع على الفضائل والكمال ، وتنمو على حسن الخلال ، وتزهو بالآداب في إبان عمرها ، وفي عنفوان شبابها ، وتقوّم معوج الأخلاق ، وتنهى عن ارتكاب الخطايا وتزوّدهم بالنصائح الغالية وتعلمهم الشرائع السماوية والوضعية والصنائع المختلفة ـ فيجد الأبناء حياة جديدة فيها الأخلاق الحميدة ، والمعاملة الحسنة ، والأمانة والصدق والوفاء وحب الخير ، وعدم الأذى ، وهكذا من الصفات المحبوبة وتضم المدرسة آلافاً من الأبناء المتعلمين ، فينشئون على التربيـة المكتسبة ، وجمال الآداب ، بعيدين عن الرذائل والشرور ، وحينئذ تغلق السجون ، إذ لا جرائم تقع ، ولا حوادث ترتكب تخـل بالأمن ، وبذلك تأمن الحكومة جانب الاشرار ، وتطمئن الناس

على ارواحهم وأموالهم ، فرحين مستبشرين

٥٤ — ﴿ القطن المصري ﴾

من نعم الله جل شأنه أن جعل أرض مصر بلاداً زراعية يجود فيها كثير من الحاصلات النباتية ، وأهمها القطن الذي هو روح الحركة الاقتصادية فيها ، وعليه يتوقف غالب شؤونها ، سعداً وشقاء وشدة ورخاء ، ومنه يتخذ كثير من أنواع الملابس والفُرُش ويستخرج من بزره زيت يستعمل في بعض لوازم الانسان

ولهذا يجب علينا معشر المصريين على اختلاف درجاتنا أن نبذل كل ما في طاقتنا في تنمية محصوله وتحسين نوعه لكي تنمو ثروة القطن — وذلك بنشر التجارب والآراء المفيدة في اختيار الوقت الملائم لزرعه وتعهده بالسقيا والخدمة — وقد دلت التجارب ان أولى الأزمان بزرعه هو شهر مارس ، وان ما يلائمه من مرات السقيا سبع قبل فيضان النيل وثلاث بعدئذ ، ومن الواجب أن تتعهد أرضه بالعزق والتقليب وموالاة الخدمة الى أن يبتدأ في جمعه أواخر شهر سبتمبر وأوائل شهر اكتوبر — فهو اذا راعى زراعه هذه الأمور وسلم من الآفات السماوية در على القطر الخير والبركة ، وان أصيب بأدهى آفاته وهي الدودة وجب على الزراع المبادرة بإبادتها وهي في صورة بويضات لئلا تطغى وتصير ديداناً غلاظاً لا تبقي ولا تذر ، ثم تصير

فراشاً يبيض ويتضاعف، كما انه يجب على ولاة الامور وأولي التجارب أن يساعدوا الزُّراع في استئصال هاته الآفة

وقصارى القول — ان القطن أهم مورد لثروة المصريين عامة فقد يبلغ ثمنه كل عام نحو خمسين مليوناً من الجنيهات فيكاد يكون قطب رحى الدولة المصرية، فاذا أصيب أو تدهور ثمنه ساء حال الامة والحكومة

٥٥ — ﴿ وصف الامم الراقية ﴾

لان لها الحديد على صلابته وشدة بأسه، فاتخذت منه سجناً حصيناً لعدوّين متضادين هما الماء والنار، فكان من كفاحهما في ذلك السجن أن تصعّدت زَفرات الماء وغَلَت مراجل غيظه فالتمس الخلاص منه فلم يستطع لذلك سبيلا فطار بسجنه في الفَضاء — فاستعمل الانسان تلك القوة الفائقة (قوة البخار) في طيّ المسافات السحيقة، وتقريب الأمم المتنائية، وكسر نخوة البحار بامتطاء ظهورها وشق أحشائها وفي تحريك دواليب الصناعات المختلفة تحريكا خفّف من أوصاب الصناع ومتاعب العمال، وغمر أسواق التجارة بضروب المصنوعات البديعة، فأصبح الفقير شريكاً للغني في الاستمتاع بها بعد ان كان محروماً منها، واتخذت لها من الحديد قذّافات تردُّ هجمات الأعداء ولا تقف أمامها شجاعة الشجعان، ولا تغني عنها مصاولة الفرسان فملّكتها نواصي الأعزاء، وبسطت لها السلطان في جميع الأرجاء

لفتها قصيف الرعد ووميض البرق وغيرهما من آثار القوى الكونية التي طالما مرت على من غبروا من أجيال الأمم وهم عنها معرضون فحدست ان فيها قوة عظيمة لم تخلق سدًى وانها لو ملكت تصريف زمامها لاستفادت منها ما استفادته من البخار — فانبرى طلاب الحقائق من أبنائها الذين أثمرت فيهم التربية الصحيحة للبحث عنها في مكامنها، وما زالوا يصلون الليل بالنهار في تتبعها حتى اهتدوا الى ينابيعها، وحصروها في مجار ضيقة لا قبل لها بتعديها، ثم ألقوا مقاليدها الى الامة فكان من تصريفها في مرافق الحياة ما ترى من الآيات الكبرى على كمال قدرة الخالق وسعة امكان عقل المخلوق وعدة تحيل الماء هواء، وتقلب الليل نهاراً، ونبض أقرب من لمح البصر يصير تارة مناجاة كتابية مطوحين في مطارح الغربة تستنجز بها الأمور، وتقضى بها المآرب. وطوراً تكون مخاطبة شفهية تميز فيها أصوات المتخاطبين على ما بينهما من بعد الشقة

وكرة تدفع جاريات تطير طيراناً على سطح الأرض مقلة ما شاءت أن تقل من الناس والمتاع

٥٦ — ﴿ وصف الامة العربية ﴾

رباها مرشدها الأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيرته السنية على حب العدل والإيفاء بالعهود وانفاق الاموال في وجوه

الخير، والتآخي في نصرة الحق، والترفع عن سفساف الامور، وأوجب طلب العلم من المهد الى اللحد على أفرادها نساء ورجالاً غير مخصص علماً بعينه فنبغ فيها رجال لم تسمح الايام بنظائرهم، ولن تلد الوالدات أمثالهم . منهم من ساسوا الرعية أفضل سياسة لم يعهدها التاريخ في غيرهم من السواس حرموا أنفسهم فيها ملاذ العيش . وصيروها على مصلحة الناس، وحاسبوها على القيام بها أشد محاسبة . ومنهم من قادوا الجيوش وفتحوا البلاد، ودوخوا أكبر دول الارض لعهدهم مع تمام العدل في معاملة المغلوبين وبذل الامن المستأمنين . ومنهم العلماء والحكماء الذين صدقت عزائمهم في طلب الحقائق فلم يدعوا باباً من أبواب العلم إلا دخلوه على ما كانوا يلاقونه في ذلك من صعوبة التحصيل لندرة الكتب وتباعد معاهد التعليم — يشهد لهم بذلك ما خلفوه من آثارهم التي تزدان بها دور الكتب في معظم البلدان، ومنهم مهرة الصناع الذين أقاموا من معالم الحضارة ما يحكم لهم بالتبريز على أقرانهم ويوجب لاخوانهم حق المفاخرة بهم

٥٧ — ﴿ وصف الشرف للإمام المرحوم الشيخ محمد عبده ﴾

الشرف بهاء للشخص يحوم عليه بالانظار، ويوجه اليه الخواطر والافكار، وجمال يروق حسنه في البصائر والانظار — ومشرق ذلك البهاء عمل يأتيه طالبه يكون له أثر حسن في أمته أو بني ملته

أو في النوع الانساني عامة كانقاذ من تهلكة أو كشف لجهالة أو إنهاض من عثرة أو إيقاظ من غفلة أو إرشاد لخير يعم أو تحذير من شر يغم ، أو تهذيب أخلاق أو تثقيف عقول أو جمع كلمة وتجديد رابطة

من أتى عملاً من مثل هذه الاعمال له أو من تلك الآثار فهو الشريف وان كان يسكن الخصاص والاكواخ ويلبس الدلوق والأسمال ويقتات بنبات البر. ويبيت على تراب القفر هذا له حلية من عمله وزينة من فضله وبهاء من كماله وضياء من جده يهدي اليه ضالة الألباب وتائهة الأفئدة تعرفه المشاعر الحساسة ولا تنكره وتكتنفه ذرات القلوب المتطايرة اليه ولا تنفصل عنه، له من روحه قصور شاهقة وغرفات شائقة ومناظر رائقة وجمال باهر ونور ظاهر لا يكاد يخفي حتى يظهر ولا يكاد يُستر حتى يُبصر اليه، يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه الى أعلى عليين، حياة طيبة في القلوب وغُرة مشرقة في جبهة الزمان — ولمثل هذا فليعمل العاملون

٥٨ -- ﴿ليس الرجل بماله وإنما الرجل بأعماله﴾

الأعمال كثيرة متفاوتة في أهميتها وكثرة فائدتها، وبحسبها تتفاوت العمال في الفضل والنقام، اذ الفرق بين رجل يجري في الطرق أمام العجلات، ورجل يرشد الخلق ويهذبهم ويعلمهم ما يفيدهم في

دينهم ودنياهم ، كالفرق بين ذرّة من الكائنات والكون كله فشهوروا الرجال الذين قادوا الأمم إلى ما فيه نجاحهم وثروتهم وراحتهم وسعادتهم لم ينتشر صيتهم في الدنيا إلاّ بما يبثوه للناس من المعارف التامة والفوائد العامة حتى استنار بهم الكون. فمنهم هداة الخلق إلى خالقهم ، ورجال السياسة الذين ساسوا الناس الى طرق الخير وضبطوا أعمالهم وأحوالهم ، ورجال العلم الذين رفعوا مناره وأظهروا عجائب المخلوقات، وغرائب الكائنات، فكثرت الأرزاق واتسعت أبواب المعيشة ، واستقام الناس وانتظمت أحوالهم

فهؤلاء هم رجال الأعمال الذين أفادوا البلاد ، ونفعوا العباد فسعدت بهم الأوطان وافتخر بهم الزمان والمكان . ولئن كان في العمل التعب والمشقة ففيه اللذة والشرف

د رف حيث تك في جد ؛ في عمل تمد حياً ولا تركن الى الكسل

والعمل هو الدليل إلى حاجات الإنسان وعلى نسبته إلى الطبيعة ولولاه ما كان الإنسان ولا كان العمران -- وكل عظيم مما يملكه الإنسان جاء به العمل العقلي والجسدي

فالاكتشافات والاختراعات والمبتكرات والشرائع والنواميس والقوانين كلها نتيجة العمل والتعب . وأتعب الناس وأشقاهم مَن لا عمل له فانه لا يرجى منه نفع لنفسه ولا لغيره والذين أوصلوا

العمران إلى حالته الحاضرة هم أصحاب الحرف ورجال العمل والتعب سواء أكانت أعمالهم جسدية أو عقلية - والعمل وإن كان لا يقوم بلا مال بل هو الذي يدير دولاب الأعمال ويوسع نطاق العمران ولكن المال وحده لا يجعل للرجال أثراً يذكر ، ولا تاريخاً يؤثر ولا صيتاً يشهر ، فكم من ذي كنوز لا يعرف اسمه جاره ، وكم من فقير عامل له صوت في أمته ، وكم من ذي فاقة يُشار اليه بالبنان وتلهج بذكره الألسنة في كل زمان ومكان

هؤلاء الأنبياء والخلفاء والعلماء والملوك والامراء هل كان تخليد أعمالهم لوفرة أموالهم . كلا . ثم كلا . فانما العمل هو الذي أوجب على التاريخ ألاّ ينكر ما لهم من الفضل والعمل الصالح

وبالجملة [illegible] أديباً من الأدباء ، لا حكيماً من الحكماء يحث الناس على جمع المال لذاته كما أننا لم تقع نظرنا على عاقل يفتخر بماله وإنما المأثور عن الفلاسفة الحث على العمل والمثابرة عليه ، وما ذلك إلا لأن العمل هو الذي له قيمة في الحياة وشأن عظيم في رفع الرجال

نعم إن المال قد يرفع ولكن مركزه مركز المساعد الذي يمكن الاستغناء عنه ، ولا شك في ذلك فان التاريخ لم يخلد ذكر الناس لوفرة مالهم - ولكن لما قاموا به من جليل أعمالهم

هؤلاء الامم الغربية التي لها التمدن [illegible] الحاضرة

والعمران قد انبعثت منها أنوار العرفان وأفاضت على بنى الإنسان بما لم يكن فى الحسبان، ذللت الأرض بالبخار والكهرباء وسيرت الجواري المنشآت على سطح الماء، وطيرت نسور الماطيد فى الهواء استجلاباً للرزق وتوفيراً للسعادة والهناء، وهي مع ذلك لا تزال تدأب وتستطلع من الأسرار المودعة في الكون ما يجلى القدرة الإلهية في أجلى مظاهرها ويبرز العمل الإنساني في أكمل معانيه — وربما في المستقبل يتعلق الإمكان بأبدع مما كان - ويخلق ما لا تعلمون

٥٩ — ﴿أساس نجاح المرء في حياته اعتماده على نفسه وعدم الثقة بغيره﴾

أفضل ما يتحلى به العاقل اعتماده على نفسه في جميع أموره وقيامه بحاجاته فى عموم شؤونه بدون أن يتكل على صاحب أو يعتمد على مساعد

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعوّل في الدنيا على رجل

كيف لا - وأن طبيعة العمران وزعت الأعمال على الناس فأصاب كلا منها على قدر طاقته — فاذا اتكل زيد على بكر فكأنه أضاف حمله الى حمل بكر، وهذا لا يستطيع أن يحمل أكثر من حمله — وإذ كان الناس كلهم متكلين فمن هو المتكل عليه منهم — فاذاً قاعدة الاتكال فاسدة طبعاً - على ان الإنسان له مطالب خاصة ومكلف بأداء أشياء يباشرها بنفسه، إن اعتمد على غيره فيها تعسر قضاؤها

وباء بالحرمان والخسران . وكم من مقاصد للمرء ترك حبلها على كاهل غيره فضاعت وولت الأدبار وقضى عليها الهلاك والدمار . مع أنه لا يتيسر للمرء أن يجد في كل وقت من يساعده في أعماله ، كما أن بعض الأمور لا ينبغي أن يتولى شأنها سوى صاحبها والمطالب بها — ورب امرىء يعتمد عليه الانسان وحينما يفتش ضميره ويرى ما أبطنه وأسره يظهر له جلياً ما يسوءه ، ويعلم أن خذلانه أحب اليه من نصره

ومهما تكن عند امرىء من خليقه وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فيجب على العاقل ألا يعتمد في قضاء مآربه إلا على نفسه ولا يظن أن غيره يهمه أمره فيثق به فان ذلك دليل على ضعف عقله وعلى كسله وخموله فلا يلبث أوقات ولا تمر عليه ساعات إلا ويكون عالة على غيره واضعاً نفسه موضع المسكنة والمذلة والاحتقار

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا

وأيضاً يكون من اعتمد على غيره جاهلاً حكمة خلقه ، جهولاً بقول الشاعر العربي الحكيم

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

نعم ان في الاتحاد والتعاون مزايا شريفة غير أن ذلك يكون في الأعمال العامة المحضة التي تحتاج الى المساعدة ، ولا يقوى الفرد

بنفسه على القيام بها ، فما أشدّ حاجة الأمة الى أفراد يعتمدون على أنفسهم،ويقوم كل منهم بتأدية ما كلّف به،فاذا دعاهم داعي التعاون والتعاضد لبّوا نداءه وأجابوا دعاءه

نعم — ليس للإنسان إلا ما سعى اليه بجدّه وبحثه،معتمداً في عمله وأداء شؤونه على نفسه.فمن باشر أعماله وأشرف على أشغاله وشمّر عن ساعد جدّه ،ودأب في عمله واعتمد على كدّه وتعبه، وعوّل على يده ولسانه فاز ونجح وكسب وربح --فلا برّ إلا ما كسبته يداك ولا خير إلا ما سعت اليه قدماك ولا نفع إلا ما دبّره رأيك ولا ثمرة إلا ما غرس أصولها عقلك ولا نجاة من غمرات هذه الدنيا إلا بسفينة عملك التي توصلك الى شاطئ السلامة وترفعك فوق سماء العرفان

وقصارى القول — إن الاعتماد على النفس ملكة فطرية في النفوس يعتادها المرء منذ نعومة أظفاره إن وجد مقوّماً قديراً أو مرشداً حكيماً وهي تنمو بالتعهد وحسن الرعاية،وتضعف بالترك وعدم العناية

وكما تكون في الأفراد تكون في العائلات ثم في الأمم

أما في الأفراد — فإن نشأوا عليها شبّوا على علوّ النفس وكبر الهمة وقوّة الإرادة ، يبتعدون عن الدنايا ترفعا واستنكاراً ويعملون الخير لذاته حباً واختياراً . فهي بمثابة خصال الخير تكسب صاحبها الشجاعة والإقدام،وتجعله سبباً صالحاً في قومه وعشيرته عزيزاً في

نفسه وأمته، لا يرهبه في الحق صولة صائل ولا يخشى فيه لومة لائم

ومن نظر نظرة صادقة في سبب رقي بعض الأفراد الذين ذاع صيتهم في أقطار الأرض شرقاً وغرباً، وجد أنه هو الاعتماد على النفس في الأمور التي لا يليق فيها إلا الاستقلال — وكلما تشبعت الأفكار بأن قيام المجتمع الإنساني متوقف على عمل كل فرد. أحس كل واحد منهم بوجوب التعويل على نفسه وعدم الاتكال على غيره. ومال الى استعمال ما أوتيه من الهمة والإرادة والإجتهاد

وكل نفس بما كسبت رهينة وليس للإنسان إلا ما سعى

وليس للانسان إلا ماسعى   نعم وأن سعيه سوف يرى

٦٠ — قليل المال تصلحه فيبقى   ولا يبقى الكثير مع الفساد

المال ثمرة الأشغال العقلية والأعمال الجسدية، وهو [illegible] العمران والتمثال الذي تتجلى به الحكمة والدوة — والاكتساب أصل المال والاقتصاد سوره. قال الإمام عمر رضي الله عنه (إن الله يحب القصد والتقدير ويكره السرف والتبذير) وقال أيضاً (أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله فإن إقلالاً في رفق خير من إكثار في خرق) وقال معاوية (حسن التقدير نصف الكسب، وهو قوام المعيشة - فالرجل المكتسب المقتصد هو الغني [illegible] والأمة التي يتعود بنوها [illegible] الاكتساب والاقتصاد [illegible]

هى الأمة الغنية الراقية مراقي الفلاح، ومن يكتسب ويقتصد يسعى في خير أمته، ومن لا يكتسب أو لا يقتصد يسعى في خرابها. والاقتصاد ليس غريزة فطرية في الإنسان بل هو خلق اكتسبه بالاختبار وتمكّن منهُ بالتربية والممارسة — ومعلوم ان الناس مراتب ودرجات فمنهم أغنياء يعيشون بالراحة والرخاء، ومنهم فقراء يعيشون بالتعب والعناء، وليس اختلافهم في الغنى والفقر ناشئاً من اختلافهم في الاجتهاد والمقدرة على الاكتساب — بل الحقيقة ونفس الواقع أن منشأ هذا الاختلاف اختلافهم في حسن التقدير والاقتصاد

فكم من رجل يعيش بالراحة والرفاهية ويربي عائلة كبيرة ودخله قليل جداً . وكم من رجل يعيش بالتعب والعناء وتظهر عليه علامات الفقر المدقع ودخله وفير وكثير جداً

وطرق الاكتساب على أنواعها هي من لوازم الحياة ومن مسرّ انّها

كل من في الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفات

فالإنسان لا يحيا ما لم يصارع الطبيعة من جهة، ويستعين بها من جهة أخرى، فهى تدعو الى العمل والكدح لأجل تحصيل المعيشة ودفع الحرّ والبرد. وهي التي تعيننا بإنماء الحبوب والأثمار والأصواف والاقطان لأجل الغذاء والدفاء — والناس متعاونون في الاكتساب فهذا يحرث الارض، وذاك ينسج الصوف، وذلك يخيط الثياب أو

يبني البيت أو يمهد الطرق أو يفتح الخلجان أو يعمل غير ذلك من الاعمال ولولا الاكتساب لنفد المال الذي في أيدي البشر، وبارت الارض وهلك الناس جوعاً — فالاستعداد للمستقبل هو الحكمة العملية ولكن كثيرين من الناس لا يهتمون بالمستقبل ولا يعتبرون بالماضي بل هم أبناء يومهم. فاذا اكتسبوا الكثير أنفقوه كله، واذا اكتسبوا القليل اكتفوا به، واذا أخنى عليهم الدهر بكلكله أحنوا له ظهورهم وتوسدوا التراب، واذا وافاهم الموت وأولادهم صغار تركوهم عالة على الناس ليربوا في الفقر والشقاء — وهؤلاء لو أنصفوا أنفسهم وأولادهم لعاشوا بالكفاف والاقتصاد وذخروا الى وقت الحاجة — وما يصدق على آحاد الناس يصدق على عامتهم . فالامة التي أبناؤها مجتهدون مقتصدون في نفقاتهم هي الامة الغنية التي لا تهمها تقلبات الايام والامة التي يعيش أفرادها بالكسل والاسراف تبقى فقيرة لا صولة لها ولا قوة

وبالجملة — إن الانسان مهما كثر ماله لا يضمن بقاءه الى آخر حياته بل ربما افتقر ومدّ يده الى السؤال أو انحط عن درجته وصار مادحه هاجياً وصديقه له معادياً فيلزم والحالة هذه كل قادر على التكسب أن يقتصد من ماله جزءاً ينفعه وقت الحاجة، وينفقه وقت الضيق ، فان آفات الدهر كثيرة

والادخار والتوفير أمر حسن ما لم يصل الى درجة الشح والبخل والتقتير فيكون مذموماً — كذلك انفاق المال في سبله يكون حميداً مالم يصل الى درجة التبذير فيكون مرزولاً «وخير الأمور الوسط»

ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

٦١ — ﴿ الدَّين أشد أنواع الفقر ﴾

ان تستدِنْ تعش حقيراً والمُداين كالامير
من ليس يكفيه القليل فليس يكفيه الكثير

الاجتماع الانساني جسم حيٌّ نام متحرك، وهو عرضة للقوة والضعف، والراحة والتعب، والصحة والمرض، ويعتري بعض أعضائه داء عضال يذهب براحتهم ورفاهيتهم، ويغلّ أيديهم عن العمل ويغادرهم عبيداً وهم من أهل السيادة وهو داء الدَّين الذي خربت به بيوت كثيرة وتورطت فيه بعض الممالك فاستنزفت ثروتها وزالت قوتها، وهو كغيره من الأدواء الكبيرة يصيب أهل الجاه والوجاهة أكثر مما يصيب الفقراء والصعاليك

وان منشأ الدَّين وأساسه غالباً الترف الذي هو من شر ملمات هذا الزمان وأقوى مقوضات دعائم العمران — والأغنياء والفقراء متهافتون عليه، تهافت الفراش على السراج — والناس الآن معبود وعُبّاده قد حادوا عن جادة الحق، وساروا في الترهات فيطلبون

الغنى بالمقامرة، والسعة بالمخادعة، ويتظاهرون أنهم أغنياء ولو كانوا فقراء لا يملكون شروى نقير — ويزعمون أن الانسان بحُسن بزته وكثرة ولائمه، وأن الاعتبار والاكرام لمن يكرم الأنام

والذين خدن الترف ومعاونه على فساد شؤون الناس وتبذير أموالهم وهو البلية الشديدة التي أصابت الرؤساء والمرءوسين، والحمل الثقيل الذي يئن منه دول الأرض العظيمة كما يئن منه صغار الفلاحين

والناس طبقات — وكل طبقة تأنف من الامتزاج بالطبقة التي تحتها، وتتوخى الصعود الى الطبقة التي فوقها، وتبذل النفس والنفيس في طلب الوجاهة التي ليست مذمومة ولا عاراً — ولكن العار في استعمال الوسائط غير المحللة لنوالها — ومن العجيب أن الناس يحسبون الغنى فضيلة وكياسة، وعندهم أن الفاضل الكيس هو الغني أو المتظاهر بزي الأغنياء

ولقد أخطأوا في زعمهم هذا: لأن الفقر بلا دين هو الغنى التام، فليس الفقر عاراً ولا منقصة اذا كان الفقير حراً شريف النفس بل كثيراً ما يكون الفقر شرطاً للنجاح والشهرة والراحة

وتاريخ الناس أصدق شاهد على صحة ذلك وان أنبل الناس وأصدقهم عزيمة وأكملهم مروءة أكثرهم من الفقراء — ولا يعاب الفقير إلا إذا أبطل الكدح وقصد التعيش بأموال الصدقة أو التسول

وبالجملة إذا تمكن الدّين من صاحبه لم يقف في طريقه مال قارون. ولا ينجو منه إلا بالمنون. وفي الخبر الصحيح «لا وجع كوجع العين ولا غم كغم الدين» وقال عليه السلام (الدّين شين الدّين) ولهذا يقال «صاحب الدين ذليل بالنهار ومهموم بالليل» وقال بعض السلف «الدّين غُلّ الله في أرضه وإذا أراد الله أن يذلّ عبداً جعل منه طوقاً في عنقه» وقال العُتبي الدين عقلة الشريف. وقال ابن المعتز كثرة الدين تصيّر الصادق كاذباً والمنجز مخلفاً — وقال الشاعر

إذا استثقلت أو أبغضت شخصاً وسرّك بُعْدُه حتى التنادي
فشرّده بقرض دُريهمات فان القرض مقراض الوداد

٦٢ — ﴿حب الوطن من الإيمان﴾

الوطن طينة المرء التي نبت فيها أصله، ونما فرعه، ونشأت حياته التي تغذت بهوائه، واستظلت بكنفه ودوائه، ومفره الذي تتجاذبه عوامل الشفقة عليه، والحنين اليه، إذا شطّ به مزاره، وبعدت عنه داره، وكنّهُ الذي يأوي اليه اذا نبَتْ به البلاد، ويتوسع فيه اذا ضاقت عليه الأرباض

إن حب الوطن شعور نفساني وإحساس وجداني ؛ ليس بسلعة يباع ويشرى، فهو أشرف خُلق يتحلّى به الإنسان، وأحسن شيمة ينطوي عليها الجنان، وهو من أخلاق الأنبياء الكرام عليهم

الصلاة والسلام . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة، يحن إلى وطنه (مكة) حنيناً كثيراً مع أنه خرج منها وهو غير راض عن أهلها لمعاداتهم له، وإيصالهم الأذية إليه، حتى وعده الله سبحانه وتعالى بأن يريه إياها ويرده إليها — وذلك في قوله تعالى (إنَّ الذي فرض عليك القرآنَ لرادُّكَ إلى مَعَاد) ولذا قال عليه الصلاة والسلام « حُبُّ الوطن من الإيمان » وقال الشاعر :

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة ‏ ‏ ‏ ‏ ولو أنني أعرى بها وأجوع

فمن جعل نصب عينيه محبة وطنه العزيز والعكوف على خدمته فقد رفع عماد أمته، وشيد ركن دولته

وما المرء إلا حيث يقضي حياته ‏ ‏ ‏ ‏ لنفع بلاد قد تربّى بحجرها

فحب الأوطان سلطان فوق كل سلطان . وأثره لا ينمحي عن صفحات الجنان، فكم بيعت في سبيله النفوس بيع السماح، وكم رخصت دونه أرواح، وغلت أرواح — بل كم يرفع لرجال ذكراً كان خاملاً، وشيد لأعمالهم أثراً ماتوا وظل باقياً

ولي وطن آليت ألاّ أبيعه ‏ ‏ ‏ ‏ وألا أرى غيري له الدهر مالكا

فسعادة الإنسان مرتبطة بسعادة بلاده . والإنسان [illegible] في وطنه هو الأمة، لأن الأمة هي [illegible] . ومن [illegible] في وطنه فعدمه خير من حياته، ومجد الوطن سعادة بنيه . و [illegible]

بالتضحية والعمل حتى يبلغوا الأمل

فياوطني إن فاتني بك سابق   من الدهر فلينعم بسا كنيك البال

أجل - إنّ الوطن أبٌ رحيم شفيق تتقلب في نعمه، فهو أعز عزيز تسفك لأجله الدماء، وتخضب السيوف، وتخاض المعامع وتشعل الحروب، وتباع النفوس، وتهاد الجحافل، وتدك الحصون وتنسف المعاقل. فأرق شعور وأجمل إحساس يثير النفوس حمية تحل بالقلب هزة وتنزل به خفقانا هو حب الوطن — شعور يستصرخ اللب، ويناجي الفؤاد، فيردد نداءه من أعماق القلوب وأقاصي الأذهان — صوت وجداني خافت، لكنه يرد النفوس مرهفات أو أشد قطعاً — والعزائم مهندات أو أكبر وقعاً

كفاني فخراً أن أموت مجاهداً   وحبّ بلادي قائدي منذ نشأتي

الوطن عائلة إذا حل بأفرادها نعمة تمتعوا بها جميعاً، وإذا نزل بهم بلاء اقتسموه « الواحد للجماعة والجماعة للواحد، والفرد يفدي الأمة والأمة تحمي الفرد »

والوطنية أعظم سياج لاستقلال الأمة التي تصبح بدونها تحت رحمة العدو وسلطانه — فالوطني الحق لا يرى بلاده مهما أجدبت إلا جامعة للخير العام، ومنابع سعادته، يشعر نحوه بكل انعطاف ... إذ يرى فيه ذكرى حياته الماضية كما يتمثل فيه آمال المستقبل

بلادي هواها في لساني وفي دمي ... يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير في من لا يحب بلاده ... ولا في حليف الحب إن لم يتيم

٦٦ - ﴿ العاديات والآثار القديمة ﴾

إنما تصل الأمم إلى ذرا الحضارة وتتسع مداركها في الصناعة وتبلغ شأواً بعيداً في الارتقاء ، وتنهض من الهمجية إلى المدنية وتحصل على الرفاهية والنعيم بما تظهره من المصنوعات المختلفة، وما تبتدعه من المخترعات المتنوعة، وما تخلفه من الآثار المحكمة الصنع ، وما تتركه من التحاف المتينة الوضع — وبديهي أنه كلما كان أساس الصناعة قائماً بين أيدي الصناع أمكنهم زيادة الإتقان وإحكام العمل وتسهيل الانتفاع — لهذا ترك السلف للخلف آثاراً شهدت ببراعتهم وحسن اختراعهم فكانت كمرآة، رأى المتأخرون فيها مدنيتهم ورفاهتهم ورغد عيشهم — وكان لسان حالهم في أجداثهم يقول :

مضوا والدور باقية وأودوا ... وليس شخوصهم بالموديات
فما ذهبوا ولكن في اغتراب ... وما ماتوا ولكن في ثبات

حقاً إن الآثار خير مرشد للصانعين ، وخير معلم للمتعلمين وخير دليل المبتدعين

تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

ولهذا عنت الحكومة المصرية بجمع شتاتها وتجديد ما درس

من معالمها لتكون مرشداً للمسترشدين ومصباحاً للمتفننين ونموذجاً للمخترعين ينسج على منوالها الناسجون ويحذوا حذوها اللاحقون وقد أدرك هذا السر العدد الكثير من الناس. فخرجوا من ديارهم يؤمّون دور الآثار ليستفيدوا من دقة الصنع وإحكام الوضع وحسن الاختراع وجمال المبنى وروتق المعنى ما لم يستفيدوه من قبل

وبالجملة — فالمقياس الوحيد لتقدم الامة ومبلغ رقيها هو مبلغ اهتمامها بآثار من سبقها من الآباء والاجداد — كيف لا — وأن الناس الذين يبحثون فى آثار آبائهم وأجدادهم بلا شك المتشبعون بمبادىء المدنية

٦٤ — ﴿ لا خير فى علم بلا عمل ﴾

العلم مناط الحياة الاجتماعية، وأس الحضارة والعمران، وأول المقوّمات التي لا تقوم الا بها حياة المجتمعات . فهو طريق السعادة للدارين، ومحور مجد الأمم، وينبوع ثروة الشعوب، وما أزلّ المشرق بعد العز، وأفقر سكانه بعد الغنى، وأقفر أوطانه بعد أن كانت آهلة بالعلم مزدحمة بطلابه إلا اهمال أهله للعلوم واسترسالهم فى الشهوات فلا تستقيم أعمال الانسان إلا بالعلم اليقيني الذي هو ترقي العقل الى درجة الاحاطة بما يكتنف الانسان من أسباب السعادة والشقاء أو تمازج الحياة الذي هو حياة القوى بموت الضعف، وإنما يتيسر

أصول العقل الى هذه الدرجة من العلم بالتعلم و التهذيب إذا روعي فيها جانب الفضيلة على وجه يشعر منه المتعلم أنه إنما يتعلم ليعمل فينفع نفسه وبني جنسه بالعلم

وكأي من عالم لم يبلغ علمه درجة اليقين الداعية للشعور بوجوب العمل، فهذا عالم ولكنه لم يعمل بما علم، فعلمه وجهله سيان. لأنه ما الفائدة ممن يتعلم ويقول أنا عالم ولا يتبع القول بالعمل. فيعمل بما رزقه الله من العلم، وأولى بمثل هذا العالم أن يخشى الله بكذبه على العلم فان الله تعالى يقول (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)

فالعلم هو الميزان الذي تتكافأ به قوى الشعوب المتنازعة في مضمار الحياة المدنية، ما دام العمل به متبادلاً بين المتنازعين، ومتى وقف أحدهما عن العمل واستمر الآخر في عمله رجح هذا على ذاك بالضرورة، فنازعه البقاء وغلبه عليه

فالعلم بلا عمل لا يغني عن الحياة شيئاً، بل لا يكون العلم علماً إلا إذا ظهرت آثاره في الخارج، وإنما تظهر آثاره بالعمل، وإلا فأي فائدة من علم المرء أن الزراعة مثلاً من أسباب الحياة البشرية ولم يعمل بالزراعة مع علمه بها وبفنونها — ومن وجه نظره الى الآثار العملية الصادرة عن العلم التي تفيضها على أرجاء المشرق الامم الاوربية الآن يحكم حكماً جازماً أن لا حياة لامة ولا بقاء لشعب

بإزاء تلك الامم المتمدينة مالم يجارها في ميدان العمل مجاراة لا يعتري صاحبها الوهن ولا الكلال ولا يطرأ عليها الخمول والكسل

لا خير في العلم إن لم يَرْقَ صاحبه على أساس من الاخلاق في الصغر
كم من عالم فاسد ضلّت مذاهبه وقد غدا علمه شرًّا على البشر
إبليس أعلم أهل الأرض قاطبة والناس تلعنه في البدو والحضر
العلم كالغيث والأخلاق مزرعة إن تخبث الأرض تذهب نعمه المطر
والنفس تأبى ورود الماء إن وجدت في الماء رجساً ولو كانت على نهر
والجهل أفضل من علم يدنّسه نضح الرذيلة من أخلاق مقتدر

وبالجملة — ان الاعمال هي قطب دائرة الحياة الدنيا ومدارج مرقاة العلا الى المراتب العليا وسبيل الوصول الى السعادة الابدية ودليل الحصول على الشرف والسيادة وبها تدرك الغايات وتملك النهايات وهي ثمرة العلوم ونتيجة المنطوق والمفهوم، فالعلم بغير العمل فاسد والعمل بغير علم باطل، والمجرد منهما عاطل — هل رأى أحد صلاح عمل بغير علم بنشر. أو سمع بفلاح رجل من غير عمل يذكر — كلا — هذا الحاكي (الفونغراف) الجماد نطق بالقرآن والآذان والغناء والإنشاد — ما ذاك إلا من ثمرات العمل بالعلوم والمعارف

٦٥ — ﴿ لا تصحب من لا يحمد حاله ولا يدلك على الخير مقاله ﴾

الصحبة نسبة بين صديقين، منشؤها ميل طبيعي أو كسبي — وهي

حالة مطلوبة مستحسنة، ودليل على كمال فطرة الإنسان وأصله من اندفاعه بالطبع الى التعارف — وبواسطتها يكون الانس، وتحيا النفوس، وتتصافى القلوب

فان حصلت الصحبة عن الميل الطبيعي سُمِّيت صحبة اتفاقية وسببها التجانس والتشاكل قال عليه الصلاة والسلام (إن الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وقال الشاعر

ولا يألف الإنسان إلا نظيره وكل امرئ يصبو إلى من يشاكله

وقال آخر

وقائلٍ كيف تفارقتما فقلت قولاً فيه إنصاف
لم يك من شكلي ففارقته والناس أشكال وآلاف

وإن حصلت الصحبة عن القصد والإرادة سميت صحبة اكتسابية — وينبغي لمن يريدها الكمال بحيث لا يلقي بنفسه إلى المهالك بصحبة الاشرار، أو ذميمي الاخلاق والطباع، بل يجب الاختبار والاختيار. فالقرين يقتدي بمقارنه، والصاحب تنسب اليه أعمال صاحبه، فإذ كانت حسنة شرف بها الصاحبان. وإن كانت قبيحة أفهمت الناس أنهما على ضلال

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فمن تبصر في العواقب [illegible] على دفع

الشدائد ويغفر الذلة ويقبل العثرة. صديق صدوق، في السعة والضيق فلا مراء في أنه يعيش مع صديقه هذا عيشة راضية

ومن اتخذ صاحباً من غير تجربة واختبار واختيار حسب ما يشاء كما شاء فقد كتب على نفسه العناء والشقاء

لا تركنن إلى ذي منظر حسن فرب رائعة قد ساء مخبرها
ما كل أصفر دينار لصفرته صفر العقارب أرداها وأنكرها

وقال بعض الحكماء (اصحب من الإخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة، فنسي جمائله، وبقي شاكراً ناشراً ذاكراً لجميلتك يوليك عليها الإحسان الجميل، ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل)

فالوافر العقل هو الذي لا يصادق إلا من أجمع الناس على أنه من أهل الخير والاستقامة، حسن الطباع جميل النوايا

ويبتعد عن اللئيم الذي أجمعت العامة على خبثه وعدم صلاحيته للمؤاخاة ولا يغتر بما يبديه ذلك الخائن من البشر والبشاشة

لا تغترر بالهش والبشر من فتى وحفظ ولين مثل مس الأفاعيا

وقال آخر:

لا تثق من آدمي بوداد أو صفاء كيف ترجو منه صفواً وهو من طين وماء

وبالجملة — إن الصحبة الكاملة تستلزم التعاون والتناصر على الخير

والصداقة وخلوص النية وكتم السر وحسن المعاشرة واعظام القدر في الحضرة والغيبة والبر في القرب والبعد والعفو عن بعض الزلات

إذا أنت لم تترك أخاك وزلة ... إذا زلها أوشكتما أن تفرقا

٦٦ — ﴿ما يجب أن يكون عليه المعلم بين تلاميذه﴾

وعلاج الأبدان أيسر خطباً ... حين تعتل من علاج العقول

المربي هو إنسان يحاول أن ينقل صورته ونظام أحواله إلى غيره، وهو من المسترشدين بمنزلة العود من الظل فلا يستقيم الظل والعود أعوج — فالمربي لا يؤثر بأمره بل بفعله — ومثل الذي يعظ ويفعل كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها — وكالمسك يطيب غيره وهو طيب — ومثل الذي يعظ ولا يفعل كالقمر يضيء ولا يدفيء، فربما سطع القمر والليلة صقعاء — أو هو مثل المسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع — والإبرة تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق

ما هيَ إلا ذبالة نصبت ... تضيء للناس وهيَ تحترق

قال سبحانه وتعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وقال أيضاً (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وقال بعض الحكماء: إذا كان الرجل طاهر الأثواب كثير الآداب حسن المذهب تأدب بأدبه وصلح بصلاحه جميع أهله وولده. وقال الشاعر:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويفسدهم ربّ الفساد إذا فسد
فيعظم في الدنيا لفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

ولذا وجب على المعلم أن يكون فعله مطابقاً لقوله ، فليكن كما يجب أن تكون تلاميذه وليفعل ما يلزم أن يفعلوه وليلزم ما يلزم أن يتركوه ، وليبدأ باصلاح نفسه قبل اصلاح تلاميذه فاذا عظم قويت رغبتهم فيه وانقيادهم لأوامره والعكس بالعكس — ولا بد أن يكون المعلم مائلاً بجانبه الى تلاميذه محباً لهم شفيقاً عليهم شغوفاً بتكميلهم كالوالد لولده اقتداء بمعلم الأنام عليه الصلاة والسلام حيث قال « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » ويتبع الميل القلبي لطف الجانب وبشاشة الوجه ولين القول والإحسان اليهم — قال بعض الحكماء (البشاشة مفتاح القلوب) ومتى فقد الميل القلبي خاب الأمل وضل المسعى فإن المعلم العبوس الوجه القاسي القلب لا يكسب الناشىء علماً ولا أدباً بسبب نفورهم عنه وعدم ميلهم إلى جانبه ويتطرق ذلك إلى أخلاقهم فتسوء وتخبث. قال الله تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقال تعالى (لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن)

وينبغي أن يكون المعلم ثابت الجأش حازم الرأي نافذ الحكم قوي الإرادة ، لا يريد هذا تارة وذاك أخرى ، فلا يأمر تلاميذه

بأمر يتساهل عن تنفيذه ، أو يقول قولاً يردّه

ألقول كاللبن المحلوب ليس له ردٌّ وكيف يردُّ الحالب اللّبنا

أو ينذرهم بعقاب لا يقيمه، أو يأمرهم اليوم بأمر ينهاهم عنه غداً وبالعكس — لأن للناشئة شعوراً دقيقاً بإرادة المعلم، فمتى كان ثابت الإرادة أسلموه أزمتهم وأعنتهم، ومتى تقلبت شردوا عنه . ونبذوا طاعته وراءهم ظهرياً : ولم يكترثوا بأمره أو نهيه

فيجب أن يكون المعلم حكيماً متبصراً يضع الأمور في مواضعها عارفاً كيف يأخذ المتعلمين حتى يبلغ بهم إلى الضالّة المنشودة . والغاية المقصودة . عالماً بوسائط التربية والتأديب، فلا يعاقب قبل تهديد، ولا يهدد قبل انذار ، ولا ينذر قبل تذكير

قال بعضهم (العتاب قبل العقاب فليكن إيقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك)

ولا يعامل الكل باللطف كما لا يسوق الجميع بالعنف

فإن منهم من تصلحه القساوة بينما الآخر يصلحه المعروف

ومن ينفعه الإحسان بينما يسوء الآخر

ومن يؤثر فيه النظر بينما الآخر يحتاج إلى العصا — كما قيل

البعض يضرب بالعصا والبعض تكفيه الإشارة

ومنهم من يسوقه المهماز . بينما الآخر يلزمه اللجام

وقصارى القول — ان من تلقى اليه أعنّة الأبناء الذين هم ثمرات الأفئدة والمستحق لثناء الأمة ورضا الآباء، هو الذي عرف واجباته فقام بأعبائها، وترقّب نفسه ففاز بمعرفتها، واستفاد فأفاد واستهدى فهدى، وبلغ فأبلغ، وتأدب فأدب، ونال النهاية فأنال الغاية، حتى يكون مصباح الظلماء، ووارث الأنبياء.

٦٧— ﴿على من تلقى مسئولية التربية أعلى الوالدين أم على المدارس﴾

من المعلوم أن الإنسان مخلوق أدبي لا يمكن نمو قواه الأدبية إلا بفعل متميز عن الفعل الذي يؤثر في بنيته، بخلاف الحيوانات فلا تطلب سوى نمو جسمها — ومن ثَمّ لا يكتفي الإنسان في تربيته بالأحوال الطبيعية المكملة لتربية الحيوانات بل نراه مضطراً إلى أحد من جنسه يعرفه الغاية الانسانية، ليأخذه بتربية روحه وعقله -- ولذلك ألقى الحكيم جل شأنه في قلوب الآباء رأفة طبيعية ومحبة فطرية إلى أبنائهم، ومن هنا يعلم أن الوالدين هما أول مربٍ للإنسان — والعائلة هي أول مقامات التربية

ولما كانت الهيئة الوطنية بما لها من التعارف والاجتماع تطلب من الأفراد الطاعة لناموس الوطن، والتعاون على الأحوال المعاشية حاجيها وكماليها حتى يمكن حفظ بقاء الأمة وسرورها بالحياة علم بالضرورة أن العائلة مدينة للهيئة الوطنية — وبحكمة أن الحكومة

هي المهيمنة على الهيئة الوطنية والناظرة في شأن الأفراد من جهة الخصوص، وفي أحوال المجموع من جهة العموم، طلباً لحفظ التناسب بينهما حتى تكون الحكومة مدينة أيضاً للعائلة والأمة، بحيث يجب عليها تمهيد سبل التربية والتعليم، وتنبيه الأفراد إلى واجباتهم ولا يحصل ذلك إلا بوجود عدد كاف من المدارس تتخرج بها الأبناء علماً وعملاً وعقلاً وأدباً

ومن ذلك ينتج أن المدرسة هي الواسطة لجمع دائرتي العائلة والحكومة، وهي مع ذلك ليست إلا مكملة لنقص التربية في العائلات ضرورة أن للعائلة المقام الأول من مقامات التربية، كما لها النفوذ الأعظم على الابناء — بصلاحها تصلح الناشئة وبفسادها يفسدون وهي الجو الأول الذي يتنفس فيه الناشيء، فمتى كان الجو خالص الهواء تربى الناشيء سليم البدن والعقل والعكس بالعكس. والحكمة في أن للعائلة التأثير الأعظم في تربية الناشئة إن خيراً وإن شراً — أمور

منها سلطة محبة الوالدين لأبنائهما فإنها تورث في الأبناء المحبة إلى الوالدين، ويتطرق ذلك إلى محبة غيرهما، وتلك المحبة المشتركة تعتبر أول أساس للتربية العمومية والحصول على الفضائل

ومنها سلطان التقليد حيث يؤثر في تربية الأبناء ضرورة أنهم يصرفون عامة أزمانهم في العائلة؛ فمن كان أبواه مشغوفين بالنظام

والترتيب محبين للوطن متكملين بالفضائل كالكرم ورقة الجانب والرأفة ونحو ذلك خرج متطبعاً بتلك الخصال والعكس بالعكس

ومنها الأحوال العائلية التي هي المدرسة الأولية الأساسية للناشيء فيقف بها عند حد محدود

ويجب أن يكون المنزل والمدرسة سائرين في طريق واحد هي غاية الحصول على المقصود من التربية العامة — والمدرسة لها النفوذ الأعظم بالنسبة إلى التعليم ، بينما المنزل له التسلط الأكبر بالنسبة إلى التربية ، ضرورة أن بالمدرسة وسائط للتعليم يفقدها المنزل كما أن المنزل أقدر على التربية بحكمة تصرف الآباء في الأبناء

ولكل من المدرسة والمنزل حقوق يجب القيام بها

فأما حقوق المدرسة على المنزل فهي أن ترسل الآباء أبناءهم إلى المدرسة في المكان والزمان المقرر لهم بالضبط ، وأن يمدوهم بما يلزمهم مادياً وأدبياً ، وأن يساعدوا المدرسة بالقول والفعل

وأما حقوق المنزل على المدرسة . فهي أن يلاحظ المعلمون الأحوال العائلية ، وما يلزم أن تقوم به أبناؤهم لهم من الفضائل ومكارم الأخلاق

ومن حقوق الحكومة على المدرسة . أن تبث في نفوس الأبناء الطاعة لقانون الوطن وحبه والتعاون وتشريف العوائد والآداب

الوطنية وحب الراعي والرعية : وغير ذلك

ولذا ينبغي أن يختار لوظيفة التعليم العلماء المؤدبون المستكملون لمكارم الاخلاق الذين يقدرون على ضبط ارادتهم وحفظ أميالهم خصوصاً الذين يميلون الى حب الوطن وتربية أبنائه تربية وطنية

٦٨ — ﴿ الحرية وأثرها في الهيئة الاجتماعية ﴾

الحرية كلمة : لها معنى جليل يسحر العقول ويدهش الألباب تصبو اليها النفوس من أحقر وحشي الى أرقى مدني — يبذل كل في سبيلها ما ملكت يداه ، اذ هي تنير قلب الطفل حين ولادته كما تملأ فكر الكهل ، وتشغل ذهنه على وسادة موته

والحرّية للبشر ركن السعادة وروح الكمال — فلا جمال في حياة لا نتمتع فيها كما نريد ونختار ، ولا خير في جسم يريد أن يعمل فيركض ، ولا خير في ذهن يريد أن يفتكر فيضغط : ولا خير في قلب يريد أن يشعر فيجرح — وما فائدة كل هذه المواهب اذا سلبناها عنوة واكراهاً

ان الانسان لم يخلق لأن يثقل بالسلاسل والأغلال وإنما كان كماله النوعي في اطلاق مداركه وقواه للعمل والحركة

فالحرية — هي القدرة — هي الحركة — هي الحياة... هي العدل — هي الاخاء — هي المساواة — بل هي السبيل للوصول الى أرقى مطالبنا ، والحرية

ليست مطلقة ، اذ لا مطلق في هذا العالم، بل كل ناموس له حدود ومستثنيات . فهي مقيدة بهذا المبدأ وهو «أنه لايجوز أن تكون حرية شخص مجحفة بحرية آخر » هذا هو المبدأ الذي يجب أن يكون أساساً لتعامل الناس وأصلاً للروابط فيما بينهم

والحرية حق يقابله واجب وهو المسئولية ، فاذا أساء شخص استعمال حريته بهضم حقوق الغير يكون مداناً ومطالباً باصلاح ما أفسد كما أن الغير مسئول عما يلحق به من الضرر

ولا ينكر أحد أن منح الحرية لأمة هو من الامور التي تحتاج لدقة المراقبة واطالة النظر لأنه يجب التدرج فيها والتدرب عليها شيئاً فشيئاً ولذا يقال أن عنوان الحرية التي تمنح لأمة بحيث لا تنذر بضرر أو سوء هو درجتها من التربية ونصيبها من المعارف التي تضيء سبيل الحرية وتحيي الشعور بالمسئولية — فالرجل الذي لا يقدر نتائج أعماله ولا يدري حقيقة حاله نحكم بأنه لا يحسن استعمال الحرية

لهذا — كان أهم واجب على الحكومة هو أن تدرب الأمة تدريجياً على الارتقاء في الحرية عملاً بقول الحكماء (ازدد نوراً أزدك حرية) وقال آخر (أحسن الدرجة التي أنت بها أرنعك نغيرها)

فالحرية تشبه السلاح — ان مسكته يد حازم ، كان نيها ماضياً

وان تناولته يد جهول كان عليها قاضياً — وأنواع الحرية كثيرة

منها حرية الفكر وهي أجل حرية فطر عليها الانسان ولا يمكن اعدامها أصلاً . فالفكر لا يقتل أبداً وللمذاهب الصحيحة والآراء القوية لا تعدم حتماً

ومنها حرية العمل لأن الانسان محتاج للسعي وراء الرزق طلباً لقوته وملبسه ومسكنه، فيجب ألا يمنع ولا يحرم من قواه ومزاياه الشخصية، بل يترك حراً في عمله ما دام لا يمتهن حرية الغير. وما دام عمله ليس من الاعمال المحرمة حفظاً للامن وحرصاً على الآداب العمومية

ومنها حرية الاجتماع فلا تتم حرية الفكر ولا تقيد حرية البدن اذا لم يمنح الانسان حق الاجتماع باخوانه على مرأى من الامة والحكومة، مبادلة للافكار في الشؤون العمومية حتى يتبين صحيح الافكار من سقيمها، أو طلباً لحاجاته حتى يتيسر لمن لا يجد في نفسه القدرة على القيام بعمل وحده أن يجد من أخيه ومواطنه نصيراً وظهيراً — فحرية الاجتماع ضرورية لأن «الانسان مدني بالطبع»

ومنها حرية الاعتقاد وهي من أقدس الحريات اذ يتوجه الدين لأخاص شعور في الانسان فيخاطب اللب ويناجي القلب ويستنير بالعقل . وهو الذي ينقي النفس من الشوائب والأدران وهو الذي يرفع لأرقى الفضائل حيث يجد الانسان اللذة والطمأنينة يجد التسلية في حرية

في الحياة الحالية، وأملا وهناء في الحياة الأخرى -- وانما تقيد هذه الحرية بالا يجبر أرباب دين أهل دين آخر على اتباعهم (لا اكراه في الدين)

ومنها حرية اللسان او الخطابة وحرية القلم أو الصحافة: وهذان النوعان من الحرية يرتبطان ارتباطاً تاماً بحرية الفكر والاجتماع فليس للانسان فقط عقل يفكر به بل له لسان يعبر عن تلك الأفكار ويفصح عما يكنه الضمير -- لهذا وجب أن يكون من حقه التكلم والمراسلة وكتابة ما يعن له من كتب وصحف اظهاراً لآرائه ونشراً لأفكاره اذ كل هذه صور للكلام البشري، وليس من حد لهذا سوى احترام حقوق الغير -- فاذا أضر شخص جاره بكلامه أو أحدث هياجاً عاماً بخطابه فهو مسئول عن خطائه معرض للجزاء عليه

وليس ثم أشد استبداداً وأكثر إعتسافاً مما وصلت به الحكومة لمحاربة الافكار ومكافحتها والتضييق عليها بهذا الحد من الظلم وبهذه الدرجة من القساوة ؛ حيث لا تسوي بين الافراد بل تفرق بين الجمع -- فلهذا قامت الحكومات الجمهورية والديموقراطية وبعض الشورية تناضل عن حرية الصحافة والخطابة أمام المحاكم لما فيها من النفع متى حسن استعمالها

ومما لاشك فيه ولا مراء أن الحرية من أجل النعم التي وهبها الخالق لنا ولا يجوز أن تقام في وجهها الحدود الا لباعث وضرورة

فكلما زادت الامة عرفاناً بحقوقها وواجباتها (بالتربية الوطنية) كلما خفت قيودها وقربت من الحرية الصحيحة . فعنوان درجة الامة من التهذيب هو ما تتمتع به من الحرية فقد قال «نومادروز» فقيد سويسره (ان من الدلائل الصادقة أن تقاس درجة الامة في التقدم والارتقاء أو التأخر والانحطاط بمقدار نصيبها من الحرية الذي تتمتع به أبناؤها)

فالامة التي لها الحظ الاوفر من الحرية ، ولها ابناء يحسنون استعماله هي أرقى الجميع بلا خلاف مهما صغر اتساع أراضيها وقلّ عدد سكانها — فان في ذلك قوة ادبية عظيمة تسمو بها فوق الممالك الاخرى وتضمن لها حياة طيبة وسعادة مرضية بل تحميها وتذود عن استقلالها أكثر من قوة المدافع والنيران

وبالجملة — ان الحرية (من حيث هي) استقلال العقل والارادة وانطلاق اللسان من قيد العبودية لأي شيء الا الله سبحانه وتعالى فهي واجبة له تبارك وتعالى لأنه خالق الانسان وواهب له العقل وتنقسم الحرية بالتعريف الاعم الى حرية عمومية وحرية شخصية

فالحرية العمومية تكافؤ الأمة بالحق في مشاركة الحكومة بالرأي وتكافلها على قيام الشرائع والقوانين حتى لا يعبث بها عابث أو تصرف على غير وجهها المقصود تبعاً لأغراض النفوس ، وغلبة

الشهوات عند الحكام، وقد قررتها الشريعة الاسلامية ولها من الأثر العظيم في ترقي الأمم ونشر لواء العمران ما يشاهد عند الحكومات الاوربية المعتدلة الآن — وما بلغ من المسلمين في الصدر الأول مبلغاً من القوة والمدنية والمجد يقف دونه النظر حائراً والإنسان مقراً بفضل شريعة وضعت هذه القاعدة منذ ثلاثة عشر قرناً للمسلمين

ولم يتوصل اليها غيرهم من الامم إلا في هذه القرون الاخيرة بعدما كانت شابت لها نواصي الولدان وانصبغت هامة المغرب بنجيع الانسان

والحرية الشخصية أمن الإنسان على نفسه، وعرضه وماله وتمتعه بسائر حقوقه الشخصية التي تخولها له طبيعة الاجتماع باعتبار كونه عضواً عاملاً فيه

٦٩ — ﴿ الحرية الشرقية والحرية الغربية هل يستويان ؟؟ ﴾

أجل: ان الحرية هي استقلال العقل وانطلاق اللسان من قيود الاستعباد المطلق. ومتى أخذت الحرية من ذلك وسطاً بين طرفي الافراط والتفريط حملت النفوس على الغيرة ونبهت فيها حب العزة والكرامة والنفس الكريمة تأبى الاحجام وتنشأ على الاقدام فتطلب جلائل الأعمال وتنبذ طرق الدنايا وتطرح راحة الاخلاد الى المسكنة والذل ولا يصدر عنها أثر من آثار الحرية إلا مسبوقاً بالروية مقروناً بالفضيلة دالاً على الثبات، لما تأنس فيها من الرزانة الناشئة عن عزة

نفس، إذ من توابع العزة الرزانة والثبات وهما حياة الأمم ومبعث مجد الإنسان، وعكسهما الرعونة والطيش

وهذان الخلقان يلازمان طرف الإفراط في الحرية كما يلازم طرفه الآخر وهو التفريط في الذل والمسكنة — والوسط بينهما هو الرزانة والثبات

أنظر الى بعض الشعوب الأوربية الذين تناهى عندهم الآن الإفراط في الحرية الذي دعا الى التفريط بالفضيلة حتى انطلقت النفوس في ميدان الشرور وانغمست في الرذائل تحت اسم الحرية وأيضاً ما يصدر عنهم من الضوضاء والجلبة عند كل حادث سياسي وكل هذه أمراض وبائية ليس أسرع من تفشي ضررها في ربوع المدنية وفتكه فتكاً ذريعاً في الإنسان — وقد أحس الغربيون بلاء الإفراط بهذه الحرية وما تأتى عنها من المضار التي أقلها انتشار الفوضى والاشتراكية في ربوع المدنية وتهديدها لها بالخراب والتدمير

وأما المفرطون في الحرية فمثالهم مثل الأمم الشرقية التي فقدت مزايا الاستقلال العقلي وسبقت بعصا القهر سوق الأنعام وناهيك به ذلاً قاتلاً للنفوس مميتاً للهمم مفقداً للإقدام شاهده الآن بالعيان - لهذا جاء الإسلام داعماً لأركان الاستبداد ... حرية العقل حملا المؤمنين على عزة النفس الداعية الى الرزانة

والثبات الباعثين على العمل الممهد لسبل المجد والسؤدد— وقد نال المؤمنون من ذلك حظاً لم تنله أمة من الأمم ، حتى بلغوا من العزة مكاناً رفيعاً،وانما انحطوا الآن الى درك الضعة لما علم من أن العزة ملازمة للحرية،وقد فرطوا بها وخضعوا للاستعباد فاتخذوا أولياءهم أرباباً من دون الله ومن يدعُ مع الله إلهاً آخر فحسابه على ربه (ولن تجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً)

وبالجملة - فالحرية حياة الأمم ودعامة التمدين وأساس الرقيّ العقلي في هذا الوجود البشري —وشرطها الاعتدال،وبه جاء الإسلام وبهما عمل المسلمون زماناً قامت لهم به الدول وشيدوا دعائم العمران ونشروا راية العلم وأخذوا بجماع القوّة فهدموا بها بنيان الاستعباد وحطموا صروح الاستبداد فملكوا قلوب البشر واجتمع تحت رايتهم الشعوب على اختلاف عناصرهم وتباين مشاربهم قال عليه الصلاة والسلام (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على اسود إلا بالتقوى)

والعيان أعظم شاهد وبرهان على ان الحرية الشرقية والحرية الغربية لا يستويان (قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور) وحرية الغربيين الآن يفرق فيها بين الشرقي والغربي والمسلم والنصراني بل والبروستانتي والكاثوليكي —والحق فيها للقوة يسحق القويّ بقوته الضعيف، ويستهين بحقوق من عداه - فمثل هذه

الحرية تقابل بالسخرية والنبـذ والاستهجان لأنها استعباد تأباه الانسانية والانسان ولا ينطبق على قانون الحرية في كل عصر وزمان

٧٠ - ﴿ المساواة وأثرها في الحضارة ﴾

إذا كانت الحرية عزيزة على الإنسان فالمساواة لا تقلُّ عنها معزّة، ولكن وجود مساواة كاملة تامة مطلقة في هذا العالم مستحيل إذ أن قوانين الفطرة ونواميس الكون أشد وأقوى من أن تذعن لسلطان ارادتنا ورغباتنا — فليس في قدرتنا ما يجعل افراد البشر في مرتبة واحدة، وليس فينا ما يمنع وجود أناس أشد بأساً من غيرهم وأعظم قوّة أو أحدّ ذكاء، إذ الناس رجلان — رجل عرف كيف يسلك أحسن سبيل في الحياة ويتقن عمله فيه بحرصه على النظام ومحافظته على الاقتصاد — ورجل ضعيف صعب عليه جهاد الحياة والمزاحمة فيها فضلّ عن السعادة « وما كان من المهتدين »

وهذه الإختلافات التي لا محيص عنها الواقعة بين الرجال واقعة بعينها بين الامم . فلا تتمتع جميعها بالنعم الوافرة والخيرات العميمة : اذ منها من تسكن الاقاليم المعتدلة فتنهض للعمل والسعي وراء الرزق فتنال أعظم نصيب من خيرات تتدفق ونعم تتوالى

ومنها من تقطن الاقاليم المثلجة فلا تنعم لها حياة ولا يرغد لها عيش إذ قد تكون أكثر نصباً وتعباً وأكبر بلاء وعناء وأنقص

كسباً ورزقاً وأقل جزاء وأجراً

ومنها من تعيش في البلاد الحارة وليسر عليها إلا أن تتمتع ونعيش — فالحاجات مقضية والارزاق قريبة واسعة

وهكذا فى الاقليم الواحد كلما تباينت الاوضاع اتسع نطاق الخلاف — فالامم الجبلية وأمم الصحاري أكثر قناعة وأعظم بأساً وبطشاً من أهل البلاد المستوية أهل السهول والوديان — وكلها اختلافات اقتضتها ارادته تعالى ليس للإنسان أن يعارضها ولا أن يقف أمامها -- فما دام القطبان مادام خط الإستواء مادام الشمس والظل والحرارة والبرودة مادامت أرض خصبة وأخرى قحلة

فان الاختلافات تبقى بين الرجال والامم كالاختلافات الواقعة بين الحيوان والنبات

وحينئذ فالمساواة الحقة هي التي يتيسر للإنسان الحصول عليها هي الكافلة لحاجات الجميع جهد المستطاع — هي المساواة في الحقوق وتتنوع الى أنواع

منها المساواة أمام القانون « لا فرق بين فقير وغني » بحيث يكون القانون واحداً للجميع. والمتأمل يجد أن الشريعة الاسلامية وضعت لمساواة أساساً في العادات والمعاملات

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى

الأشعري يقول له (سوّ بين الناس، في وجهك، وعدلك، ومجلسك حتى لا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يطمع شريف في حيفك) ولكن من ألقى نظره للعهد القريب لا يجد أثر آلها في بلادنا

فقد عرف عندنا المماليك مرة: و"شراكسة أخرى كان الحاكم منهم أمة بتمامها. وكانت الأبناء منهم تتولى أمور الناس وراثة عن الآباء، فلم يحتاجوا لأن يبرهنوا على كفاءتهم وسعة معارفهم حيث ميزهم القانون ورفعهم فلا تمسهم نوائب الحدثان ولا طوارئ الأزمان

ولا شك أن كل هذه المؤلمات المبكيات مما يناقض العدالة وينافي المساواة — ولذا وجب على كل ذي شعور حيّ أن يعمل لإزالة هذه الفروق والامتيازات ومحو هاته الدرجات

ومنها المساواة في التعليم فبعد أن تمنح الأمة أبناءها المساواة في الحقوق يجب عليها أن تبعث «١» روحاً تعدد لديهم المطالب وتزيد آمالهم اتساعاً «٢» روحاً تمكنهم من الوصول الى مساواة أرقى «٣» روحاً تمحو كل امتياز اجتماعي غير عدل وتلك الروح هي (التربية) فالفقير يحسن مستقبله بها كما يسوء حال الغنى اذا عدل عنها

ولكن المساواة المطلقة في التربية متعذرة حيث تتفاوت المدة التي يخصصها كل فريق للتعليم — انما تكون المساواة في العلوم والمعارف الضرورية التي يلزم كل وطني الالمام بها

ومنها المساواة في العمل وهي جعل كافة الوظائف مفتوحة للعموم — فلا احتكار ولا التزام، فالغني والفقير سواء في حرية العمل اللهم الا حدوداً مفروضة حرصاً على الآداب أو الامن العام وأما وظائف الحكومة فلا تعطى الا لكل ذي أهلية واستحقاق

ومنها المساواة السياسية وهي تخويل الحق لكل فرد أن يعطي رأيه في تدبير الحكومة ويرفع صوته في حل المسائل العامة فالصوت العام وان كان له عيوب وأوجه نقص إنما هو أفضل نموذج وأحسن أسلوب تهتدي به الحكومات لسلوك أحسن سبيل في السعادة . فالمستقبل في الحكومات له وحده

ومنها المساواة في الواجبات — فكل وطني عليه واجبات نحو عائلته ووطنه . عليه لذويه الغذاء والنفقة والتربية والتعليم ولا يمكن اعفاء أحد من هذه التكاليف التي تكلفنا بها الطبيعة وتدفعنا اليها الغريزة — وعلى الانسان لوطنه تكاليف

ومنها خدمة العسكرية ودفع الضرائب فكلٌّ مطالب بهذا الواجب حسب قوته وثروته

ويجب أن يكون القانون عادلاً في هذه المسائل نافذاً على كافة الأهالي ، إنما يختلف باختلاف أحوال الرعية فمن كان أوسع إيراداً دفع مبلغاً من الضرائب ، ومن كان ضعيفاً أعفي من الخدمة

العسكرية – ولـكن متى اتحدت أحوال الناس وظروف معاشهم تساوى الجميع أمام القانون

٧١ – ﴿ الإخاء ضروري للبشر ﴾

ان الناس اخوة تتقاسم الأحزان، فتتعاون عند كل ملمة ويغرس في القلوب، من حسن الشعور، وشريف العواطف ما يوجه الافئدة لمساواة الاخوان ومحاسنتهم . ويبيّن ان الدقة في المعاملة وعدم التساهل والضبط في الحقوق وعدم التسامح يؤديان الى حبّ الذات مع أن كمال الانسان في كرم النفس وطهارة الروح

هذه المؤاخاة دعت الغني لبذل المال تخفيفاً لآلام الفقير وبعثت القوي لمساعدة الضعيف، والسليم لعيادة المريض وتقوية آماله ولهذا رأينا الأفراد تتعاون على اقامة دور لبرّ وأماكن الخير (ملاجيء) للفقراء ومستشفيات المرضى، وبيوت لتربية الأطفال ومآوى للمجانين وغيرها – واستمرّت هذه الأعمال الخيرية عدّة قرون – ولا نصير لها غير أيدي المحسنين

ولم تتنبه الحـكومات لهذه المسائل الا في العهد الأخير (ماعدا الحـكومات الاسلامية فـكان بيت مال المسلمين فيها منشأ لهذا الغرض) فقد اعترفت «بأن عليها واجبات للفرد وله عندها حقوق» فعلى الحـكومة التي ترعى حقوق بنيها وتسعى وراء سعادتهم أن

تقبل من يعثر منهم، وتواسيه، وتشارك المصاب وتؤازره، وتأخذ يد الضعيف. وتخفف عنهم ويلات الزمان ونوائب الحدثان بجميل الشفقة والرحمة بطريق الاعتدال

والذي يستحق المعونة — اما صغير تحفظ ثروته، أو كبير متلف لماله، أو فقير أو عجوز أو مريض أو عامل ضعيف

فالصغير — للحكومة الحق في معاقبة أبيه اذا أساء اليه بحرمانه من الحقوق العائلية. ولها أن تنصب القوام والاوصياء لحفظ أموال الصغير القاصر أو الكبير المبذر السفيه او المعتوه

ومساعدة الفقير بأن تفي الحكومة بنفقته، متى تحقق لديها عجزه عن أي عمل يؤديه، وإلا اذا أعانت كل فقير تكاسل الناس وانصرفوا عن أعمالهم الى « تكاياها » حتى تنفق عليهم وأولادهم — وهذا مما يثبط همم العاملين المقتصدين، ويخمد عزائمهم، حيث تثقل الحكومة عليهم الضرائب ليتيسر لها الانفاق على هؤلاء الفقراء وبهذا يحرم العاملون من ثمرة تعبهم فينال العقاب من استحق الثواب

وعلى الحكومة مساعدة الطفل الذي نبذه أبواه في الطرق بغير ذنب اقترفه — وعليها أيضا أن تقيم المستشفيات العامة للمرضى والملاجىء للاطفال والمآوى للعجائز الذين أقعدهم الكبر وعائلات الجنود الذين استشهدوا في ميادين الحروب، وأن تعتني

بإيواء المجانين ومراقبتهم وحمايتهم

والعامل الضعيف نصرته محتمة على الحكومة التي هي وصية الضعفاء بحيث تتخذ الاحتياطات اللازمة والتدبيرات الضرورية لمنع وقوع الحوادث في المناجم والمعامل وغيرها كالانفجار والحرائق والتهدم — فتلزم «المدير» بما يتلف صحة العملة أو يفقد أحدهم الحياة وتحديد ساعات العمل وتعيينها رفقاً بهم ورحمة

وبالجملة ان التسامح والاعتدال يحسمان كثيراً من المنازعات ويفضان أبواباً من المشاكل في الامة، وهما يستلزمان الشعور باحترام حقوق الغير وآرائهم ومعتقداتهم الدينية والسياسية، وان من أنفس المبادىء الأدبية التي تحث عليها الاديان وترفع صوتها من أجلها الحكماء هي « حب لأخيك ما تحب لنفسك » و « عامله بما تحب ان يعاملك به »

٧٢ — الإجتماع ضروري لنوع الإنسان فما يلزم لصلاح هذا الإجتماع

ان الإنسان لا قدرة له على استيفاء حاجاته الضرورية بمفرده ولا استطاعة له على تكميل لوازمه الذاتية بنفسه بل لابد له من معاونة ومساعدة قوم كثيري العدد يتمم بهم ما ينقصه، ويكمل ما يحتاج اليه في حياته

فالمعاشرة لازمة بحكم الضرورة فما خلق الإنسان ليعيش وحيداً

لأنه بطبعه يملّ اذا لم يجد بجانبه أنيساً يحادثه — ولذلك سُمي (إنساناً) أو جليساً يبث اليه شكواه أو صديقاً يواسيه ويسلّيه

فلا صديق اليه مشتكى حَزني ولا أنيس اليه منتهى جزلي

وقد قال بعض حكماء الافرنج (ماذا تعمل النفس الوحيدة حتى في الجنة) وذلك مصداق لقول شاعرنا العربي أبي العلاء المعري

ولو أني حُبيت الخلد فرداً لما أحببت في الخُلد انفرادا

فالإنسان للإنسان كاليد تتوسل باليد، والعين تستعين بالعين بل هو ساعده وعضده ؛ وان الذليل الذي ليست له عضد)

قال ابن مسكويه إذا كان الإنسان محتاجاً الى غيره بالطبع فكيف يؤثر الإنسان العاقل العارف بنفسه التفرد والتخلي ولا يتعاطى ما يرى من الفضيلة في غيره ، وقد خطأ الذين رأوا أن الفضيلة في الزهد وترك مخالطة الناس بملازمة المغارات في الجبال وبناء الصوامع في المفاوز فقال انه لا تظهر فيه العفة ولا النجدة ولا السخاء إذ القوى تصير باطلة فلا تتوجه لا إلى خير ولا إلى شر وإذن يصيرون بمنزلة الجمادات والموتى من الناس ولذلك هم يظنون أنهم أعفاء وليسوا بأعفاء وأنهم عدول وليسوا بعدول فانما الفضائل أفعال وأعمال تظهر عند مشاركة الناس ومبادلتهم صنوف المعاملات وضروب الاجتماعات

وبديهي ان في الإنفراد إخلالاً للنظام وتحليلاً للمجتمع

وتقويضاً لدعائمه، فانما المجتمع كجسم انسان: كل فرد منه بمنزلة عضو من أعضاء البدن ، وقوام البدن بتمام أعضائه

فاذاً الاجتماع ضروري وعن الاجتماع تنشأ المعاملات ويضطر الناس للأخذ والعطاء وتبادل المنافع — ولذلك كان للتكافل اركان هي الألفة بين الناس — والعدالة فيما بينهم

أما الألفة فوجدلوازمها أنها اذا تمت نشأ عنها التعاضد والتوازر والتضافر والتظافر والتناصر والتآلب والائتلاف والاتحاد وصار التعامل بينهم على أحسن نهج وأقوم منوال فانه لا تعامل إلا بين متآلفين، واذا تآلفوا وتحابوا اتفقت مشاربهم واتحدت أغراضهم وابتعد عنهم النفاق وانعدم الخلاف الذي هو أصل كل بلاء وآس كل شقاء. وبذلك تنشأ الثقة بينهم ويحصل الأمن في تبادل المنافع فيقوون على نيل الخيرات وينهضون لاستخراج الغوامض وابراز المخترعات، وتستسلم لهم الصعاب وتدين لهم المطالب على اختلاف أنواعها طوعاً أو كرهاً فان ما هو عزيز المنال صعب المرام بالتعاون والمساعدة والتناصر يصبح ميسوراً — قال سقراط الحكيم اليوناني (اني لأكثر التعجب ممن يعلم أولاده أخبار الملوك ووقائع بعضهم ببعض وذكر الحروب والضغائن ومن انتقم أو وثب على صاحبه ولا يخطر ببالهم أمر المودة والألفة وما يحصل من الخيرات العامة

بجميع الناس بالمحبة والأمن وأنه لا يستطيع أحد من الناس أن يعيش بغير المودة وإن مالت اليه الدنيا بجميع رغائبها فان ظن أحد أن أمر المودّة صغير فالصغير من ظن ذلك — وإن قدّر أنه موجود ويسير الخطب يدرك بالهوينا فما أصعبه وما أعسر وجود صداقة يوثق بها عند البلوى)

وأما العدالة فلأنها حياة المجتمع وروح العمران فاذا انعدمت من أمة أسرع اليها الفناء وحلّ بها الدمار حتماً ، فتتقهقر وتتلاشى شيئاً فشيئاً حتى تصبح أثراً بعد عين — ألا ترى انه اذا ساد العدل استتبّ الأمن العام وتوطّدت أركانه، واذا ما استتب الأمن العام اطمأنت النفوس وهدأت القلوب وارتاحت الخواطر فأمن كل فرد على نفسه وماله وعرضه — ألا ترى أنه اذا انتشر العدل أمن الضعيف جور القويّ والصغير حيف الكبير وعاشوا اخواناً ،وحينئذ تحيي الآمال وتقوى العزائم وتنهض الافكار وتنشر الهمم ويكثر العمران

وينقسم التكافل الى تكافل عائلي — وتكافل اجتماعي

فالتكافل العائلي هو مشاركة ذوي القرابة في الخيرات ومعاونتهم في السراء والضراء، وتضافرهم في تدبير أمورهم المعيشية ولوازم حياتهم فيقوم الرجل بتحصيل الغذاء وتقوم المرأة بتدبير المنزل، ثم يتعاونان الاثنان على تربية أولادهما وتثقيف عقولهم — وأيضاً يجب على كل

من كان قادراً على الكسب أن يساعد غير القادر عليه من ذوي لحمته — فعلى الإبن مساعدة أبيه الذي أوهنته الكبر والشيب أهرمه أو الذي منعته عاهة وأقعده داء عضال كالزمن والمقعد والمفلوج وغيره كما انه يجب على كل فرد مساعدة أقربائه البائسين منهم والفقراء والمعوزين قال تعالى (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض) وقال عليه الصلاة والسلام (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم)

والتكافل الاجتماعي أعم من الأول وهو قيام كل شخص بوظيفة وتأدية كل عمل من الأعمال الدنيوية — يستوي في ذلك الكبير والصغير والأمير والحقير والغني والفقير ، فالملك يسوس البلاد بعدله والوزير يدبر شؤون المملكة بحزمه والمشرّع يسن القوانين واللوائح .والمهندس ينظم . والطبيب يعالج العليل . والفلاح يفلح الأرض . وهكذا من أحقر عامل لأكبر مخلوق تكون بينهما الحركة دائمة متواصلة والعمل مستمراً ، ولا يخطر ببال أحد أن هناك عملاً حقيراً وآخر عظيماً ؛ فكل ما يؤدي إلى المجتمع فهو نافع لأعضائه، والكبير يترتب على الصغير— اذ المجتمع كجسم إنسان لا يقوم إلا إذا قام كل عضو بوظيفة خاصة به فالعامل البسيط قد يرشد أمته إلى طريقة جديدة لإتقان أي عمل حقير صغير لا يقل في السعادة المنفعة عن اختراع رجل أتى بما جعل

شهرته تطبق الآفاق لأن كليهما قد أفاد بني نوعه — فسعداً لمن كانو مفيدين لبني نوعهم ، فقد أدوا وظيفتهم في الوجود ، فماتوا مرتاحي الضمير ، مطمئني الخاطر ، مكتسبين ثناء الجميع وعرفانهم بفضلهم — وسحقاً للمتقاعد الذي يعيش عالة على غيره ، وما أكفره بالنعم لا يقاسم ابن جلدته الأتعاب ولا يشاركهم في الأعمال ، بل يكون كما قال الإمام عليّ (كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد منها)

وبالجملة — اذا أراد الله بأمة خيراً ، ووفقهم إلى أعمالهم ، وتم فيهم التكافل تمت لهم بذلك السعادة وارتقوا الى أسمى ذُرا الكمال وبلغوا شأواً لم يبلغه غيرهم في كل آن ، أما إذا اتكل كلٌّ على غيره وانتظر كل شيء من غيره ولم يعمل لغيره ما استطاع ، انحطت مكانتهم وذهبت ريحهم ورموا بأنفسهم إلى الهلاك — فاذاً الأمة تابع في رقيها وانحطاطها مقدار ما تهذبه اليه نفوس أفرادها المكونين لها

٧٣ - ﴿ الاستقلال — وأثره في نفوس الأمم والشعوب ﴾

الاستقلال كلمة غالية ، ولفظة عالية ، تهتز لها القلوب فرحاً وسروراً ، وتميل اليها الأعضاء شفقة وانعطافاً ، وتطأطيء لها الرؤوس خضوعاً وخشوعاً ، وتتقبلها الأفواه لثماً وتقبيلاً

فسعادة الأمة متعلقة بعيشها في بلادها على الوجه الذي تريد

وتختار ، فلا تقهر على الخضوع لقوانين أجنبيـة أو على التخلق بعوائد غير وطنية

والأمة المستقلة هي صاحبة السيادة التامة في بلادها ، وهي التي تتصرف بحرية في تدبير شؤونها وسن قوانينها بل هي بيدها حظوظها وبيدها مستقبلها — فلا يسوغ لأجنبي التداخل في شؤون الأمة المستقلة بحال من الأحوال مهما قلّ عدد السكان فيها أو صغرت مساحة أراضيها — فالأصل اذاً في الأمور أن كل أمة تستقل في شؤونها استقلالاً داخلياً — يشعر العامي في نفسه بذلك فيقول (كل واحد أمير في محله) ولكن من الحزن المؤلم أن نرى كثيراً من الأمم غير مستقل بأموره. تلك أمم مرت بها ظروف ومنت بها حوادث وأسباب أوقعتها في يد الأجنبي وتحت نيره وحملتها سوء استبداده

ومعلوم أن الأمم التي نراها اليوم في هذا العالم تكن على الدوام بالحالة التي هي عليها الآن : فمنها ما اتسع نطاقها، ومنها ما ضاقت أملاكها . ومنهـا ما تلاشى وانتهى أمره فانقطع شأنه في التاريخ وبتتبع تلك التغيرات نرى الأمة تعمر وتتقدم ما دامت وطيـدة الدعائم ... داء فيها الشعور متحداً والمبدأ واحداً — وأن الأمة التي تنقرض وتتلاشى هي المتفرقة أفرادها الفاسدة آدابها ... وأن تكون

الأمم الحالية لم يكن على نسق واحد وعلى وتيرة واحدة، حيث أن بعضها حسن خلقه فكتبت له السعادة، وبعضها بُني على غير أساس متين فكتبت عليه الشقاوة والتعاسة. وإن أشد هذه الأمم عصبية وأطولهم دولة وأعزهم سلطاناً هي التي لا يقتصر في توطيد دعائمها على مصالح الأفراد العامة بل على المشاعر والخواطر الواحدة فإن الروابط القلبية العقلية أمتن وأبعد انفصاماً من الروابط المادية إذ يتجه بها حظ الأمة نحو السعادة نحو البأس والمنفعة والشوكة

وقصارى القول — أن العالم في تغير وتحول متواصل، في تقلب وتبدل مستمر، فإن الأمة تبدو صغيرة وتنشط عزائمها للعمل وتتحد مطالبها فيزداد بأسها وتعظم شوكتها وتصبح أمة عظيمة معززة الجانب، ثم لا تلبث أن يدخلها الغرور ويملأها العجب فتهمل شؤونها ويطأ قدمها باب التنعم والرفاهية فتحيط بها طامات تكون بلاء وعناء، لا تسلم من مرضه بل ربما قضي عليها، تلك سُنّة الله في الأرض يسميها الحكماء « قانون التاريخ » فما يحصل من التغيرات في قرن واحد ليس بالقليل — فليتيقظ من يقول (كما مر اليوم يمر الغد — غدي كأمسي) وليتعظ بأن هناك تغيراً يقوم بالأمة في يوم كشروق الشمس وغروبها . وأن قد تكون المدنية الواحدة سبباً لسعادة الحياة أو علة لشقائها

وبالجملة — انه لا يسوغ لأمة أن تتصرّف في أمة أخرى بما يخالف اختيارها وإرادتها ، فالسيادة الداخليـة للأمة محترمة لا يجوز التعدي عليها — اللهم إلاّ إذا سارت الأمة في طريق ممقوتة طريق تجعلها أبداً مهددة لراحة الأمم واطمئنانها، فحينئذ يسوغ التداخل في شؤونها فيجوز اخضاع قبيلة وحشية تعيث فساداً في أرض جيرانها من قتل وحرب وسَبي ونهب — وكذا اذا اعتادت أمة السلب في البحار فللجميع الحق في ردعها لأنها تهـدّد البحر طريقهم العام — الى غير ذلك مما يخلّ بالآداب واستتباب الأمن العام

٧٤ — ﴿ ومعظم النار من مستصغر الشرر ﴾

تلزم العناية بصغير الأشياء قبل عظيمها وقبل أن يتّسع الخرق على الراقع ويتسرّب الإهمال فيصبح الشيء الصغير كبيراً يحتاج إلى عناية ومجهود لاخمـاده وإزالة ضرره . ورب حادثة صغيرة أثارت حرباً عواناً حمي وطيسها ، واشتد خطبها ، وزاد لهيبهـا ، وطالت أيامها ، واستحصدت فيها الرؤوس ، وقصّرت الآجال ، وأهلكت الحرث والنسل وكان يمكن تدارك إطفائها وإخماد نارها بكلمة طيبة أو إجابة سؤال بالتي هي أحسن

والأمة إذا أهملت صغار أمورها ، تولد من ذلك كبارها ، واضمحلت وسار الفساد في بنيها ، وخفت كلمتها ، وانحطت شوكتها .

وطمع فيها أعداؤها . فالزارع اذا أهمل في سقيا أرضه ، أعوزته الحاجة، وحصد محصولاً قليلاً جزاء تقصيره . والموظف اذا ترك عملاً ضئيلاً ولم ينجزه في وقته، تمر عليه الأيام فتترا كم أعماله ويقع تحت مسئولية التأخير وربما عجز عن تأديتها لكثرتها. وكذا المريض إذا أهمل في إبان سقمه ولم يعالج زاد ألمه وربما استعصى علاجه وبَعُد برؤه لأن الدواء يكون نفعه قريباً قبل استفحال الداء

٧٥ — ﴿ الرياء وآثار ضرره في النفوس الكريمة ﴾

الرياء خصلة ذميمة تدعو إلى النفاق وسوء الأخلاق ورداءة التمويه والخداع — والمرائي الذي يخادع الناس ويداهنهم هو حقير عندهم رذل، سيء المعاملة كثير الخطأ كاذب القول لا يوثق به قبيح الفعل

ثوب الرياء يشف عما تحته فاذا التحفتَ به فانك عارِ

وكثير التملق وعابد الوثن مثلان في القبح والضلال وإساءة الأعمال . فاذا كان عابد الوثن يشرك بالله ويعبد من دونه عزوجل ما لا ينفعه ولا يضره كذلك الملاق المنافق يتخذ من الناس إلهاً يظهر له المحبة والنفاق مهما كلفه ذلك من إضاعة الأدب وفساد الأخلاق ، سوء التربية والوشاية والغيبة والنميمة والأذى

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

قال الأحنف (لأن أبتلي بأنف جموح جموح أحب الي من

أبتلي بمتلوّن واحد) ذلك لانه على باطل، ومنطو على الاذى، والحق أبلج (يترددون دون أن ينفذ) فينكشف عن ود كاذب، وباطن فاسد، وضمير سوء، فهو صديق عين، وعدو غيب

والنفوس العالية التي تربت تربية حسنة تتنزه عن الرياء وتترفع عن الملق والمداجاة قال صلى الله عليه وسلم (ان شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) وقال تعالى في ذم صاحب الرياء (هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم)

٧٦ — ﴿أثر المحاباة والرشوة في المجتمع الانساني﴾

المحاباة خصلة ذميمة وسوس ينخر في عظام العمل واتمامه على الوجه الاكمل. والمحاباة ربما تقدم الجاهل على العالم والعاجز على القادر والكفء المستحق. والمحابي ضار لبلاده خائن لوطنه لأنه يفضل قريبه أو صاحبه، أو من يقدم له رشوة على الاكفاء العاملين ويزف اليهم المناصب العالية والرتب السامية ولا يخشى رقيبا أو عقابا حبا في الذهب والفضة وميلاً الى اكتساب مودة الأقربين وان اختل النظام واعتل العمل وتأخر الوطن. والمحاباة تجلب البغضاء والشقاق في نفوس أبناء الأمة وتبعث على الجبن والكسل إذ يجد العامل المتقن والمجتهد المتفنن محاباة تؤخره وتضعه وتقدم من دونه في العلم والذكاء. والمحاباة تجلب سوء العاقبة وتفسد النظام والقوانين. وهي

من أخلاق السفلة الذين لايخافون الله ورسله ولا يتقونه فى أبناء الامة المجدين الذين يعملون عملاً صالحاً متقناً بمهارتهم وثاقب فكرهم وعلو مداركهم وهي تجر الى الظلم وتدعو الى الخيانة والمذمة وخلف الوعد والذل والإستكانة وتبعد الرئيس عن مرؤوسيه وتحلق الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق

٧٧ — ﴿ الوقت نقد ﴾

حكمة جليلة ترشدنا الى أن الوقت ثمين وغال يجب أن نحافظ عليه فلا يضيع في اللهو واللعب بل في الجد والعمل وطلب العلا ودرك المراد ونيل المطالب فالعاقل اللبيب من ينفق عمره فى الصالحات الطيبات والعمل الخالد الذي يكسبه الذكر الحسن والصيت الشريف واذا أسند اليه عمل قام به خير قيام وأتقنه وأدى واجبه ولم يهمل فيه ولا يؤخره لتحبه رؤساؤه وتحترمه أصدقاؤه

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

لعمري ان الوقت نفيس، وأنفس منه أن توجد فيه أعمال الخير وتكتسب العلوم والمعارف وتحصل الإفادة والإستفادة وتنتشر التجارة تربح ربحاً وافراً وترقى الصناعة وتؤلف المؤلفات وتخترع المخترعات، وتنجز الأعمال ويتسابق العاملون في ميدان الفخر والعز والمجد — والمحافظة على الوقت من صفات الصداقة والامانة والوفاء

بالوعد وقوة الإرادة والعزيمة والحزم، لان المهمل ضعيف النكاية وقليل العزم يضر نفسه وغيره باهماله وكسله، ويذهب وقته بلا فائدة وتسحط منزلته عند رؤسائه وتكرهه أتباعه وتعده الناس مختالاً جباناً خبيث النفس كسلان. وعيشه نكد لا رغد، فتراه دائماً في شقاء وبؤس — أما من يحافظ على وقته فنشيط وسعيد وفرح وعيشته راضية

١٠٧ — ﴿ مقارنة بين أيام السلم والحرب ﴾

أيام السلم رخاء وسعادة، ويمن ويسر، وعمل وكدّ، واختراع وجد، وتجارة وصناعة وزراعة، ويذهب العامل الى مقر وظيفته ومعهده وحانوته قرير العين منشرح الصدر ساعياً على معاشه وتحسين حاله وجلب قوته وأداء واجبه. وأما أيام الحرب فشقاء وبؤس وعناء ودماء مسفوكة وأموال ضائعة وأعمال معطلة وثمرات قليلة وتجارة كاسدة، وصناعة واقفة وفاسدة. وتدمير وتخريب، وضنك وفقر ونيران تتأجج. ومدافع تدك الحصون، وطيارات ترمي شظايا النار ورصاصات تخترق الصدور، وسوائل محرقة وقذائف مخربة وغواصات ونسافات وطرادات وحراقات وبارجات فالحرب توقع العالم في عسر وضيق وتسبب التعذيب والتنكيل والأسر — لم يسلم من ضررها أحد وتجلب غلاء الحاجيات، وتزيد سعرها اضعافاً مضاعفة، وتصرف الناس عن أعمالهم الخيرية الى قتال بعضهم وتدمير بيوتهم وحرق

مصانعهم الى غير ذلك من المصائب — وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تتمنو لقاء العدو وسلوا الله العافية »

٧١ — ﴿ من لم ينظر في العواقب فليس الدهر له بصاحب ﴾

الحازم من نظر في العواقب وتأنى في عمله وفعل بروية وتؤدة وفكر في خواتيم اعماله وعرف المورد والمصدر وعجم عيدان العمل قبل الاقدام عليه والدخول فيه ليأمن المكروه ويضمن النجاة ويقرب من الرشاد وينطق بالحكمة والحق

وأحزم الناس من لو مات من ظمأ لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

ويقولون «من تأنى نال ما تمنى» لان الاناة من صفات الكمال وضرب من ضروب رجاحة العقل وحسن التدبير وعلو الآداب وسمو التربية . والقائد الحازم المدبر من يفكر في امره قبل اقتحامه ويعرف عواقبه قبل اجتيازه ويلتمس طريق النجاة قبل النزال ومقارعة الابطال ، والأمم الراقية دأبها التأني في أعمالها ليعز شأنها ويعظم سلطانها وتقوى حكومتها وتعيش آمنة سالمة من أذى جيرانها سديدة الرأي — والامة الطائشة يغلط لسانها ويزل جنانها فلا تحكم الرأي فتنتابها الحوادث ويطمع فيها العدو ، والقائد العجل يقتحم غمار الحروب بلا تفكير وتؤدة ، ولا يفكر في عواقب إقدامه ولا يعلم مكامن عدوه وعدته وحصونه فيهزمه عدوه ويصبح

احمق مخذولاً مدحوراً مهما كانت قوته

٨٠ — ﴿ النظام والترتيب يتوقف عليهما العمران ﴾

من أراد أن يكون عمله متقناً فليكن النظام رائده، لأنه يدل على كمال العقل، وترتيب الفكر، وحسن الرأي، وجودة العمل. ووراءه الخير واليمن والسعادة، وبه تنجز الأعمال. وهو يكون في العمل وأما كل المشرب والملابس والمنازل والمصانع والمعاهد. فمن ينظم ملابسه يحترمه رؤساءه وترضى عنه اصدقائه، ويكون موسوماً بحسن الخلال وكرم الفعال ومن نظم اكله سلم من جميع الامراض. وبعد عن العلل. ألا ترى أن النفس ترتاح للبيت المنظم أثاثه، وتتقدم المعاهد التي يرفرف عليها شارات النظام وحسن الترتيب. وتروج التجارة وتنتشر الصناعة في الحانوت المنظم وكل موظف يرتب أعماله ويحسن أفعاله ويجيد ما أسند اليه ويقوم به خير قيام يسعد ويرتقي وأحبه الناس وبلغ منزلة عالية. فالنظام دلائل حسية على بلوغ الكمال لمن تحلى به. ومن سار بغير نظام هوى كوكبه وأفل نجم عمله وانحط قدره وضاع زمانه بلا ثمرة تجنى وظل عرضة للهزء والسخرية وباء بالخيبة، وتحوطه المخاوف وتساوره الهموم، لان فكره معتل وفعله مختل

فالنظام جميل وأجمل منه أن ترى آثاره بادية تتجلى لك ظاهرة بترتيب أنيق رشيق يبسط النفس ويجلب الانس

٨١ — ﴿ وصف الكتاب ﴾

الكتاب نعم الأنيس في الوحدة ، والرفيق في الخلوة ، يمتعك بجميل مواعظه . ويهديك بجليل فوائده ، ويرشدك الى طريق الخير ومسالك البر ، ويبين لك الضار من النافع . ويشرح لك أحاديث السالفين ، وقصص الأولين ، تستعيد به العصور الماضية ، والأيام الخالية ، وتبعث به رفات الماضين ، وأجساد الغابرين ، فتجعل منهم رجالاً يخطبون ويعظون ، ومرشدين ينطقون بلآلىء الحكم ، وبديع الكلم ، كأنما أنت بجانبهم تسمع وترى

ما تطعمتُ لذة العيش حتى   سرت في وحدتي لكُتبي جليسا

ادخل مكتبك تر أصدقاء قد تباينت أعمارهم ، وتقادم عهدهم وتبلبلت ألسنتهم ، العربيّ منهم الى جانب العجمي ، والرومي بجوار الهندي ، إن دعوتهم أجابوك ، وإن أقصيتهم لم يعادوك ، تخاطب من تشاء فلا يأبى عليك حديثك ، ولا تأخذه العزة في مخاطبتك لا يُخفِي عنك آراءه الثاقبة ، وأفكاره السامية ، ثم انت لا تتكلف لهؤلاء الاصدقاء إلاّ حجرة يأوون اليها ، أو قمطراً يستترون به ، فهم في ضيافتك الى ما تشاء ، ترجع اليهم فيما ينوبك ، وتسترشد بهم في خطوبك

اجعل أنيسك دفتراً في نشره   للميْت من حِكَم العلوم نشور

فكتابُ علمٍ للأديبِ مؤانسٌ ... ومؤدِّبٌ ومبشِّرٌ ونذيرُ
ومعيدُ آدابٍ ومؤنسُ وحشةٍ ... واذا انفردتَ فصاحبٌ وسميرُ

وصفوة القول ان الكتاب معلم ماهر ، وطبيب بارع ، وصديق ناصح ، لا يريد منك جزاء ، ولا يكلفك شكراً ، مع غزير مادته وبالغ حكمته ، وناجع نصيحته

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سرجُ سابحٍ ... وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ

فتخيَّر الكتاب كما تتخير الصديق ، فهو قوام أدبك ، وعماد فضلك ، وملاك أمرك

في طيه غرر الآداب قد نقشت ... وفي صحائفه للكون أسرار
أوفى من الناس عهداً في صحابته ... نعم الرفيق على الأيام والجار

ولي جلساءُ ما أملُّ حديثهم ... ألبّاءُ مأمونون غيباً ومشهدا
اذا ما اجتمعنا كان حسنُ حديثهم ... معيناً على دفعِ الهمومِ مؤيدا
يفيدونني من علمهم علمَ ما مضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا
فلا رِقبةً أخشى ولا سوءَ عشرةٍ ... ولا أتقي منهم لساناً ولا يدا
فان قلتُ أحياءٌ فلستُ بكاذبٍ ... وإن قلتُ أمواتٌ فلستُ مفندا

٨٢ — : ماهي الصفات التي تحب أن يتصف بها صديقك ؟

الإنسان في حاجة الى أصدقاء يعينونه في شدته ، ويشاطرونه السرور في رخائه . وكلما ازداد عدد أصدقائه أحس بسعادة في الحياة

وراحة في النفس

عاشر أخا ثقة تحظى بصحبته　　فالطبع مكتسب من كل مصحوب

كالريح عاصفة مما تمرّ به　　نتناً من النتن وطيباناً من الطيب

فالأصدقاء هم الأعوان في النائبات والعدّة في الملمّات، وأولى الناس بالغِبْطَة من عمّر رَبْعَه بإخوان الصفاء، وخلان الوفاء

وليس كل الناس ممن توفرت فيهم الفضائل، وتمكنت في نفوسهم المروءة. فلا بد لمن يتخير منهم الاصدقاء، أن ينقُدَهم نقد الدراهم، ويَبْلُوَهم في الشدائد، فانها مِسبار الرجال، وأن يميز بين وضيعهم وشريفهم، فمن عُرِف بين الناس بالمروءة والوفاء، والشرف وصدق العهد. وكرم النجار، فهو الجدير بأن يتخذ صديقاً ويصطفي خليلاً

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم　　ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

أما من يعرف صاحبه في الرخاء، وينكره في الشدائد، فذاك الذي يخدع الناس بظاهر خلاَّب، ولسان عذب، ولكنه يخفي وراء ظاهره باطناً مظلماً، وضميراً خرِباً، لا تستقر في جوانبه مودّة، ولا تطمئن الى البقاء فيه صداقة. ولقد احسن القائل

جزى الله الشدائد كل خير　　عرفت بها عدوي من صديقي

ان الصديق الحق، والأخ الوفي، هو من يواسي في

الشدة وينفع في الملمات ، ويُسرُّ لسرور صديقه ، ويحزن لحزنه ، وهو كما قال الشاعر

ان أخاك الحق من كان معكْ ومن يضر نفسَه لينفعكْ
ومن اذا ريبُ الزمان صَدعك شَتتَ شملَ نفسه ليجمعك

٨٣ — ﴿ سِرُّك أسيرك ﴾

السر هو الخبر الذي تستودعه عند صاحبك، وتدخره عند صديقك ، فأحْرِ به أن يحلّه من نفسه مكاناً حصيناً ؛ وأن يحتفظ به ، فلا تحدثه نفسه يوماً مّا بإذاعته ، ليكون حفيظاً أميناً .

ان افشاء السر خيانة كبرى ، وجريمة لا تغتفر ، فانه قد يكون سبباً في وقوع مُودِعه في المخاطر، ومهاوي الشقاء، وتكون أنت الذي جنيت عليه بخيانتك ؛ وإذاعتك اسره ، بعد أن لجأ اليك ؛ وجعل سره بين يديك ، ووكل امره الى اخلاصك المعهود.

أتحب أن تُناجي غيرك بما في نفسك ؛ وتطلعه على نواياك وتستودعه خباياك ، فلا يلبث أن يبدد أسرارك ، ويذيع أخبارك وينشر أفكارك . فلا تجد مَحيصاً من الوقوع في المهالك والشقاء وركوب الصعاب

كلا . ثم كلا . فكيف بك تكون منزلتك منزلة اللص بل أسوأ حالاً منه فانه يختلس المال ، وأنت تختلس أسرار الرجال

فكن لأخوانك كما قال الشاعر العربي

يظلّون شتى في البلاد وسرّهم   إلى صخرة أعيا الرجالَ انصداعها

٨٤ — ﴿ الفقير الصابر والغنيّ الشاكر ﴾

الفقر سجن النفوس الكريمة ، ومُثبِّط الهمم العالية . وهو مجلبة الذل، وقرين السهم، وموت الحي ، وادوأ الادواء، يترك العزيز ذليلاً ، والصحيح سقيماً ، ويجعل الحياة الدنيا سلسلة شقاء ، وقرارة أكدار . ولقد كاد الفقر أن يكون كفراً

الفقر أثقل أحمال الحياة ، وأمر أوصابها ، وأشق خطوبها قد إبتُلي به قوم فوهنَت بحمله عزائمهم ، وضعفت عن الصبر عليه نفوسهم ، فراحو الى الشكوى ، ولبثوا ثياب الذلة والمسكنه وأراقوا ماء وجوههم في الاستجداء والسؤال ، وتعرضوا لذوي المعروف يبسطون أيديهم في ضعة ، ويطلقون السنتهم في مسكنة . وهؤلاء قد جمعوا الى ذل الفقر مهانة الاستجداء

وإبتلي به آخرون، فاعتصموا بالصبر ، وتمسكوا بعروة العفاف الذي هو زينة الفقر ، ولبسوا ثوب التجمّل ، وعلموا ان الحياة وان طالت الى نفاد ، فبسطوا الى الله وحده يد الضراعة ، وكفوا أيديهم عما في أيدي الناس ، فلم يدعوا في عنقهم قلادة مِنّة لمخلوق فهم أعزة على الناس بغنى نفوسهم، وقناعة قلوبهم ، ورضاهم بما قسم

الله لهم . يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، قد زانتهم العفة وهي زينة الفقراء ؛ وأغنتهم القناعة وهي كنز المقلين

ومن الناس من هم أسعد من أولئك حظاً وأوفر في الحياة غنماً ، قد بسط لهم الله الرزق ، وآتاهم من نعمه وفضله مالاً وافراً وأمدهم بالخير ، فهم من النعمة في ثوب سابغ . وعز ظاهر . ثم جعل من هؤلاء الشاكر على ما آتاه من فضله، المحدث بنعمة ربه. الباسط يده للخير ، المتوج غناه بتاج الشكر ، المجملة بجمال البذل ، وحلية السخاء . يرى ان خير المال ما اكسب حمداً .وأورث ذكراً،وأعلى قدراً،ويسّر عسراً — ثم كان منهم من جمع ماله وعدده.وود نفسه عبد الدينار والدرهم .فما يزيده الغنى الا فقراً ،ولا يكسبه اليسر الا عسراً فهو على وفرة ماله في فقر دائم ، وذل مقيم . لم يصل بالعفة الى منازل الفقراء الصابرين . ولا بالثروة الى مراتب الاغنياء المحسنين

٨٥

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

من الناس من وهنت عزائمهم ، وصغرت نفوسهم ورضيت بهم الحياة في أي صورة من صورها . لا يبالون بما يمس كرامتهم أو ينلم شرفهم . همهم أن يبقوا في مساكنهم ما عاشوا ، وإن تخلت الكرامة عن مضاجعهم ، وقرت الذلة بين جنوبهم ، أولئك الناس

الخسف وسوء العذاب . تراهم لايذودون عن حوضهم، ولا يدفعون في صدور أعدائهم ، مهما مستهم من هوان ، ولحقهم من صغار

أولئك قوم منعهم الخوف ، وغشّى على ابصارهم الجبن ، فلم تدفعهم نخوة إلى حوط كرامتهم، وصون عزتهم ، ممن نالها بسوء خشية أن ينالهم في سبيل دفاعهم ذل جديد، او عناء طارئ. فيرضون بالمهانة حتى لا تناوها مهانة ، وبالذلة حتى لا تلحقها اخرى ، عندئذ تنتهك الناس حرماتهم، ويستضعفونهم ويستلينون عودهم، ويعرفون انهم من الخوف والذل في رهبة دائمة ، واستكانة لا تبرح فتتواتر عليهم المهانة. وتذهب ريح شرفهم، ولا يجدون من انفسهم لانفسهم نصيراً . ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وهانوا فما ترى فيهم نخوة ولا تحس لهم ركزاً

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميتٍ إيلام

الا انهم غضبوا لحرمتهم، وتمسكوا بكرامتهم، وعلموا ان الحياة في ذل خير منها الموت في شرف وكرامة، وعرف لهم الناس هذه النفس العالية ، والعزة الأبية ، لما وردوا حوضهم ، واعتدوا على كرامتهم وإذاً لعاشوا في عز دائم . ونعيم مقيم ، ولقد احسن زُهير اذ يقول

ومن لم يَذُد عن حوضه بسلاحه ... يهدّم ومن لم يَظلم الناسَ يُظلَم

ومن الناس من أسبغ الله عليه نعمه، وأولاه من فضله، فغلى

يده إلى عنقه ، وامسك نعم الله ، ولم يتمتع بها نفسه وآله ، ولم يبتغ فيها سعادة عاجلة ، ومثوبة آجلة ، إذا دعي الى مكرمة أعرض ونأى بجانبه ، وإذا رأى موضع عُرف اعمى عنه بصره ، وصرف عن الرغبة فيه نفسه . يضن بالخير على نفسه خشية الإملاق . فهو عبد الدينار والدرهم . كل همه أن يتمتع بهما نظره ، وقد يحرمه من ذلك ، ضناً بما أكنّه من دينار . وصانه من درهم . أن تقع عليه الأبصار ، وترمقه الانظار ، تكاد نفسه تذوب أذى وحسرة لدرهم ينفَدُ ودينار ينْقَد ، فما أشقاه بماله ، وما أفقره بغناه

فأعجب به من غني فقير ، وسريّ حقير ، يتمنى له الموت من يجملُ به أن يطلب له الحياة ، من ولد محروم ، وأخ معْدِم ؛ وهو من نعمة الله فيما لو شاء لجعل حياته وحياة آله عيشاً رغيداً ، ونعيماً مقيماً ولكن نفسه الفقيرة الضنينة ، تركته يتقلب في فراش الفقر ، ومهاد الذل . فما أشقى الرجال بعبادة الأموال

١٣ — ﴿ كفاءة الإنسان تقاس بما ينجزه من جلائل الأعمال ﴾

لا زينة المرء نعمى ولا المال ... ولا يشرّفه عمٌّ ولا خال

وإنما يتسمى للعلى رجل ... ماضي العزيمة لا تثنيه أهوال

جدير بالانسان وقد سخر الله له ما في هذا العالم . ومكّن له في الارض ، وجعله سيد مخلوقاته ، وفطره في أجمل صورة ، وأحسن

تقويم ، ومنحه عقلاً مرشداً ، ونفساً تواقة، أن يفسح لنفسه مجال الأمل ويوسعَ سبيل العمل ، وأن يعلوَ بهمته إلى حيث يراجع النجوم ، ويطاول الغيوم ، فإن الهمة أبعد منها مرتقى ، وأرفع أفقاً أجل — حقيق به أن يطلب المجد وأن يجري مع همته إلى أبعد مدى وأسمى غاية . وألا تثنيه عقبة تعترضه ، أو مشقة تلحقه . عن درك أمنيته ، ونيل بغيته

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

إن العظيم لا تزيده المشقات إلا مضياً في سبيله ، وإقدا[illegible] في طريقه ، يتخطاها بعزيمة صادقة ، وهمة فائقة . لا يركن إلى الراحة ولا يأنس بالدعة

ذلك طريق المجد ومجال العظمة لمن شاء أن يكون عظيماً . قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا تصغرن همتك فإني لم أر أقعدَ بالرجل من سقوط همته) وقال الشاعر :

حاول جسيمات الأمور ولا تقل إن المحامد والعلا أرزاق

وارغب بنفسك أن تكون مقصراً عن غاية فيها الطلاب سباق

فمن أراد أن ينال مراتب الكمال ، ويبلغ ما بلغه أولئك العظماء ذوو النفوس العالية من العلماء الأجلاء ، والصناع الحاذقين ذوي الثراء الوافر . والأقدار السامية ، فليدفع بنفسه إلى مواضع ج[illegible]

ومسالك العمل ، وليصبر على ما يمسه من عناء . أو يناله من نصب فما أدرك نعيم إلا ببؤس ، ولا نيل عظيم إلا بجسيم ، والمكارم موصولة بالمكاره

فقل لمُرَجّي معالي الأمور بغير اجتهاد رجوتَ المحالا

قال يزيد بن المهلب (ما يسرني أني كفيت أمرَ الدنيا . لئلا أتعوّد العجز) . وقال الأحنف بن قيس (إياك والكسل والضجر فإنك إن كسلتَ لم تؤد حقاً . وإن ضجرت لم تصبر على حق)

لا تضجرن ولا تدخلك معجزة * فالنجح يهلك بين العجز والضجر

وإذا نحن نظرنا إلى العظماء الذين سجل التاريخ أسماءهم . وأبقى ذكرهم مخلداً ، وجدنا أنهم أضنوا أجسامهم . وأفنوا أعمارهم في طلب المجد . واقتحموا الأخطار . وجابوا الأقطار . ووافق حظهم جدهم وأضاءت لهم هممهم مناهجهم فبلغوا الغاية . وأدركوا المنى . فمن اقتفى أثرهم أوشك أن يلحقهم ، وكل من سار على الدرب وصل

وأما من خاف المتاعب وتهيبها . وزينت له نفسه الرضا بما هو فيه . فليس خليقاً بالمجد . ولا جديراً بالشرف . يعيش خامل الذكر . ساقط المنزلة

إذ لم يكن للفتى همة تبوئه في العلا مقعدا
رأته العيون بعين الهوان وإن كان في الناس رأساً وسيدا

ولم تعد همته نفسهُ　　فليس ينال بها السؤددا

٨٧ — ﴿ اكثر من الإخوان فانك على العدو قادر ﴾

الانسان في أشد حاجة إلى أصدقاء يشدون أزره، حتى يطيب له في هذه الحياة الدنيا مقامه، ويعيش عيشة راضية، لا تؤلمه الوحدة ولا تكدر صفوه العزلة

وهو لذلك في حاجة إلى جانب لين، ورأي جزل، وبصيرة نافذة بأخلاق الناس، ليتعرف ما يسرهم فيتقرب به إليهم، ويسعى في بذر صالح الكلام وجميد الفعل في قلوبهم، ويتعهده بالمودة والبشاشة، حتى تعظم منزلته في نفوسهم، ويكون فيهم كالأخ الشفيق محبة وعطفاً. وقد قيل «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق»

فمن عجز عن ذلك، كان عجزه دليلاً على ضعف إرادته، وعدم خبرته، وتقصيره عن مدى كثير ممن أصابوا كنوز الصداقة بجدهم ووفائهم وصائب رأيهم ومخالطتهم لبني جنسهم

وأعجز من هذا من فرط في جنب صديقه، فلم يرع وده، ويحفظ صحبته، بل أعرض عنه ونأى بجانبه، فغرب نجم صحبته، وأفل كوكب سعادته

وإنما مثل هذا كمثل رجل أصاب كنزاً نفيساً، فلم يلبث أن

بَدَّدَه ، فلما أضناه الفقر أخذ يقلّب كفيه على تفريطه ، ويندم حين لا ينفع الندم

ألاَ سامح أخاك إذا تعدّى وألق اليه في الحرب السلاَحا
فمن يعتب على الاخوان يتعب ومن لزم المسامحة استراحا

فعلى العاقل أن يسعى في اكتساب الأصدقاء والاخوان. وأن لا يفرط فيمن ظفرت به منهم ليحلو له مرّ العيش ويهنأ طعم الحياة

فما بكثير الف خل وصاحب وإن عدواً واحداً لكثير

٨٨ — ﴿ المروءة راية الهمم العالية ﴾

اذا المرء أعيته المروءة ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديد

المروءة كلمة تجمع خصال الخير . وتدل على الفضل والشرف وهي مطلب النفوس الكريمة . وراية الهمم العالية . لا تنال عفواً ولا تدرك من كثب ، فهي غاية محفوفة بالمكاره . وأمينة وعثة الطريق . لابد لطالبها من عزمة صادقة . ونفس طموحة . وهمة موانية

ولا شيء يعين على نيلها كالشباب إذ اقترن به الحزم . وكا فتوة إذا صحبها صدق العزم ، فالشاب بفطرته طموح الى العلا . واسع المنى . وعظيم الأمل في حياة سعيدة ، وعيش رغد ، تحفزه همته الى المجد ، وتسوقه الى المنى ، فيجد من قوة أسباب دافعة ، ومن صدق العزيمة مساعداً ، كما أمسك من المكارم بطرف تجدد

نشاطه ، وعظم أمله ، فلا يزال يجمع أطراف المكارم ، ويجدد عظيم المغانم ، لاتفترُ همته ، ولا تكلّ عزيمته ، حتى يدرك الغاية وينال المُنية ، وهو في كل ذلك يستعذب مرارة الألم ، غير هيّاب ولا وجل ، حتى تنسيه حلاوة الظفر ، مرارة الطلب

فأما من أدركه الكبَرَ فوَهن عظمه ، وتضاءلت قوته ورَكنَت الى الخمول ، فقلما يدرك من المروءة غاية ، أو ينال من المعالي سبباً ، وأين له قدرة الشباب ، وعزيمة للفتيان ، وفي جسمه وَهن ، وفي عزمه خوَر

انه لبعيد أن يستطيع سبيلاً الى بلوغ المجد، ودَرْك المروءة بعد أن نَضَبَ مَعين شبابه ، وَذَوَتْ زهرة صباه

١٠٩- ﴿ومن لم يذق ذلّ التعلم ساعة تجرّع كأس الجهل طول حياته﴾

العلم غاية يسعى اليها العقلاء ، ويبذلون في سبيل تحصيلها نفائس الأموال، وزهرة الشباب ، ويسهرون الليالي الطوال، مُنْكبين على الدرس ، لا همّ لهم الا الأخذ منهُ بنصيب وافر ، يحسبون السعادة كلها في تكميل نفوسهم ، وترقية مداركهم ، وإنبات عقولهم نباتاً حسناً . وكثيراً ما يلاقون الأخطار ، ويتحملون تعب الأسفار، في سبيل طلبه ، والاستزادة منه ، ويخضعون لمن تولى تعليمهم خضوع الابن البار لوالده الرحيم ، فلا تأخذهم العزة إذ أمروا ، ولا الحمية

إذ أهينوا ، فكل ذلك هين ما دامت الغاية شريفة ، والنتيجة سارة

العلم كلمة تزين صاحبها وتجمل المتصف بها، فهي حلية الإنسان التي يتصف بها بين الناس، وكنزه الذي يربو على الإنفاق، ومكانته التي يسامي بها النظراء ، ويفاخر الأقران ، ويسمو بها الى منازل الأشراف . ومراتب الملوك والأمراء ، فطالما رفع العلم وضيعاً في نسبه ، وأغناه أدبه عن حسبه . . فلا عجب اذا أكبرت العيون صاحبه إجلالاً . وعظمته القلوب رفعة وكمالاً . فقليل ما يبذل في سبيله وما يحتمل في تحصيله ، فذل طلبه عز ، وعناء نيله راحة

والمرء ينزع منه كل ولاية ‌ ‌ ‌ ‌ إلا ولاية علمه لا تنزع

وقد تنحط همة الطالب وتتلاشى عزيمته عن تحمل تلك الصعاب والصبر على ذل الدرس . حتى اذا شب جاهلا اقتحمته الأنظار واستخفت به القلوب ، وأنكره عظماء النفوس ، وتجرع مرارة الجهل وذل الضعة مادام حياً . ويتمنى ان كان صغيراً فيبدأ حياته بالعلم ، ويصطبر على مضض الدرس ، ويندم على ما فرط في صباه وشبابه ، يوم لا ينفع الندم ولا تغنيه عما هو فيه من الحسرة

« وبعد » فالعز كله في ذل الدرس ، والراحة كل الراحة في تعب لعمر ، والحياة الحقة انما هي حياة ذوي الألباب ! فالعاقل من سلك سبيل الجد . ووطن نفسه على احتمال المشقات ، في سبيل ادراك

الغايات ، فانه

لايدرك المجد من لم يركب الخطرا ولا ينال العلا من قدم الحذرا
ومن أراد العلا عفواً بلا تعب قضى ولم يقض من إدرا كها وطرا

٩٠ — ﴿ القدوة الحسنة والمثل الأعلى ﴾

اذا أعجبتك خصال إمرىء فكنه يكن منك ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات اذا جئتها حاجب يحجبك

من الناس من طهرت فضائلهم ، وكملت خصالهم ، وتجلت فيهم شيم حميدة . وأخلاق طاهرة فاذا رأيتهم اعجبك فيهم ادب ظاهر ، وصدق وافر ، ومروءة بالغه ، ومنزلة سامية . تغبطهم عليها وتود ان تجد في نفسك مثل اخلاقهم ، وان تحلي صدرك بزينة كمالهم

وليس بعزيز عليك اذا صَدَقَ عزمُك ، وصحّتْ إرادتك ان تبلغ ما بلغوا . وتُدرِك ما أدركوا ، وتعلوَ كما عَلَوْا ، منزلة وقدراً ، وسماحة وفضلاً . فادأب في تقايدهم ، والزم نفسك مناهجهم وتخلق بصفاتهم الحميدة ، تعجبك أخلاقُك ، وتحسنْ في رأيك ورأي غيرك نفسُك

ولا تحسبن المكارم مقصورة على افراد من الناس لاتتجاوزهم الى غيرهم ، فان الله تعالى قد جعلها سهماً سائغاً ، وغرضاً منصوباً لكل طالب ، فمن امها وسلك سبيلها ، فهو لا ريب مدرك امله ، ونائل

غرضه، فما اتخذت الفضائل حجاباً، ولا منعت طلاباً. والسعيد من جعل المجد غايته، والشرف حليته، فنعم زينة الرجال، كرائم الخلال

﴿ ٩١ — نعم المؤدّب الدهر ﴾

من الأبناء من يشبُّ بين أبوين تحملهما الشفقة عليه، والمبالغة في تمهيد اسباب الراحة له على غفران ذنوبه، والتجاوز عن سيئاته، والتسامح في زلاته يظنان ذلك رأفه وعطفاً. محبة وكرماً. فيشب الابن وقد ألفت نفسه عادات ممقوتة. وأخلاقاً مذمومة. تتأصل في نفسه وتخالط لحمه ودمه، فتكون طبعاً لا يغلب، وفطرة لا تقاوم

ولا يزال مغروراً في عطف ابويه، يدفعان به المكروه، ويردان عوادي الدهر. حتى إذاما فقدهما أو فارقهما بدأت يد الدهر تعبث به، وحوادث الايام تنوشه وعليه، ولا نصير له من فضيلة خاصة أو عزيمة صادقة، أو إرادة متمكنة، فيصبح العوبة في كف الحوادث وريشة في مهب الأعصار، ويقربسه الأيد... لا ملجأ له ولا وزر يستدفع به الخطوب، ويرد نوب الكروب. كذلك يغالب الأيام وتغالبه، ويجالد الحوادث وتجالده

ويَصدُّه عن هواه . والدهر أعظم مرب، وأوعظ مُرشد ، من عصاه أوقع به، ومن خالفه مَسَّهُ بسوئه، لا يلين قلبه، ولا يشفق لبه، فهو أبو العِبَر، وحامل راية القضاء والقدر، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

٩٢ -- ومن لم يصانع في أمور كثيرة * يُضرَّس بأنياب ويُوطأ بمَنسِمِ

فُطر الناس على حب أنفسهم والذَّودِ عن مصالحهم، والدفاع عن آرائهم ، فهم لذلك يمقتون من خالفهم، ويجاهرون بالعُدْوان من نالَ منهم في رأي أو منفعة . فطرة الله التي فطر الناس عليها ولن تجد لسنة الله تبديلا

فجدير بمن شاء أن يكسب مودتهم ويستميل قلوبهم اليه، ويدفع أذاهم عنه، أن يحتال في معاملتهم، ويسلك سبل مودتهم، فلا يجاهرهم بخلاف، ولا يباينهم بعزلة، بل يعاملهم بالتي هي أحسن، ويدفع السيئة بالحسنة، ويغفر الذلة، ويتجاوز عن الهفوة، فعندئذ ترى القلوب له وامقة والأعين إليه طامحة والنفوس في صداقته راغبة ، فيسلم من الأذى ويعيش عيشة راضية

فأما ذلك الذي يأبى إلا جماحًا، ولا يبالي أساء أم أحسن ، فانه خليق بصريح العداوة، جدير بالاحتقار والامتهان. إن زل زلة لم تغفر وإن كبا كبوة لم يجبر من عثاره، ولم يسلم من أذى أعدائه وأنصاره تسلقه ألسنة حداد، وتحتقره نفوس العباد. لا يجد خلاً يدانيه ، ولا

رفيقاً ينتشله مما وقع فيه

وقصارى القول — أن مداراة الناس ومصانعتهم وسيلة الراحة لا تطلب بدونهما، ولا تدنو بغيرهما، وقد قيل:

من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جذلان

٩٠ ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾

يشعر المرء أحياناً بسعادة نفسه. وصفاء قلبه، كما يشعر بصحة بدنه، وتمام قوته. ويحس آونة بضعف يعتري نفسه، وملل يتردد في جوانب قلبه. وقد يكون مع ذلك في صحة من جسمه، وقوة من بدنه، ولو أنه أحس في جسمه الضعف، وأدرك في قوته الوهن لوجد من الدواء شافياً، ومن الطبيب آسياً. ولكن الأطباء يصلحون الأبدان، ويشفون بدوائهم مستعصي أمراض الأجسام. ولم نجد للأرواح مداوياً نصب نفسه لشفائها، وأعمل طبه في استئصال أدوائها. فإن الأرواح أعز وأسمى من أن تنزل عن أوج عظمتها إلى متناول الأدوية والعقاقير، أو تترك لتتحكم الأطباء تدبيرها بالنظر في إصلاح أمرها

إن الأرواح وهي من العالم السماوي. وهي صلة ما بين الأجسام المحسوبة والعقول، وهي الصلة بين الإنسان وخالقه، والنعمة الإلهية التي دونها كل نعمة. لأرفع قدراً وأعظم خطراً، من أن تدين

لهذا العالم الأرضي ، فتنزل على راي أطبائه، وتدبر دوائه . ان لها
لَطَباً خايفاً بها ، لا يعتوره خلط ولا مزج ، ولا تؤثر فيه حرارة
ولا برودة . ان لها لدواء لايخطىء موقع دائها ، ولا يعجز عن شفائها
ذلك هو الحكمة البالغة ، والموعظه الحسنه ، تذهب عن الروح أسقامها
وتنقي آلامها ، وتأسو جراحها ، وتعود اليها نضرتها وسرورها

كم من روح سقيمة ، ونفس مهمومة . وجدت في ثنايا الحكمة
شفاء اسقامها . ودواء لآلامها ، وكم من نفس كادت تذهب حسرة
وتفيض أسى وحزناً ، سكنت لموعظة و[illegible] ، وارشاد [illegible] . وكم
من [illegible] كادت تجمح لصاحبها فتورده موارد الهلكة . قد استحكم
اليأس [illegible] حوزها . وتمكن [illegible] من اركانها ، عادت بالحكمة الى
مستقر الرضا ، ووصلت الى روضة الصواب [illegible] بعد شقاء
ونعمت بعد عناء

[illegible] جاءه صداها
[illegible]
[illegible] الصفاء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

٩٤ - ﴿ جمعية الاسعاف وأثرها في تخفيف الآلام ﴾

تأسست بمصر هذه الجمعية النافعة ، من جماعة عرفوا معنى الشفقة، وأدركوا واجب المروءة والانسانية ، وآمنوا بحق الانسان على أخيه الانسان

أسسوا هذه الجمعية بعد أن رأوا تعدُّدَ الحوادث ، وتنوُّعَ المخاوف التي تعرَّضَ لها الناس من جراء المدنية الحديثة، ذات السيارات المنتشرة، والمراكب الكهربائية ، والعقاقير السامة وغير ذلك مما ترك الناسَ عرضةً لحوادث شتى ، لم يكونوا معرَّضين لها من قبل

وها نحن أولاء نرى أو نسمعُ كلَّ يوم خطوباً مختلفة، وحادثات مؤلمة ، تصيب بعض الآمنين في غدوّهم ورَواحهم ، فهذا سقط من مَركَب ، وهذا مرت عليه سيارة . وآخر أدركه الاغماء ، وذاك عامل سقط خلال عمله ، أو صانع أصيب بعدد صناعته ، فلا يلبث ذلك المصاب إلا قليلا ، حتى ترى رجال الاسعاف في مراكبهم قد أقبلوا مسرعين لنجدته . وتخفيف آلامه يحملونه بأيد وديعة في راحاتها الرحمة وتنبت في أناملها الرحمة . فلا يكاد المصاب يحسُّ بتلك الأيدي الرحيمة تلمسه ، وتلك العيون الشفيقة تلحظه حتى يترك نفسه بين أيدي أولئك الرحماء آمناً مطمئناً . فإذا هو بعد آونة يعجل له الإسعاف بأيد نُطس كرام بررة . ثم يُحمَل إلى المستشفيات

إذا كان في حاجة إلى مُداوَمةِ العلاج ، فيبقى بها حتى يتم شفاؤه

يقوم رجال الاسعاف بعملهم هذا ابتغاء مَثُوبةِ الله ، وتحقيقاً لمعنى الأخوة ، لا يبتغون من ذلك جزاء ، ولا يسألون عليه شكراً لا مورد لهم في تحقيق غرضهم الشريف ، إلا ما تجود به أيدي المحسنين ، وتفيض أكفُّ ذوى النَّخْوَةِ والمُروءة ، فجزاهم الله عن عملهم المبرور ، وسعيهم المشكور ، أوفى الجزاء ، وأجمل الثناء

٩٥ -- ﴿ البرق (التلغراف) وآثار منافعه لجميع العالم ﴾

كثيراً ما يسمع الإنسان في محطات السكك الحديدية ، ويرى في بعض حجرها ، آلةً ذاتَ دقاتٍ متتابعة ، يختلفُ إيقاعُها اختلافاً طفيفاً . لا يُدْرِك مغزَاهُ إلا عمال مختصُّون بأمرها ، تراهم يَطْرُقون بأصابعهم على بعض اجزاء هذه الآلة ، فإذا هم بما يسمعون ويطرقون ، يتلقّوْن اشاراتٍ ويرْسلون أخرى ، وإذا كتبٌ مسطورة تنتقل من أيديهم إلى من أُرِيدَ بها من الناس ، دلت على كلماتها تلك الدقاتُ المنسقَةُ ، فكانت مقاطعها في أطراف البنان لا في جوانب الفم واللسان ، هذه الآلة البديعة الصنع ، المؤسسَةَ على دعائم العلم والفكر ؛ هي ما يعرف بالبرق

وله فوائد جليلة ، ومنافع جمة ، فهو الذي نظَّمَ سيرَ القُطُرِ الحديدية ، وقلّل مضارَّ تصادُمِها ، فلا يقوم القطار من محطة حتى

تُؤْذِنَ بقيامهِ المحطة التالية . ولا تكاد تخلو بَلْدَة كبيرة من برق يستعمَلُ في نقل الاشارات بينها وبين غيرها من البلاد . في أمور التجارة ، وشؤون الزراعة والصناعة وسواها ، مما يستدعي سرعةَ التخاطُب . وكثيراً ما وفر البرقُ على الناس رحلة من مشاقّ الأسفار ، وجمّ النفقاتِ . وتضى [illegible] تعسر قضاؤها . وضاعت من طلاّبها فوائدُها

ويستعمل البرق وحده في البلاد التي لم تمتد اليها أسلاكُ المسرّات العامة . وتعنى الحكومة بإرسال الإشارات البرقية الى اصحابها مع سعاة مخصوصين بذلك . لا يتقاضون من يُرسَل اليهم اجراً .

وهذا [illegible] من الرسائل البرقية [illegible] بقصر عدد كلماته [illegible] كلماتها [illegible] اكثر من عشرين [illegible] . فاذ [illegible] الأجر نصف قرش لكل كلمة زائدة

وقصارى [illegible] البرق [illegible] النشاط العقلي في [illegible] الاختراع

تجري بأطراف البنان حروفه [illegible] البرق [illegible]
قد أنطقته الكهرباء فلم تدعْ [illegible]

٩٦ – ﴿ المسرة (التليفون) وتعميم فوائده ﴾

من أفضل ما أنتجته عقول المفكرين، وجادت به قرائح المخترعين المسرة، وهي آلة صغيرة الحجم، تعلق أحياناً على الجدران، أو توضع على المناضد، وتتصل بأسلاك متفرعة عن مركز عام يقوم عماله بإعداد أسباب الاتصال بين المتخاطبين

والمسرة فوائد جليلة، إذ يستطيع الإنسان بوساطتها مخاطبة من يشاء في بلدته أو غيرها من البلاد الداخلية أو الخارجية، في أسرع وقت وبأجر زهيد. وبذلك يمكنه قضاء مصالحه المعجلة، التي لم يكن يستطيع قضاءها من قبل إلا في زمن مديد فالتاجر يستطيع مخاطبة عمال التجارة في إرسال ما يشاء من أنواع البضاعة. والمشتري يستطيع أن يخاطب التاجر - وهو جالس في بيته - ليرسل إليه مطالبه فيجاب طلبه. وتعجل إليه حاجته. والمريض يستدعي الطبيب في أي وقت شاء من الليل والنهار إلى منزله، ويشرح له مرضه فيصف له الدواء، وكلاهما لم يبرح مكانه. والمسافر يستطيع أن يخاطب أهل بيته، والقائمين بمصالحه، ويتعرف منهم سير حرفته، حتى كأنه بينهم يدير شؤونه بنفسه. فهو المغيث وقت الشدائد

وهذه دور الحكومة ومصالحها المختلفة، لا تخلو من المسرات التي يستعان بها على نشر الأمن بين الأهلين، وضبط المجرمين الفارين

وعلى تنظيم الأعمال الضرورية التي تدعو الحالُ إلى سرعة إنجازها

وقد انتشرت المسرّات في أنحاء القطر المصري . فلا تكاد تجدُ محل تجارة أو صناعة ، ولا مشرب قهوة أو فندقاً ، ولا حانوتاً أو منزلَ ثَرِيٍّ يخلو منها ، لزهادة أجرها السنوي ، وعظم أثرها في كل مصالح الحياة

وبالجملة — فالمسرة سرٌّ من أسرار الكهرباء وآية من آيات العلم العظيمة النفع ، يقصرُ البيانُ عن عدِّ فوائدها . وإدراك مزاياها فجزى الله مبدعها عن الإنسانية الجزاء الأوفى

٩٧ — ﴿ التصوير الشمسي وفوائده ﴾

من أعجب ما ابتدعته أفكار المخترعين . وأبرزته قرائح العلماء آلاتُ التصوير الشمسي وهي آلات ذات عدسة بلورية محدّبة توضع في جوفها زجاجات خاصة . ترتسم عليها صور المرئيات . كما ترتسم على حدقة العين ، ثم تنقل إلى ورق التصوير

وللتصوير بهذه الآلات فوائد غزيرة ، ومنافع كثيرة ، فبه يحفظ رسمُ الإنسان . وصورُ النبات والحيوان ، ومناظر الحدائق الناضرة والبلاد العامرة ، والبحار الزاخرة . فيراها الإنسان أمامه على صفحات أوراق التصوير ، كأنما شاهدها بعينيه وراسه

وقد ساعدَ التصويرُ الشمسيُّ على نشر المعارف ، وترقية أنواع

الفنون والعلوم ، فلا تكادُ تجدُ كتاباً نفيساً من كتب المطالعة والتاريخ وما شاكلها خلواً من صوَرٍ شمسية، تقرِّبُ للطالع حقائق الاشياء ، وتساعده على اجتلاء ما غمض ، وإدراك ما بَعُد ، وهذه الجرائد المصوَّرة ، ومناظر الخيالة (السينما) ، قد ساعدت على نشر الفوائد العلمية ، وحببت الى النشء تتبعَ أخبار الرقي العلمي في انحاء العالم، بما يبدو فيها من صور العلماء والمخترعين، وما كشفوه من آثار نفيسة . او ابتدعوه من مصنوعات جليلة .

وبعد أن كان التصويرُ قديماً فناً مقصوراً على اليد ، لا يحسنه الا قليلٌ من النوابغ الذين تمضي زهرة الصبا وريعانُ الشباب في درسه ، والانكباب على تعلّمه . ثم لا تجدُ لهؤلاء إلا صوراً قليلة ، تقتربُ من المصوَّرات بقدر ما في يد صانعها من مهارة، وفي عقله من حذق ، وقلما تمثل حقيقتها تمثيلاً تاماً . اما بعد ذلك صار عملاً لا يحتاج الى جودة إلا الى تمرين لا يستغرق من الراغب فيه إلا قليلاً من اوقات فراغه ، ولا يحتاج إلى مهارة او الى درس طويل ، فتراه يرسم بعدّة التصوير عشرات من الصور ، فلا يكلفه ذلك إلا ثمن زُجاجِ التصوير وورقه. وأخيراً قد صار في قدرة الإنسان أن يجعل منزله معرضاً يجمع فيه الى صورته وصُورِ أفراد اسرته واصدقائه ما ترغبُ فيه نفسه من صور العظماء والأدباء، ممن تزدان

بصورهم المجالس ، وتطيب بذكرهم الأنفاس.

وبالجملة — كان الناس في الأزمان الغابرة يلاقون صعوبات جمة من التصوير بالأدهنة، ويضيعون زمناً وفيراً في اخراج صورة قد لا تشبه الأصل المنقولة عنه من كل وجه، ولما ظهرت الآلة الشمسية سهل رسم ما كان النقاش يقضي في رسمه الأيام الطوال . وتم التفاهم . وساد التعارف، وانجلي الغامض، ووضحت الحقيقة، واهتدى القضاء به الى تتبع آثار الجناة والقبض عليهم، وحماية الناس من شرهم. وساعد علم الفلك في تصوير أجرام النجوم والكواكب وبيّن حركاتها ومثل دورانها، وافاد علم الطب في تصوير الصور المكبرة لصغير الأجسام ودقيقها . [illegible] الى [illegible] توضيح [illegible]

وعويص [illegible] وغيره بتجسيم [illegible]

والكتب، ويجدد النسط الى متابعة المطالعة وكثرة الاطلاع . وتنمية القراءة وبخاصة النشء السريع الملل . والتصوير سفر كبير لتاريخ الأبطال لمخلد ذكر عظماء الرجال. والصورة خير من ينوب عن وجوه الأقارب والأصدقاء عند غيابهم . وتحفظ الصلات بينهم والمودة والمحبة، وتهون آلام الفراق عليهم . وأحسن تذكار يبقى الى الأبد

وناهيك بالخيالة التي هي صور شمسية تؤخذ عن شيء بصور متعددة ممثلة إياه في حركاته وسكناته . ثم تعرض امام الأعين

٩٨ – ﴿ السيارات وأثرها في المواصلات العامة ﴾

السيارات مراكب تسير بقوة البخار الذي يتولد من سائل خاص يعرف (بالبنزين) فيحرك عُدَداً تتصل بعجلاتها ، فتديرها بسرعة

ولها أنواع كثيرة ، تختلف في جودتها وسرعتها باختلاف اصنافها ، وتتنوع في سعتها وضيقها ومحال الركوب فيها ، بتنوع الأغراض التي تُقصَدُ بها . فمنها ما يكون لركوب أناس مخصوصين ومنها ما يكون لركوب من يشاء بأجر خاص ، وما هو لنقل البريد أو عروض التجارة وأدوات العمارة ، وبعضها أعد لأطفاء الحريق ونقل المرضى ، ولاسعاف المصابين بحوادثَ فُجائية .

وقد أصبحت السيارة في هذا العصر من أهم أسباب المدنية ونهوضها إلى درجة سامية . تجري مسرعة بذوى الاعمال العاجلة وتروح وتغدو بأصحاب الحاجات ، من تجار وصناع ، وطلاب وموظفين ، فتصل بهم الى محال أعمالهم ، في اقصر وقت وبأجر زهيد .

وقد وصلت بين اجزاء المدن وضواحيها ، فصار في قدرة الإنسان أن يتخذ مسكنه كما يشاء ، في الأماكن الخلوية ، حيث الهواء طلقٌ والشمسُ مشرقة ، والسماء صافة ، أو في جوف المدن او جوانبها فيبرحهُ إلى عمله ، ثم يعود اليه ، تُقِلُّه السيارات في غُدُوّهِ ورَوَاحه وقد لا تبعد به عن منزله الا بضع خطوات .

وقد صارت البلاد والقرى ، وبخاصة التي لا تمُرُّ بها القُطُرُ الحديدية ، ولا تجري بإزائها الأنهارُ متصلةً بالمدن ، تُنْقَل اليها خيراتها ، وتأخذ منها حاجاتها ، بأجر يقل عن السكك الحديدية وفي أوقات يتخير منها المسافرُ ما يشاء ، لا ما تَفْرِضُه جداولُ القطر الحديدية .

إلى جانب ذلك ترى السياراتِ الضخمةَ تسير في المدن وضواحيها ، تحمل ادواتِ العمارةِ من الأماكن القاصيةَ ، فإذا أنت بعد اشهر معدودة، ترى الأرض البراحَ تحمل على ظهرها القصور الشامخة ، والابنية الباذخةِ آهلة بقُطّانها مشرقةً بأنوارها

ذلك بعض فوائدِ السيارات وأثرِها العظيم في سهولة المواصلات

٩ — ﴿ مكافأة العمال سرّ النجاح وداعي التقدم ﴾

لا ريب ان العامل هو الدعامة التي ترتكز عليها بناء ثروة مصر الزراعية والصناعية ، وهو اليد التي تدير دولاب العمل في هذا القطر فتجعل اهله في يسر وسعادة . وينتشر في جوانبه النعيم و الرخاء

ليس من ينكر صبر العامل المصري واحتماله الشدائد والاهوال في إنجاز كثير من الأعمال الضرورية لرخاء هذا البلد : لا فرق في التمتع بثمرات [illegible] كان [illegible] الأجانب من [illegible]

العامل المصري هو ذلك الفلاح الذي توقظه صيحة الديك وتحركه نسمات الأسحار إلى مزاولة عمله ، في مزرعته او في مزارع الملاك الآخرين ، فلا يزال قرين الشمس من مشرقها الى مغربها تدور في السماء دورتها ، ويدور في الارض دورته ، فلا يؤوب الى منزله حتى تودعه الشمس ، وتحتضنه الظلام

وهو ذلك الصانع الذي يلزم حانوته واقفاً على قدميه ، ممسكاً بأدوات صناعته ، فلا تزال يده تتحرك ، وجسمه ينقبض وينبسط وعينه تبحث وتفتش ، حتى يغيب بياض النهار ، وضوء الغزالة فيستبدل اضوء الشمسي مصباحاً يستضيء بشعاعه الضئيل، حتى يرى حاجته إلى النوم شديدة ، فيذهب إلى فراشه لاحباً في النوم ولكن طلباً لتجديد القوة ، حتى يعود الى مزاولة عمله من جديد

العامل المصري هو ذلك الرجل الذي يشق الأنهار ، ويعبّد الجبال ، ويبني [illegible] و [illegible] . هو ذلك الرجل الذي يحني ظهره ويطأطئ قامته ، منكباً على أعماله المتنوعة في المصانع والمعامل والمزارع . صابراً مطمئناً . قانعاً راضياً بالأجر الزهيد الذي لا يكفي لشراء [illegible] في [illegible] من [illegible] . فما ادراك ايها العامل المصري . ربما اقنعك رزقك حين يغلب الطمع والشره على نفس غيرك من العمال، فلا يرضون باضعاف مضاعفة لاجرك الزهيد الضئيل

أفليس جديراً بمن يجزون ثمار عملك، وتطمئن نفوسهم بعناء نفسك ، وتطول راحتهم بدوام تعبك ، وتلين مضاجعهم بخشونة مضجعك، ان ينظروا فى امرك بعين الشفقة، ويمدوا اليك يد المعونة والحنان . بلى . إنهم لو فعلوا — وذلك واجب لك فى اعناقهم لعدوته منهم منة تضاعف لهم بها شكرك ، وتفني من اجلها فى خدمتهم عمرك. انك ايها العامل لجدير بأجل عناية، وخليق بأفضل رعاية ، فأنت وحدك مدار الخيرات، ومنبع الرخاء واليسار . انك لتعصر جبينك عرقاً ويعصره غيرك نُضاراً ووَرِقاً. انك ايها العامل جدير بالعناية فى طعامك وشرابك فى مسكنك ولباسك، فى شبابك وهرمك، فى صحتك وسقمك، فعلى الحكومة ورجال الامة واجب ان ينهضوا به . وحق لهم ان يقوموا بأدائه . يجب لك عليهم

اولاً — ان يجعلوا مساكنك على وفق قواعد الصحة، فسيحة مدنية ، وان يتخيروا البقاع الفسيحة الأرجاء، الجيدة المواقع لإقامة هذه المساكن، حتى إذا عز عليك ثمن الدواء، واجر الطبيب وجدت من نقي الهواء، وضح الضياء ونور ذكاء، اطباء لا يسألونك اجراً ، ولا يكلفونك شكراً ، ولا يحرمونك من مزاولة عملك يوماً ولا عشراً

ثانياً — أن ينشئوا المستشفيات المتنقلة لمداواة المرضى، ولعناية

بأطفال العمال (ولا أطلب تقديم اللبن والزبد بالمجان كما تفعل الأمم المتحضرة) صيانة لأبنائها ورجائها في سعادة أوطانها، فإن مصر وإن عُرفت بإكرام الضيف، وحسن قِرَى الغريب، لم تعرف لأبنائها لا قريبٍ هذا الحق الثابت.

ثالثاً — نشر التعليم بين أبناء هؤلاء الفقراء، فإنه لا خير في أمة لا تعلّم فيها أبناء الفقراء. إن في نشر العلم بين أبناء العمال فوائد جليلة، فإن قدرة المتعلم على العمل أوفر. وعنايته بصحته وهي رأس ماله أتم. وعامل متعلم خير من عشرة جهلاء. وإذا تم تكوين العمال من طبقات متعلمة وصلت مصر بنهضتهم إلى منازل الأمم الراقية. التي نهض بها عمالها المتعلمون إلى أوج السعادة والكمال

ذلك بعض ما يجب على أصحاب أن يعاهدوا العمال على الوفاء به، ليحفظوا أنفسهم بحفظهم، ويسعدوا أمتهم بدوام نشاطهم و[illegible] و[illegible] ذلك [illegible] المصريين الصادقين [illegible]

[illegible] — [illegible] فرض الله [illegible] زكاة أموالهم للفقراء [illegible] الله أنه يبسط [illegible] ويقدر، وأن الناس تتفاوت درجاتهم في الغنى [illegible] من [illegible] الغنى [illegible]

[illegible]

أحوال هؤلاء البائسين

لا ريب أن ذلك وسيلة الى سعادة الناس،وصلاح أمرهم، ولمّ شعثهم، فلو ترك الفقير وشأنه، لساء حاله، واضمحلّ جسمه وقضى شهيد فقره، وضحية عوزه

ليس الغنى في استطاعة كل مخلوق، فقد يكبو بالمجدّ حظه وينهض بالمحظوظ جدّه

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم أفلاك السماء تعلّقي

فليس من المروءة أن نترك هؤلاء العجزة الذين لا يستطيعون الى العمل سبيلاً، يبيتون على الطوى،ويمتهدون الصخور، ويتروّحون إلى القبور، على مرأى ومسمع منا.

من العار أن نتمتعَ بنعم الله، ونعمه لا تحصى، ونحرمَ عبيدَه من ثمرات هذه النعم . ألا إن شكر النعمة أن نصرفها فيما خلقت له من سبل البر، ومناهج التقوى . أن الصدقة تطفىء غضب الرب وتقرب من الجنة ونعيمها . فالعاقل من راقب ذوي الحاجة، فسدّ عوزهم، وأغنى فقرهم،وأصلح شأنهم، وواساهم بنفسه وماله،حتى لا يكون منهم أولئك المتشرّدون الذين أزعجوا العالم بالشرور والآثام من السرقة والقتل، والسلب والنهب، طمعاً في سدّ حاجتهم وانقاذ أرواحهم من مخالب الجوع، ومهاوي الضنك. أو أولئك

بلغه أهلها في العلم والتربية ، وما هم عليه من صحة وضعف ، وما برعوا فيه من صناعة وتجارة ، وما يزالون محتاجين اليه من أسباب الرقي والتقدم ، ومجاراة الأمم الناهضة ، فإذا تم لها ذلك ، بدأت تعمل في مداواة الأمراض ، ونشر العلوم والفنون ، وتثقيف العقول وفتح أبواب الرزق للعاطلين . وتشجيع المجدّين العاملين ، فتنشر المدارس والمصانع ، حيث تكثر الحاجة اليها ، وتنشيء المستشفيات حيث تتفشى الأمراض ، وترقى وسائل الزراعة ، حيث يطيب الزرع وتكثر الغلات . ثم تنظر في عمارة الأرض ، واصلاح ما فسد منها فتزيد في ثروة البلاد ، وتمهد الطريق لدفع غائلة الحاجة ، ولا تدع الأمه عرضة للمصائب ، وهدفاً للنوائب ، ثم تعمل على تكثير سواد الأمة ، ونمو عددها ، وحفظ نسلها ، حتى تجد من أبنائها عوناً لها في الشدائد ، وحصناً في الملمات

وبعد — فان في الاحصاء العام تحليلاً لحالة الأمة ، وتبييناً لأمراضها الاجتماعية ، وبذلك تهيىء الحكومة لكل داء دواءه ، فتنهض بالأمة الى مراتب الرقي والكمال ، وتزيدها حضارة وعمراناً ، فهو حسنة من حسنات المدنية . وخدمة جليلة لبني الإنسان

١٠٣ — ﴿ الدرهم الابيض ينفع في اليوم الاسود ﴾

لا يأمنُ الانسانُ ما يأتي به غدُهُ ، ولا ما ينتهي اليه أمرُهُ

في مقتبل أيامه ، ومُنتظَرِ أعوامه ، فقد يكون اليومَ غنياً ، وغداً فقيراً ، أو صحيحاً فيُمسي سقيماً ، ثم هو الآن شاب يقوم بحاجة نفسه ، ولا يفكر في غيره ، فاذا تتالت الأعوام صار ربَّ أسرة وكاسِبَ صِبيةٍ ، هذه سنةُ اللهِ ولن تجد لسنة الله تبديلا

فاذا تبيّن الانسانُ حقيقةَ أمره ، وحقق النظر في مستقبله وقاس ما لم يره في أموره، بما يراه من أمر غيره ، رأى أن من أول واجباته أن يتخذ الاقتصاد عادة له ، وأن يُلزِمَ نفسه سلوكَ سبيل الحكمة في الانفاق ، فلا يُبدّدُ ما يصل إلى يده، مما قلّ أو كثر ، بل يجعلُ مما يَكسِبهُ نصيباً لعاجل نفقته ، ويدّخِرُ منه جزءاً لحاجته في مستقبله ، حتى إذا أدركه المرض ، أو تعطل من العمل ، وجد مما ادّخره كنزاً ينفقُ منه حاجته ،وَيَسُدُّ به مطالبه ثم إذا صار رب أسرة ، أمكنهُ أن يقوم بتهذيب أبنائه، وتثقيف عقولهم، ودفع ما يحتاجون اليه من أجور المدرسة وأثمان الكتب وغير ذلك مما يتجدد بتجدد الاعوام وتتابع الأيام

وكائنْ رأينا من غنيٍ تركه الاسراف فقيراً ، وفقير جعله القصد غنياً ،

ولقد أحسن القائل :

من كان فيما أفاد مقتصداً　　لم يفتقر بعدها الى أحد

فعلى العاقل أن يلتزم القصد والادخار في نفقاته، فإنه لا يَعُولُ من اقتصد، ولا يفتقر الى احد، وفي الكتاب الكريم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تَبْسُطْها كلَّ البسط فتقعد مَلوماً محسوراً) وقال الشاعر:

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد

١٠٤ — ﴿لا تؤخر عمل يومك الى غدك، فلكل يوم عمله﴾

لا بد لكل انسان من مزاولة أعمال كثيرة، تتجدَّدُ بتجدّد الأيام، وتدوم حاجته اليها ما دامت الحياة

فعلى العاقل أن يُلْزِمَ نفسه تأديةَ كلِّ عمل في وقته المناسب له، فإنه إذا فعل ذلك، أحسَّ من نفسه الراحة، واستشعرَ السرورَ كلما فرغ من عمله، وجنى ثمرة تعبه، ووجد من وقته نصيباً للدَّعَةِ والراحه

فأما إذا تراخت همته وفترتْ عزيمته، فإن الاعمال تتراكم عليه، فيضعف عن القيام بها جملة واحدة، ولا يستطيع إجادة صنعها، وإحكامَ وضْعِها

وَمَن ضيّع الاوقات ضاعت حياته وعاش فقيراً جاهلاً ليس يشكر

فدع غائباً من فائت ومؤمّل فوقتك سيف قاطع ليس يعذر

إن من عَوَّد نفسه القيام بكل عمل فى زمانه، يعتادُ النشاط والجدَّ، وتنشرحُ نفسه للعمل، وتزيد رغبتها فيه، كلما جنتْ ثماره

وأما من أهمل وقصَّر ، فانه يعتاد البَطالة والكسل ، ويكون كَلاًّ على الناس ، لا يجد للعيش لذة ، ولا للحياة سروراً

وعاجز الرأي مِضياع لفرصته   حتى اذا فات امر عاتب القَدَرا

ولا أؤخر شغلَ اليوم عن كسل   الى غد إن يوم العاجزين غدُ

١٠٥ — ﴿ ليس الرجل بثيابه وماله وإنما الرجل بآدابه وكماله ﴾

ليس من الحكمة أن يحكم الإنسانُ على أقدار الناس، وتفاوتهم في المنزلة، بما يشاهِدُ على أجسادهم من الثياب. فربَّ كريمِ النفس طاهرِ العرض، قد ارتدى أسمالا بالية ، ولكن له نفساً بين جنبيه كبيرةً لم ترتكب إثماً ، ولم تَهُمَّ بفاحشة أو منكر ، بينما نجد آخر فاخر الحلة، حسن البِزّة، وعرضه قد تناولته سهام الطاعنين، وألسنة القادحين ، فلم تدفع عنه ثيابهُ لوم اللائمين. ولا إهانة المهينين

لا زينة المرء تعليه ولا المال   ولا يشرفه عمٌّ ولا خال

وإنما يتسامى للعلى رجل   [illegible] أهوال

فإن الجمال والشرف ، في [illegible] من الدنس ، وترفعها عن الدنايا ، ولقد أحسن من قال

لئن كان ثوبي دون قيمته الفلس   فلي [illegible] دون [illegible] الانس

فثوبك بدر تحت أذياله الدجى   وثوبي [illegible] تحت [illegible] شمس

ليس الجمال بأثواب تزيننا   ان الجمال جمال العلم والأدب

١٠٦

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا ولا ينال العلى من قدَّم الحذرا

ان للمجد طلاباً ؟ وللمكارم خُطَّاباً ، يبذُلون ما يملكون من نفيس ، ويضحُّون بكل ما يُضَنُّ به من راحة ومسرّة ، في سبيل الغاية التي ينشدونها ، والعاقبة التي يؤمِّلونها . وأيُّ غاية أسمى من المجد وغرض أكرمُ من العلا والشرف ، تراهم يضعون هذا الغرض الاسمى نُصبَ عيونهم ، فلا يَنُونَ وإن مسّهم نَصَب ، أو عراهم ألم عن الجد في سبيله ، والسعي الى نيله ، يُذَللون كل عقبة ، ويتخطّون كل عائق بهمة لا تبالى بالمصاعب ، وعَزْمَة تستهين بالنوائب

وكم يحلو لهم ركوبُ مَتنِ الأخطار ، وتجشُّم مشاقِ الأسفار وامتطاء صهوات البحار ، ليدركوا أملهم من المجد ، وغايتهم من الكمال — ومن لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب

ألا ترى الرجل الشجاع يجود بنفسه فى مَوْطِن الحرب ويتقدم غيرَ هيَّاب ولا وَجِلٍ وترى الجواد ، ينفقُ الطَّارِفَ والتِلادَ ، طمعاً في الحمد ، ورغبةً فى الثناء . وكذلك يكون عظماء النفوس ، وطُلاب المجد

ومن تكن العلياء هِمةَ نفسه فكلُّ الذي يلقاهُ فيها مُحَبَّبُ

١٠٧ — ﴿ التمثيل الهزلي وأثر مضاره في أخلاق العامة ﴾

مصرُ بلدُ العجائب، تلد كل عام ما تَئِنّ له نفوس العقلاء، وتحتارُ في كُنهه أحلام المفكرين، فقد أُنشئت بين ظهرانينا «دور» سمّوها دور التمثيل، وهي أولى بأن تُعرف بدور السخرية والهزل

هذه الدور أمست محطّ رحال الغوغاء، وصغار الأحلام، من الشبان الطائشين الذين دنسوا الفضائل، وتمادوا في الغي، بما يسمعون من الأناشيد المخجلة، ويرون من صنوف الرذائل، حتى إذا فارقوا تلك الدور، نفثوا ذلك السم الزعاف من أفواههم بأصوات منكرة لا يلبث الأطفال حتى يرددوها في الشوارع والمنازل، وفي ذلك مفسدة للأخلاق، تذهب بالأمم إلى مهاوي الشقاء، ودرك الفناء

ولقد ترك أيضاً هذا النوع من التمثيل أثراً سيئاً في اللغة، فأخذت الألسن تلوك ألفاظاً لا هي عامية مألوفة، ولا عربية صحيحة، كادت تغلب اللسان على أمره، بما تعود نطقها، وألف ترديدها، حتى كادت تهدم بناء اللغة العربية، وتقوّض دعائمها، وتأتي على ثمارها الطيبة ورياضها العامرة، فتجعلها قاعاً صفصفاً وصعيداً جرُزاً

كذلك ترك أثراً سيئاً في الأخلاق، بما يراه الشبان والشابات في تلك الدور، من فُحشٍ في القول، وحطّة في الفعل، وبذاءة في اللسان واستهتار بالكمال، وتبرّج في الزينة، وخروج عن قواعد

الشرف، ومجون مزر بالمروءة، وخلاعة تمحق الكرامة ، والنفس أمارة بالسوء إذا عرفته ، داعية إلى الفساد إذا ألفته ، فاذا جمحت بصاحبها أوردته موارد الهلكة . وقلما تنزع عن عاداتها، وتروغ عن شهواتها ، وترتدع عن غيها

ذلك أثر التمثيل الهزلي ، الذي يتنافى مع الفضيلة،ويتنافر مع الشرف ، وقلما تجد منه مايرمي إلى غاية نبيلة ، وغرض شريف

فجدير بالحكومة أن تراقب هذه الدور،وأن تعمل يد الشدة في إقصاء القائمين بأمرها حتى تكبهم لوجوههم ، ولا تدعهم في غيهم يعمهون ، وفي أودية ضلالهم يهيمون

١٠٨ — ﴿ مضار التبغ « الدخان » ﴾

من العادات المضرة الكثيرة الانتشار بمصر وغيرها من الأقطار تناول التبغ) فترى الشاب تنزع به نفسه،ويميل به هواه إلى محاكاة غيره في عاداته ، يلذه تظرفا ، ويحسبه مدنية وترفا . فإذا قدم له أحد أترابه أول لفافة أوقدها ، وبدأ يستنشق دخانها السام ، ولا يلبث الا قليلاً حتى يأخذ في الإكثار من تناوله ، فيصبح عادة له لا يستطيع إلى تركها سبيلاً

وإذ طال الزمن واستحكمت في نفسه هذه العادة السيئة بدأت صحته تضعف ، وقوته تتضاءل . ورغبته في الطعام تقل ، وإذا ذلك

الوجه الناضر ، والجسم الممتلىء ، والشباب الغض ، قد عراه الذبول وتمكن منه النحول ، فأصبح بعد الغضارة والنضارة جسداً ذابلاً وجسماً ناحلاً ، يأخذه سعال مؤلم ، ويحس بخفقان في قلبه ، وفتور في قوته ، ويتمنى لو يقاسمه الطبيب ماله، ويحجبه عن عاداته ، ويندم ولات ساعة مندم، ثم هو مع ذلك يفقد نشاشته، ويحرم صفاء نفسه وقوة فكره، فتتغير أخلاقه ، وتتبدل صفاته ، وتراه إذا أعوزه التبغ أحياناً ذاهل النفس ناكس الرأس ، كأنما هو في هم ناصب ، وعناء ممض ، . وقد تتغير سجاياه ، فإذا ذلك الحليم الهادي، غضوب جموح وذلك الوادع الساكن هائج ثائر ، يلجأ إلى تناول التبغ لتسكين غيظه ، وتهدئة ثائرة نفسه

فعلى الآباء ورجال التربية، أن يتعهدوا أبناءهم وتلاميذهم بالنصح والارشاد ، وأن يرقبوهم في أوقات الفراغ، فلا يدعو لهم طريقاً إلى اتباع هذه العادة الذميمة، ليحفظوا لهم صحتهم وراحتهم، و يدفعوا عنهم شر الامراض ، ويصونوا أموالهم من الضياع حتى إذا شب هؤلاء الأبناء عرفوا لهم ذلك الفضل، وحمدوا تلك عناية. وما ذلك على همة الآباء والمربين بعزيز

١٠٩ – ولستَ بمُستبقٍ أخاً لا تلمُّهُ على شعثٍ أيُّ الرجال المهذب

إن حاجة الانسان إلى الصديق ماسة ، فانه عون في الشدة

وأنيس فى الرخاء، ومرجع فى السراء والضراء . فعلى الإنسان أن يصطفي كثيراً من الإخوان ، ليشدّ بهم أزره ، ويشرح بقربهم صدرَه ،وإذا بدرت من أحدهم بادرة فلا يقطع لذلك حبل مودتهم ويفصم عُرا صحبتهم ، فان لكل سيف نبوَة ، ولكل جواد كبوة

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تُعدّ معايبه

وعلى الإنسان أن يتجنّب محاسبتهم على تلك الهفوات ، وتقريعهم على صغائر الزلات ، فطالما كان العتاب سبباً في القطيعة ، وطريقاً إلى التفريق ، وإن عاتب فليكن بلطف ورقة ، فان القلوب كالزجاج صدعُها لا يُجبر. وليتخذ العفوَ دَيدَناً، ويدفع السيئةَ بالحسنة، فذلك أدعى الى دوام الألفة ، وبقاء المودة ، وطيب العيس ، واستدامةِ الصحبة . ولقد أحسن الشاعر إذ يقول :

إذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صِلْ أخاك فأنه مُقارِفُ ذنبٍ مَرةً ومُجانبه

ألا سامح أخاك اذا تعدّى وألق اليه في الحرب السلاحا

فمن يعتب على الأخوان يتعب ومن لزم المسامحة استراحا

١١٠ — ﴿غِنَى المرء فى الغربة وطن، وفقره في الوطن غربة﴾

الإنسان في الغربة بعيدٌ عن أهله وأخلائِه ، الذين هم ساعِدُه في الشدة ، وموضعُ سروره في الرخاء، فاذا كان مُثْرِياً أخذ يَتَادُ

الأصدقاء، ويطلب الإخوان، بفضل ماله، وسابغ بره، والإنسان عبدُ الإحسان، فلا يلبث أن يملك النفوسَ، ويسترقّ القلوب وتستهوِيَ إليهِ الأفئدة، وعما قليل تكثر حاشيته، ويتزايد أتباعه فيكونون منه مكان الأهل، يؤازرونه في الضراء، ويستروحون إليه في السراء، ويكونون له سَلوَةً على ألم الغربة، ونَصبِ الفُرقة

فأما إذا كان فقيراً مُعْدِماً، لا يجد من المال ما يَمُتُّ به إلى تلك القلوب، أو يمتلك عِنان الأفئدة، فإنه لا يجد حراً يواسيه ولا صديقاً يدانيه، فيجمع إلى ألم الغربة ومضض الفقر، عناء الوَحْدَة والانفراد

وكذلك يجعل الفقر صاحبه ذليلاً في أقرانه، وحيداً في اغترابه، فما أشقى الفقراء. وأسعد الأثرياء الأغنياء

١١١ — ﴿رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك﴾

الصداقة بلا ريب لُحمة كلحمة النسب، تصلُ بين الصاحبين فتمزجُ قلبيهما، وتسري في نفسيهما سَرَيان الروح في الجسد. والماء في العود الأخضر، فتتشابه بها النفوس، وتتشاكل الأميال، وتتحد الأغراض، فينشأ عن ذلك كله الألفة والمودة، ويتولد العطف والحنان، فترى الصديق يشاطر صديقه سروره، ويحمل عنه آلامه وأحزانه. وإذا [illegible]

يخفف عنهُ هول مُصابه ، ويُمنّيه بالسعادة المستقبلة ، والراحة المنتظَرَة. وهو مع ذلك كله يَوَدُّ لو يحمل عنه ما أنقضَ ظهره، وأثقل عاتقه ، ما استطاع الى ذلك سبيلا

ان أخاك الحقَّ من كان معك ومن يضرُّ نفسَه لينفعك
ومن اذا رَيبَ الزمان صدَعك شتت شملَ نفسه ليجمعك

فَسَقْياً لك أيتها الصداقة ، ورَعْياً لما تلدينه من الإِخوان ، فانهم عُدَّة لنوائب الزمان . ودروع سابغات في النائبات ، ونجومٌ لامعة في الليالي المدلهمّات

أما أنت أيها الصديق الذي ارتضع مع صديقه ثدي المودة وتغذيا بلبان الصحبة ، فانك أجدرُ الناس بالمحبة ، وما أنت دونَ الأخ الشقيق فضلاً ، ولا ببعيد عنه أصلاً ، فخيرُ الأخوين النافع وما نفعك ان عَزَّ نفعُ الشقيق ببعيد

ما ضاع من كان له صاحب يقدر أن يرفع من شانه
فإنما الدنيا بسكّانها وإنما المرء بإخوانه

١١٢ — أعط القليل ولا تمنعك قِلته فكل ما سدَّ فقراً فهو محمود

قد يرى الإِنسان السائل المسكين، والفقير المعدم، تكاد تفيض روحه ألماً ، وتذهب نفسه حسرات ، لا يجد ما يحفظ به الرمق ويدفع به ألم الحاجة . فيود رائيه لو أن له مالاً كثيراً فيواسيه

ومعيناً من الثروة فيغنيه ، ويستحي أن يمدّ اليه يده بدرهم ، يراه لا يُرْوي غُلَّةً ، ولا يرفع كُرْبة ، ولا حق له في هذا الحياء ، فان الأيدي إذا كفت عن معونته بالقليل — وقلّ أن ينال الكثير — تضوّر جوعاً ، وذهب عنه صبره ، ووَهي جلَدُه ، واستسلم لليأس والجزع وربما طوّحَ بنفسه إلى اللّحد

إن القليل في الخير كثير ، لا يَعدم الإنسان جزاءه ، ولا يُحرم ثوابه . (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ألا وإن الإيثار على النفس فضيلة المحسن ، وشِرْعة الكريم وقد أثنى الله تعالى في كتابه الكريم ، على من يؤثر غيره ببرّه ، ويمنحه ميسور جوده ، فقال تعالى : (ويُؤْثِرُونَ على أنفسهم ولو كانَ بهم خصاصةٌ) وقال الشاعر

ليس العطاء من الفُضُول سماحة   حتى تجود وما لديك قليل

١١٣ — ﴿ التقليد في الفضيلة سبيل النجاح ﴾

حقاً إن الإنسان بفطرته ميال إلى العلا ، محب للمجد ؛ يتمنى أن تُتاح له الفرص التي يبلغ بها غرضه ، ويدرك بها طَلِبتَه ، تحفزُ همته ويستحث عزيمته ، ما يتردد على ألسنة الناس من حمد كريم ، وذكر عظيم ، وإجلال نابه ، فيود أن تكون له في نفوس قومه وعشيرته تلك الذكرى الطيبة والشهرة العالية

وقد يظن أحياناً أنه ليس في مقدوره إدراكُ منازل العظماء والترقي في مراتب الشرفاء، ولكنه لو علم أن العزيمة الصادقة، والهمة العالية، تبوِّئ صاحبها عرش المجد، وتجلسه على أريكة العز، لقلّد أولئك الأشراف في صفاتهم، وحاكاهم في أعمالهم، فإنه إن فعل ذلك أدرك غايته، ونال طِلبتَه، لأن القدوة الصالحة تكوّن عظماء الرجال. فما اختص قوم بالمجد، ولا استأثروا بالشرف، وما عليهما حاجب يحجب طالباً، ولا مانعاً يمنع راغباً

إذا أعجبتك خصال امرىء ... فكُنْهُ يكن منكَ ما يُعجبك

فليس على المجد والمكرمات ... اذا جئتها حاجب يحجبك

فذلّلْ بهمتك ما يعترض طريقك من المصاعب، واركب متن الأخطار، ووطّن نفسك على الصبر، واقفُ آثار من سبقك الى العلا غير هيّاب ولا وان، فانك لا محاله مُوف على غايتك، وواصل الى أمنيتك

وقلّ من جدّ في أمرٍ يُحاوله ... واستعملَ الصبر إلا فاز بالظفرِ

١٤ — ﴿ الأدب وسيلة الى كل فضيلة ﴾

الأدب هو التحلّي بأحسن صفات الكمال، والتخلّي عن الرذائل والبعد عن النقائص، بحيث يكون الإنسان في جميع أحواله ومعاملاته في المجتمع الإنساني، على مقتضى العدل الكامل والذوق السليم. فلا [illegible] يرحب [illegible] لذه و للوم، [illegible] منه البخر بتسرفه، أو [illegible]

من قدره ، فالأدب عنوان الكمال ، يرفع الوضيع الى درجة الرفيع ويعلو بالسوقة الى مرتبة الملوك ، ولهذا كان حقاً على كل امرىء أن يتخلق به طبقاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وقال عليه الصلاة والسلام (أمرني ربي بتسع، الاخلاص في السر والعلانية ؛ والعدل في الغضب والرضا . والقصد في الفقر والغنى . وأن أعفوَ عمن ظلمني . وأصلَ مَن قطعني . وأعطي مَن حرمني . وأن يكون نطقي ذكراً . وصمتي فكراً . ونظري عبرة) وقال عليه الصلاة والسلام (ليس منّا من لم يُوَقّر كبيرنا . ويرحم صغيرنا . ويعرف لعالمنا حقه)

وقال عليٌّ كرم الله وجهه — إن الله تعالى جعل مكارمَ الأخلاق ومحاسنها وصلاً بينه وبينكم ، فحسْبُ الرجل أن يتصل من الله تعالى بخلق منها . وقال — غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه

وقال خالد بن صفوان لابنه: يابنيّ ، الأدب بهاء الملوك، ورياش السوقة ، والناس بين هاتين فتعلمه تجد نفسك حيث تحب

وقال ابن المقفع : ما نحن الى ما نتقوّى به على حواسنا من المطعم

الشرب ، بأحوج منا الى الأدب الذي هو لقاح عقولنا

وقال بزرجمهر: ليت شعري — أي شيء أدرك من فاته الأدب وأي شيء فات من أدرك الأدب. وقال لكسرى وعنده أولاده. أي أولادك أحب اليك . قال أرغبهم في الأدب . وأجزعهم من العار وأنظرهم الى الطبقة التي فوقهم

وحكى الأصمعي رحمه الله تعالى : ان اعرابياً قال لابنه : يا بنيّ الأدب دعامةٌ أيّدَ الله بها الألباب ، وحليةٌ زيّن الله بها عواطل الأحساب ، فالعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته عن الأدب المخرج زهرتَه ، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها

وقال بعض الحكماء: الأدب صورة العقل. فصوّر عقلك كيف شئت . وقال آخر : اذا كان الرجل طاهر الأثواب، كثير الآداب حسن المذهب، تأدّب بأدبه ، وصلح بصلاحه جميع أهله وولده وقال غيره : من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان قبل وضيعاً ، وبَعُد صيته، وان كان خاملاً ، وساد وإن كان غريباً ، وكثرت الحاجة اليه وإن كان مقتّراً . وقال غيره : عليكم بالأدب فانه صاحب في السفر ومؤنس في الوحدة ، وجمال في المحفل ، وسبب الى قضاء الحاجة

وقال بعض الأدباء:زكِّ قلبك بالأدب كما تُزَكّى النار بالحطب

واتخذ الأدب غنما، والحرص عليه حظاً، يرتجيك راغب، ويخاف صولتك راهب. ويؤمل نفعك، ويرجى عدلك، وقال آخر: شبه العالم الشريف العديم الأدب بالبنيان الخراب، الذي كلما علا سمكه كان أشد وحشة: وبالنهر اليابس الذي كلما كان أعرض وأعمق كان أشد وعورة: وبالأرض الجيدة المعطلة التي كلما طال خرابها. ازداد نباتها غير المنتفع به التفافاً، وصار للهوام مسكناً

وقال بعض العلماء. العقل بلا أدب. كالشجر العاقر. ومع الأدب كالشجر المثمر. وقال آخر. الأدب وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل مكرمة

وقال بعض الفصحاء. الفضل بالعقل والأدب. لا بالأصل والنسب وقال غيره. من ساء أدبه ضاع حسبه. ومن قل عقله ضل أصله. وقال غيره. الأدب يستر قبيح النسب

وقال الشاعر

لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وان كان وضيع النسب

وقال آخر

فما خلق الله مثل العقول ... ولا اكتسب الناس مثل الأدب
وما كرم المرء إلا التقى ... ولا حسب المرء إلا النسب

وقال غيره

ما وهب الله لامرىء هبةً　　أشرفَ من عقله ومن أدبهْ
هما حياة الفتى فإن عُدما　　فان فقد الحياة أجمل بهْ

وقال غيره

كن ابن من شئت واكتسب أدباً　　يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هأنذا　　ليس الفتى من يقول كان أبي

١١٥ — ﴿ الحلم سيد الأخلاق ﴾

الحلم هو ضبط النفس عند ثورة الغضب، حال وجود ما يدعو إليه . وتملك عنانها حذر الاسترسال في هياجها . فيحدث ما لا تحمد عقباه . فكم جر الغضب من الأضرار على أناس، ما لو ملكوا أنفسهم وكبحوا جماحها لسلموا منه . وكانوا الى السيادة التي حرصوا عليها بما فعلوا أقرب . وإن مما يدعو إلى طول الأسف ما نراه عند شباننا من الغضب في أدنى الأمور، وأوهى الاسباب، ولو علموا أن الحلم سيد الأخلاق، وأنه يكمل صاحبه بجميل الخصال . ويحببه إلى الله تعالى ويرفع قدره عند الناس لما عرفوا للغضب سبيلا ولا سلكوا له طريقاً

قال الله تعالى (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)

وقال عز وجل (خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب الحليمَ الحيَّ

ويُبغض الفاحشَ البَذِي) وقال عليه الصلاة والسلام(ليس الشديدُ بالصُّرْعة . إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) وقال عليه السلام (ألا أخبركم بمن يُحرّم على النار أو بمن تحرّم عليه النار : تحرّم على كل قريب هيّن ليّن سهل) وقال (ابتغوا الرفعة عند الله تحلُمُ عمّن جهل عليك . وتُعطي من حرمك) وقال (كاد الحليم أن يكون نبياً)ورُوي أن رجلاً أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أوصني (قال لا تغضب — فردّد مراراً قال لا تغضب)

وقال علي كرم الله وجهه. أول ما يُعوّض الحليم عن حلمه، أن الناس أنصاره

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه — لرجل أسمعه كلاماً . يا هذا لا تُغرِق في سبّنا ودَعْ للصلح موضعاً . فإني أبيتُ مشاتمةَ الرجال صغيراً . فلن أجيبها كبيراً . وإني لا أكافيء من عصى الله فيّ بأكثر من أن أطيع الله عز وجل فيه . وشتم رجل الشعبي فقال — إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي : وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك:واغتاظت عائشة رضي الله عنها على خادم لها،ثم رجعت إلى نفسها فقالت : لله درُّ التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء

وقال الأحنف بن قيس : ما عاداني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال : إن كان أعلى مني عرفت له قدَره

وإن كان دوني رفعت قدري عنه ، وإن كان نظيري تفضلت عليه

وقال بعض الحكماء . احتمال السفيه خير من التحلي بصورته والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته .وقال آخر . إذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جواباً . وأوجعته عقاباً . وقال غيره . في اغضائك راحة أعضائك

وقال بعض الأدباء . من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم وقال آخر ما أفحش حليم . ولا أوحش كريم

وقال بعض البلغاء .ماذبَّ عن الأعراض كالصفح والإعراض وقال آخر. ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواطن — لا يعرف الجواد إلا في العسرة . والشجاع إلا في الحرب . والحليم إلا في الغضب

وكان الأحنف ، مشهوراً بين الناس بالحلم ، وبذلك ساد عشيرته فقيل له ممن تعلمت الحلم : فقال من قيس بن عاصم . كنا نختلف إليه في الحلم كما يختلف الى الفقهاء في الفقه .ولقد حضرت عنده يوماً وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاءوا به مكتوفاً. فقال ذعرتم أخي أطلقوه ، واحملوا إلى أمي ولدي دِيَتَهُ فإنها ليست من قومنا. ثم أنشد

أقول للنفس تصبيراً وتعزيةً إحدى يديَّ أصابتني ولم تُرِدِ
كلاهما خلفٌ من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وقال الجعدي

ولا خير في حلم اذا لم يكن له   بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له   حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال صلاح الدين الصفدي

واستشعر الحلم في كل الأمور ولا   تسرع ببادرة يوماً إلى رجل
وإن بليت بشخص لا خلاق له   فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

وقال الشاعر

أحب مكارم الأخلاق جهدي   وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلماً   وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه   ومن حقر الرجال فلن يهابا

١١٦ — ﴿ الصدق يرفع أهله   والكذب مرتعه وخيم ﴾

الصدق هو القول المطابق للحقيقة والواقع من غير تبديل ولا زيادة أو نقصان . وهو من ضروريات الحياة . ولولاه لانتزعت ثقة الناس بعضهم من بعض . ولما وصل اليهم شيء من الحقائق في العلوم والأديان . ويسرى الأخلاق خلق أحسن بالاصلاح والنظام من الصدق ، ولا أفسد لها من الكذب . فهو رأس الفضائل وأس المروءة ، من تحلى به كملت صفاته ، وسمت أخلاقه . ونجحت جميع آماله

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال تعالى واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيا) وقال

عز وجل (ليجزيَ اللهُ الصادقينَ بصدقِهِمْ) وقال جل شأنه (هذا يومُ ينفعُ الصادقين صدقُهم لهم جنّاتٌ تجري من تحتها الانهارُ) وقال تعالى) إنما يفتري الكذبَ الذين لا يؤمنونَ بآياتِ اللهِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالصدق فإنه مع البِر، والبرُّ يهدي إلى الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور والفجور يهدي إلى النار) ورُويَ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (عملُ الجنة الصدقُ، وإذا صدقَ العبدُ برَّ، وإذا برآمنَ، وإذا آمن دخل الجنة. وعمل النار الكذب، وإذا كذب العبد فجر، وإذا فجر دخل النار) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (عليكم بالصدق فإنه باب من أبواب الجنة)، وإياكم والكذب فإنه باب من ابواب النار) وقال — رحم اللهُ امرأً أصلح من لسانه، وأقصر من عنانه، وألزم طريق الحق مِقْوَلهُ، ولم تعوّد الخطلَ مِفْصله) وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم (أَيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل أفيكون بخيلاً؟ قال نعم. قيل أفيكون كذاباً؟ قال لا)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق وقلّما يفعل، أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل

وقال عليٌّ كرم الله وجهه: قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله

وقال ابن المقفع : لا تتهاون بإرسال الكِذْبة من الهزل فإنها تُسرع إلى إبطال الحق

وقال علي بن عُبيدة : الكذب شعار الخيانة ، والصدق ربيع القلب ، وزكاة الخِلقة ، وثمرة المروءة ، وشعاع الضمير

وقال اعرابي لابنه وسمعه يكذب : يا بنيَّ ان الكذاب يتعرض للعقاب من ربه ؛ إن قال حقاً لم يُصدقْ ، وإن أراد خيراً لم يُوَفَّق فهو الجاني على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله ، فما صحَّ من صدقه نسب الى غيره ؛ وما صح من كذب غيره نسب اليه

كذبتَ وَمن يكذب فان جزاءه اذا ما أتى بالصدق ألاَّ يُصدَّقا

وقال أحد الفلاسفة : إياك وحكايةَ ما يُستبعد ، فيجد عدوُّك سبيلاً الى تكذيبك ؛ فإن من صفات العاقِل أن يحدّث بما لا يستطاع تكذيبه

وقال بعض الحكماء: الخرس خير من الكذب ، وصدق اللسان أول السعادة ، وقال آخر : الكذاب لص ، لأن اللص يسرق مالَك والكذاب يسرق عقلك؛ وقال غيره : من عرف من نفسه الكذب لم يصدّق الصادق فيما يقوله ، وقال غيره : نزّه سمعك عن سماع الكذب ، كما تنزّه لسانك عن التفوُّه به

وقال بعض الأدباء: الكذب جمّاع كل شر ، وأصل كل ذم لسوء

عواقبه ، وخبث نتائجه ، لانه ينتج النميمة ، والنميمة تنتج البغضاء والبغضاء تؤول الى العداوة ، وليس مع العداوة أمن ولا راحة

وقال آخر — الكذوب متهم وإن صدقت لهجته ووضحت حجته

وقال غيره : لا سيف كالحق ، ولا عون كالصدق

وقال بعض البلغاء : الصادق مصون جليل ، والكاذب مهان ذليل . وقال آخر : ليكن مرجعك الى الحق ، ومنزعك الى الصدق فالحق أقوى معين ، والصدق أفضل قرين . وقال غيره : اذا اتسم المرء بالكذب نسبت اليه شوارد الكذب المجهولة ، وأضيفت الى أكاذيبه زيادات مفتعلة ، حتى يصير الكاذب مكذوباً عليه ، فيجمع بين معرة الكذب عنه ومضرة الكذب عليه

وقال بعض الفضلاء : الصدق منجيك وإن خفته ، والكذب مرديك وإن أمنته

وقال بعض العلماء : من صدق في مقاله ، زاد في جماله ، وقال آخر تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة ، فإن فيه النجاة ، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة

وقال الشاعر

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به   إن اللسان لما عوّدتَ معتاد

موكلٌ بتقاضي ما سننتَ له　　في الخير ولشر فانظر كيف ترتاد

وقال آخر

عليك بالصدق ولو أنه　　أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا المولى فأغبى الورى　　من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال غيره

عليك بالصدق في كل الامور ولا　　تكذب فأقبح ما يزري بك الكذب

وقال غيره

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله　　وأقبح الكذبَ عند الله والناس

لا يكذب المرء الا من مهانته　　أو عادة السوء أو من قلةِ الأدب

وما شيء اذا فكرتَ فيه　　بأذهب للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير فيه　　وأبعد بالبهاء من الرجال

١١ — ﴿ الحياء دليل الخير كله ﴾

حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه

الحياء هو الكف عن كل ما يستقبحه العقل، ويمجه الذوق واستنكار كل ما لا يرضى به الخالق والمخلوق، خلق شريف يمنع المرء عن فعل المحرمات والمنكرات، ويصونه عن الوقوع في الأوزار والآثام فمن فقدَ الحياء فقد ذهبت آدابه أدراج الرياح. وأضحى منبوذاً محروماً من كل خير وفضل

قال الله تعالى (وَمن تَزَكَّى فإِنما يَتَزَكَّى لِنَفسِهِ وإِلى اللهِ المَصيرُ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار) وقال عليه الصلاة والسلام (استحيوا من الله حق الحياء، من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأسَ وما وَعى، وليحفظ البطنَ وما حوى، وليذكر الموت والبِلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال (إنّ الحياء والايمان قُرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر)

وقال عليه الصلاة والسلام (الإيمان بضع وستون شُعبة، والحياء شعبة من الإيمان) وقال (الحياء لا يأتي إلا بخير) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت)

وقال كعب: استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم

وقال حُذَيفة بن اليمان: لا خير فيمن لا يستحيي من الناس

وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه

وقال آخر: الحياء في الصبيّ، خير من الخوف، لأن الحياء يدل على

العقل ، والخوف يدل على الجبن

وقال أحد الأدباء : ليكن استحياؤك من نفسك أكثرَ من استحيائك من غيرك،وقال آخر.من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدرٌ

وقال آخر: أحيِ حياءك بمجالسة من يُستحَى منه—وقال غيره اجعلَ الحياء حكماً على أفعالك

وقال أحد الفصحاء : سِمَةُ الخير الدّعة والحياء . وسِمة الشر القِحَةُ والبذاء ، وكفى بالحياء خيراً أن يكون على الخير دليلاً وكفى بالقحة والبذاء أن يكونا إلى الشر سبيلاً

وقال آخر :القناعة دليل الأمانة والأمانة دليل الشكر. والشكر دليل الزيادة . والزيادة دليل بقاء النعمة . والحياء دليل الخير كله

وقال أحد العقلاء:عليك بالحياء والأنفة. فإنك إن استحييت من الفضاحة اجتنبت الخساسة . وإن أنفتَ من الغَلَبَة لم يتقدمك أحد في مرتبة ، وقيل لا وفاء لمن ليس له حياء

وقال الشاعر

إذا قل ماء الوجه قل حياؤهُ ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياءك فاحفظه عليك وإنما يدل على فعل الكريم حياؤه

وقال آخر

إذا لم تخشى عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير من الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العودُ ما بقيَ الحياء

وقال غيره

وحاجةٍ دون أخرى قد سنحتُ بها جعلتها للتي أخفيت عنوانا
وإنني لأرى من لا حيا له ولا أمانة وسط القوم عريانا

وقال غيره

ربَّ قبيحةٍ ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء

وقال غيره

إذا لم تصن عرضاً ولم تخشى خالقاً وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

١١٨ - ﴿التواضع دليل العلم والكبر دليل الجهل﴾

التواضع هو تجمل النفس بالخضوع، ومنعها عن الترفع على الناس والاستخفاف بهم، وحملها على احترامهم مهما اختلفت درجاتهم وتباينت مشاربهم، وعدم الكبر على أحد سواء في ذلك الوضيع والرفيع والصغير والكبير، ليحافظ على منزلته في النفوس، ويأخذ مكانته في القلوب، وهي خصلة محمودة تدعو إلى التوادد والتعاون، وتدل على طهارة النفس، وسلامة الذوق، فكم رفع التواضع أقواماً، فكانوا

هم الأُلى فازوا برضا ربهم والفضل العظيم، وكم خفض الكبر آخرين فحل عليهم غضب الرحمن، وباءوا بالخسران المبين

قال الله تعالى (وَاخفِضْ جناحكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤمنينَ) وقال تعالى (وَلاَ تُصعرْ خَدَّكَ للناسِ وَلاَ تَمْشِ في الأرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كلَّ مُختَالٍ فخور) وقال عز وجل (وَعبادُ الرحمنِ الذينَ يَمْشُونَ على الأرضِ هَوْناً . . وإذا خاطَبَهُمُ الجاهلون قالوا سلاماً) وقال جل شأنه (تلكَ الدَّارُ الآخرةُ نَجعلُها للذينَ لا يُرِيدونَ عُلُوّاً في الأرضِ ولا فساداً ، والعاقبةُ للمتقينَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا ولا يبغ بعضكم على بعض) وروى قيس بن حازم أن رجلا أُتِيَ به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصابته رعدة . فقال له صلى الله عليه وسلم هَوِّن عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد ، وقال عليه الصلاة والسلام (ما تواضع احد لله إلا رفعه) وقال عليه الصلاة والسلام (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر) وقال (اجتنبوا الكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله تعالى للملائكته اكتبوا عبدي هذا في الجبارين) وقال لعمه العباس (أنهاك عن الشرك والكبر فإن الله يحتجب منهما)

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بنيّ إياك والكبر وليكن

ما تستعين به على تركه علمك بالفنى منه كست والذي اليه تصير

وقال سفيان: السفلة إذا تعلموا تكبروا، وإذا تمولوا استطالوا والكرام إذا تعلموا تواضعوا، وإذا افتقروا استطالوا

وقال ابن السماك: تواضعك في شرفك، أشرف لك من شرفك

وقال بعض الحكماء: من أظهر عيب نفسه فقد زكاها، فإذا قطع أسباب الكبر وحسم مواد العجب اعتاض بالكبرياء تواضعاً وبالعجب توددا، وذلك من أوكد أسباب الكرامه، وأقوى موارد النعم، وأبلغ الشفعاء إلى القلوب، يعطفها إلى المحبه، ويثنيها عن البغض — وقال آخر: من نال منزلة فأبطرته دل على رداءة أصله وعنصره — وقال غيره: من تكبر على الناس ذل — وقال غيره: عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله، وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حد، ولا إلى ما ينتهي اليه العجب غاية، حتى إنه ليطفيء من المحاسن ما اشتهر. وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة، وبمذمة تهدم كل فضيلة مع ما يثيره من حنق. ويكسبه من حقد — وقال غيره: من بريء من ثلاث، نال ثلاثاً من بريء من السرف، نال العز، ومن بريء من البخل نال الشرف ومن بريء من الكبر نال الكرامة

وقال أحد الأدباء: من ولد في الفقر أبطره الغنى، ومن ولد في الغنى لم يزده الا تواضعاً

وقال أحد العلماء · أجهل الناس من قلّ صوابه ، وكثر إعجابه وأبغض الناس ذو عسر يخطر في رداء كبر . وقال التواضع من أخلاق الكرام ، والكبر من أخلاق اللئام . وقيل تاج المرء التواضع

وقال الشاعر

وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه رفيعاً وعند العالمين وضيع
تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضيع

١١٩ — ﴿لن تنالوا ما تحبون إلا بالصبر عما تكرهون﴾

وعليك بالصبر الجميل فإنه وأفضل أخلاق الرجال التجمل

الصبر هو تحمل النفس مكاره الحياة . وعدم الجزع لنوائب الدهر ونكباته ، وهو الدواء الشافي لمن ملك الحزن عليه نفسه والبلسم الشافي لمن قبض الجزع على زمام عواطفه ، بل هو عين الراحة وينبوع الفرح . ومبيد الهموم . ومزيل الغموم . ولا سبيل إلى تشتيت ما علق بالنفس من الأحزان إلا التمسك به والتعلق بأهدابه ، فهو ركن حصين في محاربتها ، وعتاد قوي على دفعها . وناهيك بعظم أثر الصبر . وسوء عاقبة الجازعين .

[illegible]

قالوا [illegible] رجعون [illegible]

أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال جل شأنه (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) وقال عز وجل (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقال تعالى (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) وقال تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل الإيمان الصبر والسماحة) وقال عليه الصلاة والسلام (الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب) وروي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قال الله تعالى إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو في ولده أو في ماله فاستقبلها بصبر جميل استحييت يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً) وعنه أنه قال (الصبر مع الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا) وقال عليه السلام (من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده وكتمها ولم يشكها إلى الناس كان حقاً على الله أن يغفر له) وقال من أعطى فشكر . ومنع فصبر، وظلم فغفر . وظلم فاستغفر . فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون)

وقال علي كرم الله وجهه للأشعث بن قيس : إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور وقال الصبر مطية لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أفضل العدّة الصبر على الشدة

وقال ابن مبارك: المصيبة واحدة، فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لأن إحداهما المصيبة بعينها، والثانية ذهاب أجره. وهو أعظم من المصيبة

وعن أكثم بن صيفي: من صَبَرَ ظفِرَ

وحكى كعب الأحبار - انه مكتوب في التوراة: من أصابته مصيبه فشكا الى الناس فإنما يشكو ربه

وحكى أن اعرابية دخلت من البادية، فسمعت صراخاً في دار فقالت ما هذا. فقيل لها مات لهم انسان: فقالت، ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرمون. وعن ثوابه يرغبون.

وقال بعض الحكماء: من أحب البقاء فليعدّ للمصائب قلباً صبورا

وقال آخر بالصبر على موقع الكُرْه تُدْرك الحظوظ

وقال احد الصلحاء. صبر لحكم من لا تجد معولاً إلا عليه ولا مفزعاً إلا اليه

وقال عثمان بن عفان

خليليّ لا والله ما من ملمة تدوم على حيّ وإن هي جَلّتِ
فإن نزلت يوماً فلا تخضعن لها ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلّت

فكم من كريم قد بُلي بنوائبٍ فصابرها حتى مضت واضمحلت
وكم غمرة هاجت بأمواج غمرة تلقيتها بالصبر حتى تجلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزةً فلما رأت صبري على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتي كريمةً فقد كانت الدنيا لنا ثم ولتِ

وقال ابراهيم بن العباس

وَلَرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكان بظنه لا تفرجُ

وقال محمد بن بشير الخارجي

إن الأمور اذا سُدَّت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتُتِجا
لا تيأسنَّ وإن طالت مطالبها إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُدْمن القرع للأبواب أن يلجا

١٢٠

الاقتصاد في الأمور مملكه والسرف لا يعقب إلا الهلكه

الاقتصاد هو التوسط بين التقتير والتبذير ، فلا يجاري المرء من هو أغنى منه في إسرافه وبذخه فيقع في أسر الاستدانة، ويصبح فقيراً معدماً، فينبذه كل من رآه، ويبغضه كل من علم أمره ، ولا يبخل في الإنفاق على نفسه وعياله أو يشح بالإحسان على البائسين والمحتاجين فيكونون عرضة الى ضرر أطماعهم ، وهدفاً الى سوء عاقبة حرمانهم

فيعيش ولا راحة عنده ولا اطمئنان ، وكفى المقتصد فخراً أن يعيش عزيز النفس غنياً محبوباً عند الله ، مبجلاً عند الناس

قال الله تعالى (ولا تجعلْ يَدَكَ مَغلولةً إلى عنقِكَ ولا تبسطها كلَّ البسطِ فتقعدَ مَلوماً محْسُوراً) وقال تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفوا ولم يَقتروا وكانوا بين ذلك قَواماً) وقال جل شأنه (ولا تبذّر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوانَ الشياطين وكانَ الشيطانُ لربه كفوراً)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة) وقال عليه الصلاة والسلام (الاقتصاد وحُسن السَّمْت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة)

وقال أبو بكر رضي الله عنه : ما عال مقتصد ولا يعيل — وقال إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد

وقال علي كرم الله وجهه : دع الإسراف مقتصداً . واذكر في اليوم غداً

وقال معاوية : ما رأيت تبذيراً إلا وإلى جَنْبه حقٌّ مضيع

وقال سعيد بن جُبير : التبذير هو أن تنفق الطيب في خبيث

وقال سفيان الثوري : من كان في يده مال فليصلحه فإنه في زمان إن احتاج اليه فأول ما يبذل فيه دينه

وقال سقراط : لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه

وقيل لأفلاطون: لِمَ تدخر المال وأنت شيخ ، فقال—لأن يموت الإنسان ويخلف مالاً لعدوه ، خير من أن يحتاج إلى أصدقائه في حياته

وقيل لابن زياد: لِمَ تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا - فقال هي وان أدنتني منها فقد أغنتني عنها

وأتى قوم قيس بن عبادة يسألونه حمالةً ، فصادفوه في حائط له يتبع ما يسقط من الأثمار . فيعزل جيده ورديئه ، فقاموا حتى فرغ فكلموه في ذلك ، فبذل لهم ما ارادوا ، فقال لبعضهم صنيعك هذا منافٍ لترقيح عيشك . فقال بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضى حاجتكم

وقيل لحكيم : لِمَ حفظت الفلاسفة ما في أيديهم ، فقال لئلا يقيموا أنفسهم المقام الذي لا يستحقونه ، فقد علموا ألا اتكال على ما في أيدي الناس

وقال بعض الحكماء : التبذير إنفاق المال في غير وجه حق وبذله على وجه لا تقتضيه الحكمة

وقال أحد الادباء : من ربى ابنه على الاقتصاد أفاده أكثر

مما يخلف له ثروة وافرة

وقال أحد العقلاء . ما وقع تبذير في كثير الا هدمه ، ولا دخل تدبير في قليل إلا ثمره ، وقال آخر : إذا أعطيت مالك في غير الحق يوشك أن يجيء الحق فليس عندك ما تعطي منه

وقال المتلمس

وحبسُ المال أيسرُ من فناهُ ... وضربٍ في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال الشاعر

أنفق بقدر ما استفدتَ ولا ... تُسرف وعش فيه عيش مُقتصدِ
من كان فيما استفاد مقتصداً ... لم يفتقر بعدها إلى أحد

(١٤) [illegible] العدل [illegible]

العدل : هو طريق الحق في كل أمر من الأمور [illegible] عنه قيدَ شعرة والبعد عن الظلم أو الميل عن جادة الإنصاف بقصد قضاء بغية أو منفعة تعود [illegible] وراء الظلم ولا فائدة ترجى منه بل هو طريق وعر [illegible] منه صاحبه . وإن ما يلقاه من مقاطعة الناس له وبغضهم [illegible] عليه ، لأكبر دليل على جسامة ذنب الظالم وسوء [illegible]

قال الله تعالى (إنّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي

القُرْبى وَيَنهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمنكَرِ والبَغْي) وقال تعالى (واذا حكمتم بينَ الناسِ أن تحكموا بالعدلِ) وقال تعالى (وإنْ حكمتَ فاحكم بينَهُم بالحقّ) وَقال جل شأنه (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسطِ) وقال تعالى (ألا لعنةَ الله على الظالمينَ) وقال عز وجل (وما للظالمينَ مِنْ وَليّ ولاَ نَصيرٍ) وقال تعالى (فتلكَ بيوتهم خاويةً بما ظلموا) وقال تعالى (ولا تَحْسَبَنّ اللهَ غافلاً عما يَعملُ الظالمونَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يُسْلمهُ ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كُرْبة فرّج الله عنه كربة من كُرُبات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) وقال عليه الصلاة والسلام (الظلم ظلمات يوم القيامة) وقال عليه الصلاة والسلام (أهلُ الجوْر وأعوانهم في النار) وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله يُمْلِي للظالم فإذا أخذه لم يُفْلِته) ثم قرأ (وكذلكَ أخْذُ ربكَ إذا أخذَ القُرى وهيَ ظالمةٌ إنّ أخذهُ أليمٌ شديدٌ)

وقال عليه الصلاة والسلام (اتقوا دعوةَ المظلوم فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزّتي وجلالي لأنْصرنك ولو بعد حين) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (ما من أحد يكون على شيء من

أمور هذه الأمة فلا يعدل بينهم إلا كبّهُ الله في النار)

وقال أبو بكر رضي الله عنه لبعض عماله: عليكم بالعدل وتباعدوا عن الجور، ولا تغدروا إن عاهدتم، ولا تنقضوا إن صالحتم

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامل له : إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك

وقال الأحنف: ما عُرضت النَّصَفَة على أحد فقبلها إلا تداخلني منه هيبة، ولا ردها أحد إلا طمعت فيه

وقال أنوشروان : الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بنيانه — وقال غيره : المملكة تخصب بالسخاء، وتعمر بالعدل، وتثبت بالعقل، وتُحرس بالشجاعة

وقال بعض الحكماء: بالعدل والإنصاف تكون مدة الائتلاف

وقال آخر : ليس شيء أقرب إلى تغيير نعمة. وتعجيل نقمة، من الإقامة على الظلم— وقال غيره: شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم

وقال بعض الفضلاء: يوم العدل على الظالم، أشد من يوم الجور على المظلوم— وقال آخر: إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه للحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه — وقال غيره دعوتان أرجو إحداهما وأخاف الأخرى. دعوة مظلوم أعنتهُ وضعيف ظلمتهُ

وقال بعض الصلحاء: إذا ظلمت من دونك، عاقبك من فوقك
وقال آخر: من كثر ظلمه واعتداؤه، قرب هلاكه وفناؤه، ومن طال تعديه، كثرت أعاديه — وقال غيره: لا ينبغي للإمام أن يكون جائراً، ومن عنده يُلتمس العدل، ولا للعالم أن يكون سفيهاً، ومن عنده يُلتمس العلم والحلم

وقال بعض البلغاء: في معاقبة الظالم أعظم تعزية للمظلوم، وأبلغ تحذير للظالم، من إنزال العقوبة، وإن تنفست مدته — وقال آخر: الظالم مهلك ثم هالك، كالنار إذا وقعت في يابس الشجر، لا تُبقي معها مع تمكنها شيئاً، حتى إذا أفنت ما وجدت، اضمحلت وخمدت

وقال أحد العلماء: إياك والبغي فإنه يصرع الرجال، ويقطع الآمال — وقال آخر: العدل يوجب اجتماع القلوب، والجور يوجب الفرقة

وفي الأمثال: من سلّ سيف العدوان أغمد في رأسه — وقيل الظلم مرتعه وخيم، وأعجل الأشياء عقوبة البغي

وقال العتابي:

بغيتَ فلم تقع إلا صريعاً كذاك البغي يصرع كل باغ

وقال الشاعر

ما زال يظلمني وأرحمه حتى رثيت له من الظلم

العدل يكفل للشعوب بقاءها　　والعلم ينمي وفرها وثراءها

وما من يد إلا يد الله فوقها　　ولا ظالم إلا سيبلى بأظالم

وقال غيره :

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً　　فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه　　يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال غيره :

العدل روح به تحيا البلاد كما　　دمارها أبداً بالجور ينحتم

الجور شين به التعمير ممتنع　　والعدل زين به التمهيد ينتظم

وقال غيره :

ظهور عادل يمحو كل ظلم　　إذ جاء الصبح يمحو الظلام

١٢١　　العفو من مكارم الأخلاق

العفو هو الصفح عند القدرة عمن هفا . وعدم الأخذ بالثأر ممن ارتكب جرماً ، وهو من شيم الكرام ، يحبب المرء لمعاصريه ويحفظ قدره بين معارفه ، ويزيل ما في القلوب من عداوة وبغض ويدعو إلى الارتباط والائتلاف ، لا يعدم صاحبه ناصراً في الدنيا ولا يضيع له أجر في الآخرة

قال الله تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال تعالى (فاعفُ عنهم واصفح) وقال جل شأنه (وليعفوا وليصفحوا ألا

تحبُّون أن يغفرَ اللهُ لكم واللهُ غفورٌ رحيمٌ) وقال عزَّ وجل (عفا اللهُ عما سلَفَ) وقال تعالى (وأن تعفُو أقرب للتقوى) وقال تعالى (فاصفحْ الصفحَ الجميلَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أبا هريرة عليك بحسن الخلقِ . قال أبو هريرة وما حسنُ الخلق يا رسول الله ؟ قال تَصِلُ من قطعك ، وتعفو عمن ظلَمك ، وتُعطي من حرمك) وقال عليه الصلاة والسلام (إن اللهَ عفوٌ يحب العفو) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قال موسى بن عمران يا رب من أعَزُّ عبادك عندك ، قال من إذا قدر غفر) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العُسرة) وعنه عليه السلام أنه قال (ينادي منادٍ يوم القيامة من كان له أجرٌ على الله عز وجل فليقم ، فيقوم العافون عن الناس) وقال (الخير ثلاث خصال ، فمن كُنَّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، وإذا غضب لم يُخرجه غضبُه من حق ، وإذا قدر عفا) وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ، قالوا نعم يا رسولَ الله . قال تحلم على من جهل عليك ، وتعفوَ عمن ظلَمكَ وتعطي من حرمَكَ ، وتصل من قطعَكَ) وقال (من كظم غيظاً وهو

يقدر على إنفاذه ، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ،

وقال علي كرم الله وجهه: إذا قدرت على عدوك فجعل العفو شكراً للقدرة عليه

وقالَ الأحنف: إياكم ورأيَ الأوغاد. قالوا وما رأي الأوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عاراً

وسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاماً ؛ فقال عمر أردتَ أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان. فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً انصرف رحمك الله

وكتب برويز إلى ابنه شيرويه : إن كلمة منك تسفك دماً وأخرى منك تحقن دماً . وإن نفاذ أمرك مع كلامك. فاحترس في غضبك من قولك أن تخطيء ومن لونك أن يتغير . ومن جسدك أن يجف . فإن الملوك تعاقب قدرة . وتعفو حلماً

وقال المأمون لإبراهيم بن المهدي ، إني شاورت في أمرك فأشاروا عليّ بقتلك ، إلا أني وجدت قدرك فوق ذنبك . فكرهت القتل للازم حرمتك . فقال يا أمير المؤمنين . إن شير المشير جرت به العادة في السياسة إلا أنك أبيت أن تطلب النصر إلا من حيث عودته من العفو . فإن عاقبت فلك نظير . وإن عفوت فلا نظير لك

وقال بعض الحكماء : أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وعفا عن قدرة ، وأنصف عن قوة ، وقال آخر . أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . وقال غيره ، ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعاً عن السطوة

وقال بعض البلغاء : أحسن المكارم عفوُ المقتدر ، وجود المفتقر ، وقال آخر : ليس من عادة الكرام سرعةُ الانتقام

وقال ابو الطيب

وما قتل الأحرار كالعفو عنهمو ، وَمن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

إذا أنت اكرمت الكريم ملكته ، وإن انت اكرمت اللئيم تمرّدا

فوضع الندى في موضع السيف بالعلا ، مُضِر كوضع السيف في موضع الندى

وقال الشاعر

إذا ما الذنب وافى باعتذار ، فقابله بعفو وابتسام

ولا تحقد وإن مُلّئت غيظاً ، فان العفو من شيم الكرام

وقال آخر

وصل الكرام وإن رموك بجفوة ، فالصفح عنهم والتجاوز اصوبُ

وقال غيره

وإن أولى الملا بالعفو اقدرهم ، على العفو إن يظفر بذي زَلَل

وقال غيره

فان كنت ترجو في العقوبة راحةً فلا تزهدن عند التجاوز في الأجر

وقال غيره

خذ العفو واصفح عن أمور كثيرة ودع كدر الاخلاق وعمد لما صفا

وقال غيره

إذا اعتذر المسيء اليك يوماً من التقصير عذر فتىً مقرِّ
فصنْهُ عن عقابك واعف عنه فإن العفوَ شيمةُ كل حرِّ

١٢٣ – ﴿ المروءة رمز الإنسانية الكاملة ﴾

المروءة صفة للنفس تحملها على فعل كل خير، ودفع كل ضرٍّ، كلما وجدت لذلك سبيلاً، فهي عنوان علو الهمة، وشرف النفس، ودليل الكرم ومن دواعي الأئمة ودواعي المحبة، يرنو صاحبها دائماً الى الكمال ويرغب في التمسك بأجمل الخصال. فمن تجرد من المروءة فقد سفلت نفسه، وانحطت اخلاقه، وقلت خوانه. فلا يجد من يعطف عليه اذا أصيب بمكروه، أو يتودد اليه اذا نزلت به نازلة، ومن لذة العيش إلا بالتعارف والتعاون. فيقضي ايامه مبغوضاً ويضيع حياته وهو بعين الاحتقار مرموق

قال الله تعالى (ويؤثرونَ على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئكَ همُ المفلحون)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ عامل الناسَ فلم

يَظلمهم ، وحدّثهم فلم يَكذبْهم ، ووعدهم فلم يُخالِفهم فهو ممّن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوّته) وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله يحب إغاثة اللهفان) وقال عليه الصلاة والسلام (إنّ حقاً على المؤمنين أن يتوجعَ بعضهم لبعض كما يألم الجسد اذا تألم عضو منه) وقال (ان الله يحب معالي الأمور ويكره دنيّها وسفاسفَها) وقال (علو الهمة من الإيمان)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه) لا تصغُرَنّ هممكم فاني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم

وقال ابن عائشة القرشي : لولا ان المروءة صعب محملها لما ترك أصحاب اللؤم منها شيئاً

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال : صدق اللسان ومؤاساة الإخوان ، وذكر الله تعالى فى كل مكان

وقال بعض الحكماء : من المروءة أن يبذل الإنسان لك ماله عند الحاجة ، ونفسه عند النكبة ، ويحفظك عند المغيب ، وقال آخر : من أجار جاره أعانه الله وأجاره ، وقال غيره : الهمة راية الجد

وسئل بعضهم عن الفرق بين العقل والمروءة ، فقال العقل يأمرك بالأنفع ، والمروءة تأمرك بالأجمل

وقال بعض الادباء ، ليس من المروءة ان تكون أوانيك من

الفضة ، وجارك طاو ، وغريمك عار

وقال بعض البلغاء : من شرائط المروءة ان يتعفف المرء عن الحرام ، ويتصلف عن الآثام ، وينصف في الحكم ، ويكف عن الظلم، ولا يطمع فيما لا يستحق، ولا يستطيل على ما يسترق، ولا يعين قوياً على ضعيف، ولا يؤثر دنيا على شرف، ولا يسر ما يعقبه الوزر والإثم، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم، وقال آخر: علو الهمم بذر النعم

وقال بعض العلماء : اذا طلب رجلان أمراً ظفر به أعظمهما مروءة ، وقيل المروءة انك لا تعمل عملاً في السر تستحي منه في العلانية

وقال الشاعر

إن المروءة ليس يدركها امرؤ ... ورث المكارم عن أب فأضاعها
أمرته نفس بالدناءة والخنا ... ونهته عن سبل العلا فأطاعها
فإذا أصاب من المكارم خلة ... يبني الكريم بها المكارم باعها
مررتُ على المروءة وهي تبكي ... فقلت علامَ تنتحب الفتاة
فقالت كيف لا أبكي وأهلي ... جميعاً دون خلق الله ماتوا

١٢٤ - ﴿ القناعة كنز لا يفنى ﴾

القناعة هي الرضا بالقسم للمرء من متاع الحياة الدنيا، وعدم النظر الى ما في ايدي الناس [illegible] ولا مرغيره [illegible] ضاقت

[illegible] ولا عاش

سعيداً إلا من كان الرضا حليفه ، والزهدُ قرينَه

قال الله تعالى (ولا تمدَّنَ عينيكَ الى ما متعنا به أزوَاجاً منهمْ زَهرَةَ الحياةِ الدنيا لِنفتِنهُمْ فيه، وَرِزقُ ربِّكَ خيرٌ وأبقى)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى) وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ليس الغنى عن كثرة العرَض ، ولكن الغِنى غِنَى النفس) ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (انتظار الفرَج من الله عبادةٌ . ومَن رضيَ بالقليل من الرزق ، رضي الله تعالى عنه بالقليل من العمل) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (أدِّ ما افترَض الله عليك تكن من أعبد الناس، واجتنب ما حرَّم الله عليك تكن من أورع الناس ، وارضَ بما قسمَ الله لك تكن من أغنى الناس) وعنه أنه قال (طُوبى لمن هُدِيَ للإسلام وكان عيشُه كفافاً وقنع)

وقال علي رضى الله عنه: من رضيَ بما قسم له استراح قلبه وبدنه

وقال أكثم بن صيفي: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة

وقال سعد بن أبي وقاص: يا بني اذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة فانها مال لا ينفد ، وإياك والطمع فانه فقر حاضر

وقال بعض الحكماء : إن من قنع كان غنياً وإن كان مُقتراً ومن لم يقنع كان فقيراً . وإن كان مكثراً . وقال آخر: القناعة عز

المعسر والصدقة حرز الموسر . وقال غيره : الغنيّ من استغنى بالله والفقير من افتقر إلى الناس . وقال غيره : من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجّل الراحة . ومن علم أن الذي قضي عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع . ومن علم أن مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله . وقال غيره : اشتر ماء وجهك بالقناعة . وتسلّ عن الدنيا بتجافيها عن الكرام

وقال بعض الصلحاء : يابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائن الله ملآنة . وخزائنه لا تنفد أبداً . ولا تأنس بغير الله فإن أنست بغيره تعالى فاتك الخير كله . وارض بما قسم الله لك فتريح قلبك وبدنك . لا تطالبه برزق غد . كما لا تطالبك بعمل غد . فإنه لا ينسى من عصاه ، فكيف ينسى من أطاعه وهو على كل شيء قدير وبكل شيء بصير . وقال آخر : سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت وغمها أن تغتمّ لما لم ترزق

وقال بعض العقلاء : قليل يكفي ، خير من كثير يطغي . وقال آخر : اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل مالم يخطر ببالك فلم تقله

وقال غيره : من رضي بما قسم الله له بارك له فيه

وقيل : القناعة رأس الغنى — وقال علي كرم وجهه

أفادتني القناعة كل عزّ . وأيُّ غنى أعزّ من القناعة

فصيّرها لنفسك رأس مالٍ وصيّر بعدها التقوى بضاعة

وقال أبو العتاهية :

غنى النفس ما يكفيك من سدّ فاقة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

وقال أبو فراس الحمداني

إن الغنيّ هو الغني بنفسه ولو أنه عاري المناكب حافِ

ما كل ما فوق البسيطة كافياً وإذا قنعت فبعض شيء كاف

وقال الشاعر

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل حزيناً على الدنيا رهين غُبونها

وإذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها

وقال آخر

اقنع بأيسر رزق أنت نائله واحذر ولا تتعرض للإرادات

فما صفا البحرُ إلا وهو منتقص ولا تعكّر إلا في الزيادات

وقال غيره

ورأيت أسباب القناعة أُكّدت بعُرى الغِنى فجعلتها لي معقلا

فإذا نبا بي منزلي جاورتهُ وجعلت منه غيره ليَ منزلا

وإذا غلا شيء عليّ تركتهُ فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

قال غيره

في [illegible] عيش [illegible] قد سدّ من عوز [illegible] لحر قيان وغيان

وذو القناعة راض من معيشته وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان

وقال غيره

فاقنع ففي بعض القناعة راحةٌ ولقد كسى ثوب المذلة أشعب

وقال غيره

العيش لا عيش إلا ماقنعت به قد يكثر المال والإنسان مفتقر

وقال غيره

واقنع فما كنز القناعة نافداً وكفى بها عزاً لغير مماري

١٢٥ — ﴿ العفاف حلية الأشراف ﴾

العفة هي اجتناب ما لا يحل ولا يجمل، وصدُّ النفس عن تتبُّع شهواتها الدنيئة، أو السير وراء أطماعها الرديئة. فما أسعد من ملك عنان نفسه، وقبض على زمامها. فإنه يأمن من الوقوع في مهاوي الردى، ومواطن الهلاك، وما أشقى من ترك لنفسه الحبل على غاربها، فغرقت في لذاتها وشهواتها. فبشره بسوء المنقلب. وسيعلم بعد الصدمة الأخرى عاقبة غيه، ويندم ولات حين مندم

قال الله تعالى (وَمَنْ كانَ غنياً فليستعفِفْ وَمن كان فقيراً فليأكلْ بالمعروف) وقال جلّ شأنه (يَحسَبهمْ الجهالُ أغنياءَ منَ التعففِ)، وقال عز وجل (وليستعففِ الذينَ لا يجدُونَ نكاحاً حتى يغنيهمُ اللّه منْ فضلهِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(من طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (أربعٌ من كُن فيه حرمه اللهُ تعالى على النار وعصمهُ من الشيطان، من ملك نفسه حين يرغب، وحين يرهب ،وحين يشتهي وحين يغضب) وقال عليه الصلاة والسلام(عِفوا عن النساء تعفّ نساؤكم) وقال (ما زاد الله عبداً بعفةً إلا عزًا) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (ما زان الله العبد بزينة أفضل من زهادة في الدنيا وعفاف في بطنه وفرجه)وعنه أنه قال(إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصّره عيوبه) وقال (جلساء الله غداً أهلُ الورع والزهد في الدنيا) وقال (اجعلوا بينكم وبين الحرام سِتراً من الحلال،ومن لم يفعل ذلك كان كالراعي حول الحمى يوشِك أن يقع فيه)

وقال علي كرّم الله وجهه : الزهد ثروة ، والورع جُنَّة نعم القرين الرضا

وقال أنوشروان لابنه هومز : الكامل المروءة ، من حصّن دينه ، ووصل رحمَه ، وأكرم إخوانه

وقال ابن المقفع : الهوى آفة العفاف

وسئل عمرو بن العاص عن المروءة : فقال هي العفة عما حرّم

الله تعالى ، والمحبةُ فيما أحل الله تعالى

وقال بعض الحكماء : من أحب المكارم اجتنب المحارم

وقال آخر : عار الفضيحة يكدّر لذّتها، وقال غيره: الرضا بالكفاف يؤدي الى العفاف

وقيل لسفيان : ما الزهد في الدنيا ، قال الزهد في الناس

وقال بشار بن بُرد

ولقد أصرف الفؤاد عن الشي ء حياء وحبّهُ في السّواد

أمسك النفس بالعفاف وأمسى ذاكراً في غد حديث الأعادي

وقال الشاعر

إن القناعة والعفا ف لغنيان عن الغنى

فإذا صبرت على المنى فاشكر فقد نلت المنى

وقال آخر

عفّوا تعفّ نساؤكم في المحرم وتجنّبوا ما لا يليق بمسلم

وقال غيره

ما الحظ الا امتلاك المرء عفته ومن السعادة الا حسن أخلاق

١٢٦ — ﴿ المشورة سبيل النجاح ﴾

المشورة استطلاع المرء آراء من عركوا الدهر وعركهم من ذوي الأفكار الصائبة، والعقول الراجحة، في مسائل الحياة — قبل الشروع

فيها، حتى لا يصيبه منها ضرر، ولا يمسه فيها زلل، فما ضل من استشار ولقد كان الأولى مع ما كانوا عليه من العقول الراجحة والأفكار السامية لا يشرعون في عمل إلا إذا عقدوا الجماعات، وطرحوا الأمر بينهم شورى، يتباحثون فيه حتى يتبينوا الطريق الأوضح فيسلكوه ويعرفوا السبيل الوعر فيجتنبوه ، وبهذا قضوا حياتهم سعداء آمنين مطمئنين ، وقد أمر الله تعالى به نبيه فقال جل شأنه (وَشَاوِرهم في الأمر) وقال تعالى (وأَمْرُهُم شُورى بينهم)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (القحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على أموركم بالمُشاورة) وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (الحزم أن تشاور ذا رأي ثم تطيعه)وعنه أنه قال(ماخاب من استخار ولا ندم من استشار) وقال عليه الصلاة والسلام (استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوهُ فتندموا) وقال (من أراد أمراً فشاور فيه امرأً مسلماً وفقه الله لأرشد أموره وقال (رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس ، وما استغنى مستبد برأيه، وما هلك أحد عن مشورة ، فإذا أراد الله بعبد هلكةً كان أول مايهلكه رأيَهُ)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الرجال ثلاثة ، رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه ، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بأمره لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً

وقال عليٌّ كرم الله وجهه : نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد . وقال أيضاً: الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه : إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يضل معهما رأي، ولا يفقد حزم

وقال لقمان الحكيم لابنه: شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء ، وأنت تأخذه مجاناً

وقال عبد الملك بن مروان: لأن أخطئ وقد استشرت أحبُّ إليَّ من أن أصيب وقد استبددت برأيي من غير مشورة

وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد : احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان عدواً فإنه يوشك أن يورطك بمشورته . فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل

وقال الجاحظ: المشورة لقاح العقول، ورائد الصواب، والمستشير على طرف النجاح . واستنارة المرء برأي أخيه من عزم الأمور وحزم التدبير

وقال سيف بن ذي يزن : من أعجب برأيه لم يشاور . ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيداً

وقال عبد الحميد الكاتب : المشاور في رأيه ناظر من ورائه

وقال بعض الحكماء : من طلب الرخص من الإخوان عند المشاورة ، ومن الأطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبه، فقد قتل نفسه ، وقال آخر:من استعان بذوي العقول،فاز بدرك المأمول وقال غيره : إذا شاورت العاقل كان عقله لك . وقال غيره : من شاور أهل النصيحة ، سلم من الفضيحة . وقال غيره : لا يهلك امرؤ عن مشورة . وسئل بعضهم : أي الأمور أشد تأييداً للعقل وأيها أشد إضراراً به، فقال أشدها تأييداً له ثلاثة — مشاورة العلماء وتجربة الأمور ، وحسن التثبت

وأشدها إضراراً به ثلاثة . الاستبداد، والتهاون، والعجلة

وقال بعض الأدباء: من استغنى برأيه ضل، ومن اكتفى بعقله زل

وقال بعض البلغاء: الخطأ مع الاسترشاد أحمدُ من الصواب مع الاستبداد، وقال آخر : من الحزم لكل ذي لُب ألاّ يبرم أمراً ولا يمضي عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ، ومطالعة ذي العقل الراجح. وقال غيره: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ويجمع الى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذّ ربما زل، والعقل الفرد ربما ضل. وقال غيره: إذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك الجمهور فارجع إلى رأي العقلاء ، وافزع إلى استشارة العلماء ، ولا تأنف من الاسترشاد ، ولا تستنكف من الاستعداد ، فلإن تسأل وتسلم

خير لك من أن تستبدّ وتندم . وقيل في منثور الحكم :من أكثر من المشورة لم يعدم عند الصواب مادحاً ، وعند الخطأ عاذراً. وقيل أيضاً : من أعجبته آراؤه ، غلبته أعداؤه . وقيل : من كمال عقلك استظهارك على عقلك برأي غيرك

وقال بشّار بن بُرد

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم

وقال صفي الدين الحلي

من دبر العيش بالآراء دام له صفواً وجاء اليه الخطب معتذرا
يهون بالرأي ما يجري القضاء به من أخطأ الرأي لا يستذنب القدرا

وقال الشاعر

إن اللبيب اذا تفرق أمره فتق الأمور مناظراً ومشاورا
وأخو الجهالة يستبدّ برأيه فتراه يعتسف الأمور مخاطرا

وقال آخر

الرأي كالليل مسودٌّ جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

وقال غيره

تأنَّ وشاور فان الأمو ر منها جليٌّ ومُستغمضْ

فرأيان أفضل من واحدٍ ورأي الثلاثة لا ينقضُ

وقال غيره

عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة كحدَّة السيف لا تغني عن البطل
إن المشاوِرَ إمّا صائبٌ غرَضاً أو مخطئٌ غير منسوب الى الخَطل

وقال غيره

شاور سواك إذا نابتك نائبةٌ يوماً وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها الا بمرآة

وقال غيره

خليليّ ليس الرأي في صدر واحدٍ أشيرا عليّ اليوم ما ترَيانِ

١٢٧ — ﴿ من جعل مطيته الروية والتؤدة كان خايقاً بالنجاح ولو أحاطت به الأخطار ﴾

الروية، التؤَدة هما الشروع في الاعمال بعد التفكير فيها والوقوف على عواقبها ثم السير فيها مع التأني ليكون الإنسان بعيداً عن الخطل مصوناً من الزلل، فان الطيش والخفة كثيراً ما كان سبباً في الأضرار وفساد الأعمال، وعدم الوصول الى الغرض منها — وإن نجاح الأمل لمعقود دائماً لمن سلك سبيل التأمل، وتبع طريق التأني

السلامة حليفة من ضرب في الأمور بفكر حاضر وجنان ثابت

قال الله تعالى تحذيراً من العجلة (خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل

سأريكم آياتي فلا تستعجلون)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أردت أن تفعل أمراً فتدبر عاقبته : فإن كان خيراً فامض ، وإن كان شرًا فانته) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج) وقال عليه الصلاة والسلام (التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة) وعنه أنه قال (التأني من الله، والعجلة من الشيطان)

وقال علي كرم الله وجهه : من استطاع أن يمنع نفسه من أربع خصال فهو خليق ألا ينزل به مكروه . اللجاج والعجلة والتواني والعجب . فثمرة اللجاج الحيرة . وثمرة العجلة الندامة . وثمرة التواني الذلة . وثمرة العجب البغضة . وقال أيضاً لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده . فإن الناس لا يسألون في كم يوم فرغ . وإنما ينظرون الى إتقانه وجودته

وقال المهلب: أناة في عواقبها درك ، خير من عجلة في عواقبها فوت

وقال بعض الحكماء : مع العجلة الندامة . ومع التأني السلامة

وقال آخر: [illegible]

[illegible]

وقال بعض الأدباء : لا يجد العَجول فرحاً ولا الغَضوب سروراً ولا المَلول صديقاً ، وقال آخر : يد العجلة تغرس شجرة الندامة .

وقال غيره : من أسرع في الجواب حاد عن الصواب

وقال أحد العلماء : من ركب العجل أدركه الزلل . وقال آخر التأني حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة

وقال بعض العقلاء : العجول مخطىء وإن ملك ، والمتأني مصيب وإن هلك: وقال آخر : إياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة ، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكّر ، ويحمد قبل أن يجرب ، وقيل : لا تقل بغير تفكير ، ولا تعمل بغير تدبير . وقيل أيضاً : من فكّر أبصر

وقال الثعلبي

قد يُدرك المتأني بعضَ حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل
وقد تفوت على قوم حوائجهم ... مع التراخي وكان الرأي لو عجلوا

وقال المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس حرةٍ ... بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانَهُ ... بالرأي قبل تطاعُن الأقران

وقال أبو الفتح البستي

فللتدابير فرسان اذا ركضوا فيها أبرّوا كما للحرب فرسان
وللأمور مواقيتٌ مقدرة وكل أمرٍ له حدٌ وميزان
فلا تكن عجلاً في الأمر تطلبه فليس يُحمد النُّضج بحران

وقال الشاعر

ذو الحزم لا يبتدي أمراً يهم به حتى يطالع ما تبدو عواقبه

وقال آخر

واستأنْ تظفر في أمورك كلها وإذا عزمت على الهدى فتوكل

وقال غيره

ومن لم يتَّئد فى كل أمرٍ تخطّاه التَّدارك والمنال

وقال غيره

تأنَّ متئداً فيما تروم ولا تعجل وإن خلق الانسان من عجل

وقال غيره

تأنَّ ولا تضق للأمر ذرعاً فكم بالنُّصح يظفر من تأنّى

وقال غيره

خليليَّ لا تستعجلا وانظرا غداً عسى أن يكون الرفق في الامر أرشد

١٢١ — ﴿ الأمانة سر النجاح وداعي التقدم ﴾

الأمانة هي رعاية حقوق الله تعالى بتأدية ما على المرء من الفرائض والواجبات. فلا يخون له عهداً، ولا يجحد له فضلاً. وكذلك

حفظ حقوق عباده، فلا يطمع في وديعة أؤتمن عليها، أو ينكر مالاً
وُكِّلَ اليه أمر حراسته، فليس من الدين ولا من العقل والكرامة
أن يستحلّ الانسان لنفسه مالاً ليس له فيه حق بعد أن اعتقد به
ذووه خيراً وظنوا فيه حسناً ، وكيف يرضى أن يبوء بغضب الله
تعالى عليه وبغض الناس له ، لا أظن أن صاحب الشيم الكريمة
والأصول العريقة يرضى لنفسه أن يوصمَ بمثل ذلك، وإخاله يترفع
عن ان يُنسب اليه غدر أو خيانة

قال الله تعالى (إنّ اللهَ يأمُرُكم أن تؤدوا الأمانات إلى
أهلها) وقال تعالى (والذينَ هم لأماناتِهِمْ وَعهدِهِمْ رَاعونَ) وقال
جلّ شأنه (يا أيها الذينَ آمنوا لا تخونوا اللهَ والرسولَ وتخونوا
أماناتِكُمْ وأنتم تعلمونَ) وقال عزّ وجلّ (إن اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ
كانَ خوّاناً أثيماً)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أدّ الأمانة إلى من ائتمنك
ولا تخُن من خانك) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال (تقبلوا لي [illegible] أتقبل لكم بالجنة، إذا حدث
أحدكم فلا [illegible]، وإذا [illegible] فلا يخلف . وإذا اؤتمن فلا يخن)
[illegible] قال [illegible] لا إيمان لمن لا أمانة له
ولا دين لمن لا عهد له [illegible] الصلاة والسلام [illegible] قال (إذا

ضُيّعت الأمانةُ فانتظر الساعة ، قال وكيف إضاعتها يا رسول الله قال اذا أُسند الأمر الى غير اهله فانتظر الساعة)وقال عليه الصلاة والسلام,لا تزال امتي بخير ما لم ترَ الأمانةَ مغنَماً والصدقةَ مَغرَماً وقال : (الأمانة تجلب الرزق . والخيانه تجلب الفقر) وعن عمرو بن الحمق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أيُّما رجلٍ أمّنَ رجلاً على دمه ثم قتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافراً) وقال صلى الله عليه وسلم لسيدنا ابي بكر رضي الله عنه (عليك بصدق الحديث، ووفاء العهد,وَحفظ الامانة فإنها وصية الأنبياء)

وقال خالد الربعي : قرأت في بعض الكتب السالفة إن مما تعجل عقوبته ولا تؤخر,الأمانة تخان.ولا حسان تكفر. والرحم تُقطع ، والبغي على الناس

وقال بعض الحكماء : لوعلم مضيع الأمانه مافي النكث والخيانة اقصَرَ عنهما عانه . وقال آخر : من خان هان ، ومن هان هان وتبرأ من الإحسان.وقيل في منثور الحكم من يخن يهن.ومن الكرم الوفاء بالذمم . وقيل أيضاً : من ضيّع الأمانة ورضي الخيانة فقد برىء من الديانة

وقال الشاعر

واعمل بمفروض الأمانة والتقى ... وانهى عن النكر الفظيع وفعله

وقال آخر

وإذا اؤتمنت على الأمانة فارعها ... إن الكريم على الأمانة راعي

١٢٩ - ﴿العدل أساس الملك﴾

لله هذه الكلمة، ما أكبر أمرها، وأعظم سرها، فلقد وضحت بها السبل، وأشرقت الأرجاء، وبسطت الأرض، ورفعت السماء ووضع الميزان، وبثت روح الراحة في العمران، كلمة هي عنوان صالح الأعمال في الحال والمآل ودوحة الأصل الأصيل، والظل الظليل والشجرة التي تجنى منها ثمار العوارف، ويتفيأ على جميع الكائنات ظلها الوارف، كلمة كلما ذكرت محت الكروب، وأخذت بمجامع القلوب، وملأتها سروراً وأفاضت عليها نوراً، تتعطر الأكوان بأنفاسها الزكية، وتنتعش الأرواح برياضها البهية، تلك كلمة العدل الذي هو روح الوجود، وقوام كل موجود، له أذعنت الأبطال وانقادت شم الجبال، وبه صار الموات خصباً، واليابس رطباً، والضيق فسيحاً، والعليل صحيحاً، فهو شفاء الأبدان، وأصل كل إحسان أمر به رب العالمين، وأقامه سيد المرسلين، ذلك هو نبراس الهدى به تنجلي ظلمات الغي والردى، والقطب الذي دارت عليه أرجاء الشرائع، والأس الذي شيدت عليه شريعتنا الغراء، وملتنا السمحاء

فالمستمسك به مستمسك بالشرع القويم ، ومهتد إلى الصراط المستقيم . والحائد عن طريقه واقع فى شرك الضلال، ورام بنفسه في مهاوي الوبال

فالعز في اقتفاء آثاره . والاهتداء بأنواره ، والذل فى عدم الوقوف عند حده . حتى فى نفس ضده

فالعدل ميزان الله الذي وضعه للخلق . ونصبه للحق، به تلتئم الشعوب، وتأتلف القلوب، وتتصل أسباب النجاح ،وتنتشر أعلام الفلاح ، وتخصب البلاد ، وتسعد العباد ، قال تعالى : إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وفي الحديث (بالعدل قامت السماء والأرض)

وقال الشاعر :

عن العدل لا تعدل وكن متيقظاً ... وحكمك بين الناس فليكن بالقسط

وبالرفق عاملهم وأحسن اليهم ... ولا تبدلن وجه الرضا منك بالسخط

وحل بدر الحق جيد نظامهم ... وراقب اله الخلق في الحل والربط

فالعدل هو التوازن بين الأشياء ووضعها فى مواضعها والانصاف باستيفاء الحقوق مادياً وأدبياً — والرحمة فوق العدل

• ١٢٠ — ﴿ العدل بين الاجزاء وسائر الأجسام ﴾

قتضت حكمة الحكيم العليم في خلقه . أن جعل بين جميع أجزائه من الأكبر إلى الاصغر ميلاً طبيعياً وجذباً عاماً يكاد يقضي

عليها بالاتحاد، لولا ما ألقى فيها من قوّة الثقل التي بها قاومت تلك القوّة فحفظت أحيازها وتوازنت — وهذا التوازن هو الذي نسميه بالعدل فيما بين الأجرام وسائر الأجسام — واليه الاشارة بقوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) فعلى دعائم العدل قامت الأرض والسموات وتزينتا بأنواع المبدعات فالشمس والقمر وسائر الكواكب والأفلاك والأرض من ظاهر وباطن جميعها لا قوام له الا على تلك الدعامة — فلو فارق شيء منها خطة العدل فنيَ لا محالة

فالعدل هو الذي يحفظ لها قانون التساوي والبقاء على هذا النظام البديع الإحكام — ولولاه لبغى بعضها على بعض وتصادمت وتلاطمت واختلّ نظامها ومُحي رسمها وذهبت أدراج الرياح هباء منثوراً

١٣١ — ﴿ عدل الانسان مع نفسه ﴾

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها   هواناً بها كانت على الناس أهونا

فكيف نظلمها حقها ومن لم يعدل بنفسه، فأولى أن يحلّ في رمسه، وكيف لا وقد جافى جنبه بذلك عن مضاجع الخير والاحسان وألقى بنفسه في مهاوي الذل والخسران، وأهمل في جانبها العدل والوفاء، فحياته والممات سواء

حياتنا كالموت إن لم تكن   نهجاً إلى تخليد ذكر يدومُ

وهل يرجى ممن اساء الى نفسه أن يحسن الى من عداه، فعدل

الإنسان مع نفسه حملها على المصالح ، وصدها عن القبائح ويختار لها ماهو الأنفع والأصلح دنيا وأخرى، ويهذبها ويعودها التطبع بمكارم الاخلاق

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

ومن ذا الذي يحب لنفسه العطب وسوء المنقلب ويرضى بالقعود، عن طلاب السعود ويرمي بها في بحبوحة الهوان ولا يرعى لها من شؤون، أليس ذلك بحيوان أعجم أو حجر أصم — لا بل هو أسوأ حالاً وأكسف بالاً وماذا يصنع (اذا اقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا : يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)

١٣٢ — ﴿ عدل الراعي مع رعيته ﴾

مما لا يحتاج الى برهان ولا يختلف فيه إثنان أن الراعي العادل خير من المطر الوابل — باسمه تساجلت الأطيار في رياض السعود ومن أفقه أشرقت الأقمار على كل الوجود

ذلك هو الأمر الذي سارت بحديثه الركبان ، في كل مكان ونادى به المناد ، في كل ناد حتى أصبح في أفواه الرجال، مثلاً من الأمثال . ولا أعني بالراعي خصوص الأمير بل مايعم الكبير والصغير ، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم

مسئول عن رعيته) فالسلطان في ملكه راع ومسئول عن رعيته والرجل في أهل بيته ، والمرأة في بيت زوجها ، والناظر في مدرسته وهلم جراً

فبالعدل تخصب الأرض، وتثمر الأموال، وتنتظم الأحوال وتدرّ الأرزاق ، ويزول الشقاق، وبه يستقيم الدين. ويقوى حبله المتين

فالدين بالملك يقوى والملك بالدين يبقى

فاذا قاد الأمة راعيها بأزمته، ونهج على شرعته، اتصلت الأسباب وتفتحت الأبواب ، وسهل كل عسير ، في الزمن اليسير ، وراجت الأمور ، وذهبت الشرور، ووافى السرور، والتامت القلوب، وانجلت الخطوب ، وغرست في الأفئدة محبته ، وحمدت على مرّ الأيام سيرته ويبقى ولو بعد عزله أميراً ، وإماماً كبيراً ، وهكذا بعد الممات ، تخلد ذكره الحسنات

فيرى على مرّ الدهور لدى الورى حياً بما أولاه من احسان

فمدار العمار على العدل والإنصاف بين جميع الرعية

عليك بالعدل إن أوليت مملكة واحذر من الظلم فيها غاية الحذر

فالملك يبقى مع الكفر الذميم ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

١٣٣ — ﴿ عدل الرعية مع راعيها ﴾

يكون بإطاعته في صالح الأمور ، في الغيبة والحضور ، والتودد

اليه ، والمحافظة عليه ، وشد أزره ، وتقوية أمره ، وشكره على جميل مسعاه ، وحمده على ما أولاه ، قالت الحكماء : (السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد ، لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه) قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)

﴿ العدل مع الأعفاء ﴾

هو عبارة عن كون التعامل فيما بينهم جاريا على سنن الحق ومناهج الصدق ، في جميع الأفعال ، وسائر الأقوال ، كما قال تعالى (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا) وأن يتعاونوا على البر والتقوى . لا على الإثم والعدوان . ويؤدوا الواجب . ويلينوا الجانب وأن يتخلقوا بمكارم الأخلاق . وح[illegible] [illegible] ذروة الكمال

وقد كانت الأ[illegible] [illegible] جنس المتمذهبين . وأصناف المتمسكين . من [illegible] اختلاف عقائدهم ، [illegible] هو أصل النقم . ومصابة [illegible] الأحزان أسرع من الطير الى الأوكار . ومن [illegible] الشكوى . وتعم البلوى . وتفتر [illegible] الضرب والسلب ، والقتل والنهب ، والهرج والمرج . ولا دخر ولا حرج وتجف البحار ، وتذبل الأشجار ، وتنقطع الأسباب . ويتصل الخراب

قال تعالى (إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها — والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً) وقال عليه الصلاة والسلام (الظلم ظلمات يوم القيامة)

وحق الله إن الظلم شوم وإن الظلم مرتعه وخيم

وقال آخر

ألم تعلم بأن الظلم عار جزاء الظلم عند الله نار

١٣٥ — ﴿من ضيّع الأمانة ورضي الخيانة فقد برىء من الديانة﴾

الأمانة واسطة لبلوغ الإنسان مراتب السعد ، وسفينة تنتشل الوضيع من لجج الضعة وتقذفه على سواحل السؤدد والمجد ، وهي الأساس الذي لا بد منه في إقامة الحضارة وتشييد المدنية فكما لا يقوم البناء على غير أساس كذلك لا يتأتى إيجاد العمران بغير هدوّ واطمئنان فإن الإنسان إن لم يأمن على نفسه وأولاده وماله فلا يمكنه أن يقوم بأي عمل — فيقف لذلك دولاب التجارة ، فتبور الصنائع ، وتقلّ المكاسب، فيحتال الناس على أسباب المعيشة، ويتهالكون على تحصيل القوت من غير طرقه المشروعة، فتفسد أخلاق الأمة، وتنحط لقلة العمل مداركها ، وينتهي ذلك بضعف قوتها وتفريق مجتمعها

فالأمانة أول صفة تحمد في المرء — ولذلك نرى الناس يفرون من الخائن، بينما هم يفدون الى الأمين، ويزفون اليه جميل الثناء ، ويعينونه

على الدهر،ويعدونه بالأموال. قال الله تعالى (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤدّه اليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لايؤده اليك إلا مادمت عليه قائماً) وقال تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وقال تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) وقال تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظَلوماً جَهولاً) وقال عليه الصلاة والسلام (لا إيمانَ لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)

والخيانة صفة ذميمة ، وخلق سيء ، ونقض للذمة ، وكفر بالنعمة ، وخبث في الطوية ، وسوء في النية. قال الله تعالى (إن الله لا يحب من كان خوّاناً أثيما) . وقال الشاعر

إن الأمانة لو علمت كرامة تولي ذويها رتبة الإسعادِ
فابعد هديت عن الخيانة كم لها في أهلها من ذلة وكساد

وقال آخر

أدّ الأمانة والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب

وبالجملة — فالأمانة سيف الدين وعماد الدنيا، وهي أن تؤدي حقوق الخالق سبحانه وتعالى، وأن لا تفشي سرّ من أودع اليك سره وألا تغش أحداً في معاملاتك، وأن تحافظ على من جعل تحت رعايتك

وألا تنقض عهد من عاهدته ، وألا تختلس ما ليس لك فيه حق

١٣٦ — ﴿ الأخلاق الفاضلة وآثارها فى رُقيّ الأمم الحيّة ﴾

وإنما الامم الأخلاق ما بقيت   فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الخلق عبار عن حالة للنفس راسخه بها، تصدر عنها الأفعال مع السهولة بدون حاجة إلى التفكر والرويةِ ، فإن صدرت عنها الأفعال المحمودة، سميت خلقـ حسناً، وإن انبعثت عنها الأعمال السيئة القبيحه سميت خلقاً سيئاً قبيحاً ، والخلق فى النفس كالخلق فى الجسم ، ويستعملان معاً . أي ن حسن الصورة لظاهرية مطلقاً لا يتم بحسن العين دون الأنف والفم والخد ،بل بالجميع ايتم حسن الظاهر . فكذلك لا يتم حسن الصورة الباطنيـة إلا إذا استكملت وحسنت بها الأخلاق جميعها

.أمهات محـ ن الأخلاق . أربع فضائل :الأمانة ـــ والعدل و لاعتدال - والشجاعة

ويدخل تحت ضد [illegible] لذي هو الخيانة ،المكر والخداع والتبله والدهاء والعناد والسحر و سك والإشراك والتطير والغيرة

ويدخل تحت الظلم الذي هوضد العدل،حب النفس والاستئثار والطمع والبخل وحب الرئاسة والتسلط والافتخار و كفران النعم والغضب وحب الانتقام والحسد — وما أشبه ذلك

ويندرج تحت ضد الاعتدال،حب التمتع والامتلاء بالأكل والشرب والشره والحرص والتبذير والتقتير وخلافهم

ويندرج تحت ضد الشجاعة . الجبن والتكبر والتهور والعجب والذل والجزع والخساسة والوقاحة والرياء والمق . غير ذلك : وإن الفضائل أواسط بين طرفي الإفراط والتفريط . كالسخاء فهو وسط بين التبذير والتقتير قال الله تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)

وأما العفة فهي وسط بين الشره والجمود . قال الله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)

والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، وكذلك سائر الأخلاق فكلا طرفيها ذميم وبين توسطهما فضيلة

عليك بأوسط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقال آخر

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فهذه الأخلاق الفاضلة اذا تمكنت من أمة وتمسكت بها في غدوها ورواحها . وفي سرها وجهرها . فلا بد وأن تكون أمة حية راقية، أمة مستقلة قوية تهابها الأمم . قال الشاعر

ليس الدنيا الا بالدين وليس الدين الا مكارم الأخلاق

انظر إلى الأمم المتمدينة ، ترى حسن عاداتها، ومكارم أخلاقها وائتلاف أفرادها، سبب ارتقائها وتقدمها، وواسطة حياتها وشوكتها ونصير قوتها وصولتها

وانظر إلى الامم التي انحطت أو تلاشت تجد أسباب ذلك طرحهم للأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة

وليس بعامرٍ بنيان قوم   إذا أخلاقهم كانت خرابا

وبالجملة : إن الإنسان يستمد القوة في حياته من ثلاثة أشياء (الشعور والعلم والأخلاق) فيجب أن يأخذ من كلّ منها نصيبه حتى يقدر على أداء الواجب عليه نحو نفسه وأمته ، وهذه الأشياء الثلاثة هي العوامل التي يسعى أبناء الأمم الحية في استكمال نصيبهم منها ، فتجعل منهم رجالاً يتفاوتون في الرقي تبعاً لدرجة ما حصلوه من كل منها

١٣٧ — ﴿أساس نجاح الأمم الراقية تربية أبنائهم تربية روحية﴾

قوام كل أمة برجالها ، ولا رجال إلا بالتربية ، لأنها هي التي تعين الطبيعة على إنماء بدن الناشيء في صحة، وإرهاف ذهنه في سداد وتقويم سيرته في رشاد، وتكسبه من صفات الرجولية ما يؤهله لأن يكون رجلاً حقاً في الغد — والمراد بالرجل هنا ذاك الذي عناه احد الفلاسفة حينما رؤي في رائعة النهار وبيده مصباح وهو يتطوف

في شوارع مدينة غاصة بالناس تطوف من يطلب شيئاً لا يكاد يرى فسئل عما يطلب فقال: أطلب «رجلاً» هذا هو المعنى المراد بالرجال هنا — وقليل ما هم

وكل من تصفح كتب التاريخ القديم والحديث يجد أنه ما انحطت أمة عن منزلتها الا لأنها عدمت رجالها وأنها ما عدمت رجالها الا لأنها لم تعن حق العناية بتربيتهم صغاراً فلم يكن لها منهم كباراً سوى أشخاص لا شيء لهم من الرجولية سوى الاسم

وانما تتم التربية بثلاث طرق متوازية تفضي كلها الى تلك الغاية — أولاها تربية البدن بحسب قوانين الصحة — والثانية ارهاف ذهنه حتى ينفذه نور المعرفة. وتنزاح عنه ظلمة الغباوة — والثالثة تقويم سيرته وهداية خطواته الى السبل المستقيمة. والتنكيب بها عن سبل الغي

فكل أمة حية لها في شأن حياتها أدوار عمرانية اصعد بها في سلم الترقي والحضارة إلى أن تصل الى غايتها المتمناة - وأول خطوة من خطا التقدم التربية على الوجه المطلوب الملائم لأحوال الأمة والشامل لما به سعادتها — ولا ينال الانسان هذه السعادة والحياة الطيبة الا اذا توفر حظه من الصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة ولا يحصل له شيء من هذه الصفات الا بالتربية كما يشهد به العيان وكفى به من برهان — فكما أن الأرض لا تجود تربتها ولا تصلح

للاستنبات ولا تؤدي خيرها وبركتها الا اذا تعهدت بالحراثة والثماد الجيد والبذر والسقي كذلك الانسان لا يتوقع منه خير ولا نفع ولا انتفاع الا إذا تعهد بالتربية والتعليم — وقد قامت الدلائل على الإنسان ولو بلغ النهاية في كرم النجار وطهارة العنصر وكمال السجايا مفتقر الى التأدب والتربية الروحانية كما أنه مفتقر الى التربية الجسمية حتى يصلح للنهوض بأعباء مصالحه الدينية والدنيوية قال عليه الصلاة والسلام (أدبني ربي فأحسن تأديبي)

ولما كانت التربية الجسمية ليست خاصة بالانسان بل يشاركه فيها الحيوان لم يبق له ما يميزه عنه الا التربية «الروحانية» وهي الخاصة التي بها يسمى انساناً

أقبل على الروح فاستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم انسان

ومعلوم أن الارادة النفسية هي كغيرها من اللطائف المودعة في الانسان ساذجة في مبدأ نشأتها قاصرة عن الجولان في الأشياء قال تعالى (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)

فيجب تربية الانسان من صغره وتعليمه ما ينفعه في دينه ودنياه ثم الزامه صنعة يشترك بها مع غيره في تبادل المنافع حتى يتسنى له أن يقوم بخدمة متى بلغ رشده وقوي عليها، ويكون

بذلك قد عمل لغيره كما عمل الغير له — ولا يترك الى اختياره لنفسه أو يتـكل على ثروة أهله وشرف بيته فيخلد الى الدعة والبطالة حتى اذا شب لم يجد بيده صناعة ولا وسيلة يستعين بها على الكسب لو أحوجته الضرورة اليه — فإن كرم الآباء وثروتهم لا يعتمد عليهما إلا ساقط الهمة . قال الشاعر :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

على أن المدار في كمال الانسان على ما يدركه بأدبه لا بحسبه ونسبه — فالفخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية — ومكارم الأخلاق أصدق نبأ من الأعراق — والعنوان على شرف الإنسان وكرم أصله هو ما يفعله لا ما يدعيه

من لم يكن عنصره طيباً لم يخرج الطيب من فيه

أصل الفتى خاف ولكنه من فعله يظهر خافيه

فاذا أهمل الناشىء مع ما علم من سذاجته وركود في انسانيته حتى شب : فكيف يكون — ليت شعري — لابد والله أن يرعى مع الهمل ، أو يفترس مع السباع الضارية . فان النفوس من ميلها وشوقها أسرع إجابة لداعي الشر منها لداعي الخير - فالنفس لولا التربية مجبولة على ذميم الأخلاق ، مياله الى ما لا يحمد مغبته . كالهلع والجزع

والطمع والشح والطغيان والظلم وحب العلو والافتيات وغير ذلك
والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
وقال تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) وقال تعالى (انه كان
ظلوماً جهولاً) وقال تعالى (ان الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه
الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين) — الآية
وقال تعالى (والعصر إن الإنسان في خسر)

وبالجملة فالتربية سر النجاح، ومعراج الإرتقاء، وعليها نتائج السعادة الدنيوية والأخروية، فهي بصفتها الكمالية أساس الإبتداع وغراس الإختراع. وسر فضيلة الإنسان على بقية الحيوان، ولولاها لما نشأت روح فاضلة في أفراد الأمه والهيئة الاجتماعية

١٣٨ — ﴿الأعمال قيم الرجال﴾

ليس الحياة بأنفاس نرددها إن الحياة حياة العلم والعمل

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ومزاياه، وما أودعه فيه من الحواس المرشدة. والنفس المفكرة، والعقل المدبر، والبيان المصور واللسان المعبر. والقوى المنفذة، والأعضاء العاملة، التي بجميعها تصرف في أنواع العالم. وبسط يده على كل الكائنات، وكان له السلطان الأعظم على ما في الأرض ولم تركب فيه تلك القوى إلا ليجعلها عوامل تحت سلطة التمييز والتدبير يصرفها بمعيار الحكمة

في مجاري ثمرات ما أحاطه به من الكائنات ، وجعله حوله من كنوز الخيرات ، التي نوعها القادر وفق تنوع حوائج الإنسان . وجعلها صنوفاً متفاوتة النفع مختلفة الفائدة، وأودعها خيرات كثيرة. وبركات غزيرة. ولم يجعله على ما هو عليه من هذا الشكل وتلك الصورة إلا ليعمل عمله الخاص به حسب رزقه المقسوم له . وقد أمره بالسعي لنواله حيث قال تعالى (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)

فالسعي مقرون بالعمل ، والعمل يطلب الحركة . والحركة تستدعي صرف القوة. فمن يريد تحصيل الرزق وكسب العيش، يلزمه أن يجد ويتعب ويصرف مقداراً من قوته في العمل — وما نراه من أن بعضاً من الناس يصرف مقداراً عظيماً من قوته في أعمال شتى ولا يحصل إلا على قليل من فائدة. و [illegible] لا [illegible] اليسير من ذلك ولم تحوذ على كثير من فائدة، وربما يتوهم منه أحد أن الرزق ليس مناسباً للقدر المنصرف من القوة . وإنما هو قسمة أزلية ليست مرتبطة بالعمل والسعي. و[illegible] الأمر [illegible] و[illegible] يعرفه معرفة حذق [illegible] ل نظر [illegible] ظاهر الأمر، وحقيقته خفية [illegible] فإنه أمر [illegible] و[illegible] الجسم هو [illegible] ذلك [illegible] عمل جسم [illegible] لقوة كاملة

كانت قيم أعمال الجوارح تابعة لها ، والعكس بالعكس

قال عليه الصلاة والسلام (الناس يعملون الخيرات وإنهم يعطون أجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم)

ولا سبيل إلى الإتيان بأعمال تامة الحسن، عالية القيمة، وافرة الحظ، إلا بالعقل الكامل، والعمل المحكم، فبقدر وجود هذا وتفاوته تتفاوت أفراد الإنسان . وكلما كان العقل أصح ، والروية أغزر والاختيار أصدق، كان الكمال أتم ، والعمل اقوم ، (إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه) — وقال الشاعر

اذا كمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أفعاله ومآربه

فاذا تم هذا للمرء أتى بأعماله تامة الحسن رائقة الصنع رائعة الإبداع ، لا يوازنها ولا يوازيها ولا توازيها منن — ألا ترى ما أبدعه الانسان من الأعمال الغريبة ، أبدنه الذي أمكنه من ذلك وجعل له سلطان المتصرف في هذا العالم — كلا ما الإنسان من هذه الجهة إلا شبح وتمثال لا تميز به عن غيره ولا يفضل سواه — وانما فضله ومزيته بقوته الروحية التي استخدم جسمه وتوجه قواه الحسية، وإلا فلبست قوى جسمه بأكمل منها في غيره من الحيوانات التي يقهرها ويستخدمها في أعماله . مثلاً نرى الفلاحين يزرعون وكل منهم يجني مقادير مختلفة، والصنّاع تشتغل، ومقادير الارباح مختلفة — وهكذا —

وأسباب ذلك كله التفاوت في المعلومات : فمن رغب في زيادة ربحه وكثرة فائدته فعليه السعي والاجتهاد في اجتناء الخيرات من أكمام هذه الكائنات قال تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ينفي عني حجة الجهل قال العلم : قال ما ينفي عني حجة العلم : قال العمل وقال عليه الصلاة والسلام (تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا) وقال في التوراة (حرك يدك افتح لك باب الرزق) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) وقال بعض الحكماء : الحركة بركة والبطالة هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض

يا نفس ذوقي لذة العمل ... وباطني لذة العدم لاحسن في مهل
فكل ذي عمل بالخير مغتبط ... وفي بلاء وشؤم كل ذي كسل

وقال آخر

دعي نفسي التكاسل والتواني ... وإلا فالبسي ثوب الهوان
فلم أر للكسالى الحظ يحبى ... ثماراً غير حرمان الأماني

وقال آخر

وكم حياء وكم عجز وكم ندم ... جم تولد للإنسان من كسل

١٣٩ - ﴿ فوائد المزاحمة والمسابقة وأثرها في الإرتقاء البشري ﴾

لولا التزاحم في الأمور لأصبحت   عمد النظام على ذراها سجدا

من بديع حكمة الحكيم العليم أن جعل التزاحم بين الأنام منشأ لتشييد النظام ، فبالمزاحمة استيقظ الناس من سنة الغفلة ونشطوا من عقال الخمول وأجهدوا مطايا سعيهم وراء ما به يرغمون أنف تلك العوادي التي حطت بهم رحالها، وضربت عليهم خيامها، حتى أثقلت كواهلهم وألجأتهم الى شدة البحث عما به يتخلصون من ربقة أخطارها وهول مضارها ، وكم خبايا من الحقائق أبرزتها لهم معاول البحث فأصبحوا آمنين مخاوف دهرهم يخوضون أبحر صعوباتها دون أن يمسهم سوء ويركبون متونها خاضعة ذايلة ، على حين أنها تروم انتياشهم

كل ذلك بما ألجأتهم اليه دواعي المزاحمة والمنافسة، وقد علم الله فيهم ذلك فو[illegible] الخلقة الى [illegible] ترى وأودع كل نوع من القوى ور[illegible] فيه من [illegible] آلات [illegible] يقوى [illegible] تلك الصعوبات ويهزم كتائبها الجرارة

ومن هنا تعاقب الإنسان وتنقل في أطوار شتى وتأنق في الملابس وتفنن في المآكل والمشارب وزهي في تمتعاته بعد أن كان هو وغيره من [illegible] سواء [illegible] بعضه البعض، ويهيم في الفلوات والآجام كغيره يبتغي [illegible] يسد رمق الجوع ويتقي [illegible] البرد من [illegible] أوراق الشجر وجلود الحيوانات وغير ذلك [illegible]

كفاية حاجة حياته الضرورية، ويتخذ الكهوف والمغارات مساكن يأوي اليها ، كل ذلك بما أودعه الله في جسمه من المنبهات

والإنسان بما ركب فيه من أصل الخلقة وما أودع فيه من المنبهات مزاحم لغيره مندفع الى نزع آثار الخشونة الأولى والتقلب على سرر النعيم — ولولا تلك المنبهات التي تحثه على طلب حاجاته لاستولت عليه الغفلة عن تحصيلها وانتهى الى فنائه دون شعوره — ولهذا صار الانسان كما ترى مندفعاً الى تحصيل أغذية يعوض بها ما فني وملابس ومساكن يتقي بها الحر والبرد ، وكل ذلك يدفعه الى حب الأثرة والاختصاص بالنافع ومزاحمة من يتخيل أنه يقف في طريقه — تلك [illegible] [illegible] ولا [illegible]

مثلاً [illegible]

[illegible] الأخذ [illegible]

[illegible] طريقه [illegible]

[illegible] كذلك [illegible]

[illegible]

[illegible]

ومع ذلك لا يقفون عند هذا الحد ، ولنعم ما كانوا يعملون وعلى هذا المنوال يرى الانسان جاره في عيشة راضية توفرت حاجاتها وتكاملت مسراتها وصفت أوقاتها فلا يهدأ له خاطر ولا يستريح له فؤاد حتى يرى نفسه في رغد من العيش يساوي جاره على الاقل ، فيبعث به ذلك الى أن يخلع ثوب بؤسه ويكشف عن ساق الجد في سيره لنوال بغيته

ان لله في الخلائق سراً   من سنا برقه تحار العقول
لا ترى ذرة من الكون الا   ولها في الكون شرح يطول
هذه دارنا بها زاحمتنا   عاديات من كل أوب تصوب
تلك والله حكمة من حكيم   لنظام الحياة أصل أصيل

وغرض الكل واحد هم عليه متزاحمون يدفع بعضهم البعض عنه ، وينازعه ما في يده رغبة في الاختصاص به

كل له غرض يسعى ليدركه   ولو تحمل في تحصيله المضض

١٤٠ ﴿ لم تؤثر الخطباء والكتاب في نفوس المصريين ﴾

لا شك أن بين ظهرانينا أناساً أصبحوا عقبة بين الأدب وذويه ، ولا ديدان لهم الا التفنيد واللوم على الخطباء والكتاب . وتثبيط همم المشتغلين بحرفة الأدب ، بحيث لو سمعوا خطيباً يخطب أو رأوا كاتباً يكتب ، لعب بهم الغيظ ودب في قلوبهم الحسد فترى منهم ألسنة حداداً فبدل أن يقولوا هذا الخطيب مصقع ، ذرب اللسان

ثابت الجنان رابط الجأش واسع المجال رحيب الباع، له اقتدار على التكلم في أي موضوع من مواضع الكلام بعبارة تسيل رقة وسلامة وتستميل القلوب النافرة وترد جماح الضالين وتصلح ما فسد من أخلاق المولدين وتؤثر على فهم كل سامع — تراهم يشتدون النكير ويبالغون في التنديد ويقولون ان هذا الخطيب كليل اللسان جامد القريحة مضطرب الجنان قد استولى عليه العي والحصر، وتمنطقت به الفهاهة وأخذته اللكنة — وبدل أن يقولوا أن هذا الكاتب

في خطه من كل قلب شهوة   حتى كأن مداده الأهواء

أصبحوا يقولون ان جناب الكاتب له عبارات لا تخلو عن ركاكة التركيب ورجفة [illegible] من تخصيص المألوف في الكتابة والتأليف — الى غير ذلك

ولا يعزب عن [illegible] فكر [illegible] [illegible] الى [illegible] الأعمى من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يسمعون هذا الكلام [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] الكاتب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وبعد ذلك نرجو تأثير خطب الكتاب

وكان للخطابة في الصدر الأول من الإسلام شأن جليل ومقام كبير ومكانة خطيرة — فلذا خص الخلفاء والامراء والعلماء أنفسهم

بالوعظ والزجر عن الشهوات والمحرمات والمنكرات والمنهيات
ولعمري أنهم قاموا بها حق القيام وتأثرت بخطاباتهم الجموع وفعلت
فيهم ما لم يفعله السيف حتى رجعوا الى طريق الهدى والرشاد، وقام
بها من بعدهم الخلف الصالح وشغلوا أنفسهم بهذا الموقف العظيم
فحافظوا على الأخلاق الشرعية والعوائد المستحسنة — ويا حبذا
لو دام ذلك — فقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة، واتبعوا
الشهوات وتهاونوا في أمر هذا الموقف الخطر ولم يكترثوا به
فاسترسل الامر نحو [illegible] غير منقادين لواعظ ولا كاتب، فدلت
نعمة الوعظ [illegible] الظهور [illegible] التأخر والجمود — وضربت عليهم الذلة
والمسكنة [illegible] فرطوا في جانب الخطابة والوعظ جزاء استنكافهم
من القيام بهذا الأمر الرفيع واشتغالهم عنه بمصالح أنفسهم والتفرغ
لاغتنام لذاتهم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)
وصار الناس كالأ[illegible] الله [illegible] [illegible]
فأصبحوا [illegible] وفي [illegible] يرون
الغي من الرشد [illegible] الاحساس [illegible] قلوبهم
والمحلات [illegible] مرادة [illegible] الى [illegible] لا
عن [illegible] ولا [illegible]

إذا ما أراد [illegible] ذ [illegible] بتشتيت [illegible] والتواكل

أفبعد ذلك نرجو تأثير الخطباء والكتاب

وكثيراً ما رأينا بعض المصريين يتوجه للمحال التي أعدت للخطابة ولكن بعد ما يسمع الخطيب ينهي عن خلق قبيح كما اذا نهى عن شرب الخمر مثلاً تراه يتمثل بقول من قال

لا تنه عن خلق وتأتي مثله — ويفارق محل الخطابة وهو نادم على ما فرط من ضياع الزمن في غير طائل ولا ثمرة عادت اليه ويسرع الى محلات اللهو والطرب

وبالجملة — لا عجب في عدم تأثير الخطباء والكتاب. فان الأمة إذا استولى عليها الضعف ودخلت في الهرم بسبب نبذها القانون السماوي [illegible] الرشد [illegible] صمت آذان أفرادها وعميت قلوبهم واشتدت [illegible]

تحسبهم أيقاظاً وهم رقود لا [illegible] سترها لهم وراء الشهوات [illegible] لا زجر زاجر [illegible] سنة الله التي قد خلت في عباده

وما [illegible] جوانا [illegible] العزة فيه [illegible] من [illegible] وما ذلك على الله بعزيز

١٠٦ — [illegible]

[illegible] لم يعلم

من أخبارها ونشر ما خفي من فنونها وآثارها، وعليها آثار الأعمال السياسية وتقدم الأحوال المعاشية فهي حياة الأمة العلمية، ومادتها الادبية، تبشر وتذكر، وتنذر وتحذر، وتحدث عن الحوادث الواقعة، وتقدم لك موائد الفوائد النافعة، فتهديك إلى منافع كنت بها حفياً، وتبدي لك ما كان عنك خفياً، وتهدي طرائف الأخبار وظرائف الاسمار. وتكفيك مؤونة الاستخبار، وكلفة السؤال والاستفسار، وكأنها مجاميع مفرقة، وينابيع متدفقة، أو سفن مشحونة بشحون الأقوال، أو قوافل محملة أخباراً عن الأحوال، فهي ألسنة الأمم وترجمان الملوك، وجهينة الأخبار، وخزينة ذخائر الأفكار وصيقل الأذهان، ومرآة حوادث الزمان، والسائح الذي يطوف البلاد ويأتيك بأخبار العباد. وأنت لا تبرح من مكانك، فهي للرئيس موقظة، وللمرءوس موعظة، وللتجار سوق البضائع. وللصناع معرض صنائع، وللشاعر دلال وللمدعي استدلال. ولأرباب الاقلام إعلان وأعلام، وللمؤرخين جمع وقائع وأخبار وللجغرافيين استكشاف خطط وآثار

وبالجملة يكون الإنسان بها مطلعاً على وقائع عصره، عارفاً بما تجدد بين بني عصره، من حوادث الزمان. وعجائب عالم الامكان وما هو صائر في الممالك المتمدينة، ودائر بين الملوك المتمكنة، وما هو

جار بين الدول المتفقة، والملل المتفرقة، من عهود تجدد وشروط تؤكد، وآثار تغير، وصعاب تيسر، وما بينهم من نزاع ومقاتلة وخداع ومخاتلة، وسكون وهدنة، وحركة وفتنة، وما حدث في أحوال التجارة، وأمور السياسة والادارة. وما أبدته فحول العقلاء في مجامعها، وما أسدته عقول النبلاء من بدائعها، وما ظهر من روائع الصنائع وعوارف المعارف، وطرائف اللطائف، ويعرف العوائد مذمومها وممدوحها، ويميز الآراء راجحها ومرجوحها، فيجتني ثمار الأفكار، ويقتني محاسن الآثار، ويكون كأنما طاف مشارق الأرض ومغاربها، وجرب جميع الأمور ودرى عواقبها، فلا تكاد تنزل بساحته حادثة إلا وقد أحاط علمه بنظيرها، [illegible] غاية [illegible]

١٤٢ — (التدبير [illegible] السياسة)

معلوم أن حاجة الأمم إلى المال كحاجة الجسم إلى [illegible] لأن الغذاء حياة الجسم وقوامه. فكذلك المال حياة الأمم [illegible] إلا [illegible] وكما أن الغذاء إذا كثر في جسم عن حاجته [illegible] فوق القدر اللازم كان مضراً بالجسم وسبباً [illegible] فيها [illegible] والاحتقار وليس ذلك قصراً على الأمم فقط [illegible] الأمم والشعوب والقبائل والعائلات والأفراد في ذلك سواء وفي المشاهدة أكبر دليل، ولا ينبئك مثل خبير، فكم من مسرف [illegible]

قلّ بعد الكثرة وذلّ بعد العزة، وافتقر بعد الغنى، وأهين بعد التعظيم وقلّ اعتباره وكثر احتقاره، وذهبت هيبته. وانحطت قيمته، وكما أن الإسراف والتبذير موجب للخراب والدمار — كذلك البخل والتقتير موجب للذم واللوم والعار — فالواجب إذاً استعمال الحد الوسط ولتباعد عن طرفي الإفراط والتفريط في التصرف في الاموال قال الله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) وقال تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى (ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً) وقال تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)

وبالجملة — سوء التصرف في الثروة يجلب الخراب بخلاف الاقتصاد فانه [illegible] الرفاهية والسعادة وكم [illegible] التبذير بيوتاً عامرة وبدد ثروة و[illegible] وكم أذل [illegible] أميراً وصغر كبيراً وكم أغنى التدبير فقيراً وأعز [illegible] و[illegible] [illegible] أميراً)

[illegible] الأصمعي سمعت بعض العرب يقول (من اقتصد [illegible] الغنى [illegible] [illegible] نوائب الدهر) وقال عبد الله بن جعفر (كمال المرء [illegible] ثلاث — مباشرة أهل الرأي والفطنة، ومداراة الناس

بالمعاشرة الجميلة، والإقتصاد من بخل واسراف)

أنفق بمقدار ما استطعت ولا تسرف وعش عيش مقتصد
من كان فيما استفاد مقتصداً لم يفتقر بعدها لى أحد

وقال آخر

توسّط بين تبذير وبخل ولا تسرف بما تلقاه نزرا
فان النزر يمسي بعد حين اذا لم يعن بالإسراف وفرا
وان الوفر في الدنيا ببخل وتقتير يريك اليسر عسرا
وكن فى حالة تزداد فيها لدى الأقوام مرتبة وقدرا
وخير الناس مقتصد أبيب تفرّد فى الملا بحثاً وخبرا
وكن في كل أمر ذا اعتدال فربّ حلاوة تؤذيك ضرا
فما من باخل حي [illegible] وما من مسرف [illegible]

١٤٣ — اذا رزقتم أموالاً عظيمة ففيم تصرفونها

لا ريب أن المال روح تحيا به أجسام الممالك. وسراج يضيء به ظلام الخطوب الحوالك، وسلطان قوي الشوكة والبطش، شديد العزيمة والبأس. تذلل به الصعوبات. وتحل به عقد المشكلات وتتصرف صروف الزمان. وتدام [illegible] الأفراح لا الأحزان. وعليه قوة [illegible] وبه [illegible] طلاسم الفنون، ونجاح [illegible] والمشروعات. [illegible] فضاء

الحاجات ، في جميع المهمات ، فأي شخص رُزق مالاً لحظته السعادة بمتدت عليه غصون السعادة . والتفت الناس حوله، وأصبح الكل أهله . وتشرف الكل بالانتساب اليه ، والسعي في التقرب لديه

إن قل مالي فلا خل يصاحبني إن زاد مالي فكل الناس خلاني
فكم عدو لأجل المال صاحبني وكم صديق لفقد المال عاداني

هكذا يكون المال مجد الحياة وعز الممات

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

ولكن ذلك كله اذا كان مصروفاً فيما يعلي عرش المجد ويرفع صرح العزة . فاذا أنفق في الاعمال المبرورة والمشروعات النافعة كان زينة لصاحبه في حياته ، وذكراً جليلاً له بعد مماته ، ولكن اذا كان لشخص عنده خزائن قارون وخضع له المال ولم ينفقه في قوة معدات المدنية الصحيحة كانشاء المدارس والملاجىء والمستشفيات وكل ما يقيم أود الراحة ويرفع بناء العمران فانه يكون عليه شراً من الفقر ومجلبة لخزيه وعاره ووسيلة لذلته وشقائه، لأن الناس انما يتوجهون الى ذي المال طمعاً في نيله وحباً في الحصول عليه وينال شهرة عظمى ويقترن اسمه بالعلا — قال الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وقال الله تعالى

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم)

وبالجملة — المال زينة الحياة الدنيا وانفقة الى الدار الآخرة فيلزم صرفه فيما يكسب الانسان المجد حياً وحسن الذكر ميتاً ولا تنفع الاموال ولا العقارات ولا التجارات ولا غيرها بغير علم وأدب يهذب الاخلاق. ودين يقرب الى الرب الخلاق

وعلى وجه العموم يصرف في كل مايعرض لك عمله ولا يكون خارجاً عن حد الشرع والكمال والاعتدال

١٤٤ — ﴿ البيت مملكة تديرها المرأة ﴾

قسمت العناية الالهية جميع الاعمال المثمرة على أفراد الجنس البشري حسبما وجدته في كل من الصفات والامزجة وذلك مراعاة لما تقتضيه سنة التقدم وضمانة مصالح العباد من الوقوع في الفوضى والاختلال الناتجين من قيام أحدهم بأمر ليس في استطاعته عمله

وعلى هذا القياس قد وزعت الاعمال على الفريقين الكبيرين المكونين للجنس البشري وهما «الذكر والانثى» فاختص كل فريق بالعمل الذي يلائم مزاجه وقوته ومقدرته الى غير ذلك من الصفات التي أوجدها الخالق سبحانه وتعالى فيه — وكان نصيب الرجال من هذه القسمة جميع الاعمال التي المجهودات البدنية فيها المكان الأول من حرث الارض وزرعها الى الدفاع عن حومة المجتمع الذي يعيشون

فيه وهو الوطن- واختصت المرأة لضعفها في القوّة الجسمانية ولما أوجد الله فيها من صفات الصبر والاخلاص ورقة القلب ودعة الأخلاق بأمور لهذه الصفات في إتمامها حظ وافر. وهذه الاعمال كثيرة جداً - منها ماهو واجب عليها نحو روجها إذ يلزمها أن تسهر على مصالحه وتكون رسول السرور اليه وتشاركه في جميع مشاغله وتطرد عنه الهموم والأحزان، وتريح خاطره من النظر إلى الامور و المتاعب العائلية ليكون عنده الوقت الذي يتفرغ فيه هو أيضاً للقيام بواجبه خارج المنزل . أما أهم واجباتها في نظر الامة فهو ما يخص أولادها لانها مكلفة بتربيتهم و بالقيام بشئونهم في مبدإ حياتهم - أي في الوقت الذي يحتاجون فيه إلى عناية كبرى لضعف أجسامهم وعقولهم فهي التي تنظر في أمورهم الصحية فتحافظ عليهم وتراقبهم خوفاً عليهم من الاخطار التي هم معرضون لها من صغر سنهم، وهي المكلفة أيضاً بتقوية مبادئ الادبية التي تبنى عليها حياتهم الادبية في المستقبل فتعوّدهم على محبة الفضيلة واحترام الحق وعلى كره الرذيلة ومقت الباطل وتلقن في عقولهم الصغيرة التي تحفظ أول ما تسمعه أو [illegible] الصفات [illegible] الاخلاق التي توصلهم متى كبروا للحياة [illegible]

[illegible] رجب [illegible]

[illegible]

لأن على عملها تتوقف حياة الأمة أو مماتها — ولأن ذلك الرجل الذي ينكر عليها هذه المسئولية لم يصل إلى ما وصل اليه من قوة الجسم والعقل إلا بسعيها المتواصل، وعنايتها التي تبذلها في تربيته وتعليمه وهو صغير — ولو أنصف الرجل الحقيقة وأنصف المرأة معها، وقدر عملها في الهيئة الاجتماعية حق قدره، وطرد من مخيلته المزاعم الباطلة التي علقت بها من كلام السلف واستبداده وغروره لطأطأ رأسه احتراماً لذلك المخلوق العجيب

المرأة — وما أدراك ما المرأة، هي ملك السعادة الذي يهبط على الزوج الحزين البائس فيفرج عنه كربه ويطرد جيوش الحزن والهم والتعاسة التي تنتابه لما عندها من حسن الأسلوب. ولمقدرتها على تصريف الأكدار والهموم فتجعل من البؤس سعادة. ومن الحزن سرورا — هي التي تقول للرجل ابعد عنك ما أنت فيه من الغم والحيرة واخرج لعملك سعياً وراء رزقك، ودعني أنا أقوم بهذه الأمور فيخرج هذا ساعياً مجداً مجتهداً فتكسب الأمة من ثمرة سعيه

المرأة — هي إحدى العاملين في زيادة الجنس البشري وتقويته ووظيفتها في هذه الجهة كوظيفة الرجل. بل أكبر وأشد صعوبة لأنها تتحمل الآلام والأمراض فرحة مسرورة في أيام الحمل. ووقت الرضاعة — ولا يشاركها الرجل في شيء من ذلك

المرأة — هي التي تقوم بتربية هذه الأطفال وبمراعاة صحتهم وهي التي تدرّبهم وتمرنهم على المشي والحركة وتغيّر ملكتهم البهيمية التي ولدوا عليها فتجعل منهم أناساً أصحاء أقوياء عقلاء قادرين على العمل والسعي — ولو شاءت لحرمت الأمة منهم باهمالها شؤونهم وتركهم هم وشأنهم بلا رقيب

المرأة — هي الساعد الأول، والمرجع الأكبر لهؤلاء الأطفال متى شبوا — فهي التي تسري عنهم أحزانهم وتجلي كروبهم وتشجعهم على تحمل المصاعب وتحفظ أسرارهم وتنعشهم بالأمل الذي تبثه فيهم

المرأة — هي طبيب اولادها وممرضة زوجها اذا اختل ميزان صحتهم فتعودهم وتسهر بجانبهم تقضي لهم حوائجهم — وهي التي تعنى باصلاح الفاسد وترميم العاطل من أمورهم فيكون لهم من عملها رأس مال كبير

المرأة — هي ذلك المخلوق الذي ملىء حباً وحناناً، تعرف المعروف وتكافىء فاعله عليه أضعافاً، وتغضي عن السيئات التي توجه اليها يتغيب الزوج عليها، وهي صابرة على بعده قاضية جميع ما يطلبه منها حافظة له حق العشرة . يخوفها كل يوم ويدوس على حرمتها وهي تمرّ على عمله مرّ الكرام مع ما تتحمله في ذلك من المعاناة والشقاء

المرأة — هي المصباح الذي يضيء الحياة بنوره

هذه هي وظيفة المرأة في الحياة وذلك هو العمل الذي يجب أن تقوم به في المجتمع الإنساني — ولعمري انها وظيفة عسرة الخطة وعمل صعب المزاولة يحتاج الى صبر لا يطيقه الرجال، ولا أظن ان هناك من ينكر أهمية تلك المهمة التي يجب ان تقوم بها لأنها هي الأساس الذي يبني عليه حاضر الامة، والمعيار الذي يقاس به مقدار التقدم والرقي والحضارة التي يمكن أن تصل اليها في المستقبل — فلو فرضنا أن النساء تعمدن التقصير في واجبهن وتوانين في اداء مهمتهن فسد نظام العائلة، وصارت حياة الافراد المكونين لها نقمة عليهم لا نعمة لهم، لما يقاسون من إختلال هذا النظام، ولا يطول الزمن حتى تنعكس مضار هذا الإختلال على الأمة فيصيبها منه داء الفوضى الذي لا تقوم لها قائمة من بعده، ولو أهملت الامهات تربية أولادهن ولم تعتن بصحتهم شبوا ضعافاً معرضين للامراض والاوبئة، فلا يصلحون لعمل من الاعمال ولا تستفيد منهم الامة لان العقل الحكيم في الجسم السليم، ولان المرض يشغل الانسان عن كل عمل آخر — لو تغافلت الأم عن تأديب أولادها وتنبيههم إلى الضار والنافع في صغرهم صاروا متى كبروا سيئي الأخلاق فاسدي التربية قبيحي السيرة منهمكين في اللذات البهيمية لا يعرفون من معنى الحياة أكثر مما تعرفه الحيوانات، فيذهبون بالأمة مذهبهم ولا يطول الزمن حتى تتلاشى

من موجود – ولكن رب معترض يقول بأن إنشاء المدارس وتشييد دور العلم يغني عن وظيفة المرأة، إذ أن المدارس كفيلة بتهذيب أخلاق الطلاب ومراعاة صحتهم، وهذا الاعتراض مردود من نفسه لأن التربية شيء والعلم الذي تلقنه الأساتذة في المدارس شيء آخر، ولا يمكن لدور العلم أن تقوّم بعد اعوجاج أخلاق أحد الطلاب اذا كانت فاسدة في الأصل وإن هي أرادت أن تسعى في عمل من هذا القبيل كان مثلها مثل الرجل الذي يريد أن يقوّم جذع شجرة بعد أن كبر فيستعصي عليه تقويمه وينكسر الجذع. والسبب في أن المدارس عاجزة عن بلوغ هذه الغاية أن الطالب لا يمكن أن يذهب اليها إلا بعد أن ترتسم في عقله صورة أخلاق أمه وما عوّدته عليه مدة إقامته معها فلا يمكنه أن يمحو هذه الصورة من مخيلته وتبقى معه ما شاء الله أن تبقى حياته معه – وقد يعترض علينا آخر بأننا نبالغ في أهمية عمل المرأة ونزيد في تقدير كفاءتها؛ والحقيقة أننا المقصرون وإنما نشأ هذا الظن لأننا لا نتصور تأثير الأم العاقلة على أولادها من جهة وعلى زوجها من جهة أخرى – ولأننا لا نحلم يوماً بأن امرأة تترك أولادها الذين في سن الرضاعة ليقوم الرجل بتربيتهم وبالعناية بهم ولا يمكن أن يقدر هذا العمل إلا رجل متوسط الثروة أو ضعيفها توفيت زوجته وخلفت طفلاً نبيناً وعند ذلك يجب أن نتساءل ونبحث

فيما اذا كان عنده الوقت الكافي والصفات اللازمة لتأدية تلك المهمة الشاقة

ولقد ظهر جلياً مما سلف أن عمل المرأة هو الأساس الذي يبنى عليه مستقبل الأمة الذي يرتكز عليه حاضرها. بقي علينا بعد هذا البيان المجمل أن نبحث فيما اذا كانت المرأة المصرية تقوم بالواجب عليها أم هي مقصرة أو جاهلة هذا الفرض؟ وليس الجواب على ذلك صعباً لأن مشاغل النساء المصريات معروفة وأعمالهن لا تخفى على أحد منا فالمرأة عندنا إحدى اثنتين: فلاحة قروية، ومتمدينة حضرية فأما الأولى فإنها لا تعرف من الحياة ولا تفقه من فوائد المعيشة شيئاً وجل ما تعتقده أنها إنما خلقت لتكون وسيلة للذة الرجل وشهواته خادمة له وعبداً عنده، بل إن مرتبتها لا تزيد عن مرتبة الحيوان الذي يحرث به الأرض وهي مرتدية بلباس من الجهل، أسود من الثوب الذي تلتف به عادة — واعتقادها في القضاء والقدر عظيم — وعليه فان عمل الإنسان وسعيه في نظرها لا يمكن أن يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً، فاذا رزقها الله بمولود تركته وشأنه بدون عنايه ومراعاة واهتمامها به قاصر على إعطائه ثديها كلما بكى فاذا شبع فانها تدعه يحبي على التراب عاري الجسم يتقلب في الطين والأوحال التي كثيراً ما يوصلها إلى فمه متى جاع وغفلت الأم عن صريخه — وبعد أن يأكل

هنيئاً مريئاً يحس بحرارة الشمس التي تؤثر في دماغه، فيفرك عينيه بيديه الملوثتين بالتراب والطين ثم يقع في سبات عميق وسط الطريق يقوم بعده مريض العينين. لا يرى إلا هزيل الجسم ضعيفه، ومتى قدر على المشي انضم إلى الاولاد الآخرين فيكتسب منهم كل قبيحة ويزيد في تربيته الادبية ما يراه ويسمعه كل يوم بين والده ووالدته من الضرب والشتم والرفص واللكم الذي يبدأ الزوج بزفه إلى زوجته صبيحة ليلة العرس

وأما الثانية - فإنها لا تزيد في التربية والمعارف عن الاولى إلا انها قد تكون أسوأ من تلك خلقاً وأكثر إهمالاً لو لاحظنا أن الاولى تقوم مقام زوجها في كثير من الاعمال الخارجية عن المنزل وأما هذه فليس عليها واجب آخر . ومن الاسف أنها لا تصرف وقتها في عمل مفيد بل إنها تترك أولادها مع المرضعة التي لا تعرف إن كانت حسنة الصحة أو رديئتها ثم تسلمهم إلى الخدم فيشبون منحطي الأخلاق ناقصي التربية الاستقلالية مرضى أو ممرضين للمرض

هذا هو حال المرأة المصرية وتلك هي أعمالها — وبديهي أنها حال لا ترضي أحداً لانها تهدم نظام العائلة وقد كان من نتيجتها انحطاط المصريين وتأخرهم في معترك الحياة ، ففقدنا الاستقلال السياسي والادبي والاقتصادي، لان صفات الثبات والشجاعة والاقدام ورباط

الجأش والمؤازرة والمؤاخاة تلك الصفات التي يكتسبها الطفل مما تعوّده عليه أمه لا أثر لها في نفوسنا،فصار المصريون وهم يزيدون عن أربع عشر مليوناً آلة تعمل لفئة قليلةمن الأوربيين وغيرهم لا تبلغ أثنى عشر الفا وهي نسبة مؤلمة

وقد نتج من جهل المرأة أيضاً انحطاط الآداب انحطاطاً مرعباً بين الشبان والشيوخ فلا نشغل أوقاتنا إلا بالتافه المضر من الأمور،فانتشر الحسد بيننا وصار كل منا ينصب أحبولة لجاره يوقعه في شباكها،ونخاصم الأشقاء ونتنافر الأحياء وانتشر الكسل بيننا انتشاراً أقعدنا عن السعي وكسب المال من موارده الشريفة.وتمكنت من عقولنا الخرافات والبدع فصرنا أضحوكة في أفواه الغربيين وتركنا العمل بديننا وبالآداب التي يأمرنا بها غير مكترثين بغضب الله وسخطه ، فوقعنا في تلك الحال السيئة التي نحن عليها اليوم

أما آن الوقت الذي يقوم فيه عقلاؤنا والمتنورون منا بالاصلاح الواجب ، أما آن لنا بعد كل ذلك الزمن الطويل الذي نحن فيه الجهل عضاضنا أن نقوم قومة واحدة فنعالج ما نستصعب من أمرنا أما آن لنا أن نقر ونعترف بمركز المرأة وبالعمل الذي يمكن أن تقوم به فلا ننظر اليها نظرنا الى العبيد والخدم ، أما يحن الوقت لنقوم بتربيتها وتأهيلها لكي تكون زوجة صالحة عاقلة . فتكون

قد أنصفناها وأنصفنا أنفسنا — لعمري أن الحق واحد لا يتغير ولكنا نغالط أنفسنا فيه — نقرر اليوم أمراً ثم ننقضه غداً ونتمادى عن النظر الى الحقائق فلا نريد أن نثبت ما للمرأة من الحق في التعليم ونحرمها منه ثم نطالبها بعد ذلك بتربية الأولاد والعناية بهم وبإيجاد السرور والحياة في المنزل وهي مهمة لا يقوم بها إلا من نال حظاً وافراً من العلم والتربية

وليس أغرب من قول الذين أعماهم الغرور والاستبداد فادّعوا أن مساواة المرأة بالرجال في الحقوق هادم لنظام الحياة مفسد لآداب المرأة، وهو زعم باطل لا سبب له إلا الوهم والجهل الذي نشأ عليهما الرجال، والا فكيف يمكن الجمع بين التربية وفساد الأخلاق وهما ضدان إذا وجد أحدهما بطل الآخر طبعاً، ولعل الذين يزعمون ذلك يستدلون على صحة دعواهم بما يشاهدونه من تهتك الفتيات اللائى نلن قليلاً من التعليم في احدى مدارس القاهرة أو الأقاليم وهنا يجب أن يحوّل نظر هؤلاء مرة ثانية الى أن التربية والتعليم شيئان مختلفان وان القليل الذي نلنه من العلم هو قشور — ولو أن هؤلاء البنات تربين في أحضان أمهاتهن تربية صحيحة مبنية على الآداب التي يأمر بها الدين الحنيف لتمكنت من قلوبهن أسباب الفضيلة ولما كنا نرى لهذا التهتك الذي يعيبونهن به أثراً — بل لرأينا منهن

مثالاً حياً على صدق ما نقول ، أما الغربيات اللاتي يهمس القوم في المجتمعات على آدابهن فانهن من الطبقة السفلى في بلادهن وأكثرهن لا يعرفن لهن أباً ولا أماً وقد نزحن الى مصر طلباً للثروة فنلنها بطرق خسيسة أو شريفة — ثم اشترن بها زوجاً ليس له هم في الدنيا الا حب المال ، وما أكثر الذين يعبدونه بين الناس وأرى بعد ذلك أن دعوى المدعين بأن تربية البنات تفسد آدابهن دعوى باطلة ولا أجد مانعاً أبداً بعد ما عرفنا مهمتها وعملها في تقدم الأمم من مساواتها بالرجل في حقوق العلم والتربية عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فرض على كل مسلم ومسلمة)

١٤٥ — ﴿ أذكر طرق المعيشة واختر لنفسك منها طريقاً ﴾

يوجد بين كل الناس طرق للكسب منها التجارة وقد تكون جارية مجرى الاعتدال يقصد منها إنماء المال ليصرف الربح أو بعضه في لوازم المعيشة أو يزاد الباقي على الأصل حتى يكثر وتتسع الدائرة ، فيدخل الى الانتفاع منها أقوام آخرون عمالاً لصاحب المال فتعمهم ثروته ويكونون كعائلة للمالك يعنيهم شأنه ويهمه أمورهم في الحال والاستقبال ، وقد تكون التجارة آخذة سبيل الاعتساف لا يقصد منها الا المال وجمعه من أيّ طريق وجد ، على أيّ وجه أخذ ، ويدخل في هذا القسم المرابون والغاشون في صنف البضائع

ونوعها وجنسها وقيمتها، وكثير ما هم في كل بلاد وكل زمان — وكما أن هذا العمل يتأتى أن يكون من عمل واحد فكذلك يمكن أن يكون من جماعة أو شركة أو طائفة — وكلما كبرت كبر ضررها في الوسط أو الجيل الذي هي فيه

ومنها الزراعة — ولا نخالها يتأتّى فيها من حيث ذاتها ذلك التقسيم الذي أمكن في التجارة ، لأن الزراعة لا يقصد منها إلا استثمار الارض واخراج مافى بطنها من الخيرات بالأعمال ، وانما الممكن تقسيمها الى مايراعى فيه ذلك المقصد بالجد والبحث من النافع من الأعمال للوصول الى ذلك المقصد، واختيار الأصلح من المزروعات مع ملاحظة مناسبته للأرض والتقليل منه أو الاكثار على حسب حالة الفصول والرواج — والى مايراعى فيه مجرد القوت لأصحاب الأرض بقطع النظر عن تلك الملاحظات ، وقد يوجد هذا القسم الأخير في كل البلاد . وإن تفاوت في القلة والكثرة باختلاف الأمكنة فترى المزارعين في بعض البلاد يلحّون على الأرض الحصرية حتى تنبت نبتاً حسناً وينوّعونه كل سنة ويتعمقون في الأرض أو يجعلون الزرع مسطحياً على ما يهديهم اليه العلم وتدلهم فيه التجارب

وبعض الناس قد رُزقوا أرضاً من الخصوبة بمكان تصلح لزرع كل شيء ، ولا تراهم إلا عاكفين على زرع صنف واحد أو أصناف

معدودة— ملازمين فيه طريقة واحدة كأنهم استغنوا بجودة التربة عن الأعمال

ومنها التوظف والخدمة— وهذه تنقسم باعتبار أوّل الى التوظف في الحكومات والى الخدمة الخارجة عنها- وباعتبار آخر الى مايراعى فيه تأدية الوظيفة والخدمة بما لها من الحقوق وما عليها من الواجبات غير ملحوظ فيه إلاّ نفس الوظيفة والخدمة بقطع النظر عمن تؤدي له وما توصل اليه — والى مالا يراعى فيه إلا مجرّد المعيشة والمحافظة على الراتب بصرف النظر عن اللوازم التي لا تقوم الوظيفة والخدمة إلا بها— ويوجد من هذا القسم الأخير كثيرون فى الممالك، إلا أن عددهم يختلف بتفاوت التربية وتعميمها وبتفاوت قيام الرؤساء بملاحظة المرءوسين حق القيام وبتفاوت العمل على ما أوجبه القانون بلا تفرقة بين الأعاظم والصغار

ومنها الصناعة— وقد تكون كالتجارة موجهة الى إجادة الصنع وتحسين المصنوع مراعى فيه الربح والنماء وتوسيع دائرة الصناعة من حيث هي، ويدخل في باب الانتفاع بها الكثير من العمل - وقد تكون سائرة الى الإكثار من المال بصرف النظر عن وجهته ومأخذه ويدخل في هذا القسم الغشاشون في المصنوع من جهة المادة أو التمويه وهم كثيرون وإن اختلفوا في الأمم باختلاف التربية العمومية وبتفاوت

مر قبة الحكام واحكام النظام وربما اختلف ذلك في المملكة الواحدة باختلاف الزمان

وقد يمكن إدخال بقية الطرق المستعملة بجلب الرزق التي فيها وجه الصدق والغش في تلك الطرق الاربعة فلم يبق بعدها سوى الطرق المحضة للغش والتدليس وهي أكثر من أن تدخل تحت عدّ أو يحصيها كتاب لأن الناس كلما رأوا منها قديماً جددوا فيه بدعاً واستنبطوا منه فروعاً —والحوادث لا تنقطع ولا تنحصر فلا بد من وجود تلك الطرق بدوام الزمان

ولنسرد منها بعض الشيء مما اتخذه أهله طرقاً للعيش
والموت أحسن من السلوك فيها للمتقين الصالحين

فمن ذلك طريق التكفف للقادر على الكسب بالعمل، وطريق السرقة والاغتصاب وطريق الخدعة والاحتيال، وقد يدخل في الطريق الأخير الدجالون والرمالون وكذبة الدعاة الى طرق يسمونها خيرية وليست منها في شيء لأنها مناقضة للشرائع الحقة ومنافية للمعقول وقد أمرنا على لسان دعاة الهدى بأن لا نصدق إلا بما جاءوا به من النور المطابق للمعقول، أولئك أقوام نصبوا الحبائل للبشر، والشباك للصيد، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل

كل من في الوجود يطلب صيداً   غير أن الشباك مختلفات

١٤٦ - ﴿ الناس من خوف الفقر في الفقر ﴾

يوجد بين كل أمة أفراد حُبِّبَ اليهم من دنياهم الجمع، وكرهوا أن تكون لهم يد في البذل، أو أن يكون منهم على الناس طول. بل ان منهم من بالغ فجعل نفسه ومن تلزمه مؤونتهم عداد الناس، فلم يعطها حقها من الإنفاق، وضيق على ذوي قرباه من الصبية والنساء فلم ينالوا من سعته غير الحرمان، وفقدوا بوجوده كل شيء من الراحة والنعيم، وكان بقاؤه فيهم على كره منهم وهو لا يعبأ بهم مشغول الفكر بالكنز والتحرز من الضياع منهوك الجسم بما أخذ على نفسه من طريق الكف عن المشتهيات بل الحاجيات والضروريات — فما كان أجوده من فقير صابر، يتحمل مضض الفاقة، ولا يألم لبعده من النعمة ولا يجد من ذاته باعثاً الى اللذة فيعيش في شظف العيش، وقشف الاضطرار، قرير العين ناعم البال - وان ذكر بأن حاجته لا تلائم ثروته سخر بالناصح، وانتظم مكان الواعظ — وأخذ يبين فوائد التقتير ومضار السرف، وعد كل من حاد عن جدته مجداً في سبيل الفقر، مسرعاً الى العوز والإقلال وضرب لذلك الأمثال عن أنفق فأملق، وبمن مال في التبذير فآل الى التدمير واحتج بالتخوف من مصيرهم. والوقوع في عاقبة أمرهم

ومن يفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

قال الزمخشري (لا سرف في الخير كما لا خير في السرف) وهذه أيضاً حكمة نستبين بها ان الطرف الثاني للتقتير وهو السرف مضر ضرر الطرف الاول بعينه لأن المسرف وهو من يعطي من ماله مالا يستحق لمن لا يستحق همه أن يبعثر ماجمع الاولون لغير فائدة ولا في طريق مصلحة وهو لا يتنعم منه بشيء في نفسه ولا يستفيد منه من وكل الله أمرهم من القرابة الشرعيين ، فهو معهم فقراء في أنفسهم وإن عدم الفقراء من المثرين ولا يمضي عليه وعليهم زمان حتى يصلوا مصير البائس ، ومن ضاقت به ذات اليد عن لوازم الحياة بهذه الحالة يتلاقى مع الطرف الأول في نقطة الإعدام وخسارة المال — وقد جعل الله عاقبة الأمرين (التقتير والسرف) واحدة حيث يقول (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً)

فرتب الملامة والحسرة على ارتكاب ما نهي عنه في الجانبين جانب غل اليد الى العنق ، وجانب بسطها كل البسط ، دلالة على أنهما يشتركان في شر العاقبة - ولا شبهة في أن اللوم كما يتجه على من غل يده الى عنقه كذلك يتجه على من بسطها كل البسط — لانه لا منفعة في المال المكنوز كما لا فائدة في المال الذي يصرف في غير وجهته وما خلق لأجله من المنافع للناس — وكذلك يعد كل منهما محروماً

من ماله، ولا بدّ يوماً من مراجعة الواحد منهما عقله فيرى أن لا نفع له في ماله فتلحقه الحسرة على حرمانه من ماله، وضياع حياته سدى في الجمع أو التفريق والتبديد بدون عائدة تعود عليه في مآل دينه أو دنياه، ويالها من حسرة يخشاها العاقل ويتحاشاها البصير، فعاقبة الطرفين واحدة بلا نكران

حدّد الله الوسط بين هذين الطرفين وعيّنه كل التعيين بآية (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) فالسرف والتقتير طرفان، والقصد بينهما قوام — وقد حسب البعض أن السرف لا يكون إلا بالانفاق في المعصية، أما في الوسعة الشخصية والمنزلية فلا اسراف — وذهب آخرون الى أنه في الأخيرة سرف كما هو في المحرمات وهما رأيان لا بد بينهما من وسط كما هو بين السرف والاقتار — والعدل في ذلك ان كل نفقة في خير على شريطه بقاء المادة الأصلية للثروة بالغة ما بلغت لا تعد من الاسراف فى شيء — أما الخير فقد بينته الشريعة المطهرة ودلت عليه أعمال السلف الصالحين، وان الاقتار المذموم هو الامساك عن الانفاق في هذا الخير — ومن باب أولى ان يعد الامساك عن الانفاق في اللوازم المعاشية تقتيراً شائناً

انواع الخير الذي ابانته الشريعة المطهرة كثيرة فقد رغبت في بذل كل ما يعود منه على المنفق اجر — ولم تقتصر على الواجبات

كالزكاة في النقود والزرع والماشية والعروض وزكاة الرقبة بانسلاخ رمضان وكخمس الغنائم وسلب القتيل، بل يندب كل ما فيه كرامة خلق وتطبع بفضيلة كالصدقة الجارية والوقف على نوع مخصوص والتبرع بالاحسان واعانة المحتاج ومواساة الفقير بالعطاء وتعهد الاغنياء للمساكين كلما دعت حاجتهم الى الانفاق

وليس من حاجة لسرد النصوص القرآنية والحديثية والاثرية فانها بين يدي كل من اطلع عليها من الناس ولا خفاء في فهمها ولا التباس فانها كلها من الصراحة بمكان يدركها معه حتى الاميون

يعد كريماً ولا يحسب مسرفاً شرعاً كل من خصص من ماله بعد اداء الواجب من الزكاة المفروضة جزءاً لا يضيق عليه معيشته للصدقات ، وله أن يجعل بذله لطائفة مخصوصة من الناس يعين صفاتهم ويجريه عليهم ماشاء من الزمن أو طول الحياة

ويكون مقتراً إرتكاب ما نهى الله عنه إن كانت عنده تلك السعة وخصصها لنفسه ولم ينتفع منها احد سواه فانه ربما جر ذلك الى التقتير على نفسه ومن هم عالة عليه فوقع من خوف الفقر فى الفقر وان خاف من نسبته الى الاسراف فلا سرف فى الخير

يعتبر مقتراً ملوماً كل من منع لمستحق ما يستحق من المال كان زعم أن فى جيرانه او اهل محلته او بلده بأساً كبيراً عليه نفسه

فتعفف عن ذل المسألة الحافاً فبات فقيراً ثم لم يواسيه بما يقدر عليه
من طعام او مال يسد خلته، ويدفع حاجته، اوكان علم بأن في أولئك
من كان غنياً فدهمه القضاء بمالم يكن في الحسبان، فأمسى وهو في مصاف
الفقراء، ثم لم يبادر الى نجدته بماله واسعي بجاهه في اعلام الاغنياء
بحاله، حتى يجتمع له منهم ما يجعله رأس مال لحياته في مستقبل الزمان
أو كان رأى من أولئك من قضى على عائلهم بالموت، أو ليس
لهم بعده من ساع على رزقهم وهم لا يقتدرون عليه كأن كانوا صبية
أو مرضى أو كهولاً، ثم لم يتعهد أمرهم بماله وبسعيه في استنهاض أهل
الخير لهم ودعوتهم إلى إغاثة أولئك المضطرين . أو كان شاهد منهم
نسمات من اليتامى تدور في الازقة بلا عمل ولا كسب لقلة ما يجدون
ممن يأويهم ويربيهم، ثم لم يسعفهم بالمال وبذل الجاه في استجماع ما
يصلح شأنهم من أغنياء أمتهم ومواطنيهم في البلاد — كل هؤلاء
وأمثالهم يعدون مقترين وممن يخافون الفقر وهم واقعون فيه

النوال والسخاء في هذا السبيل وأمثاله خير وفضل، أما قصره
على المباحات فنقص وجهل — ولان يبني الرجل لنفسه بيتاً من المكانة
والمنزلة في قلوب مواطنيه لخير من أن يبني بين منازلهم قصراً مشيداً
يفسح فيه المدى ويكثر فيه الزينة ويستجلب اليه البهار، فإن البيت
في القلوب قوي الدعائم . متين الاساس ، كلما تقادم عليه العهد زاد

رفعه واتساعاً، وذلك القصر وان بناه بالإحكام حتى كان كالاهرام يبلوه الزمان وما لذته لصاحبه وهو قذى في عين الفقير كلما رآه تضجر لحالة نفسه. أما ذلك البيت بيت المواساة والإحسان فهو قرة عين الفقير، ومتنزه البائس والمسكين، ومحط رحال المجد والفخار وإن زخرفه ايدوم بدوام الناس في الوجود

ومن الناس من تجده يسهل عليه الانفاق في الاستطالة بالبناء الزائد عن حاجاته بكثير، ولا يهاب المصرف في مثل الافراح والمآتم وغيرها، فينفق ماله وراء الناس ويحتج إلى الخيلاء في الملبس والمطعم وهو لا يحتاج من ذلك إلا إلى جزء من عشرات ـ ينفق هذا وهو مرتاح القلب غير متألم مما يرميه به العقلاء من الخروج عن القصد في هذا السبيل ـ ثم إن دعي إلى مبرة شرعية تقاعس، وكلما أجهد الناصح نفسه وجداً في الطلب ازداد تقاعداً وتباعداً، وكان هذ حاله في كل دعوة إلى مكرمة تطالب بها مكارم الاخلاق ـ فما لمثل هذا من دواء ينفعه في تصرفاته إلا الالجاء إلى الخير فإنه لا ينفع معه الدليل ولا يفيده البرهان إذا ارتكز في دماغه أن عمله هو اللازم، وأن غيره من طلاب المآثر الباقية عابث مضيع للمال في غير طريقه المعتاد، فان لم يكن النسر لازمه ناصح وما هو من حيث الوجود بقليل ودأب على تذكيره بالشريعة وتمثل له بآياتها وأعمال أهلها فعدل عن طبعه

ومال الى الخير فعمله، وتعود بالعمل عليه فتتجه وجهته اليه، وإن وجد في الأمة كثير من أولئك وعز على الناصحين تهذيبهم فلا بأس من تركهم، والركون الى التربية فى الصغر، فانها أقرب للمنفعة وأدنى الى الانتفاع

يعد مسرفاً شرعاً كل من صرف ماله أو شيئاً منه فى محظور ... رة، أو مال في تصرفه الى الخيلاء والرياء، أو أكثر من لوازم الحياة وحاجياتها وزخارفها مقتصراً عليها وتأدى به ذلك الى ضياع المال كله أو معظمه والاحتياج الى الغير بعد زمان وإن خرج به تجاوز الحد الى الإستدانة استر الحالة كما يفعله الكثير كان من السفهاء المغرورين — وربما كان من اللازم أن يقوم عليه قيم يدير له شؤون المال ويتصرف بما فيه المصلحة لئلا يتكاثر الدين وهو في غفلته فلا يصحو إلا وقد نفد الرزق أجمعه. وأصبح من المقلين وتلاقى مع طرف المقتر. ونادى عليه حاله والناس « لا خير فى السرف بحال من الأحوال »

١٤٧ — ﴿ فوائد صناديق التوفير ﴾

إن من أهم ما يجب أن تصرف اليه العناية هو غرس مبادىء الاقتصاد والتوفير فى نفس الأولاد من الصغر، حتى ترتاح اليه نفوسهم عند الكبر

ولا شك ان صناديق التوفير عظيمة الفائدة في كل بلاد أنشئت فيها — وعلى الخصوص في البلاد التي تكون فيها أبواب التبذير واسعة فعلى كل عاقل يسعى في وضع كل ما يتوفر لديه في إحدى صناديق التوفير المنتشرة في انحاء القطر ولا يخجل من قلتها فان القليل مع القليل كثير

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

ولا بدّ من يوم يجد فيه مبلغاً يقوم بحاجاته، بل بمعيشته، بل الخجل لأعظم هو عدم وجود مال متوفر لديه مع شدّة حاجته اليه قال الإمام أحمد : ... اني لأبغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد ، وقال بعض الملوك (أفضل أن أرى رعاياي يضحكون على بخلي من أن أراهم يبكون من إسرافي) ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل، ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر وطاب نفساً بالذل

وأسباب الاقتصاد عديدة ومزاياه مفيدة وفوائده جمة وعوائده عامة — قال الأموال المقتصدة تنفع صاحبها عند وقوعه في الحاجة (الدرهم الأبيض ينفع في اليوم الأسود)

وقال الشاعر

إن الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

فأنعم بمشروع صناديق التوفير الذي وسَّع ما ضاق، وكبّر ما صغر ووفر مازاد ويسَّر ما تعسر وشرح صدوراً كانت منقبضة وساعد أناساً هم في حاجة الى المساعدة بدون مقابل ولا أجر — ولله درُّ من شرع ومن تمّم ذلك العمل العظيم القدر . الكبير النفع . الجليل الوضع

وبالجملة — الناس طوائف، فمنهم الاغنياء الواسعو الثروة الذين اذا لم يعيشوا بالترف الزائد لم يمكنهم أن ينفقوا دخلهم كله وهؤلاء يكفيهم أن يعتدلوا في نفقاتهم حتى لا تزيد على دخلهم وإلا فإن أسرفوا كثيراً لم يسلموا من الفقر — وإن اقتصدوا كثيراً جمعوا مال الدنيا وأوقفوا حركة الأعمال وغلوا أيدي أهل الصناعة والتجارة وكلا الأمرين مذموم — ومنهم الفقراء والأواسط الذين اذا عاشوا بالحكمة والتدبير لم يزد دخلهم على نفقاتهم إلا قليلاً ، وهم الفريق الأكبر من البشر، فهؤلاء يجب عليهم الاستعداد للعطلة والمرض والشيخوخة بذخر النقود عند مسيس الحاجة اليها — وذخر النقود في البيت قلما يفي بالغاية المطلوبة، وربما تنفق على غير حاجة شديدة وذخرها في البنوك الكبيرة متعذر لأن هذه البنوك لا تستلم إلا المبالغ الكبيرة وتحبس فيها نصف سنة على الأقل — فاذا مست الحاجة واقتضت الحالة وضع صناديق التوفير لذخر ثلاثة أو خمسة قروش أميرية للفقراء من العمال وغيرهم جاءت بفائدة عظيمة وأصبحت

من أفعل الوسائط لتهذيب الناس وردعهم عن الشرور وجعلهم من الذين يحسنون صنعاً

١٤٨ - ﴿ هل الفوائد الناتجة عن تأليف الشركات في بلادنا من الأجانب مشتركة بيننا وبينهم - أو عائدة عليهم فقط ﴾

من أنعم النظر في أحوال الأمم الاوربية وتأمل في أمور الجمهوريات الامريكية والمستعمرات الأوسترالية ، وسبر غور هذه الأمم بمنظار الانتقاد ، وبحث في أحوالها وأطوارها بتأمل وافتقاد تجلت له في أحسن جلباب وظهرت له حقائقها بغير حجاب ، واتضح له جلياً أنها نالت قصب الرهان في مضمار التمدين والعمران وفازت بأمانيها من اتساع نطاق الحضارة وتقدم الصناعة والزراعة والتجارة فنشأ عن ذلك اشتراك المنافع بين الأمم واشتباك فروع التجارة بين جميع الحكومات والملل بتأسيس الشركات

انظر الى الشركات الدولية كشركات السفن البخارية والسكك الحديدية والأسلاك البرقية وما أفادته من تسهيل المواصلات وتقريب المسافات فقطعت الفيافي والفلوات واخترقت الجبال والآكام والصحراوات وكثر انتقال الافراد الى كافة الممالك والبلاد على أحسن أسلوب وأتم نظام مما هو مشاهد بالعيان في كل زمان ومكان

وانظر الى الشركات التجارية وما فعلته يد المنافسة في البلاد

الغريبة يندهش لبّك ويتحيّر فكرك

وانظر الى الشركات الصناعية وما وصلت اليه يد الصناع من المصنوعات التي عمرت جميع البقاع

وانظر الى الشركات الزراعية وما وصلت اليه في تلك الأقطار مما يدهش الأبصار ويبهج الأنظار فما غادرت شبر أرض في تلك البلاد الا وأخصبته حتى منحدر الجبال أصبح رياضاً وبساتين يسرّ الناظرين — ولا يبعد أن تستخدم قممها وذراها من غرسها وبنائها فتقدمت الأراضي تقدماً باهراً وصار الفدان الواحد يساوي مبلغاً وافراً ضعف ما كان يساويه قبلاً مرتين أو أكثر — وهكذا بقية الشركات التي غيرت نظام الهيئة الاجتماعية، وأوجدت المنافسة في كافة المشروعات التجارية والصناعية، وجعلت جميع الأفراد مشمولة بالمنافع العمومية، ونشرت بينهم روح الحضارة والمدنية وصار الكل يشتغلون ويربحون ويكسبون — وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

١٤٩ — ﴿لا سرَف في الخير كما لا خير في السَّرف﴾

لا بُدَّ للعاقل من التبصُّر في عواقب الأمور، والنظر في مستقبلها فلا تغرُّه ما تفيض يده به من الدينار والدرهم، فيزعم أن الأيام لا تتنكّر له، وأن الفقر لن يلج بابه، فيبُذر ويسرف، ويبدد ويتلف. لا يحسب للعواقب حساباً، ولا يخشى من الأيام انتقاضاً

فكم رأينا من عزيز أصبح بَعد الرَّفهِ والنعمة ، وبعد الحياة اللّينة ، يتمهد للثرى . ويستندي الأكف ، يطرق الأبواب فلا يجاب . قد صدَّ عنه صديقه ، وفرَّ من لقائه من كان في نعمته مغموراً ،وبغناه فرحاً مسروراً ،وضربت عليه الذلة والمسكنة ،فضاقت عليه الأرض بما رحُبت .فهو من ليله في سُهْد وأرَق ،لا يذوق النوم إلاّ غرَاراً ، ومن نهاره في هم وقلق ، لا يرى للراحة مناراً .لا يجد حُرًّا يواسيه ، ولا رفيقاً ينسيه ما هو فيه . تجري دموعه على خد أذبلته الأيام بعد النَّضرة ، أسفاً على ذلك النعيم الزائل ، والمجد الحائل ،حتى إذا قرص الجوع أحشاءه ،وأنهك قواه ، دار يتفرَّسُ الوجوه ، علّه يجد كريماً يسد خَلَّته ، ويرق لمصابه ، وأين الكريم فهو من نهاره في نَصب وعناء ، ومن ليله في شقاء وبلاء

غالبت كل بليـة فغلبتهـا والفقر غالبني فأصبح غالبي

نعم إن الفاقة هي الموت أو شر منه

فالموت خير من حياة يُرى بهـا على الحرّ بالأقلال وسمُ هوان

الفقر يخرِس الفطن عن حجته ،ويجعله غريباً في بلدته ،لا يجد بُدًّا من ترك الحياء ،ومن ذهب حياؤه ذهبت مروءته ،ومن ذهبت مروءته فلا خير له في الحياة

ولو أن ذلك المسرف المبذر أعد للدّهر وتقلباته عُدَّة من القصد

في موارده، فادّخر ما يدرأ به عادية الزمان، واتبع قول الله الكريم (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقتُروا وكان بين ذلك قَواما) لما لقى من دهره ما ليس له بحمله يدان . فان حسن التقدير مع الكفاف ، أبقى من الكثير مع الإسراف . وإن فى إصلاح المال سلامة الدين ، وجمال الوجه ، وبقاء العز ، وصون العرض

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

فأما أولئك الذين يغرهم أن يقال جواد، فينفقون أموالهم بين الملاعب والملاهي، ولا يدعون منكراً الا ارتكبوه، ولا إثماً إلا اقترفوه فلا دواء لهؤلاء إلا الفقر الذي يضرب على أيديهم، ويقع موقع الأغلال من أعناقهم — وذلك جزاء المفسدين

الجود فضيلة ، ولكنه إن جاوز الحد أو أخطأ الغرض انقلب رذيلة لا تُغفر ، وزلة لا تستباح ، وكيف يجود المرء بماله تكرماً وحاجته اليه ماسة ، ونفسه بما يجود به أجدر، ولأن يمسك ما فى يده أحب وأفضل من أن يمدها إلى الناس

يارُب جود جر فقر امرىء فقام فى الناس مقام الذليل

فاشدد عرا مالك واستبقه فالموت خير من سؤال البخيل

وبالجملة — إن الإنسان لا يدري ما خبأه له الزمن في كنانته من مُدلهمّ الخطوب، وبالغ الحادثات. فبينما ترى الرجل غنياً مكثراً

إذ هو قد قلب له الدهر ظهرَ المِجَنّ ، فأنضب مَعين ثروته، وأغاض مجرى سعادته

وبينا تراه معافى في جسمه ، موفوراً في صحته، إذا بالأسقام انتابته ، وبالخطوب تهادته ، وبسهام الآلام رمته ، فأذوت نضير غُصنه ، وأذبلت زهرة شبابه

وبينا تراه وحيداً إذا بك تراه رب أُسرة ، وكاسب صِبية تلك سنة الله في خلقه ، ودوام حال محال

ألا وإن الصديق تدخره للشدة، والصاحب تستمده في الحاجة هو المال. فهو وحده يكفكف الدمع، ويلم الشعث، ويصلح ما أوهنته يد الخطوب. فلا جرم اذا كان الاقتصاد فضيلة، والإسراف رذيلة فبالاقتصاد يخفف الإنسان وطأة الفقر، ويدفع شِرّة الألم، ويستعيد رونق الشباب ، وغضارة الفتوة ، وبثماره الشهية يسدُّ رمق ذوي الحاجة . ويربي الأبناء ، ويوطىء لهم سبيل الرقي والفلاح

فأما من أسرف وبذر ، وفرق ما ادخر، وبدد ما جمع، وأمن عوادي الزمن، فقد نصب نفسه هدفاً لسهامه. وغرضاً لخطوبه وآلامه يوم تنوبه النائبة، وتصيبه المصابة ، فلا ملجأ له ولا وزر، ولا مال قد ادخر، وأنى له بحرّ يواسيه . أو كريم يؤاخيه ، يوم تكون ذكرى ماضيه غصة على غصة ، يعضّ بنان النادم المتحسر على ما فرط فيه

يقول يا ليتني قدمت لحياتي، وماذا ينفع الندم وقد أحاط به جيش الألم

فالعاقل من اغتنم من غناه لفقره ، ومن شبابه لهرمه ، ومن صحته لمرضه ، ولبس لكل حالة لَبوسها، حتى لا ييأس لخطب، أو يذوب أسى لكرب

(١٥٠)

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

حلية الإنسان بين أقرانه ، نفس شريفة ، وعِرض طاهر نقي وخُلُقٌ جميل ، فإذا استكمل ذلك ، فقد استكمل الْحُسن ، واستحق الإجلال والإكبار

ولا يضره أن يكون فقيراً معدماً يرتدي أسمالاً بالية ، فإن الثياب تبلى جدّتها، وتذهبُ الأيام بنضرتها. وجمال الأخلاق يزيد على الأيام حسَناً ، ويجعل للمتحلّي به بين الناس شأناً رفيعاً

ومن الناس من لا يبالي بحفظ عرضه. وصون نفسه من الدنس ثم يستر هذه النفس الدنيئة، وذلك العرض الخسيس، بأجمل الثياب وأنفس الحلل ، فيكون مثله كمثل الذي تناول جيفة قذرة ولفها في لفائف الحرير ، لا يمنعها ذلك أن تكون خبيثة الريح قبيحة المنظر

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمالَ جمالُ العلم والأدب

فالعاقل من كمل نفسه ، وصان عرضه . فالمرء بآدابه لا بثيابه

١٥١ — ﴿الفلاّح رُوح العُمران﴾

اذا ما اخترتَ في الدنيا حبيباً ... فخير أحبتي فلاح مصرا
كريماً يملأ البلدان خيراً ... ولا يلقى سوى الإجحاف أجرا
بمحراث يشقّ الأرض شقاً ... فيخرج من ثراها الخصب تبرا
فلو عرف الطريق الحق قومي ... لما احتقروا له عملاً وقدرا

الفلاح يدرّ على البلاد الخير واليمن والرخاء، ويزرع الحبوب والخضرَ التي تنتجها الأرض، ويغدو ويروح إلى حقلٍ مترامي الأطراف،كالزبرجدة الخضراء أو البساط السندسي ويتحمل حرارة القيظ وزمهرير الشتاء مجداً في عمله ينفع وطنه بالثمرات الناتجة من زرعه،ويَصلح الأرض البور،ويربي الماشية التي نأخذ لبنها،ونأكل لحمها،ويساعد على تشييد المنازل ويغرس الأشجار ويتعهدها بالسقي لنجني ثمارها،ونقطف أزهارها،ونشم شذاها. ويعمل الأعمال بأجر قليل وثمن بخس.وبه حياة العمران وتمام الرفاهية والسعادة بزيادة دخل الحكومة من ثمن قطن وحبوب ، ودفع خراج أرضه

(١٥٢)

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ
وكيف تريد أن تدعى حكيماً ... وأنت لكل ما تهوى تبوعُ

جهل ثم والف جهل من المرء أن يتشبث بغير الممكن،ويجري وراء

المستحيلات فإنَّ ذلكَ تضييع للحزم،وتوجيهٌ للعزم إلى غير وجهه .
فينبغي للعاقل الذي يحرص على أن يذكر بالرَّجاحة ويعرَف بالحزم أن
يحكم أمرَ نفسه،فيردّها عن الاسترسال في أمانيها الباطلة،ومطامعها
الزائدة ، فان مصارع الرجال تحت بروق الطمع

(١٥٣)

إذ صاحبتَ في أيام بؤس   فلا تنسى المودّة في الرّخاء
ومن يُعْدَم أخُوه على غناهُ   فما أدّى الحقيقةَ في الإخاء

أجَلْ انّ صديقك الذي عرفته في أيام شقائك ومِحْنَتك،وفقرك
وحاجتك، فدفع عنك بعض آلامك ،وهوّن من مصائبك،جدير
منك أن تحرص عليه إذا صِرْتَ إلى اليسر والسعادة، حتى تؤدّي
له بعض ما يجب عليك ، وحتى تُشارِكه في نعيمك كما شاركك في
بؤسك ؛ والا فانك قد حُنْتَ الصداقة وَعقَقْتَ المروءة إذا شقي
وأنت في نعيم وصفاء ، و فتقر وأنت في غنا وهناء

(١٥٤)

إذا كان رُعبي يورِث الأمن فهْوَ لي   ألذُّ من الأمن الذي يوجب الرُّعبا

أهلاً بتلك الحوادث التي تخوفنِي فأحذَر ، وتنذِرني فأتقي
وتذكّرني فأتّعظ ، وتفيدني التجربةَ والحزمَ فأُسرَّ بعد حزن
وأضحك بعد بكاء ؛ ولا أهلاً بالنعيم الذي لا ظِلَّ له ، واللذة التي

تعقب الحسرة ، وتخلف الندم

(١٥٥)

إذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساء

حقاً ان الواعظ يجب أن يكون اول العاملين بموعظته، وإلا فقد أساء الى نفسه إساءتين أولاهما انه عرف شراً فلم يتجنبه وأخراهما انه رضي لنفسه ما لم يرضه للناس وذلك أهون لنفسه عليه

(١٥٦)

وما الحسب الموروث لا در دره بمحتسب إلا بآخر مكتسب

إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة من المثمرات اعتده الناس في الحطب

للناس يسود المرء إلا بنفسه وإن عد آباء كراماً ذوي حسب

لا تعتمد على شرف آبائك ، فإنما حازوه بأعمالهم . واستحقوه بجهودهم . وليس معدود في مفاخرك ، حتى يكون الى جانبه شرف ترقي اليه بهمتك . واعمل فيه بيدك ، ألست ترى العود من الشجرة المثمرة إن قصر عن ضيعة أصله ، وفقد مزية أرومته ، لم يكن لغير النار طعاماً ؛ فعلى نفسك فعول — وليس للإنسان إلا ما سعى

(١٥٧)

وشر أيام الفتى يوم لا يرى له حد يزري عليه وينكر

ليس شراً على امرء من ذلك اليوم الذي يركب فيه هواه، فلا يجد

له رادًّا عن ضلاله، ولا منهنها من غلوائه، فانه جدير إذ ذاك أن يتردى في مهاوي ضلالته، ويذهب فريسة جهالته

(١٥٨)

وإذا عجزتَ عن العدوّ فداره وامزح له إن المزاحَ وفاقُ
فالنارُ بالماء الذي هو ضدُّها تُعطي النضاجَ وطبعُها الاحراقُ

اذا أعياك عدوك وظهر عليك بقوته فتغلب عليه بالمعروف يسهل لك صعبه، وتلن قسوته ويذهب غضبهُ، فإن المعروف علاج الإباء ونازع العداوة، ألست ترى الماء والنار وهما ضدان، قد أمكن أن نستفيد منهما بوضع الاناء بينهما فنحصل على انضاج الطعام.

(١٥٩)

إذا الأمر أعيا اليومَ فانظر به غدا لعلّ عسيراً في غدٍ يتيسّر
ولا تُبدِ قولاً من لسانك لم يرُض مواقعهُ من قبل ذاك التفكّر
ولا تصرم حبل امرىء في رضا امرىء فيتصلا يوماً وحبلك أبتر

اذا حاولت أمراً نخاب فيه سعيكَ فلا تستسلم لليأس فيعقل لسانك ويذهب بصوابك، ويفتّ في عضدكَ. فإنما عظائم الامور صيد حبالته الصبر وشركه الأناةُ. فأوسع لنفسك مجال الأمل يضىء لك صبح المشكلات، وليكن منك على نفسك رقيب ناقشها الحساب فلا تنطق بالقول حتى تمر به على ذهنك، فتقدر موقعه وتقرأ عاقبته

فانك إن لم تفعل دللت الناس على عيوبك، فسجلوا عليك الحق، وعدوا لك الهفوات، وربما راش لك لسانك سهماً فأرداك، او حفر لك قبراً فواراك

ان للصداقة حقاً يجب ان ترعاه. فلا تجعلها سلعة تساوم فيها الاصدقاء، تبذل منها بقدر ما تدر لك من النفع، وتضن بها حين لا تؤمل منها ربحاً. فتخذل الضعيف لتمالئ القوي، وتهجر الفقير لترتع في بحبوحة الغني. فان تلك خلة لو عرفها الناس لزهدوا في صداقتك، فتأهل ربوع إخائهم، وقد أفردت في دار وحشه، ويجتمع شملهم. وقد رثت حبالك منهم

(١٦٠)

يلومونني في الدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
أسد به ما قد أخلوا وضيعوا ثغور حقوق ما طاقوا لها سداً
وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جداً
فأن ضيعوا غيبي حفظت عيوبهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

عجبت ومالي لا أعجب من قوم ضيعوا الحزم في عتبي، وجنحوا به عن محجة الصواب، بل فاتهم أني أجد ليجدوا، وأبنى ليتفيئوا وأحترق ليستنيروا وأتحمل ثقل الدين دونهم لأقيم لهم فخراً يجنون شرفه ويبقى لهم اسمه. أؤدي ما عجز عنه كسولهم، وأبني لهم ما رغبت

فيه نفوسهم. فقصر عنه سعيهم . لقد نقضي اللبيب عجباً من الفرق
بيني وبين هؤلاء . إذ لا يتفق هواي بهواهم ، ولا يوافق شكلهم
شكلي . فإذا خانوا غيبتي ونهشوا عرضي كنت على غيبهم أميناً
وعن أعراضهم ذائداً . وإن كفروا شكرت - أو عابوا أثنيت

١٦١ — ﴿ الرحمة فوق العدل ﴾

ولا تحسنّ غير الله وارحم عباده   فرحمته ذخر لمن هو راحم

جميل والطف جميل الاتصاف بالشفقة والرحمة مع جميع المخلوقات
لا فرق بين إنسان وحيوان ، والعطف على البؤساء والضعفاء . ومعاملة
جميع الناس بالرأفة ، ولين الجانب . والابتعاد عن القسوة والغلظة
فإن ق من دواعي الألفة والتواصل . [illegible] والوئام
وعماد السعادة وأس النظام . فكثير ما قطع الخرق تواصلاً . وفك
[illegible] . و[illegible] أفسد [illegible] . وسبب هلاكاً . وكم أحبط أعمالاً
وصيح [illegible] فقال جل شأنه
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الرفق في

الأمر كله . وقال عليه الصلاة والسلام : (من أوتي حظه من الرفق فقد أوتي حظه من الدنيا والآخرة) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه) وقال عليه الصلاة والسلام (ارحموا ترحموا واعفروا يغفر لكم) وقال (لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي) وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)

وقال معاوية : عجبت لمن يطلب أمراً بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة . ولمن يطلبه بخرق وهو يقدر عليه برفق

وقال أشجع السلمي لجعفر بن يحيى : ما كاد يُدْرَكُ بالرجال ولا أدركت بالرفق

وقال بعض الحكماء : يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف ، ألا ترى أن الماء على رقته يقطع الحجر على شدته

وقال بعض العقلاء : إذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأني فبماذا يدرك . وقال آخر : يد الرفق تجني ثمرة السلامة . ويد الخرق تغرس شجرة الندامة . وقيل : الرفق مفتاح النجاح . وقيل أيضاً : بالرفق

تستجلب القلوب

وقال أبو الفتح البستي

ورافق الرفق في كل الأمور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه إنسان
ولا يغرنك حظ جره خرق ... فالخرق هدم ورفق المرء بنيان

وقال النابغة الذبياني

الرفق يمن والأناة سعادة ... فاستأن في رفق تلاق نجاحا

وقال آخر

من يستعن بالرفق في أمره ... يستخرج الحية من وكرها

٢٠٢ — ﴿بروا آباءكم تبركم أبناؤكم﴾

ليس هناك من مخلوق لا يشعر نحو الوالدين من الولاء الجميل والقصد الجزيل . فهما سبب وجوده في هذه الحياة . وقد رعياه مراعاة الحسن والإكرام منذ الصغر . وربّياه بجهد طاقتهما حتى الكبر ، فلم يألوا جهداً في مرضاته والعمل على تمام راحته . وإذا كان هذا هو حالهما معه فلا أقل من أن يقابلهما بما يكرمهما به . ويبرهما في كبرهما مقابل عطفهما عليه في صغره ، ويساعدهما لو لزم حياة بكل ما أوتي من قوة وما وهب من عقل . وليعلم أنه ليس من الدين ولا من المروءة أن يقابلهما بالعقوق ، ويجحد فضلهما عليه ، وينكر ما قدّماه له من خدمات جليلة . وما تحمّلاه معه من متاعب جسيمة ، ولقد

حثنا الله تعالى بوجوب برّهما والإحسان اليهما فقال جل شأنه (وقضى ربُّكَ ألا تعبدوا إلا إياهُ وبالوالدين إحساناً إما يبلغنّ عندكَ الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرْهما وقلْ لهما قولاً كريماً واخفضْ لهما جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحمةِ. وقلْ ربِّ ارحمْهُما كما ربّياني صغيراً) وقال عز وجل (ووصّينا الانسانَ بوالديهِ إحساناً) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بِرُّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم) وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بآبائكم ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (من أرضى والديه فقد أرضى الله ومن أسخط والديه فقد أسخط الله) وعنه أنه قال (من برّ والديه طوبى له زاد الله في عمره) وقال عليه الصلاة والسلام (ما من رجل ينظر الى وجه والديه نظرةَ رحمة إلا كتب [illegible] حجة مبرورة) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يجزي ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكاً فيُعتقَه) وعنه أنه قال (طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد) وقال (اثنان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين) وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الكبائر: الاشراك بالله. وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس) وعنه عليه

الصلاة والسلام أنه قال (ليلة أُسري بي رأيت أقواماً في النار معلقين في جذوع من نار، فقلت من هؤلاء يا جبريل: قال الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا)

وقال الحسن البصري، حق الوالد أعظم، وبر الوالدة ألزم

أشكر محاسن والديك وعزهم واخفض لهم عز الجناح بذله

وقال آخر

لأمك حق لو علمت كبير كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي لها من جواها أنة وزفير

عليك ببر الوالدين كليهما وبر ذوي القربى وبر الأباعد

١٦٣ — ﴿صلة الرحم من صلة الرحمن جل شأنه﴾

تتكون حياتنا الاجتماعية من الأسر (والعائلات) فإذا تفككت عرى اتصال هذه الأسر، وتحللت روابط تلك العائلات فقد ضاع العقد منها، وأصبح كل فرد منعزلاً عن الآخر يهيم على وجهه في الفيافي والقفار، لا يجد له ناصراً، ولا يرى له معيناً ويومئذ فلا تجد للحياة نظاماً، ولا للعيش سعادة. ولهذا كانت صلة الرحم السبيل الأقوى إلى توطيد عرا المحبة، وتوثيق روابط الألفة والوئام. فمن تجرأ على قطع تلك العلائق، وفصم هاتيك الصلات بين الأقارب، فقد اعتدى على النظام الإلهي، ثم لا يجد

له من دون الله ولياً ولا نصيراً

قال الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) وقال جل شأنه (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال عز وجل (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ، قالت بلى ، رضيت يا رب . قال فذلك لك) وقال عليه الصلاة والسلام (صلة الرحم تزيد العمر) وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (يقول الله عز وجل أنا الرحمن وهي الرحم اشتققت اسمها من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) وعنه أنه قال (اثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة قاطع الرحم وجار السوء) وقال أيضاً (صلة الرحم وحسن الخلق وحسن

الجوار يعمرن الديار ويزدن في الأعمار) وروى ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أسرع الخير ثواباً البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم) وروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر [illegible] فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم [illegible] فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغي وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام والله لا يجده عاق ولا قاطع رحم)

وقال بعض الحكماء: صلوا أرحامكم بالحقوق ولا تجفوها بالعقوق

وقال بعض الأدباء: من لم يصبر لأهله [illegible] ومن [illegible] عنك

وقال بعض البلغاء: صلوا أرحامكم فإنها لا تبلى [illegible] ولا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ذو صلة [illegible] لا رحم القربى قطع

١٦٤ — ﴿ العمل للدارين صفقة رابحة ﴾

ما أحسن الدّين والدّنيا إذا اجتمعا   وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

تقضي الشريعة الإسلامية ، والقوانين الإلهيـة ، أن يعمل الإنسان للدنيا والآخرة معاً ، بحيث لا ينكب على الدنيا ويفرط في الحب لها والولوع بها. فيسوقه ذلك إلى التغالي في لذاتها والانهماك في شهواتها ، فينسى عاقبته ويخسر آخرته ، ولا يترك الدنيا مطلقاً ويرغب عنها كلية ، فيضيعها ويقضي على الغرض منها ، وحين إذ ذاك يكون قد أخلّ بنظام الكون . وخالف قوانين الشريعة

قال تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) وقال (فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً . واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) وقال عليه الصلاة والسلام (ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (أعظم الناس هماً المؤمن يهتم بأمر دنياه وأمر آخرته) وعنه أنه قال (خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلاً على الناس) وقال أيضاً (دعوا الدنيا لأهلها ، من أخذ

من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفهُ وهو لا يشعر) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحبّ آخرته أضر بدنياه فآثِرُوا ما يبقى على ما يفنى)

وقال علي كرم الله وجهه لرجل ذم الدنيا عنده : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فَهِم عنها . ودار غنًى لمن تزوّد منها

وقال سفيان الثوري رحمه الله : مكتوب في التوراة ، إذا كان في البيت بُرٌّ فتعبَّد ، وإذا لم يكن فاطلب يا ابن آدم : حرك يدك يسبب لك رزقك ، وقال وهب بن منبه : مثل الدنيا والآخرة مثل ضرّتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى

وقال ابن السماك : من جرعته الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها

وقال بعض الحكماء : ليكن سعيك للدنيا اضطرارًا وتذكرك في [illegible] اختيارًا [illegible] وسعيك لمعادك ابتدارًا . وقال آخر : انظر إلى [illegible] تأمل [illegible] العاشق [illegible]

وقال غيره : ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون لعرض فيها

وقال بعض السلف : الموت قصارك فخذ من دنياك لأخراك

وقال آخر : في وجدت خير الدنيا والآخرة في التقى والغنى ، وشر

الدنيا والآخرة في الفجور والفقر : وقال غيره من عمل للآخرة أحرزها والدنيا، ومن آثر الدنيا حرمها والآخرة، وقال جرير :

فلاهو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

١٣ — ثمرة البر بحصد السرور

الشكر بالمعروف والإحسان صفات جليلة في النفس تدفعها إلى فعل المكرمات، ومساعدة ذوي الحاجة والبائسين والعمل على تخفيف الكوارث عمن سطا عليهم الدهر، وصرعتهم شقوة الحياة، وهي العوامل الفعالة إلى غرس بذور المحبة بين الناس وتوطيد علائق الألفة بين الأفراد، ويكفي المرء دليلاً على الترغيب في التخلق بها ما قرنه الله تعالى من البركة والنماء في أرزاق المحسنين وما وعدهم إياه من الثواب والأجر العظيم

قال الله تعالى (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) وقال تعالى : الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً، وقال جل شأنه : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وقال عز وجل (وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم

لا تظلمونَ) وقال تعالى (وَما انفقتمْ من شيء فهوَ يخلفهُ) وقال تعالى (هل جزاء الإحسانِ إلا الإحسانُ) وقال تعالى (لا تحسبن الذين يبخلونَ بما آتاهمُ اللهُ منْ فضلِهِ هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استنزلوا الرزق بالصدقه) وقال عليه الصلاة والسلام (حصنوا اموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة ، وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (إن الصدقة لتطفىء عن اهلها حر القبور ، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته) وعنه انه قال (إن اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة ، وإن اول اهل الجنة دخولاً هم أهل المعروف) وقال صنع المعروف إلى من هو اهله وإلى غير اهله . فإن اصبت اهله اصبت اهله وإن لم تصب اهله كنت انت اهله) وقال (جبلت القلوب على حب من احسن إليها وبغض من اساء إليها) وعن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الثاني اللهم أعط ممسكاً تلفاً) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (قال الله تعالى أنفق يابن آدم ينفق عليك) وقال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله

واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)وقال(كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان)

وقال علي كرم الله وجهه: لا تستحي من عطاء القليل فالحرمان أقل منه ، ولا تجبن عند الكثير فإنك أكثر منه)

وقال الأحنف بن قيس: ما ادخرت الآباء للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء شيئاً أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الأحساب

وقال سعد بن العاصي : قبح الله المعروف إن لم يكن ابتدىء من غير مسألة ، فالمعروف عوض عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه فقلبه خائف ، وفرائصه ترعد ، وجبينه يرشح ، لا يدري أيرجع بنجح الطلب أم بسوء المنقلب

وقال بعض الحكماء: إن في الكرم عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت ، ودوام جميل الذكر . وقال آخر : الجود يوجب المدح ، والبخل يوجب الذم . وقال غيره : اصنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده عند زواله . وأحسن والدولة لك تحسن لك زمن الدولة عليك واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك

وقال أحد الأدباء : من لم يصن وجهه عن مسألتك فصن وجهك عن رده . وقال آخر : أفضل الناس ما عاش الناس في فضله

وقال أحد العقلاء: جود الرجل يحببه إلى أعدائه، وبخله يبغضه إلى أودائه . وقال آخر : من كثرت عوارفه ، كثرت معارفه

وقال أحد البلغاء : من بذل ماله أدرك آماله . وقال أفضل العطية جهد المقل

وقال احد الفضلاء: للمعروف خصائل ثلاث. تعجيله، وتيسيره وتستيره ، فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه، وسقط عنه الشكر

وقال أحد الأجواد : خير النوال ما وصل قبل السؤال وقال آخر : أكمل الخصال ثلاثة ، وقار بلا مهابة ، وسماح بلا طلب مكافأة ، وحلم بغير ذل

وكتب كسرى الى بعض عماله: استقلل كثير ما تُعطي، واستكثر قليل ما تأخذ ، فإن قرّة عين الكريم فيما يُعطي ، وقرّة عين اللئيم فيما يأخذ ، ولا تجعل الشحيح لك معيناً ، ولا الكذاب أميناً ، فإنه لا إعانة مع شح ، ولا أمانة مع كذوب

وإذا اتّسعت برزق ربك فاجعلن منه الأجلّ لأوجه الصدقات

ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلو وأما وجهه فجميل

خير أيام الفتى يومٌ نَفَعْ واصطناع المعروف أبقى مُصْطَنَعْ

ما يُنال الخير بالشر ولا يحصد الزارع إلا مازرع

كن محسناً مهما استطعت فهذه الـ دنيا وإن طالت قصير عمرها
إن المآثر في الورى ذرية يفنى مؤثرها ويبقى ذكرها
فترى الكريم كشمعة من عنبر ضاءت فإذ طفئت تضوع نشرها

إذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندى فأنت إذاً والمقترون سواء
على أن في الأموال يوماً تباعة على أهلها والمقترون براء

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان إحسان

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

١٦ — ﴿الشكر جلاب نعم﴾

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإ له فإن الاله سريع النقم

الشكر اعتراف المرء بالإحسان لذويه، وإقراره بالثناء على مسديه، فجحد النعمة كفر، وإنكارها لؤم، لهذا كان من الواجب أن يشكر الانسان المولى العلي الأعلى على تواتر نعمه، ومزيد احسانه حتى يضاعف له في رزقه ويبارك له في عمله، كما يجب عليه ألا يجحد شكر من قدم اليه صنيعاً حسناً وأولاه معروفاً، فإذا فعل ذلك فقد أدى الواجب واستحق العطف والمعونة متى عرته شدة أو نابته نائبة

قال الله تعالى (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه . ومن كفر فإن الله غني حميد) وقال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم. ولئن كفرتم

إن عذابي لشديد)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشكَر الناس لله أشكرهم للناس وقال عليه الصلاة والسلام (من صلى الصلوات الخمس فقد) شكر الله ومن دعا لوالديه في إدبارها فقد شكرهما) وقال عليه الصلاة والسلام (أيُّما رجل صنع الى أخيه صنيعةً فلم يجد لها جزاءً إلا الدعاء والثناء فقد كافأه) ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (التحدُّث بنعمة الله شكر، وتركها كفرٌ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة رحمة والفُرقة عذاب) وعنه أنه قال (من أتى اليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له) وقال أيُّما عبد جاءته موعظةٌ من الله في دينه فهي نعمةٌ من الله عليه، فإن قابلها بالشكر، وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد إثماً ويزداد الله عليه بها سُخْطاً)

وقال علي كرم الله وجهه : كفر النعمة لؤْم

وقال الحسن : كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها

وقال عمر بن عبد العزيز : تذكروا النعم فإن ذكرها شكر

وقال المغيرة بن شعبة : اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على منْ شكرك، فإنه لا بقاء للنعم إذا كُفرت، ولا زوال لها إذا شكرت

ودخل ابو هرون على بعض الحكماء فقال له يرحمك الله ما شكر العينين؟ قال إذا رأيت بهما خيراً ذكرته . وإذا رأيت بهما شراً سترته، قال فما شكر الأذنين، قال اذا سمعت بهما خيراً حفظته وإذا سمعت بهما شراً نسيته

وقال عبدالحميد الكاتب: من لم يشكر الانعام فاعدده من الأنعام

وقال بعض الحكماء : من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة ومن مَنَّ بمعروفه سقط شكره ، ومن أعجب بعمله حبط أجره . وقال آخر : كفر النعمة من أمارات البطر وأسباب الغير

وسئل بعضهم ما اضيع الأشياء؟ قال المطر الجود في ارض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها ، وسراج يوقد في الشمس، وصنيعة تسدى إلى من لا يشكرها

وقال بعض الأدباء : الشكر افضل من النعم ، لأنه يبقى والنعم تفنى، وقال آخر : من أعطى اربعاً لم يمنع من اربع : من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الإستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى الاستشارة لم يمنع الصواب

وقال غيره : لا تسيء إلى من أحسن اليك ، ولا تمنن على من نعم عليك ، وقال غيره : من بذل بعض عنايته لك فابذل جميع شكرك له

وقال بعض الفضلاء : اذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل

لسانك بالشكر

وقال بعض العقلاء : أُمسكوا المعروف عن ثلاثة ، اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبخة ، والفاحش فإنه يرى أن الذي صنعتَ اليه إنما هو لمخافة فُحشه، والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديتَ إليه

وقال بعض الفصحاء: الكريم شكور أو مشكور، واللئيم كفور او مكفور . وقال آخر : من كفر نعمة المفيد ، استوجب حرمان المزيد . وقيل : قيمة كل نعمة شكرها

من جاوز النعمة بالشكر لم ... يخش على النعمة مُغتالها

لو شكروا النعمة زادتهمُ ... مقالة الله التي قالها

لئن شكرتم لأزيدنكم ... لكنما كفرهم غالها

والكفر بالنعمة يدعو إلى ... زوالها والشكر أبقى لها

وقال آخر :

شكر الإله بطول الثناء ... وشكر الوُلاة بصدق الولاء

وشكر النظير بحسن الجزاء ... وشكر الدني بحسن العطاء

سأشكر لا أني أجازيك منعما ... بشكري ولكن كي يزادلك الشكر

وأذكر أياماً لدي اصطنعتها ... وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

الشكر أفضل ما حاولت ملتمساً ... به الزيادة عند الله والناس

إن الصنائع أطواق إذا شكرت ... وإن كُفرت فأغلال لمنتحلِ

أوليتني نعماً أبوح بشكرها وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ماحييت وإن أمُتْ فلتشكرنك أعظمي في قبرها

١٦٧ – ﴿ الإخلاص والرياء وأثرهما في العامل وعمله ﴾

الإخلاص هو أن يعمل المرء الخير بوحي ضميره الخالص، ويقدم الإحسان بدافع نفسه الطاهرة، قاصداً وجه الله الكريم، وطالباً ثوابه العظيم، غير ناظر لسُمعة، أو متطلع لشهرة، إذ كل ما يعمل رياء لا خير فيه، ولا يجلب لصاحبه غير المقت والازدراء، وقد أثنى الله تعالى على المخلصين وذم المُرائين

فقالَ جل شأنه (واذكر في الكتاب موسى إنهُ كانَ مُخلِصاً وكان رسولاً نبياً) وقال تعالى (واعلموا أَن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) وقال عز وجل (فويلٌ للمصلّينَ الذين هُمْ عن صلاتِهم ساهون، الذين هم يُراؤنَ ويمنعونَ الماعونَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أسرَّ عبدٌ سريرةً إلاّ ألبسهُ اللهُ رداءَها إن خيراً فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ) وقال عليه الصلاة والسلام (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى) وروَى النسائي عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إنّ الله تعالى لا يقبلُ من العمل إلاّ ما كان خالصاً وابتغيَ به وجههُ) ورُويَ عن أَبِي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال (قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليماً ، ولسانه صادقاً و نفسه مطمئنة ،وخليقته مستقيمة) وقال عليه الصلاة والسلام (شرار أمتي المعجب بدينه ، المرائي بعمله ، المخاصم بحجته ، والرياء شِرْك) وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من عبد يقوم مقام سمعة ورياء إلا سَمَّعَ الله به على رءوس الخلائق يوم القيامة) وقال عليه الصلاة والسلام (أخوفُ ما أخاف على أمتي الرياءُ الظاهرُ والشهوة الخفيـة) وقال (إن الشِّرْك أخفى فيكم من دبيب النمل) — والمراد بالشرك الرياء

وقال علي كرم الله وجهه : لا تعمل شيئاً رياء ، ولا تتركه حياء

وقال بعض الحكماء: من التمس أربعاً بأربع، التمس ما لا يكون من التمس الجزاء بالرياء التمس ما لا يكون

ومن التمس مودة الناس بالغلظة التمس ما لا يكون

ومن التمس وفاء الإخوان بغير وفاء التمس ما لا يكون

ومن التمس العلم براحة الجسد التمس ما لا يكون

وقال بعض الفصحاء : المرائي يتبهرج بزيّ الصلحاء وليس منهم ، ويظهر بمظهر الأخيار وهو ضدهم ، حتى يستعطف القلوب النافرة، ويخدع العقول الواهية

وقال بعض الفضلاء : لتكن سريرتك أحسن من علانيتك

وقال آخر : الرياء يفضي بصاحبه إلى استهزاء الناس به

وقال بعض الصلحاء : كل حسنة لم يُرد بها وجه الله، فعلتها قبح الرياء ، وثمرتها سوء الجزاء . وقال آخر : كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شيء ، ولو أن رجلاً عمل عملاً من البر فكتمه، ثم أحب أن يعلم الناس به أنه كتمه فهو من أقبح الرياء

وقيل : المتزين بما ليس فيه كلابس ثوبي زور ، فهو برياته محروم الأجر، مذموم الذكر ، لأنه لا يقصد وجه الله تعالى فيؤجر عليه ، ولا يخفى رئاؤه على الناس فيُحمد به

وأفضل البر ما لا منّ يتبعه ... ولا تقدّمه شيء من المطل

فإنما الجود بذل لم تُكافَ به ... صنُعاً ولم تنتظر فيه جَزا رجل

وقال مؤلف هذا الكتاب

عليك بالصبر والاخلاص في العمل ... ولازم الخيرَ في حِلّ ومُرتحل

١٦٨ — ﴿ الصراحة مرآة النفوس الطاهرة ﴾

الصراحة خلق يوجب على الإنسان الإفصاح بما في قلبه من غير زيغ ولا مراوغة، فليس من العيب أن يسرد الإنسان لأخيه كل ماجَرَيات الحياة بوضوح وجلاء حتى يتضافروا معاً على الإصلاح . ولكن العيب كل العيب أن يتلون المرء في أحواله ومعاملاته ومحادثاته، ثم هو يعلم أن للسان سقطات. وللوجه علامات ومهما يُبطن تُظهره الأيام

ولا شك بعدها أن تعرف حقيقة أمره، وتظهر خبيثات نيته، ويفتضح سوء تملقه ، ولا يلومن بعدئذ إلا نفسه ، حيث ينفض الكل من حوله ، ويبرأ الجميع من معرفته

قال الله تعالى (وَمِنَ النَاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قولهُ في الحياةِ الدنيا وَيُشْهِدُ اللهَ على مَافي قلبِهِ وهو ألَدُّ الخِصامِ) وَقال جل شأنه (يَقولونَ بألْسنتهم ما ليس في قلوبهم)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (شر الناس ذو الوجهين الذي يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) ورُوي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله علبه وسلم قال(لا ينبغي لِذِي الوجهين أن يكونَ وجيهاً عند الله) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار) وقال عليه الصلاة والسلام(ليس من أخلاق المؤمن التملُّقُ ولا الحسد إلا فى طلب العلم)

وقال علي كرم الله وجهه : وما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه، وقال أيضاً. أعداء الرجل قد يكونون أنفع من اخوانه، لانهم يهدونه الى عيوبه فيجتنبها. ويخاف شماتتهم فيضبُط نعمته ويتحرَّز من زوالها بغاية طَوْقه— وقال ، المرآة التي ينظر الانسان فيهـا إلى أخلاقه هي الناس . لانه يرى محاسنه من أوليائه منهم ومساوئه من أعدائه فيهم، وقال، اعلم أن الذي مدحك

بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك. وثوابه وجوابه قد سقطاعنك

وقال سعيد بن عروة: لأن يكون لي نصف وجه ونصف لسان على ما فيها من قبح المنظر. وعجز المخبَر أحبُّ إليّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين

وقال الأحنف بن قيس: لا صديق لمتلون. ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود، ولا مروءة لدنيء، ولا زعامة لسيء الخلق

وقال الاسكندر: انتفعت بأعدائي أكثر مما انتفعت بأصدقائي لأن أعدائي كانوا يعيروني، ويكشفون لي عيوبي، وينبهوني بذلك على الخطأ فأستدركه، وكان أصدقائي يزينون لي الخطأ ويشجعوني عليه

وجاء رجل إلى المهدي فقال له أنا عبدك، فقال لا أعلم أحداً ينسب نفسه إلى مخلوق مثله. فإنه ملقٌ كاذب لا يقبله إلا مفتون أو مأفون

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مُدح، قال: اللهم أنت اعلم بي من نفسي. وأنا أعلم بنفسي منهم. اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون

وقال بعض الحكماء: أن الملق مصائدُ العقول الواهنة والمداهنةَ شبكةُ القلوب الغافلة، وهما من ضروب التدليس والتمويه والتضليل والتغرير، وليس في من يكون الملق والمداهنة بعضَ سجاياه خيرٌ

يُرجى ، ولا صلاح يؤمل ، وقال آخر ، إن المتملقين يجعلون التمليق خديعة، فاذا وجدوه مقبولا في العقول الضعيفة أغروا أربابها وجعلوا ذلك ذريعة إلى الاستهزاء بهم — وقال غيره، عجبت لمن قيل فيه الخيرُ، وليس فيه — كيف يفرح. وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه — كيف يغضب

وقال بعض الفضلاء : من أعظم الذنوب تحسين العيوب، وقال آخر ، لا تحمل على ظنك ما لا تطيق ، ولا تعمل عملاً لا ينفعك ولا تغتر بالمداهنة، ولا تثق بمال وإن كثر، وقال غيره: ينبغي للرجل أن يكون مرآة أخيه تريه خيره وشره

وقال أحد العقلاء ، اعرف الرجل من فعله ، لا من كلامه واعرف محبته من عينيه لا من لسانه

وقال بعض البلغاء : التملق خدعة لا يرتضيها عاقل، ولا ينخدع بها مميز ، وقال آخر ، من آداب الكلام ان لا يتجاوز المرء في مدح ولا يسرف في ذم ، لأن التجاوز في المدح ملق . يصدر عن مهانة والسَّرَف في الذم انتقام يصدر عن شر ، وكلاهما شين وإن سلم من الكذب

وقال أبو حيان الأندلسي

عداي لهم فضلٌ عليّ ومِنَّةٌ فلا أبعَدَ الرحمن عنّي الأعاديا

همُ بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهمْ نافسوني فاكتسبت المعاليا

وكم من صديق وُده بلسانه　　خؤون بظهر الغيب لا يتذمم
يضاحكني لطفاً اذا ما قابلته　　وتقصدني منه اذا ماغبت أسهم
كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهداً　　وفي غيبه إن غاب صابٌ وعلقم

وقال صالح بن عبد القدوس

قل للذي لست أدري من تلونه　　أناصحٌ أم على غش يناجيني
اني لأكثر مما سُمتني عجباً　　يدٌ تشجُّ وأُخرى منك تأسوني
تغتابني عند أقوام وتمدحني　　في آخرين وكلٌّ عنك يأتيني
هذان شيئان قد نافت بينهما　　فاكفف لسانك عن شتمي وتزييني

خلِّ النفاق لأهله　　وعليك فالتمس الطريقا
وارغب بنفسك أن ترى　　إلاَّ عدواً أو صديقا

ولا خير في ودّ امرىء متملق　　حلو اللسان وقلبه يتلهبُ
يعطيك من طرف اللسان حلاوة　　ويروغ منك كما يروغ الثعلب

ولا خير في ودّ امرىء متلون　　اذا الريح مالت مال حيث تميل

١٦٩ — ﴿ الاستقامه والاعتدال أساس المدنية الحقة ﴾

الاستقامة والاعتدال هما خصلتان ممدوحتان اذا وُجدتا فى المرء دلتا على حسن سره وكمال عقله، وهما سياجه الوحيد عن دفع ما تسرّب اليه من ضرر، وصد ما يلحقه من قدح، ولولاهما لما كان النظام الذي نشاهده، ولا كان الاطمئنان الذي نمرح في بُحبوحته، فهما سبيل نجاح

لمن أراده وطريق سعادة لمن رغب فيها، وهيهات هيهات أن ينال الخلو منهما مأربه، أو يبلغ قصده، بل لا يزال طول حياته يتخبط في دياجير الظلام، فلا يرى للنور بصيصاً فيهتديَ به، ولا للذة الحياة بريقاً فيصلَ اليه، فينقطع رجاؤه وتفنى معه آماله

قال الله تعالى (إن الذينَ قالوا ربنا اللهُ ثمَّ استقاموا تتنزَّلُ عليهمُ الملائكةُ ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنةِ التي كنتم توعدُون) وقال تعالى (فاستقمْ كما أُمِرتَ ومنْ تابَ معكَ ولا تطغَوْا إنهُ بمَا تعملونَ بصيرٌ) وقال جل شأنه (وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوهُ ولا تتّبعوا السُّبُلَ فتفرّقَ بكُم عنْ سبيلهِ) وقال عز وجل (وأنْ لو استقاموا على الطريقةِ لأسقيناهمْ ماءً غدَقاً) وقال تعالى (ولوْ أنَّ أهلَ القرَى آمنوا واتقوْا فتحنَا عليهمْ بركاتٍ منَ السماءِ والأرضِ) وقال تعالى (أفمنْ يمشي مُكبّاً على وجههِ أهدَى أمَّنْ يمشي سوياً على صراط مستقيم)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استقم وليحسنْ خلقُكَ للناس) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قاربوا وسدِّدوا واعلموا أنه لن ينجوَ أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله، قال ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله

حدثني بأمر اعتصم به، قال (قل ربي الله ثم استقمْ)وقال عليه الصلاة والسلام (خير الأمور أوساطها)

وقال علي كرم الله وجهه: خير الأمور النمط الأوسط، اليه يرجع الغالي، وبه يلحق التالي . وقال بعض الحكماء للاسكندر : أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الأمور ، فان الزيادة عيب والنقصان عجز وقال آخر : ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة ، كالشجاع اذا زاد على حد الشجاعة نُسِبَ الى التهوُّر ، والسخي اذا زاد على حد السخاء نُسِبَ الى التبذير

وقال بعض الأدباء : أحسن الأعمال أن تأتي بها على حال الكمال من غير زيادة فيها ولا نقصان ، فهي أوسط الأحوال فيها وأعدلُها ، لأنه لم يكن تقصير فتندمَ ، ولا تكثير فتعجزَ ، وقال آخر إياك ومفارقة الاعتدال ، فان المسرف مثل المقصر في الخروج عن الحد

وقال بعض العلماء: إن العدل مأخوذ من الاعتدال ، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل ، ولست تجد فساداً إلا وسببه الخروج من حال العدل الى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان

وقال بعض العقلاء : أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك وقال آخر: أكثر الخير في الأوساط

قال أبو العلاء المعري

إذا كنت تبغي العيش فابغ توسطاً   فعندَ التناهي يَقصرُ المتطاول
تُوَقّا البدورُ النقصَ وهي أهلةٌ   ويدركها النقصان وهي كوامل
عليك بأوساط الأمور فانها   نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقال آخر

لا تذهبن في الأمور فَرَطا   لا تسألنّ إن سألت شططا
وكن من الناس جميعاً وسطا

ودع عنك إسراف العطاء ولا تكن   لكفيك في الانفاق إمساك مقتر
ألا إن أوساط الأمور خيارُها   مقال نبيّ عن هُدَى الله مُخبر

١٧٠ — ﴿ الامل رحمة من الله للناس ﴾

فليست حياة المرء إلا أمانيا   فان هي ضاعت فالحياة على الأثر

الأمل خلق كريم، به تنشرح النفس، ويتسع مجال العمل ويقوم الإنسان بما عليه من واجبات الحياة طبقاً للقوانين الشرعية فلا يصيبه فيها ملل، ولا تعتوره منها كآبة فما أصابه من خير شكر الله عليه، وما مسه من سوء قابله برباطة جأش، وثبات جنان وتضرع إلى مولاه الاعلى أن يخلف عليه فيما أصابه في عيشه، ويزيل عنه ما اعترضه في أمور حياته ثم هو لا يكاد يستأنف عمله واضعاً الأمل نصب عينيه، املُه أنه العدةُ على اقتحام المصاعب بصدر رحب والوسيلة على إرتكاب الأهوال في سبيل الوصول الى طلبه، غير

هياب ولا وجل. ما دام يعتقد انه على طريق الحق يسير، والى غاية شريفة يأمل، واقفاً عند حد لذلك الامل، حتى لايخرج به إلى درجة الطامع في الدنيا والمتكالب عليها، وشتان ما بينه وبين امرىء انقطع الأمل منه فتسرب اليأس إلى فؤاده ، وتملك القنوط من قلبه، فقعد عن العمل، وكف عن السير في سبيل الحياة، حتى ضاقت به الأرض على سعتها ، وأصبح يعيب الزمان وأهله ، وما للزمان عيب سوى نفسه ، ثم صار يطلب الفرار من الحياة ، وربما أهلك نفسه تخلصاً منها — وهو ما نشاهده بين ظهرانينا من بعض الجهلاء اليائسين فيذهب غير مأسوف عليه وبئس المصير

قال الله تعالى (ولاَ تيأسوا مِن رَوْحِ اللهِ إنه لا يَيأس مِنْ رَوْحِ اللهِ إلا القومُ الكافرونَ) وقال جل شأنه (وَمَنْ يقنَطُ مِنْ رحمةِ رَبهِ إلاَّ الضالونَ)

ورَوي الديلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إنما الأملُ رحمةٌ من الله لأمتي ، لولا الأمل ما غرسَ غارسٌ شجرَ ولا أرضعت أمٌ ولداً)

وقال بعض الحكماء، لولا الأمل ما بنى بان بنياناً، ولا غرس غارس غرساً

وقيل . قتل القنوط صاحبه ، وفي الظن بالله راحة القلوب

وقال الطغرائي

ولا تيأسن من صنع ربك إنه ضمين بأن الله سوف يديلُ
فإن الليالى إذ يزول نعيمها تبشر أن النائبات تزول
ألم تر أن الليل بعد ظلامه عليه لإسفار الصباح دليل
ألم تر أن الشمس بعد كسوفها لها صفحة تغشي العيون صقيل
وأن الهلال النِّضوَ يقمر بعد ما بدا وهو شختُ الجانبين ضئيل

وللنفوس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها
فالصبر يبسطها والدهر يقبضها والنفس تنشرها والموت يطويها

لاخير فى اليأس كل الخير في الامل أصل الشجاعة والإقدام في الرجل

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

١٧١ — ﴿ من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه ﴾

عقبُ الجدِّ نجاح وغنى ورداء الفقر من نسج الكسل

إن نظام هذه الحياة يتطلب السعي والعمل ، وحركة الأعمال فيها تتوقف على الجد والاجتهاد، ولذلك كان من الواجب أن ينهض الإنسان للعمل مستشعراً بسعار الجد والنشاط ، طارحاً القعود والكسل وراءه ظهرياً ، حتى يقوم بما فرضته عليه الطبيعة - وهي سنة الله فى خلقه — ويعمل بما أوحته اليه القوانين الشرعية، والعاقل لا يرضى لنفسه أن يكون كَلاًّ على غيره، وهو يعلم أن الرزق منوط

بالسعي ، وأن مصالح الحياة لا تتم إلا باشتراك الأفراد حيث يقوم كل واحد بعمل خاص له ، وهناك تتبادل المنافع ، وتدور رحى الأعمال ويتم النظام على الوجه الأكمل

قال الله تعالى (فإذا قُضيتْ الصلاةُ فانتشروا في الأرضِ وابتغوا من فضلِ اللهِ ، واذكروا اللهَ كثيراً لعلكم تفلحون) وقال تعالى (هوَ الذي جعلَ لكمُ الأرضَ ذلولاً فامشوا في مناكبِها وكلوا من رزقهِ واليه النشورُ) وقال جل شأنه (وَأَلَنّا لهُ الحديدَ أن اعملْ سابغات وقدّر في السرْد واعملوا صالحاً إني بمَا تعملون بصير) وقال عز وجل (وقلِ اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فيما يَرويه عن ربه إن الله يقول يا عبدي حرّك يدك أُنزل عليك الرزق) وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اطلبوا الرزق في خبايا الأرض) وقال عليه الصلاة والسلام (ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيرٌ من أن يأكلَ من عمل يدهِ) ورُوي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن من الذنوب ذنوباً لا يُكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة يُكفرها الهمومُ في طلب المعيشة)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا يقعدنّ أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول اللهم ارزقني ، وقد علم ان السماء لا تمطر ذهباً

ولا فضة ، والله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض

وقال بزرجمهر : إن يكن الشغل مجهدة ، فان الفراغ مفسدة

وقال بعض الحكماء: اجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك،فليس كل الزمان موءاتياً لك ولا مافات مستدركا

وقال أحد الأدباء : العمل ترس يقي سهام البلاء ، والجد سيف يقطع أعناق الشقاء . وقال آخر : لاشيء احسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ، ومن حلم زانه صدق

وقال بعض البلغاء : إن الله تعالى جعل طلب الرزق مقصوراً على الخلق كله، وأهل التحصيل والنظر يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرز ، وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه من السوءال والاتكال والخلابة والاحتيال.وقال آخر : من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله ، أو حمد حصله أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه وظلم نفسه . وقال غيره إذا عمل المرء ولم يدرك حاجة فحسبه نفعاً أن يسلم من عواقب التواني التي هي أسوأ من مغبات الخيبة . وقال غيره : من صادف حظاً بدون مشقة كان فيما ناله كالمغتصب، إذ ليس في الحظوظ استحقاق

وقال بعض العلماء : لاتمض يومك في غير منفعة ، ولا تضع مالك في غير صنيعة، والعمر أقصر من أن ينفذ في غير المنافع، والمال

أقل من أن يسرف فى غير الصنائع ، والعاقل أجل من أن يفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره . وينفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره

وقال بعض العلماء : هل يجوز فى وهم ، أو يتمثل فى عقل ، أو يصح في قياس ، أن يحصد زرع بغير بذر ، أو تجنى ثمرة بغير غرس أو يورى زند بغير قدح ، أو يثمر مال بغير طلب

وقال بعض الفضلاء . الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم ، والعلم كله هباء إلا موضع العمل ، والعمل كله هباء إلا فى موضع الإخلاص

وقد قيل : كل رزق له سبب ، ومن طلب الأمر وجد وجد

وقال ابن شهاب :

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يوماً أن تجاب فترزقا
فيؤتيك مالاً واسعاً ذا متانة إذا ماميساه الأرض غارت تدفقا

وقال صفي الدين الحلي

ومن أراد العلا عفواً بلا تعب قضى ولم يقض من ادراكها وطرا
لايبلغ السؤل إلا بعد مؤلمة ولا تتم المنى إلا لمن صبرا

وقال الشاعر

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجيء بمثلها طوراً وطوراً تجيء بحمأة وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمني تحيل على المقدر والقضاء

فإن مقادير الرحمن تجري ... بأرزاق الرجال من السماء
مقدرة بقبض أو ببسط ... وعجز المرء أسباب البلاء

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ... ندمت على التفريط في زمن البذر

دع التكاسل في الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان

بصرت بالحالة العليا فلم أرها ... تنال إلا على جسر من التعب

وما طالب الحاجات في كل وجهة ... من الناس إلا من أجد وشمرا

١٧٢ — ﴿المثابرة والثبات على الاعمال سر النجاح﴾

الثبات هو المواظبة بدون هوادة ولا انقطاع، لأن الأعمال لا تتكلل بالنجاح، ولا يبلغ المرء منها أمنيته إلا بالثبات فيها، وتوطيد العزم على المثابرة عليها، من غير أن يجعل لليأس عليه سبيلا، أو يدع للسآمة عنده مجالا، وما فشل في عمله إلا من ضعفت عقيدته وخارت عزيمته، فقعد عن مواصلة العمل، ولم يهتد إلى بلوغ الأمل ولكن كبار النفوس أشداء الشكيمة، تراهم لا يزالون يكافحون الأعمال من جميع وجوهها بقلوب ثابتة، وعزائم صادقة، فلا يلبثون أن يبلغوا منها مآربهم، ويفوزوا منها بمقاصدهم، جزاء ما تحملوه من متاعب، وتجشموه من مصاعب، والله لا يضيع أجر العاملين

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) وقال جل شأنه (فإذا

عَزمت فتوَكل على الله

وَقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحبُّ الاعمال الى الله أدومُها وإن قلّ) وقال عليه الصلاة والسلام (من أبطأ به عملهُ لم يُسرع بهِ نسبه) وقال عليه الصلاة والسلام (من بات كَلّاً من طلب الحلال بات مغفوراً له)

وقال علي كرم الله وجهه: التوانى مفتاح البؤس، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة، ومن لم يطلب لم يجد، وافضى إلى الفساد، وقال، من أطاع التوانى ضيع الحقوق، ومن العجز طلب مافات مما لا يمكن استدراكه، وترك ما امكن مما تُحمد عواقبه وقال: لهب الشوق أخف محملاً من مقاساة الملالة

وقال الأحنف: اياك والكسل والضجر، فإنك ان كسلت لم تؤد حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على حق

وقال يَزيد بن المهلب: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعوّد الضجر

وقال أعرابى: العاجز هو القليل الحيلة، الملازم للأمانى المستحيلة

وقال أحد الحكماء: ما لزم أحد الدعة إلا زل، وحب الهوينا يكسب الذل، وحب الكفاية مفتاح العجز. وقال آخر: احذرْ مجالسة العاجز، فإن من سكن إلى عاجز أعداه من عجزه، وأمده

من جزعه، وعوده قلة الصبر، ونسّاه ما في العواقب، وليس للعجز ضد إلا الحزم

وقال أحد الفضلاء: من دام كسله خاب أمله، ومن التوفيق بغض التواني

وقال غيره: أولى الأمور بالإنجاح، المواظبة والإلحاح

وقيل لا تؤخرن عملاً عن وقته، فإن للوقت الذي تؤخر اليه، عملاً آخر، ولست تطيق ازدحام الأعمال، لأنها إذا ازدحمت دخلها الخلل

وقيل أيضاً: من لزم الرقاد، عدم المراد، ومن كثر تواكله كثر إهماله، ومن كثر إهماله ضاعت أمواله

لقد هاج الفراغُ عليك شغلاً ‏ وأسبابُ البلاء من الفراغ

توكل على الرحمن في الأمر كله ‏ ولا ترغبَنْ في العجز يوما

لا تكونن للأمور هيوباً ‏ فإلى خيبة يصير الهيوب

إذا همّ لم تردع عزيمة همّه ‏ ولم يأت ما يأتي من الأمر هائبا

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ‏ ونكّب عن ذكر العواقب جانبا

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ‏ ولا تك بالترداد للرأي مفسدا

فإني رأيت الريث في العزم هجنة ‏ وإنفاذ ذي الرأي العزيمة أرشدا

١٧٣ — ﴿ الألفة والأخوة قوّة والتفرّق ضعف ﴾

قضت الشرائع بالألفة والتآخي، لمّا يعترض حالنا في هذه

الحياة من العوائق والمصاعب، وما ينتابنا فيها من النوائب والمصائب مما لا يقدر الفرد على احتماله، أو دفع أضراره، فبالألفة والأخوة تتوطد العلائق بين الأفراد، وتقوى الرابطة بين الجماعات، ويعمل الكل متحدين على مكافحة معترضات الحياة، وتذليل صعابها، فتفتح امامهم الطرق، ويسهل عليهم عبورها، حتى يصلوا الى ما يشاءون من بلوغ النجاح، ونيل الآمال، ومن هذا يتضح لك سوء عاقبة من انشق على إخوانه، وقطع حبل المودة فيما بينه وبينهم، فإنه لا يزال تتخبطه الوساوس، وتتلقفه الحوادث، ولا من يرشده أو يشاركه في دفع ضر أو جر مغنم

قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) وقال (إنما المؤمنون إخوةٌ) وقال (ونزعنا ما في صُدُورهم من غِلّ إخواناً على سُرُر متقابلين)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن آلِفٌ مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) وقال عليه الصلاة والسلام (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عبادَ الله إخوانا) وقال عليه السلام لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) وعن أنس أن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم قال (أحبكم الىّ أحاسنكم أخلاقاً

الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى الله المشاءون بالنميمة الملتمسون للعثرات المفرقون بين الاخوان)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقاء الاخوان جلاء الأحزان

وقال علي كرم الله وجهه لابنه : الغريب من ليس له حبيب

وقال ابن المعتز : من اتخذ إخواناً كانوا له أعواناً

وقال خالد بن صفوان : أعجز الناس من قصّر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم

وقال عبد الملك بن طاهر : المال غاد ورائح ، والسلطان ظل زائل والإخوان كنوز وافرة

وقال زياد : خير ما اكتسب المرء الإخوان فانهم معونةٌ على حوادث الزمان ، ونوائب الحدثان ، وعون في السراء والضراء

وقال أحد الحكماء لابنه : يابنيّ لا تستقل عدواً واحداً ، ولا تستكثر الف صديق ، ولا تستبدل بأخ قديم أخاً مستحدثاً ما استقام لك. وقال آخر : المودّة والأُخوّة سبب التآلف، والتآلف سبب القوة والقوة حصن منيع وركن شديد ، وبها يُمنع الضيم ، وتُنال الرغائب وتنجح المقاصد

وقال بعض الأدباء: أفضل الذخائر أخٌ وفيّ حميم، صادق المودّة لطيف الصحبة، يهتم لشأنك اهتمامه بشأنه ، ويتوفر على هنائك كما

يتوفر على هنائه

وقال أحد الفصحاء : الصديق الحميم عدّة في البلايا ، وعمدة في المحَن ، وبلسمٌ في النوائب ، ومرهم في الشدائد . وقال آخر: لا تُساغ مرارة الأوقات، إلا بحلاوة الإخوان الثقات ، فاستروح من غمة الزمان ، بمؤانسة الخلان

وقال ابن الرومي

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيراً ألف خِل وصاحبٍ وإن عدواً واحداً لكثير

وقال عبد الله بن عرفة

هموم رجال في أمور كثيرة وهمي من الدنيا صديق مساعد
نكون كروح بين جسمين قسّمَتْ فجسماهما جسمان والروح واحد

فإنما الرجال بالإخوان واليد بالساعد والبنان

لا يحقر الصحبة إلا جاهل أو مارقٌ عن الرشاد غافل

وما المرء إلا بإخوانه كما تُقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم

١٧٤ — ﴿ اختيار الأصدقاء ميزان العقول الراجحة ﴾

الناس في هذه الحياة متفاوتوا الأخلاق متباينوا المشارب ، فمنهم من ساءت أخلاقهم فنزعت نفوسهم الى الشهوات، ومالوا الى اللذات

فما عرفوا غير اشباع نهمتهم ، وما راعوا غير العمل لأهوائهم، فهؤلاء لا خير يُرجى منهم، ولا منفعة تعود على المجتمع الانساني من ورائهم فالابتعاد عنهم راحة ، وعدم الارتباط بهم وقاية . ومنهم من حسنت طباعه فقمع نفسه عن لذاتها ، وردعها عن شهواتها ، وعمل للمنفعة العامة ، وسار في طريق الإصلاح ، وهذا هو الجدير بالألفة، والخليق بالتودُّد ، فالخير معقود بمصاحبته ، والسعادة مقرونة بمصادقته، لأن نفسه الطاهرة تطمح على الدوام الى الكمال ، وقلبه الثابت مشرئب لنيل معالي الأمور — والمرء على دين خليله

قال الله تعالى (وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً) وقال في معرض التحذير من قرناء السوء مبيناً ندامة من لم يحتط لنفسه في اختيار من يصادق (ياويلتَى ليتني لم اتخِذْ فلاناً خليلاً) وقال تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلمُوا فتَمَسَّكمُ النارُ وما لكمْ مِنْ دونِ اللهِ من أولياء ثمَّ لا تُنصَرُون)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بإخوان الصدق فانهم زينةٌ فى الرّخاء وعصمةٌ فى البلاء) وقال عليه الصلاة والسلام (المرء كثير بإخواه ، ولا خيرَ في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له ؛ وروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل) وعنه عليه الصلاة

والسلام أنه قال(مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، فصاحب المسك إما أن تشتري منه أو تجد ريحاً طيبة،وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك،أو تجد منه ريحاً خبيثة)

وقال علي كرم الله وجهه : خير إخوانك من واساك،وخير منه من كفاك

وقال عبد الله بن جعفر : عليك بصحبة من اذا صحبته زانك وإن غبت عنه صانك وإن احتجت اليه مانك ، وإن رأى منك خلةً سدّها أو حسنةً عدّها

وقال لقمان لابنه : يا بني لا تجالس الفجّار ، ولا تماشهم ، اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم ، وجالس الفضلاء والعلماء فان الله يحيي القلوب الميتة بالفضيلة كما يحيي الأرض بوابل المطر

وأوصى أمير المؤمنين أولاده،قال:يا بنيّ عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنّوا اليكم ، وإن فُقدتم بكوا عليكم ، ان القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة ، وتتناجى بها ، وكذلك هي في البغض فان أحببتم الرجل من غير خير سبق منه اليكم فارجوه ، واذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه اليكم فاحذروه

وقيل لابن السماك : أي الاخوان أحق ببقاء المودة،قال الوافر دينهُ، الوافي عقلهُ، الذي لا يملّك على القرب،ولا ينساك على البعد

إن دنوت منه داناك، وإن بعدت عنه راعاك، وإن استعنت به عضدك وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله

وقال بعض الحكماء

احذر من الكريم إذا أهنته ، واللئيم إذا أكرمته والعاقل إذا أحرجته، والأحمق إذا مازحته، والفاجر إذا عاشرته ،وقال آخر الصديق النصوح من بصرك مواضع رشدك، وعواقب غيك

وقال غيره. معاشرة ذوي الألباب عمارة القلوب، وصداقة الجاهل تعب وقال غيره، شر الإخوان الواصل في الرخاء، الهاجر عند الشدة

وقال بعض البلغاء : من خير الاختيار صحبة الأخيار ومن شر الاختيار مودة الاشرار ، وقال آخر ، اصحب من الإخوان من أولاك جمائل كثيرة، فكافأته بجملة واحدة فنسى جمائله، وبقى شاكراً ذاكراً لجميلتك يوليك عليها الإحسان الجميل ، ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل

وقال غيره : الصديق من استروحت اليه النفس ، واطمأن إليه القلب

وقال أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد الذي يذمك إن ولى ويرضيك مقبلا
ولكن أخوك النائي مادمت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا

وقال أبو تمام

من لي بانسان إذا أغضبته ... وجهلت كان الحلم ردّ جوابه

واذا صبوت الى المُدام شربت من ... أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغي للحديث بطرفه ... وبقلبه ولعله أدرى به

وقال الأحنف بن قيس

أخوك الذي إن تدعه لملمة ... يجبك وان تغضب الى السيف يغضب

إن أخاك الصدق من يسعى معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

ليس الصديق الذي إن ذلّ صاحبه ... يوماً رأى الذنب منه غير مغفور

وإن أضاع له حقاً فعاتبه ... فيه أتاه بتزويق المعاذير

إن الصديق الذي تلقاه يعذر في ... ماليس صاحبه فيه بمعذور

إن كنت متخذاً خليلاً ... فتنقَّ وانتقد الخليلا

من لم يكن لك منصفاً ... في الود فابغ به بديلا

ولقلما تلقى اللئـ ... ـيم عليك إلا مستطيلا

واحذر مؤاخاة الدنيّ لأنه ... تُعدي كما يعدي الصحيح الاجرب

واختر صديقك واصطفيه تفاخراً ... إن القرين إلى المقارن ينسب

ودع الكذوب فلا يكون لك صاحباً ... إن الكذوب لبئس خلاً يصحب

١٧٥ — ﴿ العتاب وأثره في نفوس الأصحاب ﴾

لما كان التآخي والتآلف بين الناس من التعاليم الشرعية، والنُّظم الألهية، وكان من الواجب أن يعمل المرء على دوام العلائق، واستمرار الروابط ، ولا يتم ذلك مع من اختارهم لصحبته ورضيهم لأخوته إلا باحتمال عثراتهم ، والصفح عن هفواتهم ، كان من المحتم عليه ألا يقطع أخاه لأول وَهلة ، أو يتركه لأيسر كَبوَة ، بل يعاتبه على ما صدر منه بالحجة والبرهان بقصد إصلاحه ، لا لغرض تعنيفه وليلاحظ عدم الإغراق في العتاب، فإن ذلك يوجب مجانبته وقطع مصاحبته ، وقد ورد في احتمال الأذى آثار كثيرة

قال تعالى (والكاظمينَ الغَيْظَ والعافينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يحُبُّ المحسنينَ) وقال جل شأنه (وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها فمَنْ عفا وأصلحَ فأجْرُهُ على اللهِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى أمرني بمُداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض) وقال عليه الصلاة والسلام (مداراة الناس صدقة) وقال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم (ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا بد له من معاشرته ، حتى يجعل اللهُ له من ذلك مَخرجاً) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : من اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتاه فلم يقبل منه لم يرد على

الحوض غداً) وقال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم (ألا أُنبئكم بشرار كم،قالوا بلى إن شئت يا رسول اللهِ،قال إن شرار كم الذي ينزل وحده ويجلد عبده،ويمنع رِفده،قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك،قالوا بلى إن شئت يا رسول اللهِ ، قال من يبغض الناس ويبغضونه ، قال أفلا أُنبئكم بشر من ذلك ، قالوا بلى إن شئت يارسول اللهِ،قال الذين لا يقيلون عثرة ، ولا يقبلون معذرة ، ولا يغفرون ذنباً ، قال أفلا أُنبئكم بشر من ذلك، قالوا بلى إن شئت يارسول اللهِ ، قال من لا يُرجى خيره ولا يؤمن شره)

وقال عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه: أعقل الناس أعذرهم للناس

وقال علي كرم اللهُ وجهه: لا تقطع أخاك على ارتياب، ولا تهجره دون استعتاب

وقال معاوية : لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت لأنهم إذا جذبوها أرسلتها ، وإذا أرسلوها جذبتها

وقال الأحنف : من حق الصديق أن يتحمل ثلاثا ، ظلمَ الغضب ، وظلم الدالّة ، وظلم الهفوة

وقال أحد الحكماء : إذا رأيت من أخيك أمراً تكرهه أو خَلّةً لا تحبها ، فلا تقطع حبله ، ولا تصرم وُده، ولكن داوِ كَلْمَهُ واستر عورته ، وأبقه ، وابرأ من عمله

وقال آخر: مما يجب للصديق على الصديق، الإغضاء عن زلاته والتجاوز عن سيئاته، فإن رجع وأعتب وإلا عاتبه بلا إكثار، فإن كثرة العتاب مَدْرجة للقطيعة . وقال غيره : لا صديق لمن أراد صديقاً لا عيب فيه. وقال غيره : لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه. وقال غيره: كل عقل لا يُدَارى به الكل فليس بعقل تام

وليس عتاب الناس للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لُبٌّ يعاتبه

وقال بعض الأدباء : ثلاث خصال لا تجتمع إلا فى كريم حسن المحضر ، واحتمال الزلة ، وقلة الملال

وقال بعض البلغاء : من لا يؤاخي إلا من لا عيب فيه قلَّ صديقه ومن لم يرض من صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه ، ومن عاتب على كل ذنب دام عتبه ، وكثر تعبه

وقال ابن عباس

يا صديقي الذي بذلت له الوُ دَّ وأنزلته على أحشائي

إن عيناً قذّيتَها لتراءـ لك على ما بها من الأقذاء

ما بها حاجة اليك ولكن هي معقودة بحبل الوفاء

وقال احمد بن أبان

إذا أنا لم أصبر على الذنب من أخٍ وكنت أجازيه فأين التفاضلُ

ولكن أداويه فإن صح سرني وإن هو أعيا كان منه تحامُلُ

وقال بشار بن برد

اذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مفارف ذنب مرةً ومجانبه

١٧٦ — ﴿ الكلام وما يترتب عليه من المنافع والمضار ﴾

إن الكلام لفي الفؤاد وانما جُعل اللسان على الفؤاد دليلاَ

الكلام هو واسطة التعارف بين الناس ،والتعاون معهم ، فلا يستغنى المرء عن محادثة غيره في شئون الحياة ونُظم الأعمال

ولما كان الكلام هو عنوان درجة الشخص،ودليل جوهر نفسه بين النفوس،وجب أن يكون صحيحاً مختاراً ذا فائدة.صادراً عن عقل وروية، وصدق وحسن طوية، بعيداً عن البطلان والسخرية، قليلاً على قدر الكفاية.فإن الكلام الكثير ينسي بعضه بعضا،وتكراره يدعو إلى السآمة والملل ، وقلما سلم مكثر من لغو وهذر

قال اللهُ تعالى(يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وقولوا قولاً سديداً يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) وقال تعالى (وهُدوا إلى الطيبِ من القول وهدوا إلى صراطِ الحميدِ)

وقال رسول اللهِ صلى اللّهُ عليه وسلم رحم اللّهُ عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم) وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ (يامُعاذ أنت

سالمٌ ما سكتَ فإذا تكلمت فعليك أو لك) وقال عليه الصلاة والسلام (أبغضكم إليّ المتفيهق المِكثار والملحُ المهذار) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن اللهَ تعالى يكره الانبعاق في الكلام فرحم اللهُ عبداً أوجز في كلامه) وقال عليه الصلاة والسلام (وهل يكُب الناسَ على وجوههم أو مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم) وقال (هلك المتنطّعون) وقال عليه الصلاة والسلام مثنياً على الكلام الذي يتحرى فيه صاحبه ما يجب أن يتحراه (إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة)

وقال علي كرم اللهُ وجهه :احسبوا كلامكم من أعمالكم وأقلوه إلا في الخير.وقال أيضاً:اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل وقال : خير الكلام ما صدقه الفعال

وقال أبو الأسود الدؤلي لابنه : يا بني إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك

وقال جعفر بن يحيى: إذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عِياً وإن كان الإكثار واجباً كان التقصير عجزاً

للصمت في غير فكرة سهو والقول في غير حكمة لغو

وقال المهلب : لأن أرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه أحبّ إليّ من أن أرى لسانه فضلاً على عقله

وقال بطليموس : إفرح بما لم تنطق به من الخطأ أكثر من فرحك بما نطقت به من الصواب

وقال بعض الحكماء : اعقل لسانك إلا عن حق توضحه ، أو باطل تَدْحَضُهُ ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها . وقال آخر بكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدْل المنطق تجلب الجلالة. وقال غيره إنما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال . وقال غيره: من أعجب بقوله كثر زلَـلُهُ وقلّ سامعوه، وليس لكثرة الهذَر نفع يوازي ضَرَّه

وقال بعض البلغاء : الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤونة الاعتذار وقال آخر: احبس لسانك قبل أن يطيل حبسك، أو يتلف نفسك فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقَصُر عن الصواب ، ويُسرع إلى الجواب. وقال غيره: الكلمة أسيرة فى وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار فى وثاقها. وقال غيره: رب ألسنة كالسيوف تقطع أعناق اصحابها

وقال بعض الأدباء : سعد من لسانه صَموت، وكلامه قوت وقال آخر : الكلام فى الخير كله أفضل من الصمت ، والصمت في الشر كله أفضل من الكلام

وقال بعض العقلاء : أشد الناس بلاء وأكثرهم عناء من له لسان مُطلَق ، وقلب مُطبَق ، فهو لا يستطيع أن يسكت ، ولا

يحسن أن يتكلم

وقال بعض العلماء : من أعوز ما يتكلم به العاقل ألاّ يتكلم إلاّ لحاجته أو لحجتهِ ، ولا يفكر إلاّ في عاقبتهِ أو في آخرته

وقيل لإياس بن معاوية: مافيك عيب الاّ كثرة الكلام: قال أفتسمّونه صواباً أو خطأ . قالوا بل صواباً. قال فالزيادة من الخير خير

وقيل : اذا تم العقل نقص الكلام

وقال أبو الفتح البُستي

تكلّمْ وسدّدْ ما استطعت فانما كلامُكَ حيٌّ والسكوت جَمادُ

فان لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السديد سداد

وقال غيره

رأيت العز في أدب وعقل وفي الجهل المذله والهوانُ

وما حسن الرجال لهم بحسن اذا لم يُسعد الحسن البيانُ

كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له لسانُ

وقال غيره

وزن القول من قبل الكلام فإنما يدل على قدر العقول التكلّمُ

١٧٧ — ﴿ الضحك والمزح . ومقدار المكروه منهما والمباح ﴾

المزح و لضحك الكثير سقوط واليأس من روح الاله قنوط

المزح والضحك خلتان غير ممدوحتين مالم تكونا في حد الظرف

والـكمال ، مع مراعاة الظروف الخاصة بهما ، بقصد ترويح النفس وتفريج السآمة، ليستأنف المرء عمله بالجد والنشاط، مع التزام الأدب والصدق ، كي يكون محفوظ القدر ، موفور الكرامة ، أما اذا خرج الانسان بهما عن موضع الجد والاحترام ، وحد الحشمة والوقار، فقد عرّض نفسه للازدراء والاحتقار ، وبئست حال من لم يعرف لنفسه قدرها ، ولم يحفظ لـكرامته مقامها فى هذا المجتمع الانساني

قال تعالى مخاطباً لقوم هذا شأنهم (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً) وقال عليه الصلاة والسلام (إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه) وعن عائشة رضي الله عنها قالت (مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً قطُّ ضاحكاً حتى ترى منه لهواته، إنما كان يتبسّم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصمت سيد الأخلاق ومن مزح استخفّ به)

وقد ورد (المزاح استدراج من الشيطان واختداع من الهوى)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: التبسم أبلغ فى الإيناس من الضحك الذي قد يكون استهزاءً وتعجباً)

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي : المزاحُ يوغِرُ صدر الصديق

وينفر الرفيق ، ويبدي السرائر ، ويظهر المعاير ، ويجلب الشتم ويثير الحقد

وقال عمر بن عبد العزيز : اتقوا المزاح فإنه حمقة تورث ضَغينة

وقال بعض الحكماء : الضحك شاغل عن النظر في الأمور المهمة مذهل عن الفكر في النوائب الملمّة ، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار ، ولا لِمنْ وُصمَ به خَطَرٌ ولا مقدار

وقال أحد الأدباء : على العاقل أن يتقي المزح ، وينزه نفسه عن وصمة مساويه، فإنه مخرَج الى القطيعة، ومذهبة للهيبة والبهاء، ومدعاة لتجرؤ الغوغاء والسفهاء . وقال غيره

الضحك كالمزاح يلزم تحاميه والنفور منه ، والأحرى بالعاقل أن يبدل الضحك عند الإيناس بالتبسم

وقال بعض العلماء: من قلّ عقله كثرَ هزله . وقال آخر: احذر فلتات المزاح وسقطة الاسترسال لا تُقال

وقيل : المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب

وقيل أيضاً كثرة الضحك من الرعونة وضحكة المؤمن غفلة من قلبه

وقال النيسابوري

شرُّ مزاح المرء لا يُقال	وخيره ياصاح لا يُنال
وقد يُقال كثرة المزاح	من الفتى تدعو إلى التلاحي

إن المزاح بدؤه حلاوه   لكنما آخره عداوه
يحتد منه الرجل الشريف   ويجتري بسخفه السخيف

وقال ناصح الدين

لا تجعل الهزل دأباً فهو منقصة   والجدُّ تعلو به بين الورى القيمُ
ولا يغرَّنكَ من ملك تبسُّمهُ   ما سحَّت السُّحب إلا حين تبتسمُ

وقال علي كرم الله وجهه

ودع المزاح فربَّ لفظة مازح   جلبت اليك بلابلا لا تُدفعُ
أفد طبعك المكدود بالهمّ راحة   بضحك وعلّلهُ بكاسٍ من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن   بمقدار ما يعطى الطعام من الملح
واحذر من المزح كم في المزح من خطر   كم من صديقين بعد المزح فاختصما

١٧٨ — ﴿ العاقل من اتعظ بغيره واعتبر به ﴾

اذا المرء كانت لهُ فكرة   ففي كل شيء له عِبرة

الاعتبار هو الاتعاظ بحوادث الزمان ، والانتصاح بنصائح الحدثان ، فالعاقل من أخذ في أموره بالثقة، وسار في أحواله بالحيطة كي تقل عثراته ، وتنقطع هفواته ، ومن الجهل الفاضح أن ينظر الإنسان للحوادث نظر متفرج غير متدبّر ، لا نظر متفكر معتبر ولذلك تراه يقع فيما وقع فيه غيره ، ولعمر الحق ان هذا لخطأ فادح لا ينبغي أن يكون من العقلاء . فيجب تداركه والعمل على تلافيه

وليحرص كل الحرص أن يكون لنفسه من الأيام واعظ ، ومن الحوادث رادع ومرشد ، ليعيش عيشة الآمنين السعداء

في كل شيء عبرة لمن عقل   قد يسعد المرء اذا المرء اعتدل

قال الله تعالى (فاعتبروا ياأولي الأبصار) وقال تعالى (إنَّ في ذلكَ لَعِبرَةً لِمنْ يَخشى) وقال جل شأنه (إنَّ في ذلكَ لَذِكرى لمن كانَ لهُ قَلبٌ أو ألقى السَمْعَ وهوَ شَهيدٌ) وقال عز وجل (إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لأولي النهَى)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (السعيدُ من وُعظ بغيره)

وقال بعض الحكماء : كفى بالتجارب تأديباً ، وبتقلب الأيام عظة . وقال آخر : ان للباقي بالماضي معتبراً وللآخر بالأول مزدجراً والسعيد لا يركن الى الخِدَع ، ولا يغترُّ بالطمع . وقال غيره السعيد من اعتبر بأمسه

وقال بعض الفصحاء : كفى بالدهر مخبراً بما مضى عما بقي ، وكفى عبراً لأولي الألباب ماجربوا

وقال بعض البلغاء : ماأكثر العبرَ لمن نظر وأنفعها لمن اعتبر

وقيل لأحد الحكماء : من أدَّبكَ ، قال ماأدبني أحد ، رأيت الجهل قبيحاً فاجتنبته . وقيل : من كثر اعتباره قلَّ عثاره

وقيل أيضاً: العاقل من اتعظ بغيره واعتبر به

وقال ابراهيم بن شكله

من لم يؤدّبه والداه　　أدّبه الليل والنهار
كم قد أذلَّ كريم قوم　　ليس لهُ منهما انتصار
من ذا يد الدهر لم تنله　　أو اطمأنت به الديار
كلٌّ عن الحادثات مغضٍ　　وعنده للزمان ثار

وقال طاهر بن الحسين

إذا أعجبتك خصال امرىء　　فكُنْهُ يكن منك ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات　　إذا جئتها حاجب يحجبك

١٧٩ — ﴿ ان النفس لأمّارة بالسوء ﴾

ان للنفس نزعات شيطانية، ولذات شهوانية، فاذا هي تُركت وشأنها تمشَى وراء لذاتها، وتسير في سبل شهواتها، فتنزع الى الشر في كل منزع، ولا شك أنها تودي بصاحبها في الهلاك فيردى في مهاوي الردى، أما من تغلب على نفسه وقادها بعقل راجح وفكر ثابت، ومنعها عن اطماعها الدنيئة، وكفها عن شهواتها الخسيسة، فإنه يكون بعيداً عن مواطن الشقاء والهلاك، غير مرتكبٍ إثماً، ولا متحملٍ وزراً، وسيجزيه الله الجزاء الاوفى مع المتقين

قال الله تعالى (وأما من خافَ مقامَ ربهِ ونَهى النفسَ عنِ الهوَى فإنَّ الجنَّةَ هيَ المأوَى) وقال تعالى (قد أفلحَ مَن زكّاها

وقد خابَ مَنْ دساها) وقال جل شأنه (ولا تتبع الهَوَى فيُضِلَّكَ عن سبيلِ اللهِ) وقال عز وجل (أفرأيت مَن اتخذ إلهَهُ هَوَاهُ وأَضَلَّهُ اللهُ على عِلْم وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وقلبِهِ وجعلَ على بصرِهِ غشاوَةً)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكيِّسُ من دانَ نفسه وعمِلَ لما بعد الموت ، والعاجز من اتَّبَعَ نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) وقال عليه الصلاة والسلام (المجاهد من جاهد نفسه وهواه) وقال عليه الصلاة والسلام (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) ورُوِى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إياكم والهوى فإن الهوى يُصم ويُعمى)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اقدَعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلاعة تنزع إلى شر غاية، إن هذا الحقَّ ثقيل مري وإن الباطل خفيف وبيّ. وترك الخطيئة خيرٌ من مُعالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا

وقال علي كرّم الله وجهه : أخاف عليكم إثنين اتباع الهوى وطول الأمل ، فان اتباع الهوى يصدّ عن الحق ، وطول الأمل يُنسي الآخرة ، وقال : إياكم وتحسين الشهوات على أنفسكم ، فإن عاجلها ذميم وآجلها وخيم

وقال الشعبي : إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه

وقال ابن السماك : كن لهواك مسوّفاً ولعقلك مسعفاً وانظر ماتسوء عاقبته، فوطن نفسك على مجانبته، فإن ترك النفس وما تهوى داؤها، وترك ما تهوى دواؤها، فاصبر على الدواء كما تخاف من الداء

وقال بعض البلغاء : من أصلح نفسه أرغم أنف أعاديه، ومن أعمل جدّه بلغ كُنه أمانيه . وقال آخر : أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك . وقال غيره : من أمات شهوته فقد أحيا مروءته . وقال غيره : الهوى عسوف ، والعدل مألوف

وقال بعض العلماء . ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل ، وركب ابن آدم من كليهما فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة . ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم

وقيل لبعض الحكماء : من أشجع الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته ، قال من جاهد الهوى طاعة لربه ، واحترس في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه . وقيل : العقل وزير ناصح والهوى وكيل فاضح . وقيل أيضاً : من أطاع هواه أعطى عدوه مناه

وقال علي كرم الله وجهه

صن النفس واحملها على ما يزينها   تعش سالماً والقول فيك جميل

ولا ترينّ الناس إلا تجملاً نبا بك دهر أو جفاك خليل

وقال ابو الفتح البُستي

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته لتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد أشمت الأعداء جهلاً بنفسه وقد وجدت فيه مقالاً عواذله

١٨٠ — ﴿ من كتم سره فقد ملكَ أمره ﴾

كتمان السرّ من أفضل الأخلاق وأكبر الفضائل ، به تُصان الاعراض وتُحفظ الأرواح ، وتلتئم الجماعات ، فرب سر أفشيته جلب شراً مستطيراً ، وأحدث فتنة أهلكت خلقاً كثيراً ، ولهذا كان من الواجب على الإنسان أن يخفي سره ما استطاع ، وإلا عرض نفسه إلى أضرار كثيرة ، لاقبل له بها ، وحينئذ لا يمكنه دفع مايترتب على ذلك من الأخطار ، فيعض سبابة المتندم ، ولا ينفعه الندم ، بعد ما انقضى الأمر

قال الله تعالى (وأوفوا بالعهدِ إن العهدَ كان مسئُولاً)

وقال جل شأنه (يا أيُّها الذين آمنوا أوفوا بالعقودِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود) وعن أبي سعيد الُخدري رضي

الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجلَ يُفضي إلى المرأة وتفضي اليه ثم ينشُرُ سرَّها) وعن ثابت عن أنس رضي الله عنه أنه قال (اتى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا فبعثني في حاجته فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت ما حبسك فقلت بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ، قالت ما حاجته، قلت إنها سر قالت لا تخبرن بسرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً . قال أنس والله لوحدثت به أحداً لحدثتك به ياثابت) وقال عليه الصلاة والسلام (إذا حدَّث رجلٌ رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :مَن كتم سره كان الخيار في يده . وكان يقول رضي الله عنه: ما أفشيت سري إلى أحد قط فلمتهُ إذ كان صدري به أضيق

وقال علي كرم الله وجهه : سرُّك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره

وقال عمر بن عبد العزيز : القلوب أوعية الأسرار ، والشفّاة أقفالها ، والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل امرىء مفتاح سره

وقال أنوشروان: من حصَّنَ سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته ، والسلامة من السَّطَوَات

وقال بعض الحكماء لابنه : يا بني كن جواداً بالمال في موضع الحق ، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمدَ جود المرء الإنفاقُ في وجه البر ، والبخل بمكتوم السر . وقال آخر: انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل ، ولا جاهلاً فيخون . وقال غيره : من أفشى سره كثر عليه المتآمرون

وقال بعض الأدباء :أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره وأقواهم من قوي على غضبه ، وأصبرهم من ستر فاقته ، وأغناهم من قنع بما تيسر له . وقال غيره : كم من سر أراق إفشاؤه دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه،ولو كتمه لأمِنَ من سطوته،وسلم من عواقبه.

وقال بعض الفصحاء:من عجائب الأمور أن الأموال كلما كثر خزانها كان أوثق لها ، وأما الأسرار فإنها كلما كثر خزانها كان أضيعَ لها . وقال آخر : ما أسرك ما كتمتَ سرك.

وقال غيره من لم تغنيه الأضالع ، فهو مكشوف ضائع

وقال بعض العقلاء : إظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهاره سر نفسه، لأنه يبوء بإحدى وصمَتين ، الخيانة إن كان مؤتمناً والنميمة إن كان مستودعاً

وقيل : من أفشى سره أفسد أمره،ومن كتم سره ملك أمره وقيل أيضاً:قلوب العقلاء حصون الأسرار، وليحذر صاحب السر أن يودع

سره من يتطلع عليه، ويؤثر الوقوف عليه، فإن طالبَ الوديعة خائن

ولا تفش سرك إلا اليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

فإني رأيت وُشاة الرجا ... ل لا يتركون أديماً صحيحا

لا يكتم السر إلا كل ذي ثقةٍ ... والسر عند خيار الناس مكتوم

فالسرُّ عنديَ في بيت له غَلَقٌ ... ضاعت مفاتيحه والباب مختوم

ومستودعي سراً تضمنت سره ... فأودعته من مستقر الحشا قبرا

ولكنني أخفيه عني كأنني ... من الدهر يوماً ما أحطت به خُبرا

وما السر في قلبي كميت بحفرة ... لأني أرى المدفون ينتظر النشرا

إذا ما ضاق صدرك من حديث ... وأفشته الرجال فمن تلوم

وإن عاتبت من أفشى حديثي ... وسري عنده فأنا الملوم

ولست بمُبدٍ للرجال سريرتي ... ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

صن السر عن كل مستصحب ... وحاذر فما الرأي إلا الحذر

تم بعون الله تعالى وتوفيقه الجزء الأول من ديوان الانشاء

ويليه الجزء الثاني من صفحة ٣٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

١٨١ — ﴿ الشحاذة وخطرها على المدنية والحضارة ﴾

تقضي نظام هذه الحياة على الإنسان أن يسعى ويعمل لطلب الرزق من وجوهه المشروعة حتى لا يمد يده للناس . فإنه إذا قعد عن العمل ولزم البطالة والكسل، فلا شك أن تسوء حاله، وتنحط نفسه ، ويضيق عيشه ، فيلجأ إلى السؤال والشحاذة ، وأي عاقل يرضى لنفسه بهذه الحال التعيسة ، بل وكيف يقبل أن يكون عضواً أشل في الهيئة الاجتماعية ، لا يقام له وزن ولا تعرف له قيمة

قال الله تعالى في مقام الثناء على من لا يسأل الناس شيئاً (لا يسألونَ الناسَ إلحافاً) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيباتِ ما كسبتمْ ومما أخرجنا لكم من الأرضِ ولا تيمموا الخبيثَ منهُ تُنفِقونَ) ومن لا كسب له من أولئك المعطلين لا يمكنه الإنفاق (إن أنفق) إلا من ذلك الخبيث

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن يأخذ أحدُكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناسَ أعطوه أو منعوه) وقال عليه الصلاة والسلام

(اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى وابدأ بمن تعول) وقال (لا تُلحفوا في المسأله فوالله لا يسألني أحدٌ منكم شيئاً فتُخرج لهُ مسألتهُ مني شيئاً، وأنا له كاره فيُبارَك له فيما أعطيته) وقال عليه الصلاة والسلام (لو تعلمون ما في المسألة ما مَشى أحدٌ الى أحد يسأله شيئاً)

وقال علي كرم الله وجهه لابنه الحسن في وصيته له: يابني إن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من غيره، وإن كان كل منه كثيراً

وقال لقمان لولده: يا بنيَّ إياك السؤال فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه، واعظم من هذا استخفاف الناس بك

وقال أكثم بن صيفي: أفضل من السؤال ركوب الأهوال

وقال شريح: من سأل حاجة فقد عرض نفسه للرق، فإن قضاها المسئول منه استعبده بها، وإن رده عنها رجعَ كلاهما ذليلاً، هذا بذُل البخل، وذاك بذل الرد

وقال رجل لابنه: إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه

وقال بعض الحكماء: احتج الى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأنعم على من شئت تكن أميره

وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرأ، والجرح الذي لا يندمل

قال حاجة الكريم الى اللئيم — وقال الشاعر

إذا أعوزتك أكفُّ اللئام كفتك القناعة شبعاً وريا
فكن رجلاً رجله في الثرى وهامةِ همّته في الثّريّا
فانّ إراقة ماء الحيا ة دون إراقة ماء المُحيّا

لعمر الله ما عودتُ نفسي خضوعاً لامرىء فيه ابتذال
أيرضى من له عقلٌ ورأيٌ تعاطي ما عليه به وبال

لا تحملن من الأنا م عليك إحساناً ومنه
واختر لنفسك حفظها واصبر فإن الصبرُ جُنّه
منَنُ الرجال على القلو ب أشد من وقع الأسنه

لاتحسبن الموت موت البلا لكنما الموتُ سؤال الرجال
كلاهما موتٌ ولكنّ ذا أشر من ذاك لذل السؤال

ما اعتاض باذلُ وجهه بسؤاله عِوضاً ولو نال الغنى بسؤاله
واذا السؤال مع النوال وزنته رجحَ السؤال وخف كل نوال

١٨٢ — ﴿أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع﴾

الطمع والحرص رذيلتان كبيرتان، وهما أصل الجشع وعدم الرضا بما قسم الله للمرء من الرزق ، وتكالب النفس على طلب الزيادة ولو من غير طرقها المشروعة ، وليس ما نراه من الجرائم الكثيرة من سرقة

وقتل وغيرهما إلا أثراً سيئاً من آثار الحرص على الدنيا والطمع فيها فلا يقف صاحبهما عند حد ، ولا ينتهي الى غاية ، وتكون عاقبته الهلاك لا محالة ، ولو نبذ الحرص والطمع وراء ظهره ، ورضي بما كسبت يداه من رزق حلال لكفاه ذلك وعاش عيشة هادئه مرضية

قال الله تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) وقال جل شأنه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون)

وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال (أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أوصني وأوجز، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليك بالإياس مما في أيدي الناس ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وإياك وما يعتذر منه) وكان يقول في دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع)

وقال علي كرم الله وجهه: ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع وقال : أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع

وقال بعض الحكماء : من أراد أن يعيش حراً أيام حياته فلا

يُسكن قلبه الطمع

وقال أحد الفلاسفة: العبيد ثلاثة عبدُ رق، وعبد شهوة، وعبد طمع

وقيل للإسكندر: ما سرور الدنيا؟ قال: الرضا بما رزقت منها قال: فما غمها؟ قال: الحرص عليها

وقيل: الحرص مفسدة للدين والمروءة، ومن لزم الطمع عدم الورع

قال أبو العباس احمد بن مروان

وذي حرص تراه يلمُ وفراً لوارثه ويدفع عن حماهُ
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ فريسته ليأكلها سواهُ

١٨٢ — ﴿ تجنب الفحشاء لا تنطق بها ﴾

الفحش هو النطق بالالفاظ البذيئة. والكلمات المبتذلة التي تجلب كثيراً من العداوة والبغضاء، وتجر من المنازعات والمشاحنات التي قد تنتهي بأوخم العواقب، واسوأ النتائج، فتتفكك عُرا المحبة وتنقطع روابط الألفة؛ ويحل الفساد محل النظام، والخصام محل الوئام، وإذ ذاك تسوء الاحوال، وتضطرب رحى الأعمال

قال الله تعالى (لا يُحبُّ اللهُ الجهرَ بالسُّوء منَ القولِ إلاَّ مَنْ ظُلِمَ وكانَ اللهُ سَميعاً عَليماً) وقال جل شأنه (وَاذا سمعوا اللّغوَ أعرَضوا عنه، وقالوا لنا اعمالُنا ولكم اعمالُكم، سلامٌ عليكم لا نَبتغي الجاهلينَ) وقال جل شأنه (والذين هم عن اللغوِ معرضونَ)

وقال عزّ وجل (ما يَلفِظُ مِنْ قولٍ الاّ لديهِ رقيبٌ عَتيدٌ) وقال تعالى (إنَّ السمعَ والبصرَ وَالفؤَادَ كلُّ أُولئك كانَ عنهُ مسئولاً)

وروي البخاري ان رسول الله صلى الله عليهِ وَسلم قال (إن شرّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة مَنْ ترَكه الناسُ اتقاءَ فُحشه)

وعن ابن مسعود رضي الله عنهُ انهُ قال عليهِ الصلاة والسلام (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيّ) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجلُ والديه قيل يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسُبُّ الرجلُ أبا الرجل فيسب أباهُ ويسب أمّهُ) وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رحمَ الله مَن حفظ لسانه وعَرف زمانَه واستقامت طريقتهُ) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن من موجبات المغفرة بذلَ السلام وحسنَ الكلام) وقال (سبابُ المؤمن فُسوقٌ وقتاله كفرٌ) وعن أبي موسى رضي الله عنه قال (قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده، وقال (إن الله لا يُحب الفاحش المتفحش)

وقال عمرو بن عُتبة: نزّه نفسك عن استماع الخنَى، كما تنزّه لسانك عن الكلام به، فان السامع شريك القائل، ولو رُدت كلمة الناطق بالأذى في فيه لسعد رادُّها كما شقي قائلها

وقال المهلب : اذا سمع أحدكم العوراء فليطأطيء لها فتتخطاه

وقال حاتم

وكلمةِ حاسدٍ في غير جُرْمٍ سمعت فقلت مُرّي فانفُذيني
عنيت بها كأن قلت لغيري ولم يعرق لها يوماً جبيني

وقال أبو الحسن بن الحرث الهاشمي

تحرّ من الطرق أوساطها وعدّ عن الموضع المشتبه
وسمعكَ صُنْ عن قبيح الكلام كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند استماع القبيح شريكٌ لقائله فانتبه

وقال الشاعر

إذا ما بدت من صاحب لك زلةٌ فكن أنت محتالاً لزلته عذرا
أحب الفتى ينفي الفواحش سمعهُ كأنّ به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطٌ أذًى ولا مانعٌ خيراً ولا قائلٌ هجرا

وقال آخر

تجنب الفحشاء لا تنطق بها مادمت في جد الكلام وهزله
واحبس لسانك عن ردىءِ مقالةٍ وتوقّ من عثر اللسان وزلّهِ
كم كلمةٍ جرَت لرأس نقمةً كالدهر يرشُقُ نبلَهُ في نُبْلِهِ

١٨٤ — ﴿الغيبة والنميمة والسعاية وما ينجم عنها من المضار والاخطار﴾

الغيبة هي أن تذكر أخاك بما يكره ، والنميمة نقل الحديث من

قوم إلى قوم على وجه الإفساد ، والسعاية هي الوشاية بين النـاس باختلاق الأكاذيب ، وكلها صفات ذميمة تجلب الشر ، وتدعو الى الفُرقة ، وتوغر الصدور ، وتثير الأحقاد ، كيف لا وأنها داعية الفساد وأس الشقاء والبلاء ، تحط بصاحبها الى أسفل الدركات ، وتنفر النـاس منه : فيصبح ولا أنيس له ولا جليس ، ولعمري إن مثل هذا جدير به أن يفر من وجه الناس حياءً وخجلاً ، والعاقل من تبرأ من تلك الخصال الرديئـة ، وتطهر من أدرانها الخبيثة ، وعمل على محاربتها بكل ما في وسعه

قال الله تعالى (ولا تُطعْ كلَّ حلاَّف مَهينٍ ، همَّازٍ مشَّاء بنميم مَنَّاع للخير معتدٍ أثيم عُتُلٍّ بعدَ ذلك زنيم) وقال جل شأنه (يا أيُّها الذينَ آمنوا اجتنبوا كثيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بعضَ الظَّنِّ إثمٌ ولا تجَسَّسُوا ولا يَغتبْ بعضكم بعضاً أيُحِبُّ أحدُكم أنْ يأكل لحمَ أخيهِ ميتاً فكرِهتُموهُ واتَّقُوا اللهَ إن اللهَ توابٌ رحيمٌ) وقال عز وجل (يا أيُّها الذينَ آمنُوا إن جاءَكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا أن تُصيبُوا قوْماً بجهالة فتصْبحُو على ما فعلتمْ نادِمين)

وقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم (ألا انبئكم بشرار كم قالوا بلى يارسول الله قال شرار كم المشاؤون بالنميمه ، المفسدون بين الأحبةِ . الباغون العيوبَ) وروى البخاري عن أبي هُرَيرة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ملعون ذو الوجهين ، ملعون ذو اللسانين،ملعون كل شغّار،ملعون كل قتّات،ملعون كل منّان)

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام (من اغتيبَ عنده أخوه المسلم فلم ينصُرْهُ وهو يستطيع نصرَهُ ، أذلّهُ الله في الدنيا والآخرة) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (من ذبّ عن عِرض أخيه بالغيبِ كان حقاً على الله أن يقيهُ من النار) وقال عليه الصلاة والسلام (إذا وُقع في الرجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصراً وللقوم زاجراً وقُم عنهم) وقال (من كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعنّ الينا عوْرةَ أخيه) وقال (لا يراح القتات رائحة الجنة) وقال عليه الصلاة والسلام (لما عُرِجَ بي مَرَرْتُ بقوم لهم أظفارٌ مِنْ نُحاس يخمشون وُجُوهَهم وصدورهم فقلت مَنْ هؤلاء ياجبريلُ ،قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)
ورُوي أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلتا تغتابان الناس فأُخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (صامتا عما أحل لهما وأفطرتا على ما حُرم عليهما)

وقال علي كرم الله وجهه : الأشرار يتبعون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة)

وقال ابن عباس : اذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب أن تُذكر

به ، ودعْ منه ما تحب أن يدَعَ عنك

وقال المهدي : ما الساعي بأعظمَ عورة، ولا أقبح حالاً ، من قابل سعايته ، ولا يخلو أن يكون الساعي إليك حاسداً نعمةً . فلا تُشفِ غيظه . أو عدواً فلا تعاقب له عدوه لِئَلاّ يشمت به

وقال أرسطاطاليس : النميمة تهدي إلى القلوب البغضاء.ومن نقل اليك نقل عنك

وقال بعض الملوك لولده : ليكن أبغض رعتك اليك أشدهم كشفاً لمعايب الناس،فإن للناس معايب أنت أحقُّ بسترها،وأنت إنما تحكم بما ظهر لك ، والله يحكم بما غاب عنك ، وا كره للناس ما تكره لنفسك ، واستر العورة ، يستر الله عليك ما تحب ستره ولا تُصغِ إلى حديث ساع،فإن الساعيَ غاش،وإن قال قول نصيح

وقال بعض الحكماء : الساعي بين منزلتين قبيحتين ، إما أن يكون قد صدق فخان الامانة ، وإما أن يكون قد كذب فخالف المروءة ، وقال غيره :الصدق يزين كل أحد إلا للسعاة فإن الساعي أذم ، وآثم ما يكون إذا صدق

وقال بعض الأدباء لم يعش ماش شر من واش

وقال بعض الفضلاء : النميمة دناءة والسعاية رداءة ، وهما رأس الغدر ، وأساس الشر ، فتجنب سبُلَها ، وتحرز من أهلها

وقال آخر : إذا رأيت من يغتاب الناس فاجهد جهدك ألا يعرفك ،فإن أشقى الناس به معارفه

وقال بعض العلماء : السعاية الى كل ذي قدرة مهلكة .فكم دم أراقه سعيُ ساع ، وكم حريم استسح بنميمة نمام . وكم من صفيين تقاطعا ، وكم من إلفين تهاجرا ، وكم من زوجين تفارقا

ودخل رجل على عبد الملك بن مروان وكان معه جلساؤه فقال له أريد أن أسر اليك أمراً ، فقال لأصحابه إذا شئتم فقوموا فلما تهيأ الرجل للكلام . قال له عبد الملك إياك أن تمدحني فانا أعلم بنفسي منك، ولا تكذبني فإنه لا رأي لكذوب . أو تسعى اليّ بأحد فإن السعاية من أعظم الجرائم،وإن شئت أقلتك - قال أقلني

وقيل : النميمة سيف قاتل

وقال أبو تمام

ومن يأذن الى الواشين تُسلق مسامعه بألسنة حداد

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا تأمن غوائل ذي وجهين كيّاد

لا تقبلنّ نميمة بُلِّغتها وتحفظنّ من الذي أنباكها
إن الذي أهدى اليك نميمةً سينم عنك بمثلها قد حاكها

من نمّ في الناس لم تؤمن عقاربه   على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به أحد   من أين جاء ولا من أين يأتيه

١٨٥ — ﴿ الحقد والحسد وأثر ضررهما في الهيئة الاجتماعية ﴾

الحقد والحسد صفتان مذمومتان تأكلان حسنات صاحبهما كما تأكل النار الحطب ، فهما منشأ العداوة والبغضاء ، وسبب كل قطيعة. وتفرق كل جماعة ، وإن الحسود لخارج على ربه، غير راض قسمته في خلقه، فهو يعارضه فيما قضى وقدر، على طبق علمه ومقتضى حكمته، وقد جلب على نفسه غماً لا يهدأ، وناراً لا تنطفئ، فلا يستقر له بال ، ولا يستريح له ضمير ، فحري بالعاقل أن ينفك نفسه من تلك الأغلال ، ويخلص من كابوس هاتيك الخصال ، فتسعد حاله ويفوز بالرضا والرضوان . قال الله تعالى (أَمْ يَحسدون الناسَ على ما آتاهمُ اللهُ منْ فضلهِ) وقال جل شأنه (وَمن شرِّ حاسدٍ إذا حسد) وقال عز وجل (وَإِنْ يَكادُ الذين كفروا لَيُزْلِقونَكَ بأبصارهمْ لمّا سَمِعوا الذكرَ وَيقولونَ إِنّهُ لمجنونٌ)

وروي عن أنس أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً ولا يَحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام) وروى الطبراني أنه قال عليه الصلاة والسلام(ليسَ مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا

أنا منهُ — ثم قرأ (والذين يُؤْذُونَ المؤمنينَ والمؤمناتِ بغيرِ ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وَإِثماً مبيناً)

وروى ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال (قيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب صدوق اللسان ، قالوا صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ، قال هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غِلّ ولا حسد)

وقال عليه الصلاة السلام (دبّ اليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسدُ هي الحالقةُ حالقة الدين لا حالقةُ الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أُنبئكم بأمرٍ إذا فعلتموه تحابيتمُ أفشوا السلامَ بينكم ، وقال (المؤمن يغبط — والمنافق يحسد)

وقال عبد الله بن المعتز : الحاسدُ مغتاظٌ على منْ لا ذنبَ له بخيل بما لا يملكه ، طالب ما لا يجده

وقال الحسن بن علي : يحسد أحدهم أخاه حتى يقع في سريرته وما يعرف علانيته، ويلومه على ما لا يعلمه منه، ويتعلم منه في الصداقة ما يعيّره به إذا كانت العداوة

وقال الجاحظ : من العدل المحض والإنصاف الصريح أن تحطّ عن الحاسد نصف عقابه، لأن ألم جسمه قد كفاك مؤنة شطر غيظك

وقال معاوية رضي الله عنه : ليس في خصال الشر أعدل من الحسد ، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود

وقال بعض الحكماء : من صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة

وقال غيره : من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد . وقال غيره ما أمحق للإيمان ولا أهتك للسترِ من الحسد ، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله تعالى باغٍ على عباده ،عاتٍ على ربه ، يعتد نعم الله نقماً ، ومزيده غِيَراً ، وعدل قضائه حيفاً ، للناس حال وله حال . ليس يهدأ لبله، ولا ينام جسمه ، ولا ينفعه عيشه ، محتقر لنعم الله عليه ، متسخط ما جرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله . إن سالمته وترك ، وإن واصلته قطعك وإن صرمته سبقك

وقال بعض الأدباء : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود له نفسٌ دائم ، وهمٌ لازم ، وقلب هائم

وقال بعض العلماء : من انقاد للطبع اللئيم، وغلب عليه الخلق الذميم حتى ظهر حسده واشتد كمده فقد باء بأربع مذام

إحداهن حسرات الحسد، وسقام الجسد ، ثم لا يجد لحسرته انتهاء ، ولا يؤمل لسقامه شفاء

والثانية انخفاض المنزلة،وانحطاط المرتبة لانحراف الناس عنه

ونفورهم منه

والثالثة مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محباً، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم ولياً

والرابعة إسخاط الله تعالى في معارضته ؛ إذ ليس يرى قضاء الله عدلاً ، ولا لنعمه من الناس أهلاً

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا إلا الحسودَ فإنه أعياني

ما إن لي ذنباً إليه علمته إلا تظاهر نعمة الرحمن

وأبَى فما يرضيه إلا ذلتي وذهاب أموالي وقطع لساني

إني لأرحم حاسدِيَّ لحرّ ما ضمّت صدورهُم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نارِ

لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي فكأنما برقعتُ وجهَ نهار

وسترتها بتواضعي فتطلّعَتْ أعناقها تعلو على الأستار

لا يحمل الحقدَ من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الحسد

إن الحسود الظلوم في كُرَبٍ يَخالهُ مَنْ يراهُ مظلوما

ذا نفَس دائم على نفس يظهر منها ما كان مكتوما

يا طالب العيش في أمن وفي دَعةٍ رغداً بلا فتر صفواً بلا رنق

خلّصْ فؤادكَ من غل ومن حسد فالغل في القلب مثل الغُل في العنق

أيا حاسداً لي على نعمتي أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه · لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني · وسدَّ عليكَ وجوهَ الطلب

١٨٦ — ﴿ وصف روضة غناء ﴾

روضة واسعة الأرجاء، فسيحة الأنحاء، تحار فيها الأبصار، وتقصر عن وصفها الأفكار، ترابها من مسك وكافور، وحصباؤها الدر النضير قد فاح أرجها، وأضاءت سرجها، جنة عالية، قطوفها دانية، وطلحها منضود، وظلها ممدود، وأعلام أشجارها مرفوعة، وفاكهتها كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، خضرة نضرة انيقة، طلولها وَديقة، واغصانها وريقة، ذات الوان وافنان، واكمام واكنان، وثمرات حسان، قد فاح الطيب من مجامر أزهارها، وصاح خطيب العندليب على منابر اشجارها

والورد في اعلى الغصون كأنه · ملك تحف به سَرَاة جنوده

وترنم البلبل على العيدان، فتمايل تمايل النشوان، او القيان الحسان وقد ملئت من أنواع الأزاهر، والوان النبت الباهر، بدرّ وزبرجد وفضة وعسجد، تجوس المياه خلال ديارها، وتشرق بآفاقها انوار انوارها، وبرز ابريزها، وحسن تطريزها، وابدت من زينتها ما هو باللطف منعوت، ونثرت على الزمرد أصناف الدرّ والياقوت عاليها من رونق الورق المونق، ثياب سندس خضر واستبرق، فيها ماتشتهي الأنفس وتلذ الاعين، من اثمار ذات بهجة، وازهار تنعش

المهجة ، فتحلت بما يروق لسان كل انسان ، وتجلت في رفرف خُضر ، وعبقري حسان

في روضة غناء غناها الصبا فترقصت طرباً غصون البان

ومن نظر الى ما فيها بعين الحقيقة ، وسرَّح بصره في هذه الروضة الانيقة ، لشكر ايادي صانعها ولجأ اليه ، واثنى على صانعها وان كان لا يحصى ثناء عليه

تأملْ في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات بأبصار هي الذهب السَّبيك
على قُضُب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

١٨٧ — ﴿ مصر كنانة الله في أرضه من أرادها بسوء قصمه الله ﴾

لعمرك ما مصر وانه هي الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان والحور عينها وروضتها المقياس والنيل كوثر

مصر مدينة ذات محاسن ، فيها انهار من ماء غير آسن ، روضة اريضة ، عيون ازهارها مريضة ، وانواع البركات من نهرها مفيضة ونوازع الهموم والغموم بها مريضة ، كأنها بدر والنيل حولها هالة او شمس في وسط سماء ليس عليها سحابة او غلالة ، او سرير ملك نصب في ميدان ، او قاب جيش له مصر والجزيرة جناحان ، مقر العلماء الاعلام ، والقضاة والحكام ، كم سكن بها من خلفاء

وملوك وامراء ، ورؤساء ووزراء ، وفقراء واغنياء ،وكتاب وشعراء تقام فيها معالم العلوم والفنون ، ونغمات والحان ، وتدريس أفنان وقضاء أوطار ، وضرب أوتار ، كل نفس بما كسبت رهينة . وعلى ما حملت من أمانة دينها أمينة ،فهذا يسعى في خلاص ذمته،وهذا وقعه القدر في حبائل جنايته بخيانته ، قل كلٌ يعمل على شاكلته

بها ماشئت من دين ودنيا	وإخوان تأسوا فى المعاني
فمشغوف بآيات المثاني	ومفتون برنات المثاني
وكم من قارىء فيها وقار	أضرا بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها	وناد للندى حلو المجاني
فصل إن شئت فيها من يصلي	وإما شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها	أو الكاسات منطلق العنان

قال ابن أياس أن بعض الحكماء وصف أرض مصر فقال : هي في ثلاثة أشهر (لؤلؤة بيضاء) وثلاثة أشهر (مسكة سوداء) وثلاثة أشهر (زمرّدة خضراء) وثلاثة أشهر (كهرمة صفراء) وذلك لأن أرض مصر يركبها النيل وقت فيضانه، فتكون بيضاء من افتراش الماء عليها — ثم تصير مسكة سوداء متى نزل الماء عليها — ثم تصير زمردة خضراء وقت الربيع — ثم يصير زرعها أصفر كالذهب

فمن الناس من يسكن مصر ليعدّها عوناً على تقواه، ومنهم من

يعدّها للعبه وملهاه ، هذا يرعى فيها النجوم ، ويناجي الحي القيوم وهذا يغفل ليله الى الصباح أو يقطعه بما هو عليه ملوم ، هذا ينظر اليها بعين الفكرة ، والتبصر في عجائب القدرة ، وهذا ليس له منها إلا الابتهاج بنضارة الزهرة

رأيت رياض القدس في روضة المنى	على نيل مصر بين تلك المناظر
مناظرها للناظرين مشارق	وفيها وجوه كالبدور البوادر
ويشبه سيب الماء فيها صوارماً	بأيدي الهناسلت لسلب النواظر
عليها جلال الله جلّ جلاله	وفيها سرير السر سرّ السرائر

يحيط بأرجائها النيل الميمون، فيبرى من الأسقام عليلا، ويشفي من الأوار غليلا

ديار مصر هي الدنيا وساكنها	هم الأنام فقابلها بتفضيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها	مصر مقدّمة والشرح للنيل

والنيل حياة الأرواح والأنفاس، ويحتشر له الناس، ويحج فيه الى المقياس ، وفي الحقيقة هو خلعة رضى ولباس ، ويبلغ الخلق من النيل غاية النيل، ويسحب الماء على بساط الأرض الذيل، ويركب اليه الملك والجنود، ويكون للناس من مائه ولونه المحمر ورود

ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وله في كل سنة أجل معدود

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا ... كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه ... محلق تملأ الدنيا بشائره

١٨٨ — ﴿ النور وأثره في الإنسان والحيوان والنبات ﴾

النور حاجة من حاجات الجسم، يسر من وجد فيه للحصول عليه كما يتألم لفقدانه . فهو يزيد الجسم قوة ونشاطاً ، والقلب طهارة والفكر جودة - انظر إلى العصفور فإنه يصفو حاله في النور، ويترنم بالحانه ، ويغرد بصوته الجميل، ويقضي وقته في سعة من السرور، وإن حرمه اضطرب لفقده، وفترت همته فلا تسمع له صوتاً ولا لحناً — قال كبار الحكماء (المحل الذي لا يدخله الشمس يزوره الطبيب) وقال آخر (لابد من طبيب للعائلة ، والأفضل أن يكون هذا الطبيب نور الشمس) وانظر أيضاً إلى النباتات والأثمار، فلا تنبت ولا تنضج إلا بالنور — فهو أس السعادة وأصل الوجود، وسبب النمو والصعود وعليه مدار الصحة والصفاء ، بل هو حياة من في الأرض والسماء فيلزم الاعتناء بوصوله إلى محلات النوم والمطالعة

١٨٩ — ﴿ اللغة العربية ومزاياها على سائر اللغات ﴾

إن للغة العربية من الفوائد، خزائن لا تنفد ، وكنوزاً لا تفنى وبدوراً لا تحجب ، وعيوناً لا تنضب، ورياضاً لا تذوي ، ولكن لا يصل اليها إلا من غاص بحرها، وولى وجهه شطرها، وسبر كنه

أغوارها ، وجاس خلال ديارها ، وجاب نجادها ووهادها ، وراد مروجها ، وورد مناهلها — ومن المزايا التي تترتب على معرفة العربية وتمتاز بها على سائر اللغات الأعجمية ، كونها أوسع من غيرها من اللغات ، وأكثرها طرقاً في فن الكتابات ، وأفصحها مقالاً ، وأفسحها مجالاً ، وأوفقها للنظم طباعاً ، وأطولها في النثر باعاً . فيمكن أن يؤتى في المقام الواحد بدرجات من الإسهاب ، وأنواع من الإيجاز تستطاب إلى غير ذلك من أساليب البلاغة والبراعة ، التي توسع مجال اليراعة

وكونها غير قابلة للانعدام ، كغيرها من لغات الأنام ، لأنه نزل فيها كتاب عربي مبين ، تلاوته من أعظم العبادات عند جميع المسلمين ، فما دام هذا الدين قائماً ، كان هذا اللسان موجوداً دائماً بخلاف اللغات الأخرى فليس فيها كتاب يتعبد بمجرد تلاوة كلامه لاعتقاد أربابها أن الترجمة كافية في بيان مرامه . وقد أوصى أحد فلاسفة الالمان يوماً تلاميذه فقال (إذا أردتم أن تكتبوا فكراً تأمنون عليه كرور الأجيال فاكتبوه بالعربية فإن لها دون غيرها من اللغات مزية ، فقالوا وما مزيتها فقال (لأن في العالم أمة عظيمة العدد ترى من أصول دينها تلاوة كتاب فيها يسمى « القرآن » ولا شك في بقاء الأديان في الأمم العظيمة الشان ، وحينئذ فلا ريب أن هذا الكتاب يبقى ما بقي هذا الدين . وان العربية تبقى ما بقي هذا الكتاب)

وما يطنطن به بعض الناس من قصورها، إنما هو عن جهل بها أو لغرض يعسر اخفاؤه، وما يعترض به من أن الاستكشافات في هذه العصور كثيرة، وليس فى اللغة العربية كلمات للدلالة عليها فاعتراض ضخم في الظاهر فارغ في الباطن

وما مثله إلا كفارغ بندق خليٌ من المعنى ولكن يفرقع

فإن باب الاصطلاح ليس مغلقاً في اللغة العربية مفتوحاً في غيرها

وبالجملة — اللغة العربية أليق اللغات وأكفلها بحاجة العلوم فمن ذلك سعتها، فعدد كلمات اللغة الفرنسية ٢٥ ألف، كلمة — وعدد كلمات الانجليزية ١٠٠ ألف كلمة (على ان معظم هذا العدد الاخير اصطلاحات صناعة) وعدد مواد العربية ٤٠٠ ألف (مادة لا كلمة)

وبسبب غنى اللغة العربية وسعتها نجد فيها للمعاني الشديدة التقارب كلمات خاصة بكل معنى، مهما كانت درجة التفاوت، وبذلك لا يكون محل للالتباس أو الإبهام في التعبير اللذين هما آفة العلم والأدب

١٩٠ — ﴿ماهي الحاجة الماسة لحفظ اللغة العربية الفصحى ومضار استعمال العامية كتابة﴾

غير خاف أن اللغة العربية رابطة عامة لعدة من الخلائق في المغارب والمشارق، ولحمة عظمى لجملة من الأمم، صلتها من آكد الصلات، وحرمتها من أعظم الحرم — ولا يكفي في عقدهذه اللحمة

اللغة العامية،لأن لكل شعب فيها طريقة خصوصية فلهجة المصريين أو الحجازيين تخالف لهجة غيرهم من المغربيين أو الشاميين،فالأمر العام الذي ترجع هذه اللهجات اليه ويعتمد في مبادلة الأفكار المختلفة عليه،هو اللسان الصحيح الشريف،لسان التحرير والتأليف — أجل ن اللغة العربية مفتاح العلوم ومصباح الفهوم ، وواسطة لإدراك ما يجده الإنسان ، ويقع تحت العيون والآذان ، تجعل صاحبها قادراً على ارسال أشعة أفكاره الى أبناء جلدته فيستجلون ضياء أنواره ولا يجدون في طريقهم عقبات من العقادة تحجب عن الطالبين مراده بخلاف من تقاعدوا عن الحصول عليها ، وتقاعسوا عن تعلمها وصرف الهمة اليه . فلا يعرفون قيمتها إلا عند الشروع في العمل، ويأسفون حينئذ على حرمانهم من مزاياها لطاعتهم دواعي الكسل ويندمون ولا ينفع الندم حيث زلت القدم

وليس من وسيلة لحفظ لغة أمة أقوى من استعمالها في التعليم والتعلم ، ولا واسطة لنماء علم بين أمة ونشر التعليم بين بنيها غير استعمال لغتها — فبديهي أن استعمال أمة لغة غير لغتها في التعلم والتعليم هو هجر للغتها واماتة لها ، فاللغات المسماة الآن ميتة ما صارت كذلك إلا لهجرها

وهناك أمر أشد خطراً وأعظم وقعاً وضرراً وهو أنه لما كان

السواد الأعظم من الشرقيين هم المسلمون وكان هذا الدين الاسلامي قائماً بالقرآن الكريم الذي هو باللغة العربية لزم لأجل فهمه اللغة العربية بحيث متى انعدمت انمحق الدين الاسلامي وهلك السواد الاعظم من الشرقيين دنيا وأخرى لأن الدين هو ملاك الأمر والعروة الوثقى التي لا انفصام لها

أجل — إن من أحبّ الله أحب رسوله العربي ومن أحبه أحب العرب ومن أحبهم أحب اللغة العربية ومن أحبها عنى بها وثابر عليها وصرف همته اليها فان العرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة — والإقبال على تعلمها من الديانة إذ هي أداة العلم وواسطة التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد — ثم هي لإحراز الفضائل واشتمالها على المروءة وسائر مكارم الاخلاق، ولو لم يكن في الإحاطة بمعرفة مبانيها والوقوف على حقائق معانيها وتصاريفها ومجاريها والتبحر في جلائلها ودقائقها ومجازاتها وحقائقها إلا قوّة اليقين في معرفة اعجاز كتاب الله المبين وزيادة التبصُّر في إثبات النبوّة التي هي عمدة الإيمان لكفى بالعربية الفصحى فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره

١٩١ — ﴿ فوائد تمهيد الشوارع ونظافتها وإنارتها ﴾

مما يستدل على حالة التمدين والحضارة ملاحظة كيفية الشوارع

والأزقة — فمن أهم الواجبات بذل الهمة وامضاء العزيمة في تحسين وتجميل شوارع البلاد — على أنه لا يسمح لهم التمدين قط بترك الشوارع والأزقة ضنكة معوجة رديئة التبليط والتخطيط مظلمة الأرجاء قذرة الأنحاء بل يطلب منهم دائماً أن تكون مستقيمة عريضة نظيفة مدكوكة ممهدة، وذلك لأن الشارع أو الزقاق اذا كان ضنكاً يمنع سهولة تجدد الهواء ويعوق امتداد النور الى مخازن الناس أو حوانيتهم فيجعلهم مستعدين للآفات الليمفاوية والدرنية كالسرطان والخنازير والسل والاورام ونحو ذلك — واذا كان معوجاً فانه يعسر انطلاق خطوات الناس فتعثر أرجلهم وتتلاطم صدورهم وتتقارع جباههم وحينئذ يكون السير في الزقاق عراكا لا انتقالاً وإذا كان وعراً غير مستو فانه يصدع أقدام الماشيين ويسبب سقطات البهائم تحت أحمالهم الثقيلة فتهشم حوافرها وتتكسر أرساغها فضلاً عن المؤذيات التي تنجم من الشتاء في تلك الطرق الوعرة فيؤثر فيها بحيرات من الأوحال تمنع الذهاب والأياب وتقفل للتجار والصناع الأبواب. عندها تقف حركة الأعمال وتتعطل الأشغال وتتجرع الفقراء كأس الذل والهوان، ولا يبقى سبيل لسلوك العميان ومن حيث أن الأقذار والأوساخ لها أشد الأفعال السمية فلا يسوغ والحالة هذه تغافل ولاة الأمور عن ملاشاتها، ويجب

الاعتناء الوافر بحفظ النظافة العامة للأسواق والشوارع والخاصة للبيوت وللمساكن فراراً من تلك التأثيرات الرديئة ومراعاة حق المدنية

١٩٢ - إنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

التاريخ حياة الذكر ومدبر الحياة يسجل لكل واحد المجد والشرف والفخار، أو الذل والضعة والعار — فهو الحكم المطلق، الواقف بالمرصاد، يكافئ من حسنت سيرته، ويعاقب من ساءت خطته

المرء بعد الموت أحدوثة يفنى وتبقى منه آثاره

فأحسن الحالات حال امرئ تطيب بعد الموت أخباره

وإن أعمال الانسان كالنجوم، والحياة كالنهار، والموت كالليل، لأنه لا يظهر فضل المرء الا بعد موته ولا يعرف مقامه إلا بعد ذوقه كأس الحمام — فكما أن النجوم لا تظهر الا في الليل كذلك الرجل لا ترى أعماله الا بعد موته، فان كانت صالحة ترى القوم قد عدّت مآثره، وكان محمود الشهرة طيب الثناء يخلد له التاريخ صفحة بيضاء وإن كانت طالحة فقد صبَّ عليه ربه سوط عذاب، وأصحبه قومه باللعنات، وصار اسمه لا يذكر الا مرادفاً بالتهكم مقروناً بالاحتقار - وما ذلك الا لأنه حاد عن طريق الخير وشذ عن فعل المعروف ولم يراع للعاقبة حقاً، ولم يخش لها بأساً، ولم يدر ماذا يكون بعده مما يسجله التاريخ له من المجد والفخار، أو الخسة والاحتقار

وأفضل الناس من طمح ببصره الى الأمام وعلم أن الآجال صحائف الأيام فخلدها أفضل الأعمال وجرد تاريخه من نقطة سوداء تشوه وجه صحيفته البيضاء حتى كان مثالاً حسناً لمكارم الأخلاق وجمال الطباع نصيراً للمروءة فهذا الذي يسجل له التاريخ ذكراً حسناً وحديثاً عاطراً وأثراً خالداً

فيرى على مر الدهور لدى الورى حياً بما أولاه من احسان

بخلاف من جعل مطمح نظره الشهوات واللذات وأفنى عمره فيما لا يغني ولا يثمن من جوع فحشر نفسه في زمرة من لا يخافون عقاباً ولا يتحاشون عذاباً فيغير الله نعمته ويحل به نقمته ويسجل لنفسه الخزي واللعنة الى يوم الدين وحقت عليه كلمة العذاب

حياتنا كالموت إن لم نكن نرجى الى تخليد ذكر يدوم

وعلى الجملة — أن من ترك له ذكراً حسناً لم يمت أبداً — قال عليه الصلاة والسلام (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) فهذه ثلاث فضائل جامعة شاملة لأساس الدنيا والدين في حق صاحب العمل كي تديم عمله وتجعله باقياً — فهذه الفضائل مخلدة للذكر مؤبدة للأجر وبضدها تتميز الأشياء

نافث على الخيرات أهل العلا فإنما الدنيا أحاديث

كن محسناً مهما استطعت فهذه الـ ـدنيا وإن طالت قصير عمرها
إن المـآثر في الورى ذرية يفنى مؤثرها ويبقى ذكرها
فترى الكريم كشمعة من عنبر ضاءت فإن طفئت تضوع نشرها

فالدنيا دار كثير سكانها، عديد قاطنوها، تختلف آراؤهم بحسب اختلاف مطالبهم ومشربهم — وينقسمون إلى فرق متعددة كل منها يقوم بعمل دون غيره — فالأطباء يعالجون المرضى، والقضاة ينظرون في القضايا ومحاكمة المجرمين — والمهندسون لبناء المساكن وإصلاح طرق الري — والنجارون لعمل ما يلزم للمنازل من أبواب ونوافذ وغيرها — والحدادون يسبكون الحديد. والكل يسعى في هذه الدار لينال قسطاً من المال يساعده في الحياة أو ليؤدي واجباً مفروضاً عليه وهو العمل — ولعمر الحق ما الحياة إلا شقاء ونصب يولد الإنسان باكياً علامة له على شقائه فيها وعذابه الدائم الذي لا ينتهي إلا بانتهاء أجله، ويموتُ باكياً من شدة الألم، وينتقل من داره التي يسكنها إلى القبر الذي يجعله مأواه ومسكنه، ويصير جسمه الذي كان كالزهرة النضرة جثة هامدة لا حراك فيها، وبعد ذلك تتحول الجثة إلى رفات سحيق — فإذا تأمل الإنسان وتبصر وعلم أن ذلك هو حاله، لنبذ ملاذ الدنيا، ولعاف النفس عن الهوى، واعلم أن الجنة هي المأوى، فلا يترك حسنة إلا ويأتي بها، ولا سيئة إلا

ويتخلى عنها . ويكون حقيقة هو الرجل الذي عرف الحياة وقدرها وعرف الآخرة وأعدَّ لها من الحسنات والفضائل ما يخلد له ذكراً حسناً

إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً فعما قليل أنت ماض وتاركه

(١٩٣)

﴿إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب، قعدت وأنت كبير حيث تكره﴾

لا يخفى أننا نجد من شعورنا الإنساني أن الأحوال النفسانية المختلفة كالتفكر والإحساس والإرادة صادرة عن شيء باطني قائم بذاته مغاير للجسم ، فهذا الشيء يسمى بالنفس أو الروح -- وبما أن شعورنا يبقى على حالة واحدة من الصغر إلى الكبر، وأن الجسم تلحقه التغيرات المختلفة ، نعلم أن النفس ليست بمادة وليست قابلة للقسمة، وأنها شيء آخر مخالف للجسم ولكنها مرتبطة به حيث نجدها تقتسمه أحواله ، كالقوة والضعف والصحة والمرض ، كما أن الجسم مرتبط بها ويقتسمها أحوالها كالفرح والحزن وخلافهما

ثم أن التفاعلات المتغايرة التي بين الجسم والنفس إما أن تكون منسبية عن النفس أو عن الجسم. وذلك إذا كانت حالة من أحوال النفس تتولد من أثر ظاهري في الجسم تعتبر تفاعلاً سببه الجسم. وإذا كانت حالة من أحوال الجسم تتولد عن أثر باطني في النفس تعتبر تفاعلاً سببه النفس

وينتج من ذلك أن الأحوال الجسمية الظاهرية تكون محسوسة للنفس وأن الجسم تلحقه الحركة بواسطة تأثير النفس فيه

وأقرب أجزاء الجسم من النفس هي الأعصاب، لأنها توصل الآثار الظاهرية إلى النفس وتكون واسطة لها في تأثيراتها في الظاهر، وتدعو الجسم بواسطة الاحساسات النفسانية إلى الحركة الاختيارية، ولذلك يمكن أن تعتبر الأعصاب آلات للنفس

والأعصاب تكون فعالة إما بواسطة التأثيرات الظاهرية أو الباطنية، فالظاهرية كالضغط والضرب أو الحرارة والنور والكهربائية — والباطنية كدورة الدم والأحوال الصادرة عن النفس

والأعصاب منها ما ترسل الآثار من محيط دائرة الجسم إلى مركز الإحساس النفسي، وتسمى أعصاب الإحساس — ومنها أعصاب ترسل التأثيرات النفسانية الطالبة للحركة إلى محيط الجسم وتسمى أعصاب الحركة الاختيارية إن كانت مسبوقة بالارادة — والاضطرارية اذا لم يسبقها إرادة — وهناك حركة شبيهة بالاضطرارية كالضحك عند رؤية شيء غريب، وكحركة الدم عند الحياء والخجل، وكحركة الأعضاء الصادرة تحفظاً كتغميض العين اتقاء خطر، والحركات التقليدية كالتثاؤب عند رؤية آخر قد تثاءب — وغير ذلك، ويعد من ذلك النوع الحركات الطالبة لها الآداب في المقابلة والمؤانسة الإنسانية فهي وإن

كانت اختيارية فالتمرن عليها يجعلها كالاضطرارية، فالذي يتربى بأخذها تصير له عادة، وطبعاً لا تحتاج في صدورها إلى ارادة منه

ولما كانت النفس في الإنسان أمارة بالسوء ميالة للشر طلابة للراحة احتاج الناشىء في صغره الى مزيد عناية، فمن ألهم الله والديه أن يرضعاه ثدي الأدب والجد من صغره ووهبه مع ذلك عقلاً كاملاً، شب وحب الإرتقاء يشب في صدره، وذروة المجد مرمى نظره وخدمة الوطن كل أمله، فلا يستصعب شاقاً، ولا يجد في طريقه للمجد عائقاً، فهو ينفر من الراحة، ويأنف الانغماس في اللهو مع السفلة ويجد نفسه أعلى مقاماً وأرفع منزلة من أن يدنس سمعته أو يلوث صيته بالانكباب على اضاعة الوقت فيما يضر ولا طائل تحته فيمقت جنبه المضجع وتبغض عينيه الكرى إلا إغراراً أو مضمضة

ومن أهملاه والداه شب والكسل قرينه والهاوية قطينه والفقر أليفه والعجز حليفه يعيش ليأكل ويقتل الوقت الثمين ولا يميز بين الغث والثمين، حتى اذا كبر صدمته مصائب الحدثان، وافترسته مخالب الزمان

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

قال الامام الغزالي (الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ماينقش

ومائل الى كل مايمال اليه به، فإن عوّد الخير نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة — وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدبه — وإن عوّد الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه) وحينئذ فلا بد للإرتقاء الأدبي من التربية وهذه يجب أن يبدأ بها من الصغر

١٩٤ — ﴿ فوائد ومضار الانتقاد ﴾

الانتقاد والفحص من أحسن الوسائط لإصلاح الاعمال وترقيتها وتطهيرها مما طرأ عليها من الفساد اهمالاً أو سهواً أو جهلاً — وان النفس المهذبة المتربية لترتاح لمن يقوّم عوجها من عالم عليم ، وامام حكيم، فيسمع قوله ويخشى لومه ويتقبل انتقاده بقبول حسن - فبذلك تتقدم العلوم والمعارف ولا يظهر منها إلا ما هذبته العقول ونقحته الأفكار وأصلحته الأنظار والأبصار . فتتجلى في أحسن مثال وأبهى منظر وكمال ، منطوقها الحقائق ومفهومها الدقائق يعلو وجهها البشر والسرور ، ويقرها جميع الجمهور ، وبذلك تقوم المصلحة العامة على قدم الأمانة وتسير الأمة في سبيل الرقي والنجاح فيسمو عزها ويبسط سلطانها

وقد اعتنى به الغربيون اعتناء عظيماً لأنه يدعو الحاكم والكاتب والتاجر والصانع لبذل جهده في اتقان عمله ، فتتقدم البلاد وتحسن

حالتها حساً ومعنى، فهم لا يبزغ بينهم كتاب ولا يشرق عندهم مخترع حتى يفحصوه ـ ص الناقد البصير فيظرونه من كل وجهة ويزنونه وزناً دقيقاً . ىذلك طهروا المطبوعات من المضر والتافه والساقط فلا يجسر عى اشر م كتب الا الكفء القدير الواثق بعمله الطالب نفع وطـ ، وإلا كان عمله إذا أقدم تجارة يهددها سوق الكساد ولا ـ ان تبور ويضرب بها عرض الحائط

والانتقاد من أ ١٠ أنشئت لأجله الصحف والمجلات وهو أجل منافعها إذ به يرتدع الظالم عن غيه ويجبر المستبد على الوقوف عند حد، فهي توصل ـ وت الشعب وتعبر عن رأي الامه لمن يقدر على تلبيتها وإجابة ندائه الا صاخة لمطالبها وتخفيف ويلاتها ومصائبها!

وبالجملة — الانتقاد ـ ب من ضروب الاصلاح إذا كان الغرض منه الإرشاد الى الصو ـ والتنبيه عن الخطأ والحض على الصحيح والا صار مجلبة للشقاء والاحقاد ومثار التنافر والعناد وحينئذ يسقط نفعه ولا يحسر وقعه بل يصير تعنتاً ودعوى كاذبة يلصق العار بالمنتقد ويحط ـ كرامته لأن قصده إرسال ما في كنانة غيظه من سهام التشفي والانتقاص

فاذاً يجب على نقد ألا يضرب بحسمه إلا صفحاً كي لا يجرح شعور المنتقد جرحاً مميتاً قاتلاً — ويجب عليه ألا تبلغ

لهجته الشدة ولا تتجاوز اللائق بالأديب من الرقة — ويجب عليه أن يدرأ العيوب بالشبهات فاذا لم يجد شبهة فلا مناص من الانتقاد

كما أن الواجب على من انتقد عمله أن يقدّر الانتقاد الصحيح حق قدره وينظر فيه نظر من يريد الصواب وينشد الهداية ويبحث عن موقع الخطل ولا يتعالى ويتغطرس شامخاً بأنفه، فما هو بالمعصوم وإن هو سما علا كعبه في فنه إلا إنسان — والله وحده هو الذي تفرد بالعصمة والكمال

١٩٥ — ﴿ فوائد ومضار التقليد ﴾

التقليد التشبه بالغير إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والعاقل من قلد غيره في الفضائل والكمالات، ونافسه في اقتناء الخيرات وزاحمه في كمال الأعمال، وتشبه به في جلائل الأفعال

هذه أمة الغرب التي ما كانت تذكر قلدت الشرق عند ما كان شمساً مشرقة أيام الحروب الصليبية فارتقت، وأخذت عن العرب أحسن العادات، وأفضل الصفات، وكمال العرفان، وأصبحت الآن هي التي تضيء العلم والعمل على أرجاء المشرق الذي غربت شمسه وأشرقت عليهم. وكلنا لاه يمرح ويلعب، وتفعل الغربيون بنا ألاعيبهم ونحن اطوع لهم من خيال، وتبعناهم تبع المقلد الأعمى. فياله من داء عضال

أختلفت في أدوائه رجال الشرق، فمن قائل لا سبيل لنا إلى الخروج من ربقة هذا الانحطاط إلا تقليد الأمة الفلانية، واختار أمة من الأمم الغربية، أشرب في قلبه حبها فأخذ يبث أعمالها ويؤم أميالها ومن مدع أن التقليد لهذه الأمة لا يوصلنا للغرض المطلوب وأنه يجب علينا أن نقلد الأمة الشهيرة وانتقى له أمة أخرى مدحها وفضلها على سواها، وهكذا حتى كثرت الأحزاب، واختلفت الأميال وصار كل حزب بما لديه فرحاً، ونسوا أو تناسوا الدواء الشافي وهو رجوعهم إلى كتابهم وعوائدهم وأخلاقهم والتمسك بعقائدهم ودينهم هؤلاء هم رجال الصدر الأول من الإسلام لم يبلغوا هذه الدرجة الفخمة التي ترتعد لها قلب الجبان، ويعجب منها كل انسان، إلا لكونهم كانوا يرجحون غيرهم في الشجاعة ولا يسامون إلا في الفضيلة ولأنهم كانوا مستكملي المدد والعدد– بل لأنهم اجتمعوا تحت كلمة واحدة وانقادوا للقانون الشرعي الذي هو كافل لأحوال المعاش والمعاد فكانوا متحاكمون اليه في السلم والحرب وجميع الاعمال بحيث لا يبتون أمراً من الامور إلا بعد عرضه على قواعد الدين وأحكامه فإن ساعدت عليه أتوه وإلا تركوه وبهذه الحالة صار جانبهم محفوظاً وسلطتهم نافذة وقوتهم مشهورة وأعمالهم مرضية إذ كانوا لا يولون الامور الا أربابها قائمين باقامة الحدود محافظين على شعائر الدين الى أن غير الأمراء والرجال ما في

أنفسهم واتبعوا شهواتهم وبدّلوا وجهتهم وفرّقوا كلمتهم فحقت عليهم كلمة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ولا تنشط أمة من عقالها أو تقوم من رقدتها أو تستيقظ من غفلتها إلا بباعث يبعثها ومنبه ينبهها كذكر مجد أسلافهم وتقليدهم في أعمالهم ، وأفهامها أن لهم استعداداً للكمال ورجائهم الخير وتوسمهم إقبال الزمان وتبسم الدهر في وجوههم

وقصارى القول ان التقليد غريزة أودعها جل شأنه في نفس الانسان لتكون داعية العمل ورائد الرقي ومبعث الحركة ومطلع شموس المدنية والعمران

يولد الطفل وهو لايعلم شيئاً من شؤون الحياة فتراه مولعاً بتقليد أمه وأبيه وسائر ما يقع تحت حواسه من حسن أو قبيح فجدير بالإنسان أن يصرف تلك الغريزة الى النافع من الاشياء ويجعلها وصلة بينه وبين أعاظم الرجال فيقلدهم فيما أتوه من جليل الأعمال فان شاء فليكن مرشداً حكيماً أو قائداً عظيماً أو طبيباً ماهراً أو منشئاً محرراً أو سياسياً محنكاً أو أصولياً بارعاً أو سائحاً متجولاً أو قاضياً عادلاً او وزيراً نصوحاً أو خطيباً فصيحاً أو شجاعاً مدافعاً أو تاجراً رشيداً أو مخترعاً مفيداً — فانه إن فعل ذلك علم مقدار نفسه في الوجود وقلد تقليداً نافعاً وأفاد واستفاد وإن أضاع تلك الهبة

النفسية، وقلد تقليد الغراب،وكان كمن اغترّ بالسراب، وبهره حسن المنظر فشغله عن سوء المخبر وصار يخبط في أموره خبط عشواء لا يميز بين السراء والضراء، فذلك الذي رجع بصفقة المغبون وضل ضلال المفتون وكان تقليده وبالاً عليه وضرراً على من التفوا حوله وحذوا حذوه ، فضل وأضل

١٩٦ — ﴿ الربا نذير الخراب والدمار ﴾

رغد العيش مبني على تبادل أعمال البر والإحسان بين الناس وعلى مواساة بعضهم بعضاً وأخذ بعضهم بيد بعض، وإلاّ فلا مدنية ولن تجد من دين نزل من السماء إلا وهذه الخصال في مقدمة تعاليمه ومن باع درهماً بدرهمين فقد عمد إلى قطع تلك الروابط الثابتة، ورضي من الحياة أن يعيش في التجرد من الإنسانية والمدنية ، فلا يحسن ولا يُحسن اليه، ولا يؤاسي أحداً ولا أحداً يؤاسيه ، وهي خسارة كبرى يحتسبها عليه نظام الدين والعمران

ذلك هو المرابي آثر نعمة نفسه على إقامة المصلحة العامة وهي العمل بحكم المؤاساة والبر فجر ذلك اليه، إذ فقد من الناس من يؤاسيه إذا أجدب أو يبره إذا أترب — وأيقظ على مطالبه الأطماع وعرض ثروته لأهداف الأغراض، واستبدل بشاشة الوجوه وكنوز الضمائر بهارج الظواهر

وإن من النفوس نفوساً تؤثر الكثير المظنون من المنافع على القليل المقطوع به منها — وإنما ينشأ ذلك من بعد الهمة أو من الطمع الهائل — وما تلك الأنواع من النفوس بكثيرة العدد في الناس وإنما الذي يغلب وجوده في جميع الطبقات هي التي تؤثر القليل المحقق على الكثير المظنون لا سيما إذا كان هذا محفوفاً بمشاق ومكاره وكان ذاك مما يبلغ براحة واطمئنان

ومتى هان على الناس بيع الدرهم بدرهمين أخلدوا اليه، وأعرض أكثرهم عن مشقة المكاسب المدنية من نحو تجارة وصناعة وزراعة لأن ما تأتي به هذه الأسباب من النمو المالي على ما فيه من الجهد والعناء مظنون — على العكس مما يجيء به المكسب الربوي فإنه مع قلة مؤونته وخفة عمله مشهود ومتحقق

والنفوس أكثر ميلاً وأشد ولوعاً بما كان من هذا الضرب من المكاسب — وهناك مهب الفقر المدقع، ومصب العجز المدمن وهما خطبان أليمان لا ينتظم بهما جنس ولا يصير عليهما اجتماع وذلك ما يفعله الربا بالهيئة الاجتماعية — قال تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا) والحكمة في تحريم الربا هي انه يقتضي أخذ مال الغير وهو القدر الزائد بدون

عوض،وهذا حرام لقوله صلى الله عليه وسلم (حرمة مال المسلم كحرمة دمه) وقد أجمعت الأئمة أيضاً على حرمة أكل مال غير المسلم من الذين دخلوا بلادنا بأمان وعهود بخلاف الحربيين

كيف لا وانه اذا تمكنَ الشخص من تحصيل درهم زائد بواسطة عقد الربا لأعرض عن وجوه الكسب كالحرف والصنائع ، لما فيها من المشقة العظيمة،ولا شك أن هذا يفضي الى انقطاع منافع الخلق لأن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارت او الصنائع والحرف فإذا حصل الإعراض عن هذه الأشياء استغناء بالربا فلا بد أن يختل نظام العالم وأيضاً الربا يؤدي الى انقطاع المعروف والإحسان بين الناس بسبب منع القرض والسلف — فإذا حُرّم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم ورد مثلها فقط — وأما لو كان الربا حلالاً كانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين فيؤدي ذلك الى انقطاع المعروف والإحسان بين الناس — بل والى ذهاب أملاكهم ووقوعهم في ذل الفقر والمسكنة كما عليه الغالب من أهل زماننا هذا قال تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات)

٠٩٧ ﴿ اختيار الزوجين لبعضهما سر الحياة الجميلة ﴾

الأسرة وإن كانت أخص المجتمعات فهي أصلها وأقرب للانسان من غيرها،وتنتظم من زوجين متآلفين،يأنس كل منهما الى الآخر

والازدواج الأدبي هو ما يكون ملحوظاً فيه الى الحكمة الآلهية التي هي طلب العفة والتكثير، وما وراء ذلك من قضاء الأميال الجسمية نخارج عن مقصد الآداب وان كان ذلك هو الباعث الطبيعي - ومن دواعى الازدواج طلب مصافات النفوس والأنس والتعاون وغير ذلك من الصفات الفضيلة التي تؤذن بصفاء العيش وابتهاج النفس ولا يصدر ذلك إلا عن ثابت محبة بين الزوجين لذاتهما

ثم ان المحبة للذات إما أن تكون لجمال الخلق أو كمال الخلق فان كانت لجمال الخلق والظاهر التي وراءها الأخلاق الذميمة فقلّ أن تصل بالإنسان الى غاية محمودة — بخلاف التي تنبعث عن كمال الأخلاق وحسن السجايا ولو كان دونها دمامة الخلق

وأهم الخصال الحميدة بينهما هي الثقة يبعضهما في جميع الأحوال ومتى نفدت الثقة انحلت عرى النسبة بينهما، وعاشا مفترقين أهواء مجتمعين أجساماً — ولولا ما شرع الله من الطلاق لتفاقم الأمر وعز الصبر — ولذلك كان اختيار الزوجين لبعضهما في الأمم السالفة لا سيما الأمم العربية من أهم الأمور فكان العربي يقطع المراحل لاستوصاف خطيبته، ويقصد الخبير بشأنها الدربة المجرب الذي عجم عود الأيام ليلقي عليه من وصفها، فيأخذ في سرد شمائلها من جمال الظاهر وكمال الباطن وحسن السجايا التي يجب ان تكون عليها النساء

وقتئذ وكذلك هي عند استوصافها الزوج — فكان لا مطمع لنظرهما الا الصفات الجميلة من الكرم والمجد والشجاعة والعفاف

والزوج والزوجة سيان في الحقوق ومتساويان في المعاملة فكما أن سيد العائلة لكونه أقوى حماساً وأشدّ بأساً وأوسع تصرّفاً كذلك هي رئيسة أموره لتدبيرها المنزل ونظرها في مصالحه وجلبها لراحته — فاسترقاقه إياها أو صرفها في خدمته الخارجية عن حقوقه ضد العدل مناف للآداب حطة في الانسانية خدش لناموس الحياة وكما أنها تقتسمه الحزن والسرور تقتسمه كذلك الخيرات المنزلية فلا حق له في اختصاصه بأطايبها واستئثاره بها نفسه ولو رضيت الزوجة

وتقوى النسبة بين الزوج والزوجة اذا صار أبوين لاتحادهما على أمر واحد وهو « التربية » وفي هذه المرتبة تتم العائلة وتزيد الحقوق فتكون ثلاثة حقوق، حقوق الأبناء على الآباء، وحقوق الآباء على الأبناء — وحقوق الأبناء على بعضها

فأما حقوق الأبناء على الآباء فهو الاعتناء بالتربية الجسمية والعقلية وطبع محاسن الأخلاق وجميل الصفات وتعليمهم التعاليم الدينية مع تمرينهم على العمل بها وأخذهم بالرفق والتودد لا بالقسوة والتخوف — والتسوية بين الأشقاء وبعث المحبة فيما بينهم وتعويدهم على اقتسام الحزن والسرور بعضهم البعض وهديهم الى ما يصلح

معاشهم من بعدهم والمحافظه على ذلك كله وعدم التفريط فيه

وأما حقوق الآباء على الابناء فهي الطاعة وخفض جناح التواضع بالاحترام والتعظيم من قدرهم والثقة بهم والاحسان في المعاملة اليهم ومساعدتهم والشكر على أنعمهم والخشية لا الخوف منهم

وأما حقوق الأبناء على بعضهم فالحب والاحترام والشفقة والعدل في المعاملة وصفاء السريرة والمساعدة ونير ذلك — ومايكون منهم منافياً للآداب والمعاملة كظلم أحدهم الآخر أو الاضرار به فموكول لعقاب الآباء متبعين العدل والانصاف مع الاحتراس والحيلة كيلا يظن به من يستحق العقاب منهم أنه أدنى درجة من أشقائه أو من له الحق أن له الفضيلة عليه

وبالجملة أن تربية الأبناء سواء الذكور منهم والاناث وتعليمهم العلوم والآداب من أول واجب على كل أمة تريد صلاحها وتقدمها وانخلاعها عن جلباب البساطة وانقاذ أفرادها من مهالك الجهل والتوحش والانحياز بهم الى جانب التمدين والحضارة حتى تكمل النسبة بين الرجل والمرأة ويقوى تعارفهما وتتأكد ألفتهما ونقتهما ويكون مجموعهما تمثالاً للخير وصورة للآداب يبعثانها في أبنائهم وتكون العائلة مثالاً للمجتمعات الخارجية ونموذجاً للوطن ومثلا أعلى للأمة التي هو منها

فالعائلة بالآباء خيرها بخيرهم وشرها بشرهم

اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وكما تكون الآباء تنشأ الابناء فلا يستخرج من الحديد الذهب ولا يجنى من الشوك العنب

ينشو الصغير على ما كان والده ان الاصول عليها ينبت الشجر

١٩٨ - ﴿ المرء قليل بنفسه كثير باخوانه ﴾

حب النفس فطرة في كل انسان وانه يختلف قلة وكثرة بين الناس، وليس مبدأ حب النفس من النقائص البشرية، بل هو خلق وجد مع الانسان حيث خلقه الله لجلب النفع له ودرأ الضرر عنه

ولما كان الانسان في حالته الفطرية الأولى قبل كل اجتماع كانت ملكة حب الذات لازمة له ضد العنصر الطبيعية والحيوانات التي تنازعه في معيشته — كان حب الذات هو القانون الوحيد الذي يتبعه في سلوكه فلا يتأخر عن فعل أمر يعود عليه أو يجلب له لذة ولو كان فيه ضرر وشر للناس

ولكن منذ بدء انشاء الانسان فيه أنه يعيش جامعة من ابناء جنسه متحدة أمنة في وسائل الحياة أخذ شعور حب الذات يتناقص في كل فرد من أفراد هذه الجامعة لتحققه من ان حفظ نفسه لم يبق من وظيفته وحده بل من وظيفة جميع أعضاء العائلة

التي هو منها — فالقبيلة التي تشمله ، فالحكومة التي ترعاه

ومن ذلك اليوم وجد في جانب هذا الواجب الذي تكفلت به الهيئة الاجتماعية حق صريح لها في ألاّ يعمل فرد منها عملاً يعود عليها أو على عضو منها بالضرر — ومع التقدم رويداً رويداً في نظام الاجتماع صار كل عضو من الأمة يتمتع بأعمال كل أعضائها، وينتفع من أفكارهم وعلومهم ومصنوعاتهم كما ينتفع المفكر والعالم والصانع بالسوا ء وعلى ذلك صارت الحقوق والواجبات متشعبة موزعة على كيفية التضامن العام بين الجميع بحيث صار الواحد اليوم مرتبطاً بأهل بلده ارتباطاً شديداً

نعم إن حب النفس لا يزال في فطرة كل إنسان بل انه لا يزال أشد الإحساسات الطبيعية وألزمها للنفس، حتى يخيل أن كل حب سواه كالعشق أو محبة البنين أو الصديق أو المال لم يخرج في الحقيقة عن كونه شعبة من حب الإنسان لنفسه بالواسطة — بمعنى أن الإنسان يحب نفسه في كل إنسان وفي كل شيء يميل اليه

لكن لا ريب في أن الدين والتربية والتأديب قد أثر جميعها على هذا الإحساس الطبيعي حتى أضعفه، أو على الأقل رسم له دائرة محدودة لا يتخطاها — فكل منفعة شخصية لا تضر بالغير مباحة وهي ممنوعة إذا كانت بعكس ذلك

والتربية الحسنة النافعة إنما تظهر في اختيار المنافع الشخصية

وانتخاب ما يكون منهـا موافقاً لمصلحة الهيئة الاجتماعية ، فيخدم الإنسان نفســه ويخدم الناس في آن واحد، وفي الغالب إذا خدم الإنسان الناس بهذه الطريقة استخدمهم في تحقيق آماله،لأن العمل إذا كان يحتوي على منفعة عمومية رضي الناس أجمعون، وعضدوا عامله بأقوالهم وأعمالهم . وهذا التعضيد يساعد به العامل — ولا شك في تنفيذ ما أراد وتحقيق ما قصد

ومن الأسف أن الشرقيين قد غفلوا عن تهذيب ملكة حب النفس في تربية النشء ، فشبوا على ما نراه ممتازين بمهارة غريبة في انتخاب مطالبهم مما يضر بالغير — فهم يتهافتون على العمل النافع لهم إذا كان فيه إضرار بالمصلحة العامة — وقد لا يقبلون عليه إذا تجرد من ذلك — فالموظف يعرف لتقدمه كل الطرق ما عدا طريقاً واحداً وهو « الشغل »

والفرد من الأهالي لا يستعين في طريق نفع ذاته بغير المطاعنات وتالنيق البلاغات . وبجديع أعمال الزور حتى ضد أقرب الناس اليه

ونحن نعيش اليوم كل واحد في جانب الآخر بدون أن يمتزج به إلا امتزاجاً سطحياً - كل منا سائر في طريقه مهتم بنفسه لا يجمعه مع الآخر أقل ارتباط — مع أننا نرى غيرنا على خلاف هذه الأخلاق

نرى الأمة المكونة من أربعين مليوناً من النفوس مثلاً كل أفرادها على قلب رجل واحد

وإذا ذكر اسم الوطن ألفيت هذا المجموع العظيم مؤلفاً من جمعيات سياسية وجمعيات علمية وأخرى فنية وهكذا بقدر ما يوجد من فروع العلوم والفنون — نرى حب الاجتماع في كل شيء وفي كل إنسان عند الأمم الغربية — فلهذا يلزم تعويد ناشئتنا على الاجتماع بأمثالهم حتى إذا شبوا على ذلك كان حب الاجتماع غريزة فيهم فلا يكون حب النفس من العيوب المفضية إلى انحلال أجزائنا والاضرار بجامعتنا كما هو الآن

١٩٩ — ﴿ فوائد الوقار ومضار الاحتقار ﴾

الوقار أو الاحترام هو محك التربية فكلما كان نامياً في أمة كانت تربيتها جيدة، وإذا فقد كان فقدانه إنذاراً بانحلال جامعتها وسقوط هيبتها وعظمتها

إن أهم شيء يحفظ الامم ويزيد في قوتها وشأنها هو احترام جملة أمورها الجوهرية الأساسية مثل الدين والوطن والسلطة العمومية والعائلة والعلم والفضيلة وكل عمل شريف أو جميل أو نافع

وإذا كان هذا الاحترام عاماً عند الجميع وشاملاً لجميعها كان دليلاً على قوة تربية الأمة حيث لا يجرؤ على مخالفة هذا التيار

القوي إلا نفر قليل

ونحن معشر المصريين لا نحترم وطننا ولا نعرفه، وكثيراً ما نتكلم عنه بالاستخفاف والاحتقار ونحكم عليه كما نسمع من الأجانب والدخلاء وفاتنا أن كل عيب منسوب له هو منسوب في الحقيقة لنا

أما السلطة العمومية فقاعدة نالها احترامَ في نفوسنا لا في الماضي ولا في الحال — إذ في الماضي كان المصريون يخشونها ويرهبونها أشد الرهبة حيث كان مبدأ معاملتها الظلم والقسوة

واليوم إذا اعتدل مبدأ السلطة ، انقلب الخوف بناء على حركة رد فعل طبيعي وبعحرضات أخرى الى استخفاف،وكلاهما بعيد عن الاحترام الذي يلزم أن يكون متبادلاً بين الهيئة الحاكمة والمحكومة

فاذا توفر هذا الاحترام من الجهتين من جهة الحكومة بالتفاتها الى راحة الأمة والاعتناء بسماع ندائها وتنفيذ رغباتها كما ينبغي وبحسب الامكان — ومن جهة الأمة بأن تثق بوكلائها ولا تتأخر عن طلب الاصلاحات التي تراها لازمة لها وتغيير القوانين التي تراها مضرة بها بلا تردد ولا خوف وتقدر أعمالهم حق قدرها، إذ كانت فيدها فتشكرهم عليها وتنبههم إن أخطأوا وتشجعهم على الاستمرار في خطة الموافقة للمصلحة العامة حتى يكون ذلك لزاماً لهم كان ذلك من أهم أسباب سعادة الأمة

والاسرة - يلزم أن يكون أساسها الاحترام ونحن مع الأسف نرى الروابط العائلية عندنا قلما تكون محترمة وكثيراً ما يتغلب عليها هوى النفس

فليس بالنادر أن يتزوج الرجل امرأة وتلد له أولاداً ثم يتركها وأولادها ويتزوج سواها — وقد يترك هذه حاملاً ليأخذ غيرها كذلك — وهكذا يقضي حياته في تشييد بناء عائلات وهدمها بدون أن يتعلق بواحدة ويعيش فيها مع زوجته وأولاده لأنه لم يفكر إلا في لذة دنيئة لا تذكر في جانب الأضرار التي تنجم عنها — وان أهم الأسباب الهادمة لاحترام العائلة هو الطلاق — وهو أبغض وجوه الحلال الى الله تعالى — وقد اعتاد أهل مصر استعماله بطريقة شائنة جداً لا يمكن أن يرضاها الشرع أو يسلم بها العقل

فعلى الآباء أن يحترموا أنفسهم أمام أولادهم ليأخذ هؤلاء عنهم مثل المحبة والصفاء حتى تتربى نفوس الناشئين على ملكة الاحترام وتصبح العائلة كما يجب أن تكون لا كما هي الآن ميدان يتخاصم فيه الأهل ويتساءمون وقد يتضاربون و يفترقون

وأيضاً لم يوجد بيننا احترام للعلم والفضيلة ولذلك لا تميز في المعاملات بين صاحب الفضيلة وصاحب الرذيلة بل في بعض الأحيان قد يكون احترامنا للثاني أكثر من الأول — على أن المدنية الصحيحة

تعتبر أكبر مكافأة لمن عمل عملاً صالحاً أن يحترمه الناس — وأكبر عقوبة لمن يعمل العمل الخبيث أن يحتقروه — ولا يمكن أن تصير الفضيلة مطلوبة مرغوباً فيها، والرذيلة ممقوتة مبغضة إلى النفوس إلاّ إذا أحس الناس بقوة حكم الرأي العام وسلامته — ولا يوجد شيء يبرهن على فساد أخلاق الأمة أكثر من ضياع احترام الفضيلة فيها إذ لا شيء أقرب للفضيلة من احترام الفضيلة

وبالأسف نرى شيوخنا يحتقرون الشبان ولا يثقون بمعارفهم وأعمالهم — ونرى شباننا يهزءون بالشيوخ ولا يثقون بتجاربهم فيرمونهم بالجهل ، ويحسدونهم على وظائفهم إن كانوا من أصحابها ويزاحمونهم في الأقوال ولأعمال ولا يتأخرون عن أن يتسوّروا أكتافهم ليخرقوا الصفوف بغية الاستيلاء على مراكزهم

٢٠٠ — ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾

العالم الإنساني جميعه جسم واحد أعضاؤه الأمم — صحته الهدى — داؤه البغي — دواؤه النصح والارشاد . فإذا لم يأمر الآمرون بالمعروف ، وينهى الناهون عن المنكر ، خسروا الدنيا والآخرة وباؤا بغضب يحارب ضمائرهم ، وخسارة تنقص أموالهم وقتل يحصد رءوسهم، وانتهاك لحرماتهم وصبت اللعنة عليهم والخزي

والعذاب المهين . وإذا قام الهداة بإرشاد الرعية وأوقفوا الأمراء عند حدهم إذا ظلموا، وعلموهم إذا جهلوا، وذكروهم إذا نسوا، كان العدل وانتظم الأمر — ولم يأل الناصحون من الأمم جهداً في غابر الأزمان في النصح والارشاد ولم يبالوا بما ينالهم من الأذى والموت قياماً بما عهد اليهم وما توحي به ضمائرهم . وهذا « بيدبا » حكيم البراهمة قام مقام الخصم الألد في وجه « دابشليم » ملك الهند حينما طغى وتجبر . فوقف مدافعاً عن أبناء أمته الضعفاء في منزلة بين المنزلتين ، إما استقامة الأمور وانتظام الجمهور ، وإما سفك دمه وإذاقته طعم الموت الزؤام ، وأبى ذلك الفيلسوف البقاء على الذلة والهوان ، فنال بالنصح بغيته ، وأبقى له أثراً يذكر بعده . فحيا الله الحكمة والحكماء ومن معهم

وهؤلاء الخلفاء الراشدون عنوان العدل، ونبراس الهدى، وعلم السعادة ، ومع ذلك لم يذرهم الناصحون ولم يدعهم المرشدون

وكذا النصحاء وقفوا في وجوه بني أمة واستعذبوا التعذيب ورضوا بالموت كما وقع «لحطيط الزيات» إذ قال للحجاج أنك من أعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة، وعبد الملك بن مروان أعظم منك جرماً وأكبر منك اثماً وإنما أنت خطيئة من خطاياه وسيئة من سجاياه — فأمر بقتله فقتل شهيد الحرية وهو

في الثامنة عشرة من عمره

وأيضاً ملوك العباسيين كم وعظهم الواعظون وأنذرهم المنذرون هذا أبو جعفر المنصور دخل عليه عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي وقال له يا أمير المؤمنين أخاف أن تسمع النصح ولا تعمل به فصاح به الربيع وانهره بالسيف فقال المنصور هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة — وسار الأوزاعي في نصحه ووعظه وزجره لأمير المؤمنين وانذاره

فلولا الهداة والمصلحون في الدول العربية والمحررون والحكماء في الدول الغربية لعلب العزيز أذلها وأقل الكثير أقلها وأضحت طعمة للاكايد فريسة للقانصين فأسرع اليها الفناء وحقت عليها كلمة العذاب والشقاء — قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

فاصلاح الامم يتوقف على توخي أحسن المثل التي ينتهجها قادة الشعوب وانتهاج أوضح المسالك التي يسلكها المصلحون ليسيروا مع الامم سير الاستاذ مع سيذه ويأتوا البيوت من أبوابها ويخاطبوها بلسانها — وكما ان الاستاذ يهادن قلب التلميذ بما يسايرطباعه ويناسب أطوار استعداده فهكذا قادة الامم مع الشعوب — هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا — ومن غيرها فقد حاد عن الصراط المستقيم

٢٠١ — ﴿هل نحن في عصر المدنية﴾

التمدين تمصير الأمصار وتنظيم المدن وعداد مرافق الحياة فيها لتنال حظها من أصول حياة دهرها - وللمدنية خمسة مطالب «الغذاء» لصلاح الجسد و « الدواء » لاتمامه و « الثوب » لوقايته مما يحيط به من الجوّ، و « المسكن » ليقيه من عاديات الوحوش واللصوص و « السلاح » لحفظه من عدوّ من جنسه يفاجئه ـ وتحوط هذه المطالب خمسة دوائر

الأولى — لأركان المدنية الأربعة الأمارة والزراعة والتجارة والصناعة

الثانية — للرياضيات من فلك وحساب وهندسة وجبر

الثالثة — للطبيعيات وهي المعدن والنبات والحيوان والإنسان ثم القوانين العامة والكيمياء. ثم الضوء ونواميسه. ثم الحرارة وقوانينها

الرابعة — للبخار ونقله الاجسام وإدارته الآلات واحداثه الضوء ونقله البريد

الخامسة — للكهرباء وتلغرافها وادارتها آلات أعمال الغذاء والملبس والمسكن واضاءتها وحرارتها — فهذه هي الدوائر الخمس التي أحاطت بالإنسان وخدمت غذاءه ودواءه وثوبه وداره وحصنه فرجعت الحياة وإن تعاظم شأنها وكبر شكلها واتسع نطاقها إلى

كسرة خبز وثوب وأمن

وليس التمدين إشباع البطن وستر الجسم والأمن على النفس وما أحاط بها — كلا — فهناك بهجة للنفس وسرور للقوى المفكرة بتعقل مثل هذه العلوم — وكأن هناك تسابقاً بين شهوات الاجسام وقوى العقول، فكما يتسابق ذووا الشهوات الى نارها، يسبق الحكماء الى نورها — ولئن كان للاجسام غذاؤها فللعقول بهاؤها وروحها ولئن بقي بها الجسم ودوويت بها علله، فللارواح فرح بمعرفتها وبهجة بادراكها — وهذه الاجسام إذا خلقت عاجزة دبرتها العقول، وجعل إحتياجها سبيلاً لاستنباط الحيل و الدقائق ، والنظر في الكثائف واللطائف، واستخراج الدقائق، حتى تعرج الأرواح الى عالمها، وتدرك أسرار ما أحاط بها ، حتى سارع الانسان اليوم الى درس الطائر في حركاته وسكناته، فيسكن معه في جنته العالية التي لا تسمع فيها لاغية

أن المدنية ترفع الأخلاق بنسبة واحدة ، ترفع الخير والشر معاً ، فان غلب شرها خيرها آلت بهم الى الدمار كدولة الرومان وان غلب الخير الشر بقيت الى أجل معلوم مادام القلب موجوداً فاذا عظم بناء هيكل المدنية وتم نظامه لم تؤثر فيه زعازع المفاسد وإنما يبقى ثابتاً الى أجله، فلا دهشة من سماع فساد الاخلاق والغش والخيانة وعموم السكر في أمة عظمت مدنيتها ، لأن ذلك قليل في

جانب شامخ عزها ورفيع مجدها — فالبحر لا ينجسه شيء

ومتى زاد الضرر فغلب المنافع ، آلت الامة للخراب كمدنية المصريين المبنية على شفا جرف هار — قال هنري الفرنسي (اصحب الخمر معك لتبيد الجنس الشرقي) وذلك لأن القوم علموا أن الشرقي غِرّ ساذج يغتر بالزخارف وليس لديه من العلوم والمعارف ما تقاوم هذه المبكيات المحزنات

وبالجملة — المدنية هي ترقي الأفكار ، الداعي لتحسين الأخلاق والإحسان في المعاملات والمراد بترقي الأفكار انتقالها من المدارك الشهوانية الى المدارك الروحانية ، مدارك الضمير الحر ، والنفس الطيبة المهذبة ، وذلك لأن الإنسان خلق وله نفسان ، واحدة حيوانية ، والأخرى روحانية — فالأولى هي الأمارة بالسوء ، الداعية الى الشهوات — والثانية هي الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر والأصل في الإنسان أن تتغلب عليه الأولى لمعاشرته للناس ومعاملته إياهم فتملكه الرذائل ، ولكن إذا استعملت معه الوسائل لقهرها فقهرت ، وتغلبت الثانية عليها تملكته الفضائل ، وصار بعد أن كان لا يسير إلا حيث يقوده طمعه وشرهه يسير حيث يرى الفضيلة فيتبعها

أما ما يظنه الناس أن المدنية والتمدين حسن الثياب والهيئة ، جميل السمت أو من يأكل أطايب الطعام وأشهاه ويلبس أحسن الملابس

وأبهاها – أو الإسراف في الشهوات واللذات، أو عدم المحافظة على الدين والشريعة، أو التحايل على جمع المال وتثميره أو غير ذلك مما تلوكه ألسنة المغترين بظواهر الألفاظ، وهم عن معانيها غافلون. فبعيد كل ذلك عن التمدين والمدنية الحقة

٢٠٢ – ﴿ هل الأفيد إجبار الحكومة كل شاب على الجندية أو إطلاق سراح الموسر الذي يفدي نفسه بماله وأسر المعسر ﴾

معلوم أن الإنسان لا يكمل حاله إلا بالشجاعة والعدل والعفة والعلم، فهذه أمهات الأخلاق وجنات السعادات، ورضوان الحياة بل هي الأساطين التي عليها بُنيت الاستقامة والكمال والمدنية

فالشجاعة هي القوام الأكبر للحياة ولا قيمة للعلم بلا قوة تنفذه

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من العطب

هذه الأمة العربية افتتحت هذه البلاد بحد السيف والسنان والسلم والصلح فترعرعوا في دستها أيام الدولة الأموية والعباسية والفاطمية ولما ضرب المماليك مصر ضربات الظلم والاستبداد وبطشوا بطشهم فيها وتحكموا على النفوس وأكلوا اللحم وأذابوا الشحم وأهلكوا الحرث والنسل ظل القوم في ديارهم صرعى من الجور والعسف لا سلاح معهم فنسوا من شدة الفزع الأكبر حظهم من الجندية مدة من الزمان وهم يتقلبون على جمر الجهالة ويسبحون في بحار الضلالة

ويرسفون في قيود العبودية والاسترقاق — حتى اذا ما جاء «محمد علي باشا الكبير» فحررهم وأعتقهم وأطلق سراحهم وعلمهم العلم المفقود ودربهم على الحرب والضرب فضربوا بالمدافع والسيف وألفوا رحلة الشتاء والصيف، فيوماً تراهم للروس مهاجمين وآخر في الحجاز يقاتلون الوهابيين وطوراً في بلاد الروم يقاتلون . ومرة في اليونان وكريد يتبارزون، وآونة على الشام يزحفون — وكان العلماء الأقدمون يأمرون تلاميذهم بتعلم هذا الفن الجليل فكان أحدهم يقصد البحر وقد هاجت أمواجه فيركب السفينة فتتقاذفها الأمواج لتكمل نفسه بالشجاعة — وبعضهم كان يقف في المواضع المظلمة المخيفة حتى يتعوّد عليها — واذا كانت هذه الفضيلة من أشرف الخلال وأعلاها فلماذا يفرّ النشء المصري من التحلي بها — واشتهر بين العامة أنهم يؤخذون ظلماً وزوراً وكأنهم يساقون الى السجون

ليت شعري ما هذا الجهل والضلال المبين الذي أضرّ بالأمة وأسقطها في يد الاحتلال — إن هذا لشيء عجاب كيف يسوغ للاغنياء الجمع بين نقيضين — اشتروا بمالهم لأبنائهم العلوم واشتروا بمالهم الجبن حيث يفدي الواحد ابنه بدفع البدل، كأنهم يحذرون أن يتكمل الأبناء بفن الشجاعة

وكذا الفقير جمع بين نقيضين معكوسين الجهل والشجاعة

أليس من العدل أن يعرف الناس قاطبة ما القصد من نظام الجندية، ثم لا يصطفى قوم لفقرهم وينبذ آخرون لدفعهم الفداء - كلا فان كلا المدرستين (مدرسة الشجاعة ومدرسة العلم) تهذيب وتدريب لا تعذيب وتغريب وإبعاد وتخريب، وإنما هو درس وتعليم. غايتهما خدمة الوطن - فإذاً الأجدر أن يحشر الناس في صعيد واحد لا تفرقة بين غني وفقير، وإلا فما معنى الفدية، وأي وجه لها إلا الدلالة على الجهل المطبق وعدم إدراك الفضيلة وما الميزة بين الصنفين وكيف الفرار من الفضيلة على أنها إن كانت فضيلة أفلا تعم النوعين، وإن كانت رذيلة أفلا تشمل الطائفتين، حتى يكون العدل مسوياً بين الطرفين - فإذاً المسئولية واقعة على عاتق الحكومة المصرية التي لا تجعل الجندية إجبارية عامة لكل فرد من أفراد الرعية، وتصلح شأنها حتى لا تكون في أعين الاهالي قذى بحيث يقلل مدة خدمتها، وتحسن المعاملة بين الجنود في المأكل والمشرب والرياضة، وترخص لهم اجازات أسبوعية وسنوية يقضونها بين اهاليهم وأقاربهم، وتمهد لهم سبل الراحة والرغبة في هذه الفضيلة الجليلة، حتى تهرع اليها الشبان وتطرق أبوابها كما طرقت اليوم أبواب المدارس العلمية للتلاميذ، واكتظت بهم حتى ضاقت عليهم بما رحبت وكانت قبلاً المدارس خاوية على عروشها لا تؤمها التلاميذ إلا كرهاً ووراءهم أمهاتهم تسخم الوجوه وتلطم الخدود كما يفعل اليوم بمن أخذ

جندياً — فاللهم قرب الزمن الذي تتساوى فيه مدرسة الشجاعه بمدرسة العلوم والكل عليهما يتهافتون وفي فضيلتهما فليتنافس المتنافسون

٢٠٣ — ﴿ مدارج الانسان في معترك الحياة ﴾

الإنسان في حال نشأته ودور طفوليته أضعف أنواع الحيوان قاصراً عاجزاً هلوعاً يترصده الحيوان المفترس بمخلب وناب، وتكتنفه الطبيعة بمصائب وأوصاب، فيدب محاطاً بمكاره الطبيعة الخارجيه من أمراض قتالة وعوارض مغتالة، ثم يشب فيقع في قبضة مكاره النفس الداخلية فيكون منذ يدب الى أن يشب عرضة للمهالك بين عاملين قويين أسهلهما عليه أقتلهما له — وليس هذا حال الإنسان باعتبار الطفولية فقط، بل هو حاله أيضاً باعتبار أول وجوده على الأرض — اذ أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان خلقه سليم الفطره ساذجاً، ليس عنده من القوة الطبيعيه والالهامات الفطرية ما عند سائر الحيوان ليدفع به الآفات، ويصد الهجمات، اللهم إلا مسحة من العقل الفطري، كانت لا تغني عنه من الحياة شيئاً — ولكن الله سبحانه وتعالى أودع في خزائن ذلك العقل أسراراً كامنة فيه كمون النار في الزناد — فكما أن هذه لا تظهر إلا بالقدح، كذلك تلك الأسرار « وهي مدارك العقول الفائقة » لا تظهر إلا بالاحتكاك بالمقاصد الحيوية التي لا تتناهى في جانب العقل البشري — ومن ثم

كان بدء صعوده من حضيض البهيمية الى أوج البشرية بالطرق التدريجية والإلهامات العقلية التي تترقى بترقي الحاجة، وتنمو بنمو وسائل التربية والتعليم

ولا ريب أن الإنسان يحتاج في تدبير المعيشة الى وسائط كثيرة — أهمها التعاون والاجتماع واحتياجه الى مساعدة من عداه من بني جنسه في تدبير شؤون الحياة البشرية فكان ذلك من بواعث انضمامه في أول حلقة من حلقات الاجتماع

كيف لا — وأن الانسان بعد أن كان يسكن الغابات الكثيفة ويأوى الى ظل الأشجار الغضة ، ويأكل من نبات الأرض ويهيم من الحيرة في كل واد ، دخل في أول طور من أطوار المدنية وهو الاجتماع، ثم أخذ يبني لنفسه الأكواخ الحقيرة، وينحت في الجبال بيوتاً — ومنها الكهوف الصناعية التي ترى في كثير من الجبال، اتقاء عوادي الصيمة، ودفعاً لمخاطر الوحدة، ثم ما زال يتسع امامه مجال الفكر وتتشعب طرق المقاصد بتشعب طرق المعيشة حتى تولدت فيه قوة الاختراع وقوة الحرص والطمع فنما عنده حب التغالي بمظاهر الاجتماع والتغالب في ميدان المظاهرة الدنيوية فاحتاج للاعتصام بقوة الاجتماع في المدن طلباً لرغد العيش وهرباً من عناء البداوة فخطط المدن وابتنى المعاقل والحصون ومصّر الأمصار وشيّد

فيها شاهقات القصور، وزاهيات المنازل والدور، وكان في غضون ذلك يجول بفكره فى مناحي الطبيعة باحثاً عما أودع الله فيها من الأسرار وأوجد من المنافع في المواليد الثلاث ليسخر منها لمصلحته ما شاء فيما شاء – ومن نعم الله سبحانه وتعالى ورأفته بهذا النوع الإنساني أن جعل له من العقل سلطاناً إذا أطلقه من وثاق الأوهام تناول به أسرار الطبيعة من كبد السماء ويخرج بها من أعماق الأرض بلا حرج عليه لينتفع بها في الحياة الدنيا، فيزرع ويستثمر ويعمر ويستعمر ويخترع ويبتدع ويتفيأ ظلال العمران ويستمد مادة الحياة الطيبة مع توالي الازمان من خلال المتاعب والمشاق التي يتكبدها في استجلاء الحقائق واطلاق الفكر فى أطراف الوجود، يتناول به من أسراره قوة تدرأ عنه غوائل الضعف الطبيعي الذى فطر عليه وتدفع طوارىء الطبيعة وأخطارها التى تكتنفه – وقد جد الإنسان وراء هذه الغاية فوصل وفعل في الوجود من آثار العقل ما فعل مما هو مشاهد بالعيان في كل زمان ومكان، ولكن توصل الى ذلك تدريجاً بأعمال الفكر والاسترشاد الى طرق السعادة بنور العلم الذي استمده من الشرائع الالهية، واهتدى به الى تطهير النفس البشرية من أدران الهمجية، فأقام له ذلك العلم من نفسه على نفسه مجداً وحسباً يهديه نوره الى الصراط المستقيم

وبالجملة — خلق الله الإنسان الأول « آدم » أبا النوع الإنساني الذي قال الله تعالى فيه للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم مالا تعلمون، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون)

ولقد ثبت بالأدلة القطعية أن آدم كان راقياً، لأن الخالق جل شأنه علمه كل ما يلزمه لحياته، ولكنما الايام وتقلباتها وحوادثها أنست أولاده مدنية أبيهم، خصوصاً لما انقضى معظمهم في حادثة الطوفان، وتشتت من بقي منهم بعد رسو سفينة نوح على الجودي يطلب أقل عيش في الأرض، والذين تناسلوا من هذا الفريق درجوا على سنة آبائهم لا مقر لهم ولا مأوى إلا الأمكنة التي يجدون فيها الأعشاب والنباتات

فالانسان في تلك الأزمان البعيدة كان يسكن الأكواخ الحقيرة والمغارات، ويتخذ كل أدواته من الأحجار لجهله بما في الأرض من المعادن التي لم تخلق إلا له، ولم يكن له عمل سوى استعداده لملاقاة

أعدائه الحيوانات الضارية ، ومكث على هذه الحال الأزمان الطويلة التي سماها علماء التاريخ بالعصر الحجري، أو البربري، أو عصر الهمجية ولكن لما كان بطبيعته قابلاً للرقي ،لوجود العقل فيه والحواس كما قال الله تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئِدَة لعلكم تشكرون) نظر إلى نفسه وتحسر وقال: ما أتعسني حظاً كيف يكون للحيوان سلطان عليّ وأنا أعملُ وأختارُ ولي قوّة على الاختراع — وانتبه من ذلك الوقت ودقق البحث حتى وصل إلى القصدير الذي لم يغنه شيئاً عن استعمال الأحجار لأنها أقوى منه وأشد صلابة ، ولا تغير حرارة الشمس أشكالها كما تغير أشكاله، فجدد البحث حتى وصل إلى النحاس الذي خطر بباله أن يخلطه بالقصدير ، فحصل على البرنز الذي كان مبدأ سعادة له وافتتاح عصر جديد سماه علماء التاريخ بالعصر البرنزي

ولكن هذه الاكتشافات كانت سبباً عظيماً في استمراره في البحث حتى اكتشف الحديد الذي تم سعادته ،واعتبر فاتحة عصر جديد : سماه أهل التاريخ « بالعصر الحديدي » ومن هنا ابتدأت المدنية ، وانتشل الإنسان من وهدة كانت بعيدة الغور ، وقويت مداركه،ووجدت عنده من التجارب حقيقة سماها «العلم» وَفرع لها فروعاً عديدة ، وأغصاناً كانت ثمارها نجاحه وفلاحه، فكانت تلك

الحقيقة أكبر سبب في تمدينه،إذ بها ذلل العقبات التي كانت أمامه واتخذ له موطناً يدافع عنه ، وعرف كيف يكتشف وكيف يخترق البحار والمحيطات،وكيف يوجد الروابط بين البلاد والممالك، وكيف وكيف . . . الخ مما لم يتضح له إلا بعد الآلاف من السنين

فالانسان الآن بفضل العلوم وانتشارها ، ليس ذلك الذي كان لا يعاشر غير الوحش بل هو العالم الراقي المدرك واجباته العارف مقدار حياته (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)

٢٠٤ — ﴿ السعي والعمل روح العمران ﴾

كل من في الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفات

من ردد طرف البصيرة في نظام هذا الكون وما أبدعته يد القدرة ، رأى أن الحكيم العليم قد ركبه من أمور تنوعت صفاتها وتغيرت مظاهرها ، وهي على اختلافها ليست في الحقيقة إلا مادة واحدة عملت فيها عوامل القدرة فنصبتها على هذه الشكل نمط متنوعة الصفات مختلفة الأحوال ، حسبما تقتضيه طبيعة شؤونها، وحكمة وجودها ، لابسة من حلل النظام وحلي الأحكام ما يشهد للحق جل شأنه بالتفرد في صفات الكمال — ومن بديع حكمته أنه لما انتقل الانسان من الوحشية إلى المدنيـة أنبت له ذلك الانتقال وجوب الأعمال،ونادته الجماعة حيّ على التعامل.فمن لا يؤثر أن يعمل لا يأكل

فاندفع كل إلى الخبط في مهنته ، والغوص في حرفته ، فذهب يمارك الجمادات كل كثيف ، ويباشر الصنائع كل خفيف، ويمارس العلاقات كل عليل منقطع ، ويتاجر بالبضائع كل كليل مبتدع ، ويستقصي الموجودات كل دقيق مخترع . وهكذا قد انخرط الجميع فى الارتباط وغرق الكل في لُجج الاختباط ، فكلٌّ طائر على أجنحة الطيش لقطع آفاق العيش ، فترى البعض يشكو الكلال ، والبعض يندب الملال ، وهذا يتوجع في التعب، وذاك يتفجع من الوصب، فأعين تبكي من العسر ، وأفواه تضحك من اليسر

كل من في الكون يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن

فأبصار الجميع شاخصة إلى غرض واحد وهو طريق العيش والرزق ، فهم عليه متزاحمون بواسطة حِرَف ومِهن وأسباب مختلفة فالناس بين مزاحمة تقتضي تنافراً، ومساعدة تقتضى ائتلافاً، وليسوا في ذلك سواء « فطرةَ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها »

فالانسان مسوق بحسب خلقته وما تقتضيه فطرته إلى الشغل والعمل ليمرّن نفسه — ولذلك كان مضطراً طبعاً لأن يتبصر زمن صحته فيما يكون إذا أصابه مرض يمنعه عن العمل ، أو اعتراه وهن الشيخوخة وضعف القوى . ولهذا جاء فى الحديث الشريف (تزوّد من صحتك لسقمك، ومن غناك لفقرك ، ومن شبابك لهرمك)

وبعبارة أخرى . سنة الله في خلقة هي أن ينظر الانسان فى الحال إلى مايؤول اليه أمره في الاستقبال، بل هذا النظر الذي يطلبه الوجود هو قاعدة سلامة الاوطان ، ورأس المدنيـة والعمران . وهذا إنما يدعو الإنسان إلى أن يدخر في يومه شيئاً من ثمرة عمله في هذا اليوم يستعمله في يوم ثان إذا طرأ عليه ما يمنعه من العمل . فاذا كان اليوم الثاني كان غير محتاج لنفقته لسبق حصوله عليها ، فإذا لم يعرض عليه ما يمنعه من العمل أمكنه شغل هذا اليوم في تحسين آلات عمله أو مبادلة عمله ذلك اليوم بالآلة اللازمة له من غيره ليسهل عليه العمل بعد ، بما ادخره قبل — وهذا المدخر هو رأس المال

فرأس المال إذاً هو جزء من ثمار أعمال سابقة ، يستعان بها في الأعمال اللاحقة . وظاهر أن لكل إنسان رأس مال هو ما ادخره فالنجار الذي يملك فارة وقادوماً ومنشاراً هو صاحب رأس مال والحداد الذي يملك كيراً وسنداناً ومطرقة صاحب رأس مال ومالك محراث للحرث أو مسطرين للبناء أو مقص للخياطة كل من هؤلاء صاحب رأس مال

وليس رأس المـال قاصراً على النقود أو الأرزاق المستعملة في استنتاج أرزاق أخرى أو مؤونة أو آلة ، بل الإدراك رأس مال والأدب رأس مال ، والبرّ والخير رأس مال لمن يسديه ، وحب الوطن

رأس مال، بل جميع الأعمال — فالسابق منها رأس مال في الحال والحالي رأس مال في الاستقبال

فالطفل الذي يتعلم القراءة والكتابة والحساب وتاريخ وطنه وما كان عليه سلفه حاصل بتعلمه على رأس مال — واذا تعلم بعد ذلك صنعة زاد رأس ماله، وحينئذ لا يتوقف نجاحه فى المعيشة إلا على أن يكون عاملاً صادقاً أميناً مؤدياً لواجباته

والذي تعلم الشريعة وأحكامها حاصل على رأس مال يحصل له الفائدة — والاعتبار باستعمال رأس المال فى ارشاد الناس إلى مصالحهم وإقامة العدل بين الناس ليقف كلٌ عند حده فيحصل الأمن وتحفظ الحقوق — والطبيب له رأس مال هو معلوماته التي اكتسبها بالتعلم وانتفاعه منه موقوف على حسن استعماله لهذه المعلومات — والسياسي الذي جرب الأمور واختبر الناس يملك رأس مال تختلف قيمته بحسب تجاربه ومعرفته لأحوال العالم وضروريات أمته. ورأس المال هذا يستعمله السياسي أيضاً كما يستعمل التاجر رأس ماله فى الاستغلال فيبذل منه فى صورة مقترحات ما يعود على الأمة التي يشتغل من أجلها بزيادة ثروتها ورفعتها ورفاهيتها بنسبة رأس ماله

ولرأس المال من أي نوع كان أهمية عظمى فلا غنى لأمة عنهُ وإلا فكيف يكون الاستنتاج اذا أعوز النجار القدوم والحداد

الكير والصناعة الفوريقة والبناء المسطرين والخياط المقص والزراع المحراث — وكيف تكون حالة الامة اذا لم يحصل أفرادها على المعلومات الادبية والدينية والعلمية والابتدائية التي أصبحت اليوم ضرورية لكل انسان، وبها يتميز عن غيره من أنواع الحيوان

وكيف تكون حالة الامة اذا لم تتخذ رجالاً من أهلها أهل حزم وعزم ودراية سبروا الزمان وأهله، يؤتم بهم فيحصل بين أفرادها التضافر والتعاون والتحابب، ويكون للأمة بمقترحاتهم أميال معلومة تسعى لها، إذ لا فوز لامة اليوم في معامع المزاحمة وميادين التمدين والحضارة الا اذا تمسكت بصفوة رجالها وأقدرهم وأمضاهم في العمل ولا جرم ان الامة تتقهقر وتخسر بقدر ما يعوزها من ذلك، فالاستنتاج بدون هذه الآلات ينقص نقصاً فاحشاً، ولو أجهد الصناع أنفسهم في العمل فلا تكون محصولات البلاد كافية لمعاش الامة وحياتهم وتصبح الأهالي فقراء، ويعتريهم الاضمحلال والذلة والهوان

فان الثروة العمومية للأمة تتعلق كل التعلق بما ذكرناه من رأس المال، وبينها وبين حالة الاهالي ارتباط شديد فكلما صارت الامة أكثر عدداً وأعز شأناً زادت الثروة العمومية بحسب نسبة حسابية يزيد عدد الاهالي تبعاً لنسبة هندسية ، فاذا بلغت الثروة العمومية ثلاثة أمثال ما كانت عليه يبلغ عدد الاهالي تسعة أمثال

ما كانوا عليه — وكما أنه لا سبيل للحصول على رأس مال الا بالعمل والادّخار كان السعي أو الحرمان كذلك لا بقاء له من غير مثابرة على العمل والادخار — فمن أنفق من غير أن يكتسب فانما يبدّد ثروته ويمدّ يده الى الفقر ، لأنه يشتت ثمرة العمل السابق الذي استجمع بالسعي والحرمان فيكون في طريق الخراب طريق فيه يرى رأس ماله انتقل من يده الى يد غيره أكثر منه نشاطاً وأحسن تبصراً

فالعمل المستجمع لا يحفظ إلا بالعمل، فكما أن الملابس تنهك والمنازل تتشعب إن لم يتداركها العمل كذلك الاعمال السابقة لا سبيل لحفظها والانتفاع بها الا إذا أمدت بأعمال لاحقة — وكما أن المباني ان لم يتعهدها اصحابها بالاعمال تسقط وتهدم وتنفصل اجزاؤها بعضها عن بعض فيتداركها آخرون بالعملة ويستجمعونها فتصبح بناء آخر جديداً ولكن في يد ملاك آخرين — ولذلك العمل المستجمع في السابق ان لم يكن مقروناً بالعمل في الحال تبدّد وانتشر واستولى عليه آخرون فينتفعون به فلا يحفظ للتاجر رأس ماله في إستقلاله إلا بالعمل والمثابرة عليه وإلا ضاع سعيه السابق وما قاساه في الحصول عليه من التعب والحرمان — وكذلك الامر في رأس المال الذي يكون في صورة مقترحات لا تحصل

جميع فوائدها ، إلا إذا حصلت المثابرة لحق الهيئة الاجتماعية التي استعملت في صالحها هذه المقترحات خسارة عظيمة هي ضياع اعمال مدّخرة ادّخرها السلف لنتفع بها الخلف ، ولا سبيل لهذا الخلف إن يدَّخر لخلفه رأس مل . إلا اذا زادت الاعمال التي ادّخرها سلفه بعمله والمثابرة عليه

٢٠٥ — ﴿ القضاء والمحاماة وأثرهما في المدنية والحضارة ﴾

إن القضاء من أرفع الأركان، وأقوى دليل على ذلك استتباب الراحة به والأمان ، فلو لم يكن قضاء لأخنى علينا الزمان ، ولشبت نيران البغي والعدوان، ولتحرّق أجسام الضعفاء ، وتمتع بين ذلك بالنهب الاقوياء ، وغير خاف ما يحدث من ذلك على كرّ الدهور والايام ، من إعدام الجنس البشري ، إذ أن روح القوة لا بد أن تكون لدى الناس بدرجات ، فمنهم قوي ، ومنهم أقوى ؛ ومنهم سباق غايات ، فيملك الفريق السابق زمام السلطة فيفتك بالكل

فلهذا كان المقصد من القضاء إنما هو نصب قسطاس العدل في الأحكام ، وإصدار الأمر بإذاقة القاتل كأس الحمام

إذا خان الأمير وكاتباه وقاضي الأرض والسّ في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

ولا بد للقاضي أن يكون رجلاً حراً بالغاً عاقلاً سليم

السمع والبصر واللسان ، متصفاً بصحة التميز وقوة الجنان ، بعيداً عن السهو والغفلة ، مأموناً في حال رضاه وغضبه ، عدلا فلا يكون مرتكباً الكبائر ، ولا مصراً على الصغائر ، وأن يكون عارفاً بالناسخ من الأحكام والمنسوخ ، والمقيد والمطلق ، والخاص والعام ، قادراً على استنباط الأحكام بالقياس

وينبغي أن يكون شديداً من غير عنف ليناً، من غير ضعف مستشيراً أهل الحزم والاجتهاد، وأن يكون مكانه مرتفعاً عن محل الخصمين. وأن يحث الخصمين على أن يصلحا ذات بينهما، فإن أبيا أصدر الحكم عليهما وأبرمه، وأن يمتنع من بيع وشراء لنفسه، ومن إقامة وكيل في ذلك معروف له في البلدة لئلا يحابيه الناس ويحرم عليه قبول الرشوة، وإذا حضر خصمان فلا يستقبل بالترحيب صاحب الشرف منهما، بل يسوّي بين الوضيع والرفيع والجليل والحقير والغني والفقير والصغير والأمير — وينبغي له أيضاً ألا يقضي بين الناس وهو متأثر بأي مؤثر خارجي أو داخلي كالسرور الزائد والحزن الشديد والبرد المؤلم والحر الذي يكاد يذهب بالعقل والجوع والعطش وغلبة النعاس حتى لا ينطبق على رجال القضاء قول الشاعر:

قضاة زماننا أضحوا لصوصاً عموماً في البرية لا خصوصا
فحسبك أنهم لو صافحونا لسلّوا من خواتمنا الفصوصا

والمحاماة مهنة شريفة ، وصناعة محتاج اليها في البلاد المتقدمة ذات الشأن والثروة، إذ معلوم أنه كلما زادت الثروة وتطلعت الناس الى الازدياد منها كثرت بينهم المنازعات فيحتاجون الى المحامي وهو وكيل في الحكم والمخاصمة، يتكلم مكان المرء بما يعجز عنه، ويدافع عنه بما لم يعلمه، ويشهد له بما لم يخطر على باله فيثبت الحق لأهله، ويكفي موكله مؤونة التعب، وينوب عنه في مخاصمته، فترى المحاميين عن الخصمين يشحذ كل منهما لسانه ويقوي جنانه استعداداً للنزال في ميادين المقال وتأهباً للدفاع في مواقف النزاع ليخرج كلاهما بغنيمة البراءة في الحكم ورد التهمة والجرم — ويمارس هذه الصناعة اليوم كثير من الفضلاء جعلوا نصر الحق نصب أعينهم. وإن دخل فيها جماعة ليسوا من أهلها فاتخذوا الخداع والاحتيال بضاعة للتكسب لا يهمهم إلا الحصول على الدرهم والدينار بأي وجه كان، يدافعون عن القضية ولو علموا ضعف أسسها، ويقدمون عليها ولو بدا لهم عدم نجاحها، ويقفون ضد الحق وإن كان جلياً، فأولئك ليسوا من المحامين في شيء، وشقاء الأمة بهم أكثر من نفعها — فيجب على المحامي أن يكون عالماً بصناعته محيطاً بدقائقها، وأن يكون ذا مروءة وشهامة وعفة ودين ونفس شريفة تنأى به عن الدنايا. فصيح اللسان قوي الجنان مراعياً المصالح العامة جاعلاً دأبه نصر الحق، مرشداً للناس وهادياً لهم حتى يؤتمن على

أمورهم،ويوثق به في شؤونهم،وتملكه الأمة قيادها،وتعطيه زمامها

يا أيها الشهم المحامي الألمعي ومن يراعي حكمة المشرع
عليك بالصدق وبالأمانه واحذر من النفاق والخيانه
فأنت خصم في القضايا وحكم تهدي الى الحق كما يهدي العلم
وأنت للقاضي أجل مرشد وهو الى التحقيق منك يهتدي
وأنت قاض والقضاة تبع اذا شرحت ما تريد استمعوا
فانظر إلى قولك سامي الشان وصنه عن زور وعن بهتان
واعلم بأن الله بالمرصاد لظهر الفساد فى العباد

وبالجملة — لا مشاحة فى أن للقضاء الفضل العظيم، والنفع العميم لجميع المخلوقات: فهو الهيئة الحاكمة التي تردع الظالم عن ظلمه، وتوقف كل واحد عند حده، فهو الذي ينقذ الأبرياء من مخالب الأشقياء بل هو الدعامة الوطيدة التي يبنى عليها أساس العمران، وتتوقف عليها عمار البلدان، واستتباب الأمن فى كل مكان وزمان، فإذن هو الأنفع للهيئه الاجتماعيه، ولا يمكن الإستغناء عنه بحال من الأحوال بخلاف المحاماة فيمكن لرب الأمر أن يتولى الدفاع عن نفسه بنفسه

٢٠٦ - ﴿ فوائد الصدق ومضار الكذب ﴾

الصدق أفضل خصال الانسان. وأوضح دلائل الإيمان، واجل مواهب الإحسان. وأكمل نعم الملك الديان، وهو دال على جلالة القدر

ونزاهة النفوس وعلو الهمة وصلاح الشيم والشمائل، وبه تمام المكارم والفضائل، فمن تحلى به فقد أحرز الفضل بكماله، وجمع الخير في أقواله وأفعاله، لأنه أوضح دلائل العقل وأعدل شواهد الخير وأرفع منازل البر وأقرب الى السلامة وأبعد من الملامة وأجدر بالغبطة والكرامة وقد وصف المولى به نفسه حيث قال (ومن أصدق من الله قيلا) وقال تعالى (يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقال عليه السلام (عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة)

الصدق يمن ومنجاة ومحمدة فيه الكرامة والاقبال والشرف

وأما الكذب فهو أوضع كل خطة وأجمعها للمذمة والخسة وأكبرها ذلاً في الدنيا وأكثرها خزياً في الآخرة، وهو من أعظم علامات النفاق وأقوى الدلائل على دناءة الأخلاق والأعراق، لا يؤتمن حامله على حال، ولا يصدق اذا قال — قال تعالى (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وقال عليه السلام (آفة الحديث الكذب أعظم الخطايا اللسان الكذوب) وقال الشاعر

لا يكذب المرء إلا من مهانته أو عادة السوء أو من قلة الأدب

فالصدق أوجبه العمل وأكده الشرع، وان كان لا يوجب نفعاً ولا يدفع ضراً، فمن اتخذه سنة كانت له أحصن جُنة، وبه يتم الفضل وتكمل المروءة وتنتشر المصالح وتستر القبائح — وأن الكذب

رمد عين السيادة ، ومطفىء سراج المروءة والسعادة، وموهن قوى الجلالة ،وساذ طريق الاحسان ومحبط عمل الانسان وهادم بناء الإيمان، لأنه من الأفعال التي لاتقبلها العقول ولا تستجيزها الديانة قال بعض الحكماء : الكذب ملجأ الفجّار ، وسبب العثار ، وقلما نجا منه من اضطر الى الاعتذار

فاذاً من الحق على كل عاقل،والواجب على كل فاضل، ان يأخذ نفسه باجتنابه وينزّهها عن سقطته وارتيابه، وأن يتحرى الصدق وان توقعه ، وأن يرفض الكذب وان نفعه

وبالجملة— ليس الكذب فضيلة من الفضائل ولا سياسة من السياسات،كما يفهم بعض المارقين المتملقين وليس مما يعلي قدر الانسان بل بالعكس يسقط المروءة ويذهب ماء الوجه ويدل على ضعف الايمان بالله تعالى، فمن اعتاد الكذب اعتاد الناس ذمه وأكثرو من السخط عليه ، كذلك الله يمهله حتى اذا أمسكه لم يفلته فانه ظلم نفسه وظلم الناس بجانبه،لا سيما إذا كان رئيساً من الرؤساء أو ممن يفهم فيهم الناس أنهم ناصحون أمناء—قال تعالى يصف حال الكذابين (يوم تجزى كل نفس بما كسبت ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة) وان الكذاب الذي صار الكذب خلقاً له وليس ببعيد، فان العادة طبع ثان كما قرّر الفلاسفة لا إخال

باله يصفو يوماً لأنه بعيد عن الحقائق راكب سفينة قل أن تنجو به ، وممتط مطية قلّ أن تصل به الى حيث يريد — قال حكيم

لي حيلة فيمن ينـــم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وفي الحديث الشريف (الكذب رأس كل خطيئة) ومما روى أن رجلاً أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل في الإسلام فقال يا رسول الله إني أعمل من الخطايا ما لا يمكنني أن أبتعد عنه فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام أتعاهدني على ترك الكذب قال نعم — فلما ذهب الرجل وأراد ان يشرب الخمر قال في نفسه أنا ان شربت الخمر وسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فبمَ أجيب وقد دخلت في الدين — ان أجبت بنعم أقام عليّ الحد، وان أجبت بلا فقد كذبت، وقد عاهدني على ترك الكذب، اذاً فلأتركنه ،فتركه وكذا بقية الموبقات. وحسن إسلامه

حقاً إن الصدق فضيلة حسنة لا يحصد غارسها في نفسه الا أثماراً طيبة وخيرات جزيلة — وقد حث الله تعالى عليه في القرآن الكريم اذ قال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال يمدح أهله (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) وقال عليه الصلاة والسلام

(الصدق منجيك وان خفته والكذب مرديك وان أمنته)

٢٠٧ - ﴿ مقارنة بين المعلم والطبيب في الهيئة الاجتماعية ﴾

ان المولى تبارك وتعالى خلق الانسان ضعيفاً مجرداً من العلوم والمعارف ، لا يميز بين الغث والثمين ، قابلاً لطوارىء العلل والأسقام ، تائهاً في لجج الضلالات والأوهام ، يخبط في أموره خبط عشواء ، لا يميز بين السراء والضراء ، فمتى وصل ليد المعلمين العلماء ، سلبوا جهله وقادوه إلى الهدى والاهتداء . وأما الاطباء فيصلحون الأجسام من العلل والأسقام بالأدوية والعقاقير، وكلاهما لا يسد مسد الآخر في قيامه بالأعمال المفروضة عليه

وعلاج الأبدان أيسر خطباً ... حين تعتلّ من علاج العقول

وحينئذ لا تفضيل بينهما والحاجة ماسة لكليهما، وإنما التفضيل بمقارنة نتائج أحدهما بالآخر، وهي تقضي تفضيل المعلم على الطبيب إذ هو مقوّم للروح الحاكمة على البدن — ولا ريب في أن الروح أشرف من الجسم وأعلى. كيف لا وأن الطبيب حسنة من حسنات المعلمين الأعلام ، فمقامهم بين العالم فوق كل مقام ، ولهم الشرف الأسمى والاحترام

٢٠٨ — ﴿ وصف الامتحان العام ﴾

في منتصف الساعة السابعة من صباح يوم الاثنين دقت الأجراس

فاندهشت منا الحواس ، وتسلّط في قلوبنا الوسواس، من هول محفل الامتحان ، وما أدراك ما الامتحان ، إن هو يوم لا ينفع فيه خل ولا رفيق ، ولا مال ولا صديق، إلا من أتى الله بقلب سليم (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

دخلنا إلى الخيام ، وكأننا سقينا كأس الحمام ، وأخذ كل منا مضجعه ، وعرف كل واحد رقمه وموضعه ، ورأينا لجاناً معقودة وأبواباً مسدودة، وقسوة سائلين، وتشديد مراقبين، وطلبة يهمسون ولا يتنفسون، فاستولى علينا الشيطان، وتحققت الأذهان من الحرمان واستوى الجاهل وذو العرفان ، والشجاع والجبان في هذا الميدان إلا أني تسابقت تسابق الفرسان في المضمار ، وأعربت بكل لسان عن وجوه الاضمار ، وثبت قدمي ، وأطلقت لسان قلمي ، وحليت الطروس باللطائف ، وطرزته بالظرائف، وكشفت نقاب المعضلات وحللت صعاب المشكلات ، فلله الحمد من قبل ومن بعد ، اذ رميت السهام لنيل المرام. وأصبت المرمى في نهاية الامتحان ، الذي يكرم فيه المرء أو يهان

٢٠٩ ﴿ التاريخ مدرسة عامة ﴾

ليس بإنسان ولا عاقل   من لا يعي التاريخ في صدره
ومن وعى أخبار من قبله   أضاف أعماراً إلى عمره

التاريخ مرآة الأعصر الغابرة والحاضرة، به ينير العقل ويحيي القلب، ويلجم الارادة، ويدعو إلى المقاصد الحسنة، وهو نور الحق وحياة الذكر، ومدبر الحياة ورسول القدم - فيه معرفة أحوال الأمم. وبلدانهم وعاداتهم وأعمالهم المادية والأدبية، وصنائعهم وأنسابهم إلى غير ذلك، فيعتبر بأحوالهم الماضية والتنصح بها. قال تعالى (ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر، حكمة بالغة فما تغني النذر) وقال عز شأنه (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) وقال الإمام علي لابنه الحسن رضي الله تعالى عنهما ، أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله، وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله،

وبالجملة — فالتاريخ أجل العلوم قدراً، وأجلاها في ظلمات الحيرة بدراً، يكسب صاحبه النباهة، حتى يفوق أمثاله وأشباهه، فيحوز المراتب العلية، ويفوز بالمطالب السنية، إذ به تستنير الفكر والألباب وتعلم حوادث الأزمنة والأحقاب، وبمرآته ينكشف ما دونه

الأولون من العلوم والصنائع ، ويظهر ما خفي من أحوال القرون السالفة ، وأخبار الأمصار الجامعة ، وما فيها من الآثار والمنافع فهو أعظم مرب للانسان يدعو إلى التحلي بالفضائل ، والتخلي عن الرذائل ، فاذاً هو مدرسة عامة تسمو فيها العواطف ، وتشرف الإحساسات التي عليها المعول في ارتقاء الأمة إلى أرفع الدرجات وهو الضامن الوحيد لتهذيب النفوس ، وتوسيع المدارك

٢١٠ — ﴿علوُّ الهمة من الإيمان﴾

المعالي نداء الأحرار ، وتاج الملوك ، وشعار الأمراء ، ومنار الفلاسفة والحكماء ، ومقصد الأدباء والشعراء ،فهي غاية مطلبهم وجلّ غرضهم ، وكلهم يسيرون اليها كالأسود الظافرة لا يرهبون خطراً ، ولا يهدمون حذراً

دعيني أجدّ السعي في طلب العلى فأبلغ سؤلي أو أموت فأعذرا

فللمعالي سبل خطرة حرجة المسالك لا يظفر بها إلا المقدام الجسور ولا يتغلب على عقباتها إلا الحرّ الصبور ، ورُقي الأمم بعلو الهمم

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا ولا ينال العلا من قدم الحذرا

والرجل الخامل ينظر الى المعالي من بعيد ، وهي بين يديه أقرب من حبل الوريد

إذا ما تمنى المرء إدراك غاية عليه بإهمال التقاعد والكسل

فلا تبلغ الغايات من دون همة ويحظى بها الانسان بالكد والعمل

وأول السبل إلى درك المعالي هو الإقدام والتعب ، فالذي لا يقدم على الأمر الخطر بكل عزمه لا يناله والذي لا يتعب في غايته ولا يسفيها من ماء فكرته لن يدركها ، وكيف يرقى العلا من طبعه الكسل

يامن يسامي العلا عفواً بلا تعب هيهات نيل العلا عفواً بلا نصب

فلقد جعل الله سبحانه وتعالى الراحة في بساط التعب والمجد من شامخات المصاعب ، وتاج العلا على هام المجد المجاهد — قال عليه الصلاة والسلام (لا تأتوني بأنسابكم وائتوني بأعمالكم) وقال الشاعر

دعيني أنل مالا ينال من العلا فسهل العلا في الصعب والصعب في السهل

تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

إن كنت تطلب عزاً فادّرع تعباً أو فارض بالذل واختر راحة البدن

ثم إن الإقدام والتعب لا يصلحان للنجاح إلا إذا رافقتهما حكمة ودراية واستقامة ، وثبات وصبر وحسن أخلاق

فقلَّ من جدَّ في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

فمن شمر عن ساق الجد ، وجد مفتاح الجد ، ومن عشق المعالي عانق العوالي ، ومن جلب درّ الكلام ، حلب درّ الكرام ، ومن ركب الأمل الواسع ، لم يستبعد المحل الشاسع

كل له غرض يسعى ليدركه والحر يجعل إدراك العلا غرضه

٢١١ — ﴿ وصف الحرب وما تخلفه من المضار والأخطار ﴾

الحرب هي باعث الهول والكرب، والطعن والضرب، أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى، وهي خدعة يوم لك ويوم عليك

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب شرارها عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

كيف يفعل الانسان فعل الوحوش الضارية، فيقتل النفوس البرية، ويترك البلاد متخربة خالية، قتل الانسان ما أكفره، وما أشره وما أصلبه، وما أكثر طمعه فى ملك غيره وحسده، فقاتل الله الطمع المجلب للخراب، المسفك للدماء، المرهق لأرواح العباد المهدد لشوكة الإمارة المدحض لنمو الزراعة والصناعه والتجارة المضعف قوة أسباب الارتقاء، المفرّق الأبناء من الآباء والآباء من الأبناء

بخلاف السلم فإن به تأمن العباد على الأموال والأولاد، وترتقي البلاد وتمنح المجد والإسعاد، وينتشر العمران، وتوطد دعائم الأمان وتنتظم طرق المودة والوفاق، وتنفصم عرى الشقاق

وبالجملة — فالحرب ميدان تسفك فيها الدماء — ميدان الكر والفر تمشي الجنود إلى ميدان الحرب، وهي تبكي وتتودع من الدنيا نادمين على ما قدمته يداهم من الشر، فرحين على ماجنوه من أعمال الخير

يعشون ودمع العين ليس له انقطاع — قلوبهم راجفة ، وأبصارهم خاشعة . ولسان حالهم يقول: أهذا اليوم الذي سنقف فيه بين يدي الله ، ويسأل كل منهم على ما قدمته يداه ، لا حول ولا قوة إلا بالله إنا لله وإنا اليه راجعون — وإذا تقابل الفريقان وانتشبت الحرب بينهما ، واشتبكت السيوف ، واضطرمت النيران ، واتقدت نار الحرب وتصلصلت الدروع من وقع البيض ، وزلزلت الاقدام من ولولة الأنجاد ورنين القسي وقراع الرماح ، أقبلت الآجال تفترس الآمال أمطرت السماء رصاصاً ، وأظلم الجو اكفهرت السماء ، مدت الألسنة وتطمت الأسنة ، وخطبت السيوف على منابر الرقاب وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب ، وتلاصقت القنا والقنابل وتعانقت الصوارم والمناصل ، وبلغت القلوب الحناجر ، وأدركت السيوف المناصر وضاق المجال وتحكمت الآجال فلا ترى الا رؤوساً تندر ، ودماء تهدر ، واعضاء تتطاير وتتناثر ، وأجساما تتزايل وتتمايل حتى ثملت الرماح من الدماء فتعثرت في النحور وتكسرت في الصدور وكثر الأنين القتلى وجرت انهار من دمائهم تسبح الواحد الديان

ترى كثيراً من الجنود في ساحة القتال ملقية على الأرض قتلى وجرحى ، يئنون من كثرة الألم ، ترى الواحد منهم رافعاً يده مشيراً بها على ما أصابه ، وواضعاً الأخرى على قلبه متحسراً على ما ناله

فهذا الشاب كان يفتخر بشجاعته، وصارت الوحوش تأكل لحمه

فما أرخص القتل في ساحة القتال وأرخص الرجال الشبان

واكثر الشرك بالله فبئست الحرب فانها كلمة ترتجف عند سماعها

قلوب الملوك، وتشيب لرؤياها النشء الابرياء

بئست مصائبها ودواهيها العظمى فانها توقف احوال التجارة

وتعطل المعامل والشركات، وتكثر المشاكل والمنازعات والحروب

الداخلية، والنهب والسلب والقتل

٢١٢ - ﴿ أول الحزم المشورة ﴾

تأنّ وشاور فان الأمو ... رمنها جليّ ومستغمض

فرأيان أفضل من واحد ... ورأي الثلاثة لا ينقض

المشورة واجبة على كل ذي رم . متعينة على كل ذي لب

وفهم، وهي حصن من الندامة، وأمان من الملامة، وأحمد الرأي

وانجع للسعي، فالمستنير على طرف النجاح، والمستبد تلعب به الرياح

والمشورة مع السداد، والسخافة مع الاستبداد، قال الله تعالى

(وشاورهم في الأمر) وقال عليه السلام (ما خاب من استخار ولا

ندم من استشار وقال علي رضي الله عنه (نعم الموازرة المشاورة

وبئس الاستعداد الاستبداد) — وقال الشاعر

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نصيح او نصيحة حازم

فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر بتأسيس مجلس شورى بعد موته لينتخب من يكون اميراً ، وقد انتخب عثمان رضي الله عنه ولم يقطع دابر الاستبداد ، ويضرب على ايدي المستبدين الطاغين إلا الشورى التي فيدت كل مطلق - وها هي الأمم قد أصبحت تحكم نفسها بنفسها، وتقترح على حكومتها ماشاءت أن تقترح موسطة في ذلك المجالس الشورية ، ولو حافظ الشرقيون على هذه الدعامة الكبرى والأساس المتين لما تقوض مجدهم ، ولا سقطت دولهم

٢١٣ — ﴿ الزراعة وفوائدها ﴾

الزراعة هي الأم المغذية، والمادة المقوية، لنوع الانسان وسائر انواع الحيوان فهي مادة الحياة وروح المدنية وقوام الحضارة، قال الله تعالى (وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله — ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون - وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها) وقال عليه الصلاة والسلام (مامن مؤمن غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة) وقال أيضاً (التمسوا الرزق من خبايا الأرض) وقال الشاعر

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر

ولرفعة شأنها، وعظيم مزيتها اعتنى بها قدماء المصريين حتى أنهم لم يدعو قيد شبر من أرض إلا عمروه بالزراعة — وذكر المؤرخون أنه قد كان من أصول دولة الفرس أن يبرز الملك بجلالته مع أعيان أهل دولته ويباشر حراثة الأرض بنفسه في أول يوم من أيام السنة تنويهاً بشرف الزراعه وتنبيهاً على مايقتضي لأهلها من التشويق والشجاعة

وقيل لعثمان بن عفان رضي الله عنه : أتغرس بعد الكبر، فقال لأن توافيني الساعة وأنا من المصلحين خير من أن توافيني وأنا من المفسدين — وقيل لأبي الدرداء وهو يغرس جوزة : أتغرس بعد الكبر وأنت شيخ وهي لاتطعم إلا بعد عشرين سنة أو ثلاثين فقال : وما عليّ إلا أن يكون الأجر لي والهناء لغيري

وقيل فلاح المعيشة في الفلاحة

٢١٤— ﴿النباتات والأشجار وأهميتها عند جميع العالم﴾

من نعم الله التي لا تحصى ولا تكاد تستقصى النباتات التي منها الأقوات والادوية والفواكه والملابس والزينة والعلف والرعي والحطب للوقود والأخشاب للعمارة وإنشاء السفن وغير ذلك من الأعمال التي يطول تعدادها ومنها الورق والأزهار والأصول والعروق والفروع والصموغ لضروب من المصالح — وقد أودع الله فيهامن البركات ماصير الحبة الواحدة تخلف مائة حبة، وأكثر من ذلك وأقل، وجعل

الأشجار والثمار والازهار مختلفة الألوان والاشكال والطعوم والروائح فتجلي عن القلوب درنها عند مشاهدتها، وتنشرح الصدور برؤيتها، وتنتعش النفوس لرونق بهجتها — ففيها منافع مختلفة التأثير منها ماتقوى به القلوب، ومنها أغذية تحفظ الحياة، وجعلها مطعومة لذيذة عند تناولها، وخلق فيها بذوراً لحفظ نوعها تزرع عند جفافها وانفصال وقت نضارتها

ومن حسنات الأرض على بني الإنسان التي أبرزتها الزراعة تلك الأشجار التي شابهت الإنسان في أطواره ونشأته، حتى إذا أنضجت واستوت على سوقها، وتفرعت أغصانها أمدت الإنسان بكثير من الفوائد، وجزيل من المنافع، يجني الإنسان منها الثمار التي يتفكه بها، مما لذ طعمه وطاب جناه (صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) وأزهاراً يانعة ذات عرف شذي ورائحة زكية يستخرج منها المياه العطرية ويستعمل بعضها في الأدوية الطبية مما يكون شفاء للأمراض ومزيحاً للعلل، ومنها تتكون الحدائق الغناء فترى الأشجار فيها وارفة الظلال قد تمايلت أغصانها واهتزت أفنانها وأينعت أزهارها ودنت قطوفها تضوع المكان بطيب نشرها وتنعش النفس برونقها — فإذا هب النسيم وتمايلت الأغصان تعطرت الأرجاء وتمثلت الجنان في الرياض، و[illegible] يستظل الإنسان من الشمس

فتقيه حر الهجير — وتغرس في حافتي الطرق لهذه الفائدة فتكسبها رونقاً وزينة، وتلطف هواءها وتنقي جوّها، فما دامت قائمة على ساقها تمدّ الإنسان بالمنافع المختلفة والفوائد المتنوعة حتى إذا انقضى أجلها قطعت منها أخشاب ذات فوائد عظيمة تستعمل في الأبنية والمنازل والأدوات المختلفة التي لا يستغنى عنها مكان، وتصنع منها السفن التي تمخر في البحر وتشق بحيزومها عباب الماء وتكاد شراعها تصافح السحاب فتسير في البحار وهي الجواري المنشئات في البحر كالأعلام تحمل في جوفها الناس والبضائع ، وتنقل الأخبار من مشارق الأرض إلى مغاربها، كما يستعمل الخشب في الوقود — وغير ذلك من الفوائد التي تمتع بها الانسان وقضى منها مآربه

٢١٥ — ﴿ البخار سرّ رقي العالم المتمدين ﴾

ان قوّة البخار شاملة أهم الصنائع والأشغال، ونشاهد قدرته الباهرة — من ذلك سير البواخر البحرية وقطر السكك الحديدية والمطابع والعمل في المناجم والغزل والنساجة ، وغير ذلك

فلاستخدام البخار في السفن وحدها قيمة لا تعدلها قيمة اذ أغنتنا السفن البخارية الآن عن الرياح واختلاف الفصول فضلاً عن اسعافها لنا على تقصير المسافات بسرعتها الفائقة

وللبخار أيضاً عمل يذكر في الأسفار البريّة فيحمل الانسان

على جناحه براحة وسرعة يعجب منهـا ، وقد أحيا مدناً وأمصاراً زاهرة،وحاك للبشر المنسوجات ووفر البضائع فهبطت أثمانها ونقلها براً وبحراً بأجرة رخيصة،ووصل بعض البلاد ببعضها صلة موثوقة العرا،وأراح الناس من أتعاب لا حدّ لها ولا نهاية،ووزع في الوقت نفسه الأشغال والأعمال على جموع وجماهير تعدّ بالملايين

تلك قوة لا يعتريها الكلال،فتدأب في العمل نهاراً وليلاً اذا غذيت بالوقود،وتقوم بواجباتها قياماً دقيقاً،وقد أمست الآلة البخارية مسعفة للانسان،ومساعدة له في جميع أحواله،فلا بدع اذا قلنا أن البخار رقى بالعالم المتمدين الى زروة المجد والفخر

وبالجملة– أن البخار هو القوة العظمى التي ظهرت منها العجائب وبدت فيها الغرائب،فتكاثرت بها أعمال الصناعة،وأخصبت أرض الزراعة،وراجت أسواق التجارة، واتسعت طرق الثروة، وكثرت أنواع الخير والنعمة– من ذلك الآلات البخارية التي تروي مقداراً عظيماً من الأرض مع السهولة والراحة ، وبذلك تضاعفت ثمرتها ومنها قطارات السكك الحديدية والسفن البحرية والطواحين وآلات البخار التي تدار بهـا معامل المصنوعات والمنسوجات والمطابع وغير ذلك من ثمرات البخار وقوّته التي تحار في وصفها الأفهام . وتعجز عن حصرها الأقلام

٢١٦ — ﴿ التجارة وفوائدها ﴾

التجارة تاج الأمارة، وينبوع البركات ، والأرباح توفيقات بها تزيد ثروة البلاد ، وتتوفر أسباب التنعّم للعباد — قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) وقال تعالى (وأحلّ الله البيع وحرّم الربا) وقال عليه السلام (أطيب ما يأكل الرجل من كسبه والكسب في القرآن التجارة) وقال عليه الصلاة والسلام (التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) وقال عليه الصلاة والسلام (تسعة أعشار الرزق في التجارة) وقال الشاعر

كن تاجراً حراً بأيّ مال ... ولا تكن مستخدماً بحال

وكن إذا تاجرت ذا أدارة ... لتدرك الربح من الخسارة

واجتنب الربا وصنع الغش ... فان مولاك شديد البطش

فإنّ بالتجارة الأناما ... نالوا المنى وحصلوا المراما

فهي قوام الملك والعباد ... في كل موطن وكل ناد

وهي لعمر الحق لولا الخطر ... أول ما به الفتى يفتخر

لاسيما مع العفاف والشرف ... وصون رأس المال من داعي التلف

حقاً ان التجارة لجديرة بمزيد الاعتبار ، فان فيها غنى لأولي الأبصار — ولذلك نرى الأمم التي في مقدمة التمدين حريصة على جميع

ما ينمي أسباب التجارة ويزيدها إتساعاً وازدهاراً ومهارة

هذه دولة انجلترا ما نالت نفوذها في كثير من الممالك الشرقية الا بتجولها في البحار للتجارة، ولأهميتها قد اعتنت الأمم الغربية بتلقينها لأبنائها فى مدارس خصوصية أنشئت لهذا الغرض

وبالجملة — التجارة لها تأثير جلي وسبب قوي على التمدن والخيرات فى جميع الأوقات، لأنها رسول التعارف، ومنهل التآلف تزيد البلاد في المال نمواً ورفعة وعلواً، وبعد ما تكون فقيرة حقيرة تصبح غنية خطيرة ، ثم أنه يلزم التاجر رأس مال كاف لعمله وأن يختبر أولاً الأصناف التي يريد أن يتجر فيها ويخالط أهلها ويعرف مصدر ورودها ومقدار اللازم منها وما يلزم لها من العمال الأصدقاء ويخصص لها مكاناً تروج فيه ويرتبها ترتيباً سهل التناول ويرصدها في دفاتر سهلة المراجعة ، ولا يستدين أكثر مما يمكن أن يقوم بوفائه في مواعيد سداده ، وألا يبيع بالدين إلا لكل مؤتمن موثوق به في حسن المعاملة

سُبل المعيشة في الحياة كثيرة	وعظيمها عند الرخاء تجارة
فهي الشهامة والكرامة فى الورى	والمرء فى دار الحياة كرامة
لا خير في عيش إذا لم ترعه	عند التناول فى المقام سلامة
وبها يعيش المرء حراً سالماً	لا يعتريه من السخيف ملامة

٢١٧ — ﴿ الصناعة راية الأماني لسعادة الأوطان ﴾

المعارف تتنوع حسب مواضيعها ، فمنها ما يحسب مركزها الخصوصي النفس الانسانية الخالدة ، وهذه تسمى المعارف الدينية ومنها مايعد مركزها الخصوصي العقل البشري، وهذه تسمى المعارف العلمية ، ومنها ما يختص بالقوى الجسدية والحواس ، وهذه تدعى المعارف الصناعية ، وهي أفضل وأجل الوسائط لتقدم البلاد ونفع العباد ، ودعامة الحضارة وارتقاء الإمارة ، وتوطيد مركز الإدارة ومنبع الثروة والغنى ، وغاية التقدم والمنى ، بل رُوح العمران وتاج السلطان ، وحمى الأوطان وراية الأماني في كل زمان ومكان — وقد قيل : صناعة في اليد أمان من الفقر ، وحرفة المرء كنزه — وقال الامام عمر بن الخطاب : إني لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول هل له حرفة ، فاذا قالوا لا سقط من عيني

أفادتني الصناعة كل عز وهل عزٌ أعزُّ من الصناعة

والصناعة الأسبقية (عدداً) لكثرة فروعها ووفرة معداتها ونتائجها ، والأسبقية (رتبة) بالنظر إلى سعة علومها، ويانع أثمارها ودقة أصولها وسمو درجاتها، ولها من طول الباع في إسعاف ماسواها من المهن ما يعزز مقامها ويؤيد شرفها مدى الأيام، وكل بلاد تروم التقدم والارتقاء أدبياً ومادياً تجد أن المفتاح لما ترومه الاعتناء بالصناعة

إن الصنائع والفنون كلاهما · مما به الانسان قدراً يرفع
وهما الوسيلة للسعادة فاشتغل · بهما فإنك للبلاد ستنفع
واختر لنفسك ما يكون صنيعه · حسناً فقيمتك التي قد تصنع
ودع التكاسل والبطالة إنها · سبب يعوق عن المعاش ويمنع

٢١٨ — ﴿المطر وما يحدثه من المنافع للعباد﴾

المطر هو قطرات الماء الحاصلة من البخار الذي يصعد إلى الجو فيصير غيوماً وسحباً تسوقها الرياح بين القبة الزرقاء وسطح الأرض على أبعاد مختلفة — وعند ما تبلغ هذه الغيوم والسحب بعد ميل أو ميلين ارتفاعاً تبرد وتنخفض درجة حرارة الهواء فلا يستطيع حملها فتجتمع دقائق هذه السحب منضماً بعضها إلى البعض الآخر، فتتكون منها قطرات المطر فتسقط لكونها أثقل من الهواء الكروي والغيوم في الجو عند سيرها كثيراً ما تصادم رءوس الجبال، وأحياناً تتغير جهة سيرها، أو تصب ما فيها من البخار مطراً على رءوسها وجوانبها

وقد يحدث المطر أيضاً من مصادفة السحب مجاري رياح درجة حرارتها أوطى من درجة حرارة الغيم السابح — وكثيراً ما تجمد الأمطار عند انحدارها بسبب شدة البرد فتنزل برداً أو ثلجاً، فسبحان الخالق العظيم

٢١٩ — ﴿ الماء حياة جميع العالم ﴾

مما أنعم الله به على عباده الماء العذب الذي به حياة كل من على وجه الأرض من حيوان ونبات . قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون) وقال تعالى (وأنزلنا من السماء ماء مباركاً)

وقال الشاعر

وعارض مبتسم قد استهل ومدّ أطناب الغمام وأظل
حتى إذا أثرى الثرى من وبله وأخصب الجدب تولى وارتحل
كم أنزل الله لنا من رحمة ومن حياة بحياه إذا نزل

فهو الذي أغاث الأنام ، وأروى الهضاب والآكام ، وأحيا النبات والسّوام ، وجعله مزيلاً للأدران عن الأبدان ، والأوساخ عن الثياب والمكان

وبالماء يبل التراب فيصلح للأعمال والبناء، وبه يرطب كل يابس، ويستعين به كل زارع وغارس،وتطفأ به النيران،ويرتوي به الظمآن والعطشان،من انسان وحيوان في كل زمان ومكان،وتصلح به المطبوخات — وغير ذلك من جميع الموجودات — تلك حكمة الحكيم العليم فسبحانه وتعالى المتفضل العظيم

وبالجملة—فالماء من أجل النعم الالهية وأعظم المنن على كافة البرية التي لا تقدر ان تقوم بشكر المنعم عليها بعشر المعشار ولو أنفذنا في

ذلك الأقلام والبحار — فقد جعله الله تعالى حياة كل شيء، وجعل نفعه عاماً لكل موجود، ولم يجعله ملكاً لاحد من الوجود

ولذا امتنّ الله به على عباده امتناناً في الكتاب مسطوراً. فقال تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) فبه يزول ظمؤنا، وبه يعود ما ينقص من كمية الماء في الدم بسبب التبخير والتبول وباقي الإفرازات

٢٢٠ — ﴿ الحيوانات وما يبعث الانسان على الرفق بها ﴾

خلق الله لنا الحيوانات لتساعدنا في أحوالنا المعاشية، وقد علم الله أن بالناس حاجة الى أعمالها، وهم لا يطيقون إعمالها، ولا يقدرون عليها — ولو كلف الله العباد القيام بأعمالها لأجهدهم ذلك واستفرغ قواهم فلا يبقى فيهم فضيلة لعمل شيء من الصناعات والمهن التي يخصون بعملها — وقد سلب الحيوانات العقل والذهن لتذل للإنسان — فمنها ما نركبه ونحمل عليه الأثقال ونستعمله في جرّ العربات وحرث الأرض ودرس الحب. قال تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) ومنها ما نتخذ منه أقواتنا من اللحم واللبن وما نصنع منه ملابسنا وأغطيتنا وفرشنا بما يخرج منها من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك قال تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون — وهو الذي سخّر البحرَ لتأكلوا منه لحماً طرياً)

وإذا كان الأمر كما ذكر فالواجب شرعاً أن نرفق بها ونشفق عليها ولا نحملها مالا نطيق ونطعمها ونسقيها مكافأة لها على ما تجود به علينا من الأعمال النافعة كل وقت قال تعالى (والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمالٌ حين تُريحون وحين تَسرَحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس إنّ ربكم لرؤوف رحيم) (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين)

١٢١ — ﴿أنجزَ حرٌ ما وَعد﴾

حقاً إن الوفاء بالوعد من أفضل شمائل العبد وأوضح دلائل المجد وأقوى دواعي الإخلاص والود، وأحق الأفعال بالشكر والحمد وهو أصل المودّة والصفاء وثمرة المحبة والاخاء: قال تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها — وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولاً — يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وقال عليه الصلاة والسلام (آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) وقال بعض الحكماء من لقي الله بلسان صادق، وعامل الناس بحسن الأخلاق. وألزم نفسه رعي العهود

والمواثيق ، فقد ارضى المخلوق والخالق، وأدرك في الفضل كل سابق

وما أصعب نكث العهود ، وأقبح تضييع الحدود ، وأكبر عصيان الخالق المعبود . قال تعالى (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) وقال عليه الصلاة والسلام (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) وقال الشاعر

فإن جمع الآفات فالبخل شرها ... وشر من البخل المواعيد والمطل

لا خير في وعد إذا كان كاذبا ... ولا خير في قصد إذا لم يكن فعل

وقيل : وعد كالوعيد بمطال شديد بشيب الوليد، سحائب الصيف أثبت من قوله ، والخط في صفحة الماء أقوى من عهده ، ومواعيد عرقوب أقرب إلى الانجاز من وعده

إذا قيل في الناس خليل فقل نعم ... خليل اسم شخص لا خليل وفاء

وإن قيل في الناس جواد فقل نعم ... جواد ركوب لا جواد عطاء

وقال بعض الحكماء : من نكث عهده ومنع رفده وأظهر حقده فلا خير عنده

وبالجملة — أجمعت الأمم واتفقت الشرائع على أنه لا نكث لعهد بعد إبرامه ، ولا نقض لعقد بعد إحكامه ، وهو أس مهدت عليه قواعد الإيمان ، وبنيت عليه أركان الاحسان، وبه صلاح الخلائق وعليه مدار الحقائق ، وهو أمر تقبله العقل وصدقه اللسان، لو نبذه

الناس لأصبحوا فوضى ، وعادت سماؤهم أرضاً ، وأمسى عقد الحق محلولاً ، وصارم الصدق مفلولاً ، ودم التناصف مطلولاً ، فمن حفظ عهده وحافظ عليه ، فقد أسرع إلى الخير ووصل اليه

ثبتت على حفظ العهود قلوبنا   إن الوفاء سجيّة الأحرار

٢٢٢ — ﴿ الرشوة واثرها في تهديد الأمن العام ﴾

قد تقرر في عقول جهلة العوام أن الرشوة هي السبب الوحيد للخلاص من أية جريمة يرتكبونها فيقدم الواحد منهم على ما يخالفُ الأصول المتبعة، أو يخل بالأمن والسكينة، أو يهتك حرمات الحقوق اتكالاً على مايضمره في نفسه من أن الرشوة كافية للنجاة من العقاب أو الحصول على غرضه بأي وجه كان — وقد غلب على عقول العامة أن كل صاحب وظيفة لايصح أن يقضي أمراً في مصلحة لأحد إلا بالرشوة ولذلك يرون أن من الواجب على من التمس إنجاز أي عمل يتعلق بمصلحة أن يقدّم الى صاحب الوظيفة رشوة تبعثه على مباشرة ذلك العمل غير ملتفت لما تطالب به واجبات المصلحة التي أنيطت بذمته وَلذلك صار أمر الرشوة بينهم من قبيل العوايد التي لاتشمئز منها طباعهم ولا يستنكرها أحد منهم ، بل كادت أن تكون من الوسائل المحمودة لنجاح المقاصد ودفع الغوائل

ومن الناس من تكون حقوقه بينة جلية الثبوت خالية عن

عناد خصم او تدليس محتال ولا يكتفي بذلك في اقتضائها فيسارع الى الرشوة يدفعها لمن يرجع اليه تخليص حقه غنيمة باردة — وقد ينهره الحاكم العفيف ولا يرضى بقبولها وهو من سفهه يتوسل ويتضرع اليه في قبولها منه لظنه أنه لا نجاح بدونها،وليس ذلك إلا لرسوخ تلك المادة الشنيعة المضرة بالدنيا والدين في طباع أدنياء الهمم،تقرباً لذوي المناصب وتذللاً خبيثاً لايجوزه الشرع ولا قانون البلاد، وتنفر منه نفس كل ذي إحساس إنساني مع أن حفظ الاموال من الضياع في مالاينبغي وصرفها في وجوهها الضرورية أليق بفعل العقلاء،وأصون لحرمات القانون وأبعد في طريق السلامة من الوقوع تحت أعباء المعاقبة والتهلكة —وأحسن طريقة لردع ارباب الشره والخسة

٢٢٣ — ﴿ آثار منافع الصبر ومضار القنوط واليأس ﴾

الصبر اصل تفرعت منه فروع البر والاحسان،وأس بنيت عليه قواعد الطاعة والإيمان ، وهو حصن منيع المكان ، مشيد البنيان ، وجنة واقية ، وعزة باقية ، وقطب كرة الأمور ، وعليه جميع الأحوال تدور، فليس شيء من الفضل إلا والصبر سببه واليه منتسبه قال تعالى (أولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا إنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب)وقال عليه الصلاة والسلام

(الصبر كنز من كنوز الجنة) وقال الشاعر

وقلّ من جدّ في امر يؤمله　　　واستصحب الصبر إلاّ فاز بالظفر

وجميع خلال الخير، وخصال البر ،واحوال الطاعة، وما جعل الله في الانسان من حسن الشيم،وكرم الأخلاق ، واسباب الديانة ودواعي الايمان،انما هي كلها مرتبطة بالصبر، كيف ماتأملتها وعلى أي حال تدبرتها،فحينئذ جميع أحوال الدنيا كلها من السراء والضراء مفتقرة الى الصبر،راجعة اليه، سواء أكانت النفس راضية اليه أم كارهة له

وأما القنوط،فهو خلة ذميمة وخصلة سقيمة يوهن القوى الجسمية ويميت القلب ،ويعظم الخطب ويضعف النفس ويورث اللبس ويدل على فساد الطبيعة ويبعث على مخالفة الشريعة.ولا يسكن الا القلوب المعتلة، ولا يألف إلا العقول المختلة،فويل للهالع الجزوع،ما أتعس حياته، وأكثر آفاته ، يقل صبره لما ينزل ،ويسوءظنه بما يستقبل فلا يزال أخا فكر ووجل ، عمره متصل بالنكد والخجل، قال لقمان لابنه(واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور)فان الانسان إذا أطاع نفسه وأهملها وأسلمها ليد الجزع وأغفلها ولم يحملها على الصبر فيما دهمها فقد بخسها حقها وأحرمها وهانت عليه وما أكرمها فسكنت الى الجزع وامتنعت من السلوان — وقالت الحكماء : من قل صبره، وعظم عليه أمره،وضاق عن حمل ما نزل به صدره، فقد

تبين كفره — لأنه لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس

ضجر الفتى في الحادثات مذمة　　　والصبر أليق بالرجال وأوفق

٢٢٤ — ﴿ في التأني السلامة وفي العجلة الندامة ﴾

لا تعجلنّ بأمر أنت طالبه　　　فقلما يدرك المطلوب بالعجل

فذو التأني مصيب في مقاصده　　　وذو التسرّع لا يخلو من الزلل

إن التأني في العمل دعامة النجاح ، ومصدر الفوز والفلاح ومحور الحزم ، وعضد العزم . وحصن السلامة ، وصراط الاستقامة به تسود الممالك، وتنجو من العطب والمهالك، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وقال عليه الصلاة والسلام (من تأنى أصاب أو كاد — التأني من الله) وقيل من تأنى نال ما تمنى، وقيل يد التأني تجني ثمرة السلامة ، ويد العجلة تغرس شجر الندامة — وقال الشاعر :

الرفق يمن والأناة سعادة　　　فتأنّ في أمر تلاق نجاحا

وما أتعس العجلة والإسراع في الأمور. فكم بدلات اندثرت مدن وقصور ، وما أشقى من ارتدى برداء الاستعجال . ولم ينظر الى ما وراء ذلك في الاستقبال . من تقلبات الأمور !

وقد نهى المولى عن العجلة فقال (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال عليه الصلاة والسلام (العجلة من الشيطان ومن تحرى أخطأ أو كاد)

وقال بعض الحكماء: من استعجل في أمر قبل أوانه، عوقب بحرمانه

قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومن تأمل بعين البصيرة في حكمة خلق المولى تبارك وتعالى العالم في ستة أيام مع كونه قادراً أن يخلقها في أسرع من لمح البصر يرى مزايا التأني الواجب شرعاً اتباعه

۲۲٥ — ﴿ الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ﴾

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل   الى غدٍ إن يوم العاجزين غد

نعم، ان الوقت سيف قاطع، وبرق لامع، ومن الحزم انتهاز الفرصة وترك التواني فيما يخاف فيه الفوت

وانتهز الفرصة ان الفرصه   تصير ان لم تنتهزها غصة

ومن أعظم المصائب فوات الوقت بلا فائدة، واكتساب عائدة، قال تعالى (وأنفقوا مما رزقنا كم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب) وقال بعض الحكماء: اغتنم بياض النهار قبل العشية — وقال الشاعر

إذا ضيعت أول كل أمر   أبت أعجازه إلا التواء

فالعمر قصير، وترتيب الأوقات، يطيله، والناس مبصرون ولكنهم عن قيمة الوقت عميان

يسر المرء ماذهب الليالي   وكان ذهابهن له ذهابا

فمن اتخذ اليقظة نبراساً، وانتهاز الفرصة أساساً ، هانت عليه عظائم الامور، وعظمت مهابته في الصدور، وخف عنه عبء الصعاب وانفتح له من الخيرات كل باب

ومن نبذ انتهاز الفرصة، فلا شك أنها تنقلب عليه غصة، ويقع في حيرة لا يدري كيف العمل ، وقد سبق السيف العزل ، لأن الماضي لا يرد ، والمستقبل ليس في اليد

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فالزمان إذا مرّ على الإنسان بدون فائدة ، ولا اكتساب عائدة لا يحسبه العاقل من عمره ، ويظنه الجاهل من سعده وخيره

إذا فاتني يوم ولم أصطنع يدا ولم أكتسب علماً فما ذاك من عمري

قال حكيم: لا تؤخرنّ عملاً عن وقته فان للوقت الذي تؤخره اليه عملاً آخر ، ولست تطيق ازدحام الأعمال لأنها إذا ازدحمت دخلها الخلل

وبالجملة — أن ضياع الوقت لا يوازيه شيء آخر سواه، مهما كان نفيساً فاذا فرّطت في متاع عزيز أو تحفة ثمينة أمكنك استردادها بضرب من ضروب الحيل — أما إذا فرطت بساعة من عمرك وأضعتها بدون أن تكتسب فيها خيراً أو محمدة لا يمكنك استرداد تلك الساعة ولو بذلت في سبيلها ملء الأرض ذهباً — فالوقت إذاً أثمن

من الذهب والجواهر الكريمة ، وأعز من كل غال نفيس

حياتك رأس المال والعلم ربحه ... وأخلاق أشراف بهنّ تصدر

وموسمك الأيام فلتك حازماً ... وإلا فذو التفريط لاشك يخسر

ومن ضيّع الأوقات ضاعت حياته ... وعاش فقيراً جاهلاً ليس يشكر

ودع غائباً من فائت ومؤمل ... فوقتك سيف قاطع ليس يعذر

٢٢٦ — ﴿أيهما أقوى نفوذاً سلطان الحاكم أم سلطان الدّين ؟؟﴾

أن راحة المجتمع الانساني، وتقدم العمران، معقودان بحافظين أحدهما الوازع الباطن وهو (سلطان الدّين)

وثانيهما الوازع الظاهر وهو (سلطان الحكومة)

أما الوازع الباطن فهو سائد على كثير من عباد الله، واليه يستند كل ما نجده من الخير في العبادات والمعاملات، اذ هو المظهر الحق للناس، المبين لهم الطرق المؤدية لخيري الدنيا والآخرة، فيميزون بين الحسن والقبيح ، ويفرقون بين السقيم والصحيح، ويستحضرون خالقهم في السر والجهر ، فيدعون لبعضهم الائتلاف والاخاء والاخلاص والولاء، ويسعون جميعاً فيما به طيب حياتهم، وتشييد ملكهم، لأن الجامعة الدينية أهم أسباب سعادة الأمم وتقدمها ولكن يا للأسف قد اعتل في صدور من إذا عرضت لهم الشبهة ترددوا، وترحل عن صدور أدعياء العلم الذين لن يوجد أبعد منهم

عن الصواب في هذه المسئلة — وبالأسف أننا قد ابتلينا بضعف سطوة الوازع الديني وخذل قوته ووهن شوكته فنحن إذاً في زمن أحد الوازعين فيه عليل وهو سلطان الدين
والآخر صحيح وهو سلطان الحكومة

وهذا الوازع الصحيح هو في أصل طبيعيته لا يبصر ما يبصر ذاك ، ولا يتوصل الى ما يتوصل الى معرفته من الحوادث السرية والوقائع الخفية. وشتان ما بين الغائب والشاهد — فكيف به وقد صار ملتزماً أن يسد مسد أخيه عند من لم يبق لهم واله إذ بالله وازع الباطن

٢٢٧ — ﴿ الكرم يبعث على ارتياح في نفوس الكرام ﴾

ان الكرم إسم واقع على كل نوع من أنواع الفضل . ولفظ جامع لمعاني السماحة والبذل، فالجود فعل محمود، وعز موجود . ومن جاد فقد ساد ، قال تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقال عليه الصلاة والسلام (السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الأرض فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخلته الجنة . ألا إن السخاء من الايمان والايمان في الجنة)

بخلاف البخل فانه أدنى خلة، وأودى ذلة . قال تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم) وقال عليه الصلاة والسلام (اللهم إني أعوذ بك من البخل) وقول الشاعر

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري   فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى   بخيلاً له في العالمين خليل

وقال بعض الحكماء ثواب الجود ثلاثة. خلف، ومحبة، ومكافأة وثواب البخل مثلها . تلف ، ومذمة ، وحرمان ، وقال آخر : لو كان شيء يشبه الربوبية لقلت الجود — وقال عليه الصلاة والسلام (البخل جامع لمساوى القلوب ، وهو زمام يقاد به الى كل سوء) وعنه أيضاً أنه قال (السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار — ولجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل) وقيل — ذللوا أخلافكم للمطالب ، وعودوها على المحامد ، وعلموها المكارم ، وتحلوا بالجود بالبسكم ثوب المحبة، فمن جاد ساد، ومن ساد شاد، وخير المال ما أفاد حمداً . ونفي ذماً، وصان عرضاً ،وأدى فرضاً

وقصارى القول ، ان الجود وصف حميد، لا يدرك شأو كماله ولا يبلغ المديح غاية حسنه وجماله

لنعم الجود ساتر كل عيب   وبئس البخل كشاف العيوب

وكم مدحت به رجال وأحيا ذكرهم على مر الأيام والليالي فمن هو حاتم ، وكعب بن مامة . ومعن بن زائدة ،والفضل ، ويحيي وغيرهم ممن دمرهم الدهر، لولا أن الجود حفظ ذكرهم، ونقش أثرهم على صفحات الأيام وضرب بهم الأمثال لنسخ ذكرهم من الألسنة

والبخل كشاف المعائب، فضاح المثالب ، يجعل صاحبه مضغة في أفواه المذام ، وسبة في ألسنة الخواص والعوام

٢٢٨ — ﴿ رضاء جميع الناس غاية لا تدرك ﴾

ولقد طلبت رضى البرية جاهداً　　فاذا رضاهم غاية لا تدرك

إن من الناس من يتقلد أسنى المراتب، وأسمى المناصب، يحكم السياسة ، ويرأس الرياسة ، ويراعي فيهما ارضاء الخالق والمخلوق ولا يلهيه نعيم الصفاء وصفاء النعيم عن تعهد الضعيف وتفقد اليتيم وعن إسداء المبرات إلى ذوى الحاجات واستماع شكوى المظلوم واستطلاع دعوى المهضوم ، حيث يعلم أن أحب الناس إلى الله أنفعهم لعباده ، وأكيس الكيس من عمل لمعاده ، وأن من ولي الأمور ، وجب عليه إسعاف الجمهور ، بدون تفرقة بين الخامل منهم والمشهور، فمثله مثل الربان الذي يدخر الزاد في سفينته ويحكم السكان ، ولا يبحر إلا على أمان ، ولا يرسو إلا وهو ذو اطمئنان

أجل — إن أحوال الإنسان في معاشه تشبه السفر في البحار إذ هي محفوفة بالأخطار والأكدار . فبينما يكون فيها رخي البال مغبوط الحال ذا أعوان ومال ، إذ بالزمان قد أخنى عليه فانتفت به كوارثه، وشملته حوادثه ، حتى تكاد تنضب عنه مزاياه ، وتشين سجاياه، فيخيل للناس أن تلك الرآسة التي نالها، والمعالي التي طالها

إنما كانت عرضاً واتفاقاً ، وإنها كانت عارية عنده لا خلاقاً، وأن في وسع كل إنسان أن يدركها مثله إذا ساعده الزمان ، — إذاً فلا غرابة في أنه لا يتأتى لأحد ولي الرآسة ، وإن انتهت اليه الشهامة والكياسة ، ان يرضى جميع الناس، ويستخلص مودتهم له من دون التباس، فإن أغراض الناس متفاوتة متباعدة ، ومقاصدهم متباينة متعاندة، وأهواؤهم كهبوب الرياح ، لا تستقر على حال من الأحوال

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لئامها

ومنهم من يتقلد المناصب عفواً وهو غير مترشح لها، فتجمح به إلى حيث تلتوي عليه الأمور ، وتتجاذبه جواذب المحذور من المقدور . فيخبط خبط عشواء ، وتطوحه الأهواء كيفما يهوى ويشاء

٢٢٩ — ﴿ أيهما أهنأ للمرء الصحة أم الثروة ﴾

الصحة أجل النعم التي أنعم الله تعالى بها على الانسان وأرفعها مقاماً ، إذ بها يطيب العيش ويهنأ البال. قال عليه الصلاة والسلام (إذا أصبحت معافاً في جسمك، آمناً في سربك ،عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء) فالصحة لا يوازيها مال، ولا يقوم مقامها عز ولا جاه ، لأنها الأصل الذى تتفرع عنه الأعمال، والأساس الذي تبنى عليه الخيرات . قال عليه الصلاة والسلام لرجل كان يستمر في الصوم (إن لبدنك عليك حقاً) وقال بعض الحكماء : الزم الصحة يلزمك

العمل — وماذا تجدي الثروة إذا أصبح الانسان في آلام ، وماذا يفيد المال إذا وهنت الأجسام

لا أستلذ العيش لا أدأب له   سعياً وكذا في الهواجر والغلس
وأرى حراماً أن يؤاتيني الغنى   حتى يحاول بالعناء ويلتمس

فالصحة هي عين الغنى التام، وظلال الأمن والسلام - قال عليه الصلاة والسلام (ما رأيت أهنأ من العافيه) وقد قال بعض الحكماء إن من أهم شروط النجاح في دار الدنيا ، أن يكون الانسان قوي البنية ، ومن أهم شروط عزة الأمة، أن تكون أفرادها أقوياء، لأن النجاح في الصنائع للقويّ من الصناع

وقد أجمع العقلاء على أن القوة العاقلة بدون الصحة معطلة لا يمكنها الوصول إلى الغاية المقصودة منها إلا بها . ولذا كان الاعتناء بالتربية الجسدية ، ومراعاة جميع الوسائل الصحية أمراً لازماً حتى تتسنى تربية القوى المفكرة

والجسم للروح مثل الرابع تسكنه   وما تقيم إذا ما خرب بيتها

وبالجملة — فالصحة أثمن من الثروة، فإن الانسان يجود بثروته ليملك صحته ، لأنه قد يستغني بالصحة عن الثروه . بخلاف الثروة فإنها لا تغني عن الصحة شيئاً — فالحياة بدون صحة عديمة اللذة !

ومطالب الصحة انتظام العادات ، والرياضة البدنية ، والنظافة

والاعتدال في الأكل والشرب، فمن حافظ على هذه المطالب حفظ في الغالب صحته من الاعتلال، وجسمه من الأسقام

والصحة خير قنية ويتلوها الجمال ثم الغنى المكتسب بالطرق المحللة، ثم الشباب

لذة العيش صحة وهناء　　فإذا وليا عن المرء ولى

٢٣٠ ﴿أثر السكك الحديدية في المدنية والحضارة﴾

إن الانسان بواسطة هذه السكك صار يستغني في سفره عن عدة أشهر ببعض أيام، ومن عدة أيام بيوم أو بعض يوم، فضلاً عما توفر عليه من ماله الذي كان يصرفه في سفره، وما اكتسبه من الراحة مما كان يكابده من المشاق والمتاعب والعوائق، فلا تروج صناعة ولا تتقدم تجارة ولا زراعة إلا بها، لأنها هي التي تنقل المصنوعات من بلد الى بلد ومن مملكة الى أخرى، فيحسن حالها وتنقل حاصلات الزراعة من الثمار وغيرها فيزيد نفعها وتزيد بزيادته رغبة الناس فيها واعتنائهم بها

ومما لا شك فيه أن هذه السكك قد سهلت من السفر كل خطر شديد، وجعلت البلد البعيد، أقرب من حبل الوريد، وسهلت المواصلات، وقربت المسافات، فنمت التجارة، وعظمت الأمارة وتلألأ العمران، في سائر البلدان. وتيسر للعلماء وأصحاب الصنائع السفر الى البلاد البعيدة، والاطلاع على أمور كثيرة، وبذلك تتسع

العلوم وتكثر الفنون وغير ذلك من منافعها التي لا تحصى ، ولا تكاد تستقصى ، والفضل في ذلك للمهندس الشهير (جورج ستيفنسن)

٢٣١ — ﴿ الشكر جذاب السعادة وجلاب الزيادة ﴾

الشكر ترجمان النية، ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص وعنوان الاختصاص ، ومصدر السعادة ، وقيد النعمة ومفتاح الزيادة ، وهو أمر محبوب، ومرغوب فيه ومطلوب ، فلو كان يجلّ عنه ماجد لعلو شأنه ، أو ملك لرفعة سلطانه ، لما أمر الله عباده بشكره والتحدُّث بنعمته وبرّه

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد   لعزة نفس أو علوّ مكان
لما أمر الله العباد بشكره   فقال اشكروني أيها الثقلان

فشكر المنعم واجب ، والثناء على المحسن أمر لازم . ونعمة الشاكر من النقص والنقض في أمان ، ومن السموّ والنموّ في ضمان وهو تميمة لتمام النعمة — والسعيد من إذا أطلته النعمة لم يشتغل بسكرها عن شكرها . فإذا أونست النعمة بالشكر رتعت فتربعت وإذا أوحشت بالكفر نفرت وظعنت قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) وقال عليه الصلاة والسلام (الشكر نصف الإيمان) وقال بعض الحكماء : الشكر قيد الموجود وصيد المفقود، وكفران النعم عنوان النقم، قال سيدنا عمر رضي الله عنه

(النعمة داء ليس لها شفاء إلا الشكر)

الشكر أعظم ما حاولت ملتمساً به الزيادة عند الله والناس

٢٣٢ — ﴿ وصف حديقة الحيوانات ﴾

أول ما رأيته ملك الحيوانات، وأشباله في غابة من الغابات — وهو ملك مهاب، حديد الظفر والناب، (أسد) ضرغام، وبطل مقدام ثم رأيت رعيته على اليمين والشمال مرتبة على هذا المنوال (فالفيل) له خرطوم طويل، يشبه الصولجان، ويحكي في تلويه الأفعوان، وأذنان كالترسين، تحتهما نابان كالرمحين، شديد الغيرة، حقود يرتاح إلى الطرب (والزرافة) التي حازت أنواع اللطافة، عالية الصدر، منحطة الأواخر، جميلة الأوصاف والمناخر — و (النمر) شرس الأخلاق دم الفريسة بين يديه يراق، وثباته لا تنكر، وثباته أشهر من أن يذكر — و (الفهد) خصره رقيق واضح الجبين، يتبختر ذات الشمال وذات اليمين — و (الدب) مشغوف باللهو واللعب كثير الشهوة والطرب يقبل التعليم والتأديب، ويأتى من بحر فطنته بكل عجيب — و (الذئب) الذي له الغدر شيمة، والغنم لديه غنيمة، يألف الوحدة والانفراد ويسطو بأنياب حداد — و (الثعلب) رائغ، وعن جادة الطريق زائغ وافر المكر والحيل، يضرب بخديعته المثل — و (الضبع) حضاجر كنيتها أم عامر، موصوفة بالعرج — تفترس كل من دبّ ودرج

و(النمس)صائل صائد،ظهره عظم واحد،له يدان قصيران،لا ينجو منهماطير ولا ثعبان—و(السنجاب)أبلق،بطنهأبيض وظهره أزرق يأوي الأشجار العالية،ويسكن الأماكن الخاليه—و(الظبي)كحيل الطرف،ذكي العرف، جميل الصفات،حسن الإلتفات - و(القرد النسناس)في خلقه مايشبه الناس، معروف بالفهم والذكاء، صبور على السراء والضراء— و(الببغاء) جميل الصفات . قوى على حكاية الأصوات ،فهمه صحيح،ولسانه فصيح— و(الهدهد)وافر الهداية نافرعن الضلاله والغواية، يمد فى حلله الفاخرة، يميس كأنما ألبسه سليمان تاج بلقيس،فيالهامن روضة أنبتت السرور، وحوت أصنافاً جمة من الثمار والزهور، وفي وسطها تلك الحيوانات التى لا أجمع من أشخاصها وأسمائها ، ولا أتحقق من أحوالها وأنبائها

فتلوت إذ أدهشني جمعها وخلقها (وما من دابه فى الأرض إلا على الله رزقها)

٢٣٣— ﴿آثار التواضع عند الله والناس﴾

لاريب أن التواضع للناس، من موجبات الألفة ....

وهو عبارة عن لين الجانب وخفض الجناح . وهو خلق أهل العلم والصلاح - قال تعالى(واخفض جناحك للمؤمنين) وقال عليه الصلاة والسلام : أفضل العبادة التواضع . وقال الشاعر

تواضع اذا ما نلت في الناس رفعة　　فان رفيع القوم من يتواضع

فالتواضع سلم الشرف وموجب للترقي الى أعلى الغرف ، وهو أجل مزية ، وأفضل سجية ،وتاج الوقار،وشعار الأطهار ،وشبكة الشرف ، وأشرف الشرف

والكبر وصف في الأنام مذموم ، وصاحبه من الخيرات محروم ، ممقوت من الله تعالى ومن العباد ، مسلوق طول حياته بألسنة حداد،بل صاحبه جدير بالخزى في حياته ومماته،بل هو قتيل شهواته ولذاته ، قال حكيم : (ألسنا أخوة هكذا يجب أن يكون الانسان أخاً للانسان غير أن خزفاً يختلف عن خزف فى القيمة ولو كان من طينة واحدة) وقال آخر (الأحمق كالرمل المنهار كلما قومت منه جانباً انهار عليك جانب آخر) ومثله كالثوب الخلق ان رفأته من موضع تخرق من موضع آخر ،فالكبر عنوان الحماقة

وليس الفقر من اقلال مال　　ولكن أحمق القوم الفقير

ليت شعرى — أهل نسى المتكبر أصل وجوده،ومنهل وروده واغتر بنفس عالة ، وحياة فانيه . وتكبر على معاشريه ،وترفع عن معاصريه ، أما يعلم أنه من نطفة مذرة ، وسيكون جيفة قذرة،وما بين ذلك حامل العذرة

أرى أبناء آدم أبطرتهم　　معيشتهم من الدنيا الدنيـة

فلمَ بطروا وأولهم منيٌّ   أو افتخروا وآخرهم منية

فالمتكبر مشئوم، والمتعاظم مذموم — والتكبر من أخطر الخطوب وأكبر القبائح والذنوب، قال الله تعالى (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين — ولا تمش في الأرض مرحاً — ان الله لا يحب كل مختال فخور) وقال عليه الصلاة والسلام (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر) وقال الشاعر

وأحسن أخلاق الفتى وأجلها   تواضعه للناس وهو رفيع
وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه   رفيعاً وعند العالمين وضيع

وبالجملة - الكبر وصف محذور، حامله ممقوت عند الله محقور، يضعه الله كلما ارتفع، ويخفضه كلما طلع، وهو أخبث سرائر القلوب، وأعظم كبائر الذنوب، فلا يرى صاحبه أبداً إلا غايظا فظاً، لا يرى لأحد سواه في الفضل حظاً. وقد قيل (من ترك الكبر استوجب الثناء) فالتكبر على الملوك سخافة، وعلى الأكفاء جهالة، وعلى الأسقاط خساسة

والتواضع سهولة الأخلاق مع الناس في مخاطباتهم. ولين الجانب في معاملاتهم، وتجنب العظمة والكبرياء، والتباعد عن الاعجاب والخيلاء، وهو حلية يتحلى بها الانسان إن كان عاطلاً ويرفع ذكره إن كان خاملاً، به يسمو في الدنيا قدره، ويعظم فيها

خطره ، يتملك صاحبه مودّة القلوب، وينال كل مرغوب ومحبوب به يجتلب المجد، ويكتسب الحمد ، وضده الـكبر وهو أقبح وصف يسلب من الانسان الفضائل ، ويكسبه النقائص والرذائل

كيف لا وأن أقبح ما يرى عليه الانسان أن يكون متكبراً لأنه بذلك ينسب لنفسه ما لا يصح أن ينسب اليه ، ويدّعي ما ليس في الامكان أن يناله.وهذا ضرب من الخلل، ودليل واضح على الجنون وبرهان ساطع على الغرور،ومن غره السراب،تقطعت به الأسباب قال عليه الصلاة والسلام (لا يتواضع إلا كل رفيع ، ولا يتكبر إلا كل وضيع) على أن التكبر عنوان الجهل

٢٣٤ — ﴿ طاعة أولياء الأمور مصاس رقي الأمم ﴾

الطاعة هي الحرم الأوفى، والعروة الوثقى ، والكهف الحصين والملاذ الأسمى ، من تمسك بحبلها سلم،ومن لجأ اليها غنم . وهي أس الدين ، وأصل اليقين ، ومنهاج السيادة وطريق السعادة ، وأساس النظام الذي عليه مدار حسن الأعمال ، والسبب القوي لإصلاح الأمور وتحسين الأحوال،بها تسعد البلاد والأوطان،ويعم بها النفع وتتسع دائرة العمران ، فحق على كل فرد أن يمتثل لولي أمره،ويحفظ له الحق في احترامه وتعظيم قدره،وأن يقوم بما عهد اليه من الأعمال بالكمال،وأن يهتم بتأديته على أتم نظام وأحسن حال— فان المرء إذا

اتخذ الطاعة شعاراً ، والامتثال دثاراً ، يرى رؤساؤه تقديمه على غيره ويفضلونه على أمثاله من أبناء عصره،فينال منهم حسن الرضا وقت الغضب ، ويفوز منهم بجميل النعم إذا طلب ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فقد قرن وجوب طاعة الرؤساء وولاة الأمور بطاعة الله ورسوله لأنها عبارة عنها، ونيابة منها، إذا سلك الرئيس الطريق الجادّة ولم يتعدّ الحدود المحدودة — وقال عليه الصلاة والسلام (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد حبشي) . وقال الشاعر :

إن شئت تحظى بالسعادة والمنى   فأطع ولاة الامر فى حسن امتثال

٢٣٥ — ﴿ أهميّة التربية لدى الأمم الراقيه ﴾

التربية طريق النجاح ، وسبيل الهدى والفلاح ، بها يرتفع الانسان من حضيض الهمجية ، الى ذروة المدنية . وبها تستنير الأفهام ، ويعلم الحلال من الحرام ، بها يعرف الانسان ما ينفع وما يضر،ويحزن ويسر ، بها يعلم المرء ماعليه وماله، وهي التي تصلح شأنه وتحسن حاله، بها يعلم الخير فيقتنصه ويحرزه،والشر فيجتنبه ويتجاوزه وهي زينة الشباب وحلية المشيب ، بها يزدان المرء فى جميع أدوار عمره ، ويتحلى بها في صغره وبعد كبره ، فكلما وجد فى الأمة دعاة نصبوا أنفسهم لنشر الفضائل بين بنيها،وخصصوا ثمين أوقاتهم لغرس

بذور التربية فى مروج أذهانهم ، وعرجوا بهم عن مناهج أضداد الكمالات الانسانية،من حيث هي مبادىء آلهية، كلما ركزت فيهم الملكات الفاضلة،وانطبعت فيهم الغرائز الكريمة،ومالوا عن الشرور الى الخيرات - وكلما تقوّى هذا المبدأ الشريف بين أفراد الشعب كلما أخذوا في الإرتقاء الى معارج الفلاح ، وتدرّجوا الى أعلا مراتب النجاح . قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى المعروف وينهون عن المنكر) فما أطيب ثمار التربية والتعليم، وما أحسن غرس بذور العلم فى نفوس الناشئين والناشئات ، أما اذا انفصمت عرى هذا المبدأ وتداعت قوائمه،وتناسى القائمون بالدعوة شأنها،وأهملوا أمرها فأغفلوا النداء لأمهات الأخلاق السامية وغضوا النواظر عن تقويم الافكار وتثقيف العقول وتهذيب النفوس بالتربية والآداب أسرع الفساد الى أفراد الأمة وتمكنت من نفوسهم الرذيلة وتغلبت عليهم الشهوات السافلة فتجنح أميالهم دائماً الى الشرور وتحل النقصة منهم مكان الفضيلة وتنحل جامعتهم فيكونون قلوباً شتى لا رابطة تربطهم ولا جامعة تجمعهم — وهنا تنحط الأمة الى أسفل السافلين

فسعادة الأمم والمجتمع الإنساني انما يكون بالتربية الفاضلة وتهذيب النفوس ودعوتها الى الخير ودربها على الكمالات الانسانية حتى تصير لها ملكات وغرائز — وأنه يستحيل أن تتوجه أمة من

الأمم الى الوجهة المثلى وجهة الفلاح إلا بطريق التربيــة التي هي تثقيف عقل الأبناء بالمبادىء الفاضلة «من العلوم والمعارف» وتروض روحهم بالأخلاق الطاهرة، وتعوّد نفسهم على العادات السامية وتهذب أفكارهم بالآداب السامية وآداب الشريعة والدين ودستور البلاد ذلك هو منهاج الفلاح ، ومعراج النجاح ، هذا هو سر استواء هذه الأمم على عروش السعادات ، هذا هو الينبوع الذي سوّغ للغربي أن ينتحل لنفسه حق الرآسة على الشرقي

وبالجملة — فالتربيه رأس مال لا يفنى وهي نوعان نفسية. جسمية فتربية النفس تكون بقلع الرذائل منها وغرس الفضائل فيها، وهي من الأسرار التي عليها مرقاة السعادة الدنيوية والأخروية ، وإنما تفيد ببث روح العقائد الدينية فى قلوب الناشئين وعدم اكراههم على تحمل لأذى حتى يشب المرء على حسن الخلق وصفات الكمال كالمروءة والشجاعة . والصدق . والكرم . ويكون بعيداً عن المنكر والشرور لا يكدر وجه الآداب كي يصبح مألوفاً محبوباً يهدي الى الهدى ويصد عن الهوى

وعوامل التربيه كثيرة منها الأم والاب والمؤدب والمكاتب والمدارس وهي أهمها — ولذا تجد التربيه تتفاوت إلا انها أعظم من التعليم — إذ بصلاح التربية تصلح الأمم وبفسادها يفسد الكون

فويل لأمة لم تعتن بها ، ووالله ما امتلأت السجون، ويتّمت الاطفال واستحكمت حلقات الجهل وعمّ الضلال إلا بترك التربية — وأن الشخص الذي يهمل ليكون أشد من الوحوش الضارية، وأحط من البهائم — ومن تربى تربية صحيحة خليق به أن يقود الامم ويرفعها الى أوج السماكين ، ويكون من الداعين الى اعلاء كلمة الحق ورفع منار الاسلام ببيان أسراره وأوامره ونواهيه وزواجره التي هي أس كل عدل ، وناموس كل عصر، ونظام كل ملة

والتربية أنجع ما تكون في الصبا الذي بفواته يفوت المرء ما يؤمله من طلب السعادة -- ولذا كانت فيه من أهم المطالب فان المرء في صغره كالغصن في أوانه . يقبل التقويم والتعديل

ولذا قال محي الدين بن العربي

لا تسه عن أدب الصغـــير وان شكا ألم التعب
وذر الـكبـير فانه كبر الـكبير عن الأدب

لأنه متى أخذ في مبدئه بالتهذيب والتطبع بالأخلاق الفاضلة والمقاصد الشريفة انقاد الى ما يوحى الى فطرته الأولية، ونشأ على ما تعوّده وجبل وسهل عليـه فيما بعد صنيعة الخير بقدر بُعده عن الشرور والرذائل — ومعلوم أن التربية النفيسة أفضل من التربية الجسمية اذ أن الأولى راجعة الى الروح — والثانية راجعة الى الجسم

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته　　أتطلب الربح مما فيه خسران
انهض إلى النفس واستكمل فضائلها　　فأنت بالروح لا بالجسم انسان

٢٣٦ — ﴿لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب﴾

من دلائل الحكمة، وأفضل الفضائل المهمة، الصمت وقلة الكلام، إحترازاً عن الوقوع في الآثام، لأن من كثر لغطه كثر سقطه، ومن تكرر مقاله سئم، ومن كثر سؤاله حرم، فكلام الانسان بيان فضله وترجمان عقله، وكل يعرف بقوله، ويوصف بفعله، ورب قول أنفذ من صول، وطعن اللسان أنفذ من طعن السنان، وجرح الكلام أوجع من جرح الحسام

فالأولى بالانسان صون اللسان وهو صغير الجِرم كبير الجُرم

جراحات السنان لها التئام　　ولا يلتام ما جرح اللسان

فالكلام دواء ان قلّ نفع، وان زاد وكثر صدع

ان القليل من الكلام بأهله　　حسن وان كثيره ممقوت
مازلّ ذو صمت وما من مكثر　　إلا يزل وما يعاب صموت
ان كان ينطق ناطق من فضة　　فالصمت درٌّ زانهُ ياقوت

الخطأ بالصمت يختم والخطل بالكلام لا يكتم — قال عليه الصلاة والسلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت)

الصمت يكسب أهله　　صدق المودة والمحبة

والقول يستدعي لصا　حبه　المذمة والمسبة

وقال بعض الحكماء : الزم الصمت تعدّ في نفسك فاضلاً ، وفي جهلك عاقلاً ، وفي قدرتك حليماً ، وفي عجزك حكيماً ، وإياك وفضول الكلام فانها تظهر من عيوبك ما بطن ، وتحرّك من عدوّك ماسكن

وقال آخر : اعقل لسانك إلا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه أو كلمة تفسرها ، أو حكمة تنشرها

الصمت زين والسكوت سلامة　فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
فلئن ندمت على سكوتك مرّة　فلتندمن على الكلام مرارا

٢٣٧ — ﴿ اذا أراد الانسان السفر برّاً فما الذي يستخدمه من الحيوانات الجمل أم الحصان ؟ ؟ ﴾

أن المولى سبحانه وتعالى كرّم بني آدم حيث جعل له السلطة العامة على جميع الحيوانات ، وسخرها كيفما أراد . فسخر الخيل للركوب ولحمل الأسلحة عليها في الحروب تسبق السيل في السير معقود بنواصيها الخير . وراكب ظهورها فارس ، وهي أجل حافظ وحارس ، وزينة وعز ، وكنز وحرز ، قال تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) وسخر لنا أيضاً الجمال لحمل الأحمال الثقال وقطع المراحل الطوال ، مع مكابدة الكلال والصبر على مرّ النكال ولا يعتريها من ذلك ملال ، تسير في الفيافي والصحراوات ، وتكابد

الآلام والمشقات ، زهداً وفقراً وجلداً وصبراً على العطش والجوع حتى تحل في أعطانها

وحينئذ الجمال أفيد في المواصلات كما أشار المولى الى ذلك في الآيات (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) فهي مطية الصحراء ، ومركب البيداء ، بتمكن راكبها من النوم عليها، وتنقاد لمن بين يديها. بخلاف الخيل فإنها وإن كانت تقتحم الطريق اقتحام السبل، وتحوز قصبات السبق في ميدان السباق إلا أنها ليس لها طاقة على المشاق والصبر في الجوع والعطش بضع ساعات كما تصبر الجمال جملة أيام معدودات

٢٣٨ — ﴿ الطب والأطباء في الهيئة الاجتماعية ﴾

الطب علم تحفظ به صحة الأبدان ، وهو كنز ثمين لما فيه من الفوائد الجليلة ، والمنافع العديدة . التي تعود على الهيئة الاجتماعية بالخيرات والبركات المفيدة ، وبواسطة انقطاع دابر الأمراض الوبائية واستئصال جرثومة الأوبئة الردية . التي تكاد أحيانا تفتك بالنفوس فتكاً سريعاً. وتزهق بأرواح العباد زهقاً مريعاً، وحينئذ صناعة الطب تهم كل طبقات الناس، والطبيب هو مطمح أنظار كل إنسان. رفيعاً كان أو وضيعاً والانسان من حيث أنه يميل بالطبع إلى البقاء ويخشى الفناء، كان مدفوعاً بالطبع أيضاً إلى الحرص على الصحة التي هي دعامة الحياة، وقوامها

والحرص على الصحة يتوقف على الأطباء الذين هم ركن عظيم في انتظام حال البشر — كيف لا وبعلومهم ينال المرء الهناء في عيشه، والتمتع بصحته، والصحة من أكبر النعم على الانسان، بعد الوجود والإيمان

وقصارى القول — أن الطب مهنة سامية، وحرفة شريفة عالية وأن الطبيب رجل الشعب ، تتوقف عليه أرواح العباد، ولا يستغني عنه فرد من الأفراد، فله المقام الأسمى، والدرجة الرفيعة في المجتمع الانساني ، مادام متصفاً بمكارم الأخلاق، وأمهات الفضائل ، مبتعداً عن قبائح الصفات والرذائل

بالطب صحت حسوم الناس من سقم وبالاطباء أضحى الكون معموراً

٢٣٩ — ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾

المال روح تحيا به أجسام الممالك، وسراج يضيء به ظلام الخطوب الحالك ، وسلطان قوي الشوكة والبطش ، شديد العزيمة والبأس عليه قوام الصنائع ، وإبراز مكنونات العلوم ، ونجاح الاختراعات والمشروعات ، وقضاء الحاجات في جميع المهمات ، فأي شخص رزق مالاً لحظته السعادة، وامتدت علية غصون السيادة، فللمال الأفضلية والأولوية في المنفعة على البنين

وبديهي أن الحامل المرء على جمع الأموال والسعي وراء اكتسابها ، إنما هو الحصول على ما يقوّم به أود حياته ، من مأ كل

ومشرب وملبس ، وكل ذلك مقدم على أمر التناسل وحب الأبناء

وكيف يكون للبنين فضل على المال ، وأنهم بدونه لا يصلح لهم حال ، ولا يستقيم لهم شأن وبال — قال بعض الحكماء: العاقل يتخذ المال قبل العيال ، والجاهل يتخذ العيال قبل المال — وقيل إنى أعجب ممن له عيال وليس له مال — وقيل العيال سوس المال

وقال الشاعر

شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما ... المال تصلح منه الحال والولد

زين الحياة هما لو كان غيرهما ... كان الكتاب به من ربنا يرد

يعني قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)

وقصارى القول — أن الطبيعة البشرية لا ترى أفضل من المال ولا أعز منه ، لا يماثله شيء فى الوجود ، فمقام صاحب المال ليس كمقام صاحب الأبناء

٢٤٠ — ﴿ وصف اللسان ﴾

اللسان أداة يظهر بها البيان ، ومخبر يخبر عن مكنون الجنان وحاكم يحكم بفصل الخطاب ، وناطق ينطق بالصواب ، وهو أعظم واصف تعرف بوصفه الأشياء ، وأكبر واعظ يأمر بالعرف وينهى عن الفحشاء ، وأصدق شاهد يستدل به على الغائب ، وأعز شافع تدرك به المطالب ، وأحسن سمير يسر به الخاطر ، وألطف مؤانس

لمحاسن الأخبار ذاكر،وأرق نديم يرتاح اليه الخليل، وأجل مادح يشكر فعل الجميل،وهو زارع ينبت الوداد،وحاصد يذهب الضغائن والأحقاد ، به تنكشف الحقائق ، وتتبين الدقائق، به يعرف مقدار العقل ، وتتضح نتيجة المرء في الفضل ، فاللسان للمرء كمرشد أمين وترجمان للكلام ، إذ به يفصح عما في ضميره ، ويحفظ الروابط والعلائق مع غيره ، ويكفيه شرفاً أن ليس من الأعضاء شيء ينطق بذكر الله غيره ، فإنسان بدونه كبهيمة سائمة أوصورة ممثلة

قال بعضهم: ما الانسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو ضالة مهملة أو بهيمة مرسلة — وقال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ومضار اللسان لا تحتاج إلى برهان، فمن لم يسجنه أوقعه في الذل والهوان، - فأعقل الناس من كف فكه وفك كفه — وشر الناس من كف كفه وفك فكه — وقد قيل (مقتل الرجل بين فكيه)
وقال بعض البلغاء:اللسان أجرح جوارح الانسان — وقال الشاعر

يصاب المرء من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرّجل
فعثرته في القول تذهب رأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

٢٤١ — ﴿ عز من قنع وذل من طمع ﴾

القناعة من أوثق أركان العبادة، وأقوى أصول الديانة المؤدية

إلى السعادة ، وهي ذخيرة لا تبلى مدى الأيام ، وكنز لا يفنيه مر الدهور والأعوام ، بل هي جنة عالية ، قطوفها دانية ، فمن طلب العز طلبه بالطاعة ، ومن طلب الغنى طلبه بالقناعة . قال عليه الصلاة والسلام (القناعة شرف المؤمن في الدنيا ، ومنزلته في الآخرة) وقال بعض الحكماء : من قنع بماله استراح وراح . وقال الشاعر

أفادتني القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعة

والطمع رق مؤبد ، ووثاق ذل موطد ، ومن يكن هذا شعاره يكن الجشع دثاره . قال عليه الصلاة والسلام (خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع) وقال الشاعر

طمع الفتى ذل وعزة نفسه عز وكم شره يجر إلى شرك

وقصارى القول — أن القناعة رأس الصلاح ، وأس الفلاح ومصدر الفوز والنجاح ، والطمع من أقبح الخلائق ، وأذم العلائق يدل على الأخلاق البهيمية ، والغرائز الرديئة الدنية ، لا يزال صاحبه أبداً مذموماً ، وبأقبح الصفات موسوماً ، قد ملك الجشع طباعه ، فلا تعرض له القناعة ، ولو كانت الدنيا بأسرها متاعه ، بل شأنه أكل الدنيا خضماً وقضماً ، ولو استطاع ما استوجب فيها أحد سهماً

اقنع بأيسر رزق أنت نائله واصبر ولا تتعرض للارادات

فما صفا البحر إلا وهو منتقص ولا تعكر إلا في الزيادات

٢٤٢ — ﴿لا نجاح لأمة تبذت آثار أسلافها﴾

أن أفضل ما استدل عليه الخلف على أعمال السلف، الآثار المصرية التي هي من أهم العاديات فائدة وأعمها نفعاً من جهة العلوم والفنون فانها ترشد الى الوقوف على فن التاريخ وتهدى الى قديم عهد الأمة المصرية وما لها من الذخائر التي انتفع بها من بعدها وما وضعته من الأساس الذي انبنى عليه التقدم لمن تأخر عنها، فقد كان لها اليد الطولى على أهل القرون الأولى، يشهد بذلك ما بقى بعدها من الآثار وما نقل عنها في كتب الأخبار من الأبنية الجليلة والصنائع الجميلة فان ذلك يعرب عن مزيد قدرتها وشدة مهارتها وعلو أفكارها — هذه الاهرام من الآثار الجليلة التي جعلها المصريون محلاً لمعارفهم وأثراً يستدل به من أتى بعدهم من الامم على ما كان لهم من الأبهة والفخار والعظمة والاعتبار — فهو أثر يدل بصورته وشكله على قدر ما وصلوا اليه من العلوم الهندسية وعلم جر الأثقال وفنون أنواع العمارة، ويدل بوضعه الذي هو عليه وتوجيه زواياه على أنه أثر فلكي تعين به الجهات وتعرف الفصول والانتقالات فالمصريون كانوا بالغين النهاية في الفنون الهندسية، وكل من دخل أرض مصر وتأمل ما بقى فيها من الآثار التي هي من أغرب العجائب يقف متحيراً ويطرق متفكراً، فلذا اعتنت الحكومة

المصرية بشأن تلك الآثار والحرص عليها وحفظها من أن تتولاها يد التلف والضياع أو يعتريها التغيير والتبديل

وقصارى القول أن بقاء الانسان بالآثار ان خيرا فخيراً وان شراً فشراً

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار

٢٤٣ — ﴿ مضار الغيبة وقبائحها ﴾

أن الغيبة أذم الأفعال مقصداً وأخبث الأقوال معتقداً وأسوأ الأخلاق مذهباً وأصعب الأحوال مركباً بل هي الداء العضال الوبائي الفاشي — قال تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) وقال عليه الصلاة والسلام (الغيبة أشد من الزنا ومن شرب الخمر) وقال بعض الحكماء (من عاب وضيعاً فقد رفعه ومن عاب رفيعاً فقد وضع نفسه) فالغيبة (وهي ذكر انسان آخر بما يكره) شيمة الأوغاد. وهي علة الخراب والفساد. وجهد العاجزين وسمار الفاسقين — وليت شعري . كيف يأكل الإنسان لحم أخيه بحية فيه فإن كان من وصفه فيه ماذكره فقد اغتابه ودحره ، وأظهر قبيحاً كان مستوراً وهتك ستراً كان مسدولاً وفضح ستراً مكتماً وأحل أمراً محرماً وما رعى ذمة ولا حفظ حرمة ، وإن كان بريئاً مما أبان فإفك وبهتان ، وكلاهما تمزيق

أعراض، وآثام وأمراض وهذا اذا كان الموصوف تقياً لا فاسقاً جهنمياً وإلا حلت غيبته واسقطت درجته وهيبته لتهتكه بالمنهيات والمعصيات

ما أقبح الشيم المخلة بالفتى وأشد منها شيمة الكذاب
وأشد من هذا وهذا أن يرى لهج اللسان بغيبة الغياب

٢٤٤ — ﴿ مضار الحسد وأسبابه ﴾

ان الحسد أصل كل عداوة، وأساس كل بلية، ورأس كل خطية وسبب كل ملامة، وجالب كل ندامة، بل هو داء دوي، وعرض خبيث دني، يدل على فساد الدين، وقلة اليقين، وما زال صاحبه كدر النفس، نكد العيش قليل الأنس، قد فارق القناعة، وخزل الطاعة، فهو حليف هموم وغموم، ظالم في زي مظلوم — قال تعالى (ومن شر حاسد اذا حسد) وقال عليه الصلاة والسلام (ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» . وقال الشاعر

كل العداوة قد ترجى ازالتها إلا عداوة من عاداك بالحسد

فالحسد (وهو تمني زوال نعمة المولى عن أحد خلقه) وصف مذموم، وصاحبه من الخيرات محروم، كيف لا وهو كبيرة من الكبائر، وجرثومة الفساد، ومجلبة السوء بين العباد، يجمع خصالاً مذمومة، ويقتضي أحوالاً منكرة وأسباباً مشئومة، منها بغض المحسود لغير سبب، والحقد عليه دون ذنب وجب، ومنها انكار

الحق وإن ظهر ، وإظهار الباطل وإن استتر ، ومنها الاعتراض للفضيحة ، والتجافي عن النصيحة ، والتصدي لكل قبيحة ، ومنها الامتناع عن جميع ما عند المحسود من الخير وإن كان مفتقراً اليه قال بعض الحكماء : حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها ، ولا يشفيه إلا انتقالها — وقال بعضهم : الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً ، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً ، ولا ينال عند الشرع إلا شدة وهولاً ؛ ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة وهوانكو نكالا

وأظلم أهل الأرض من كان حاسداً   لمن بات في نعمائه يتقلب

٢٤٥ — ﴿ العاقل يعول على أدبه ، والجاهل يعتمد على نسبه ﴾

أيها الفاخر جهلاً بالحسب   إنما الناس لأم ولأب

إنما الفخر بعقل راجح   وبأخلاق حسان وأدب

الأدب كلمة جامعة لمحاسن الأفعال ، وأحاسن الأقوال ، وهو أكرم الخصال ورافع الأحساب ، به يحصل المرء على الرغائب الجليلة ويتوصل إلى نجاح المقاصد الجميلة . يرفع العبد المملوك ، ويجلسه في مجالس الملوك ، وهو زيادة في الفضل ، ودليل على العقل ، وصاحب في الغيبة ، وأنيس في الوحدة ، وجمال المحافل . وزينة الأفاضل ، ومن لم يكتسب بالأدب مالاً ، اكتسب به جمالاً ، ومن فما به نسبه

نهض به أدبه ، والمرء من حيث يثبت ، لا من حيث ينبت ، ومن حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، وبآدابه لا بثيابه ، وبفضيلته ، لا بفصيلته ، وبعقله لا بعقائله ، وبأنبائه لا بآبائه ، وبكماله لا بجماله

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

قال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالنسب، ألا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر، ولو كان ذلك من جهة النسب لما كان لأحد منهما فضل على الآخر، لأن نسبهما واحد ، ولكن ذلك من قبل الأفعال ، لأن الشرف إنما هو بالفضل لا بالنسب

أبوك أبي والجد لا شك واحد ولكننا عودان آس وخروع

وقصارى القول — أن من الناس من يتكل على حسب آبائه فيفتخر به لدى جلسائه وأخلائه، في صباحه ومسائه، ولا ينهض لمآثره ولا يصبو إلى مفخره ، بل شأنه أن يقول في كل مجال ، إن أبي كان ذا فضل وجاه، وجود وإحسان، حتى سارت بحمده الركبان ، وشهد بمديحه كل قاص ودان ، وهكذا يبني أوهامه ، ويضيع لياليه وأيامه ومن الناس من يقر بخسة أصل أجداده، ولكنه يفتخر بجده واجتهاده حتى يحاول أن يستر بفضله، ما بدا من عيب أصله، فاذا ذكر لأحد

حسب، قال لا حسب إلا الأدب، ولا فخر للمرء إلا بنفسه، لا بأصله وجنسه، وهذا القول في نفس الأمر صواب، وهو الذي يعتمد عليه كثير من ذوي الآداب، وهو رأس مال الذين لا حسب لهم، وعليه يحملون معولهم، إلا أنه لا ينكر أن للأصول تأثيراً في الفروع عظيماً فلا تكاد ترى ذا أصل زكي إلا وتتوسم فيه خلقاً وسيماً، وشأناً كريماً فاذا اجتمع الأصل والفعل واقترنا، كان ذلك غاية المنى، وإلا فان الثاني خير من الاول، وأكرم منه وأفضل

وبالجملة — ليس الفضل خاصاً بطائفة من الناس دون طائفة ولا بأهل حرفة دون حرفة، بل الفضل صفة تكون بالانسان على قدر ما يحوز من العلم والادب، فكما تكون في المهندسين والحكماء وكما تكون في التجارة وأهل الصنائع، تكون في آحاد الخلق من الفلاحين والصناع، فليس الانسان بأصله وحسبه. بل بكمال عقله وحسن أدبه — فكم من امرىء مقطوع النسب، وصل بأدبه الى أعلى المناصب والرتب، وكم من ذي نسب وأصل هوى به جهله الى درك الهوان والذل، وكم من حمير أزال بكمال عنايته دناسة أهله وأصله

لكل شيء زينة في الورى   وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه   فينا، وإن كان وضيع الحسب

فالأدب مصباح النجاح، [illegible] الله [illegible] الجنان

٢٤٦ — ﴿ أيهما أفضل في بلادنا المصرية الصيف أم الشتاء ؟ ؟ ﴾

الصيف خفيف المؤونة ، جليل المعونة ، كثير النفع ، قليل الضر راحة الفقراء والمساكين ، ناشر زهور الرياحين ، ونبات البساتين

مصيف له ظل ظليل على الورى ومن حلا طعماً وحلل أخلاطا
يعالج أنواع الفواكه مبدياً لصحتها حفظاً بعجز بقراطا

فالصيف فصل الخيرات والبركات ، وموسم ضم المحصولات التي هي أرزاق المخلوقات ، وأوان تكاثر المعاملات

والشتاء كأس الهناء ، فيه تبرد المياه ، التي هي مادة الحياة ويتميز الفقير وصاحب الجاه ، وينقطع الذباب والبعوض والهوام ويؤمن على الطعام والشراب والأجسام — طول لياليه فرصة الكتاب والأدباء ، وسمار الاصحاب والاحباء ، وغالباً يتمالك الانسان صحته في فصل الستاء

ليت الشتاء يعود لي بنعيمه ان الشتاء غنيمة الكتاب
قصر النهار وطال ليل ممتع فيه يلذ بقينة وشراب

وحيث أن بلادنا المصرية في أعظم نقطة متوسطة في القارة الافريقية ، معتدلة الهواء في فصل الشتاء ، تقصدها السياح من جميع الانحاء ، ويحلو للكل فيها كأس الصفاء ، لايكاد أحد ينكر فوائد الشتاء في هذه البلاد — ولا يجهل فرد مضار الصيف الذي تكثر فيه

الامراض الوبائية لجميع العباد ، وينتشر فيه البلاء المصور ، والهواء الأصفر ، الذي أورث الحكماء الحيرة ، المسمى عندهم بالكوليرة

قال بعض الحكماء : لا مرحباً بالصيف من ضيف ، فهو عون على الحيات والعقارب ، وناشر للذباب والخنافس والمصائب

يتمنى المرء في الصيف الشتاء فان جاء الشتا أنكرهُ
ليس يرضى المرء حال واحد قتل الإنسان ما أكفرهُ

٢٤٧ — ﴿ صغار الامور يولد كبارها ﴾

ترق الى صغير الأمر حتى يرقيك الصغير الى الكبير

لا يخفى أن الجزئيات أساس المركبات ، والأمور الصغيرة مصدر الكبيرة ، وبقدر الاعتناء بالشيء تكون الثمرة ، فالمعتنى بصغائر الأمور ، يجني من كبارها الفرح والسرور ، والمهمل لصغائر الاعمال يلعق كأس الذل والوبال — لان المبني على الصحيح صحيح ، والمبنى على الفاسد فاسد

لا تحقرن صغيراً في مخاصمة ان البعوضة تدمي مقلة الاسد
وفي الشرارة ضعف وهي مؤلمة وربما أضرمت ناراً على بلد

فيلزم العاقل الاعتناء بالاشياء الصغيرة قبل استفحال الامور الكبيرة الخطيرة ، ولا يسوّل له الشيطان أنها أمور حقيرة . فكم آفات طامة كبرى ، ومصائب عديدة عظمى ، نشأت من علم

الا كتراث بصغائر الامور، فأمطرت عليهم الخطوب مدرار الشرور

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر

وأعظم شاهد و برهان العيان، الذي لا يختلف فيه اثنان فكم شاهدنا حروباً خطيرة، كانت لاسباب صغيرة، وكلمة بسيطة جرت دماراً، وخربت دياراً، وشرارة ضعيفة، أضرمت ناراً

ولا غرو أن الاستهانة تجلب الندامة، ولا ينفع الندم، حيث زلت القدم، وان الاعتناء حصن منيع، وحرز رفيع، يتقى به العاقل صدمات الشرور، ويحفظ نفسه من مخالب الدهور

وبالجملة — أن الحياة مؤلفة من أمور صغيرة شأن كل عظيم في الدنيا — ولا نجاح في مطلب من المطالب إلا باعتبار دقائقه الصغيرة ولو لم يكن لها قيمة في نفسها، والذين يقصرون نظرهم على كبار الأمور ويهملون صغارها لا يسلمون من الفشل

أيّ أمر أقل اعتباراً في عين السياسي المحنك والفيلسوف النقريس، من تنظيف البيت وما فيه، ولكن نظافته تجيد صحة ساكنيه وتحسن أخلاقهم — وأي نفع أعظم من هذا من كل ما ألفه البشر في السياسة والفلسفة، واهتمام الناس بصغار الأمور يدل على إهتمامهم بكبارها — قال حكيم: محك الرجال صغائر الأعمال

٢٤٨ — ﴿ النميمة مصدر الضلال والفساد ﴾

النميمة من أقبح الخلال الذميمة ، تدل على نفس سقيمة ، وطبيعة لئيمة ، مشغوفة بهتك الأستار ، وإفشاء الأسرار ، وربما أدت الى سفك الدماء ، وانتهاك المحارم ، وهي جامعة بين النم والغيبة فكل نمام مغتاب ، وليس كل مغتاب نماماً — قال تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم) وقال عليه الصلاة والسلام (شر الناس عند الله يوم القيامة ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث) وقال بعض الحكماء : لم يمش ماش ، شر من واش وقال الشاعر

تنح عن النميمة واجتنبها فان النم يحبط كل أجر
يثير أخو النميمة كل شر ويكشف للخلائق كل سر
ويقتل نفسه وسواه ظلماً وليس النم من أفعال حر

فمن أوجب الاشياء على العاقل الحازم ، أن يحترس من النمام جهده ، ويجتنب مخاطبته ، ويعاف مجالسته ، ويزهد فى صحبته . ويرغب عن ممازجته ، ولا يثق به فى حال من أحواله ، ولا يأتمنه فى شيء من أقواله وأفعاله ، فان صحبته ضلال ، ومخاطبته خطر

وقصارى القول ان النميمة (نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه الافساد بينهم) من أعظم الذنوب عند الله تعالى

كيف لا تكون النميمة من أعظم الذنوب، وأقبح العيوب
وهي المفرّقة للقلوب، والباعثة للخطوب، والمنزلة للكروب

٢٤٩ — ﴿فوائد البريد «البوستة» والاسلاك البرقية «التلغراف»﴾

المخترعات في الدنيا كثيرة، وقد صارت سهلة بعد أن كانت
خطيرة، وأحسن عظيم اخترع، وأفيد شكل غريب ابتدع «البريد»
فقد قرّب البعيد، وجمع شمل الاحباب، وحفظ روابط الألفة بين
الأصحاب، وبه وقف التجار على حقيقة تجارتهم، مما راج وكسد
ومما هبط وصعد، لاسيما ما أنجمه السلك البرقي من سهولة تعاطي
الأخبار، وايصال نتائج الأفكار، الى جميع القرى والأمصار، على
تنائي البلاد والديار وبعد المزار، فاصبحت به البلاد المتنائية وأقطار
الأرض الشاسعة والأماكن القاصية متصلة ببعضها حتى تيسر
للانسان أن يخاطب صاحبه في كل جهات الأرض ويخابره ويحادثه
مواجهة مشافهة، وقربت الصلاة التجارية والسياسية، وسهل على
التجار معرفة الأسعار في جميع الأقطار. بأقرب من لمح الأبصار

حقاً أنه بواسطة البريد والاشارة الكهربائية في البر والبحر
صارت جميع بقاع الأرض متصلة ببعضها. والأخبار واردة من جميع
جهاتها — ففي الأربع والعشرين ساعة تعم الأخبار جميع جهات
المعمورة فما أعظم مخترعات هذا العصر وما أجمل فوائدها

٢٥٠ — ﴿ السباحة في الماء تبعث على الرياضة والشجاعة ﴾

ان مما يفيد الشبان صحة في الجسم ونشاطاً وقوّة في الأعضاء والعضلات « السباحة » اذ هي كافلة بالاستحمام وتقوية الأعصاب والأجهزة البدنية، فان حركة الذراعين توسع الصدر وتقوي الرئتين لذي الشهيق والزفير — وقد اعتنى بها الأمم القديمة والحديثة بتعليمها للأبناء فكان الرومانيون يجعلون السباحة من جملة العلوم التي تأخذ بها الابناء، وبلغ شغفهم بها الى أنهم كانوا يضربون المثل للجاهل الذي لا يعرف شيئاً بقولهم : هو لا يعرف القراءة ولا السباحة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الأمصار بتعليم الابناء العوم والفروسية

وترى أغلب سكان أوربا يأمرون الابناء بتعلمها

فسكان السواحل يقيمون على البحار حمامات مخصوصة للسباحة وأما سكان المدن التي لم تكن على البحار فيقيمون ضمن حماماتهم محلاً متسعاً أشبه بميضأة عميقة ومستطيلة لتعليم السباحة أمام معلمين ومعلمات وقد قال أحد فلاسفة اليونان : الصلاة للأديان والنجوم للأزمان والسباحة للأبدان

٢٥١ — ﴿ آثار الرياضة البدنية في الأمم ﴾

قد ألف جل شأنه بين الجسم والنفس فكل يشارك الآخر في

أحواله من السرور والحزن والقوة والضعف ، فلا تكاد ترى من ضعفاء الجسم قوة النفس وخفة الروح ومضاء العقل ودوام العمل ومن انصاع الى الدعة والسكون ، وأجاب داعي الكسل والخمول عاش ولا ريب كثير الأمراض لا يفرح بالوجود ولا يلذ بالحياة

والحركة البدنية داعية الى صحة الجسم والى نشاطه حيث تبعث فيه قوة على تحمل التأثيرات الجوية ليكون بعيداً عن الامراض وتكسبه رشاقة القد ، وحسن القوام ، وجمال الأعضاء ، وتحفظ من إرادة الإنسان وتضبط من تخيله، وتوليه نفوذاً وسلطاناً على الجسم وميلاً الى العمل والدوام عليه وسروراً بقبول الآثار الظاهرية وارتياحاً الى مصادمتها - وقد قررت الأطباء ان عمل العضلات يدعو إلى دوران الدم وسيره في سائر الأعضاء فتتخلص الرئة والأجهزة الباطنية ومركز مجموع الأعصاب من كثرة الدم، وان عدم الانتظام في سير الدم يوقع الجسم في الأمراض ويضعف أعضاء التحليل وبذلك يجد الانسان من نفسه ميلاً الى الضعف والكسل وعدم ارادة الحركة، ويؤدي ذلك الى عدم القدرة عليها فيما بعد، وتستولي عليه السوداء ويصير قليل الصبر قلق الخاطر كثير الهواجس ويلحظ الدنيا بعين ملؤها سخط وكراهية الى غير ذلك من الامراض الجسمية والعقلية التي تكدر صفو المعيشة وتجعل الحياة مرة

وكانت الرياضة البدنية لدى الأمم القديمة ولم تزل الآن في أمم أوروبا أهم موضوع لتربية الأبناء فكانت هي والموسيقى الأساس الوحيد للتربية لدى اليونان ، فالموسيقى لتهذيب نفوسهم وترويحها وتربية ذوقهم الأدبي — والرياضة البدنية لتقويم الجسم حتى تكون صورته مشخصة للنفس المهذبة في جسم صاحي الحواس نشيط الاعضاء

وكانت العرب كثيري الرياضة والألعاب دعاهم الى ذلك شهامة النفوس وحب الفخار، والزود عن الشرف والميل الى الحرب والمبارزة والركض وركوب الخيل وحب النشاط وسرعة اجابة المستغيث ثم ان للرياضة البدنية أنواعاً كثيرة كالعدو (أي الجري السريع) وتسنم الجبال وحمل الأثقال والرمي الى الهدف ولعب الكرة وركوب الخيل والسباحة والتجذيف وأعمال الفلاحة والصناعة وحركة الجماز

٢٥٢ — ﴿ تأثير السياحة مادياً وأدبياً وصحياً في نفوس السياح ﴾

إن السياحة في البلاد تفيد   سح في البلاد اذا أردت تعلما

ان ميزان الأخلاق ، ومنهل الأرزاق . ومحيي الأموات في جميع الأوقات ، هو السفر الى بعيد الأماكن . ومفارقة المساكن

بلاد الله واسعة الفضاء   ورزق الله في الدنيا فسيح

فقل للقاعدين على هوان   اذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

إذ أول مزايا السفر ، معرفة المرء طوائف الرجال واكتساب

حميد الخصال ، فيقارن المرء أخلاقه بأخلاقهم ، وعاداته بعاداتهم فما باين أخلاقهم الفاضلة هجره ، وما شذّ عن عاداتهم الكاملة كفره فتنسج أخلاقه على منوال الفلاح ، وتوزن بميزان النجاح وتتحلى بزينة الفضائل ، وتتخلى عن وصمة الرذائل

سافر إذا حاولت قدراً سار الهلال فصار بدراً

وثاني مزاياه أن يعرف أساليب الأرزاق، ميسورة الوفاق، قريبة المنال ، كثيرة النوال ، بعيدة الموانع ، جليلة المنافع ، فالسفر أحد أسباب العيش التي بها قوامه، وعليها نظامه ، فبالأسفار ترى العجائب وتجلب المكاسب ، تزيدك علماً بقدرة الله وحكمته ، وتدعوك الى شكر نعمته

وإن نبت بك أوطان نشأت بها فارحل فكل بلاد الله اوطان

وثالث مزاياه أن يرى الإقرار بفضائله ، وحسن شمائله، لأنه في بلده مهجور . وفى غيرها مشهور ، كما هي سنة الإنسان ، في كل مكان وزمان ، وفى محله لا تعزى اليه فضلة ، ولا تنسب اليه جميلة فمتى جاور الانسان بلاده ، نال ما أراده

وما بعض الإقامه في ديار يهان بها الفتى إلا بلاء

وبعض خلائق الأقوام داء كداء البطن ليس له دواء

ولم أر كامرىء يدنو لخسف له في الارض سير وانتواء

فالماء العذب إن ركد خاب ، وإن جرى طاب

الماء ينتن إن أقام وإن جرى خلصت جواهره من الأقذار

٢٥٣ — ﴿ ورق النصيب ومضاره ﴾

أمر النصيب معروف عند العامة فضلاً عن الخاصة ، وهو بالحق فكرة إبليسية يقصد بها ابتذار الأموال باغراء وإغواء ، فمن الناس الذين لا عقل ولا دين لهم يطلبون السعادة من يد البخت والنصيب لا من يد الكد والتعب ، ولا يلتفتون لقول الشاعر العربي

ليس الحياة بأنفاس نردّدها إن الحياة حياة الفكر والعمل

ويعتقدون أن القدر أضمر لهم حظوظهم ، فيفحصون عن هذه الحظوظ إن سعادة أو شقاء في أوراق النصيب وغيرها من أنواع القمار

ومعلوم أن العيش لا ينال إلا بعرق الجبين ، لأنه يستحيل أن يحصل كل إنسان رزقه من أرباح النصيب وإلا فمن يقوم بالأشغال الأخرى ، التي عليها مدار البقاء ، وبها حركة المجتمع الانساني وبالجملة — فتحريم (ورق النصيب) كتحريم (الميسر) واتخاذها وسيلة لجمع الصدقات عمل غير مأجور ولا مبرور ، ولا مقبول عند الله تعالى ، والذنب فيه على المتصدق مضاعف . لأنه يتصدق بحرام ويطعم المتصدق عليهم حراماً وهم لا يعلمون (ليتها لم تزن ولم تصدّق)

٢٥٤ – ﴿ الاستقامة من أقوى أسباب النجاح ﴾

الاستقامة هي الاعتدال في جميع الأمور، من الاقوال والافعال والمحافظة على جميع الأحوال، التي تكون بها النفس على أفضل حالة وأكملها، فلا يظهر منها قبيح، ولا يتوجه اليها ذم ولا لوم، وذلك انما يكون بالمحافظة على الشرع الشريف والتمسك بالدين والوقوف عند حدوده والتخلق بالأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة كاجتناب المحارم والتعفف عن المآثم ولين الجانب والصدق وانجاز الوعد وبذل النصيحة والشفقة على مخلوقات الله واداء الأمانة لمن ائتمنه منهم وكف اليد واللسان عن اذيتهم وبذل الشفاعة والعفة والورع وغير ذلك – قال تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فهي من أفضل الخصال وأجمل الخلال فيها كمال المروءة وتمام الأيمان وبها تكسب الفضائل وتسلب الرذائل وتحمد السيرة وتحسن السريرة قال تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) فما أحسن الاستقامة وأجلبها للخير وأدرها للرزق. قال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحاً في غابر الأزمان

فالاستقامة قاعدة نظام الأعمال، فاذا انتقضت اختل ذلك

النظام ، وعلى مبدئها الصحيح تروج تجارات التجار ، وتجري أعمال جميع العمال وأصحاب الأعمال في سبلها — ومهما كان المرء شريراً وكان مستقيماً في معاملته دار دولاب عمله

وبالجملة - أن آمن طريق يسير فيها من يرمي إلى العلا هي طريق الاستقامة والقيام بالواجبات ، طريق الهدى والابتعاد عن اللهو واللعب — هي الطريق التي سار فيها الذين سادوا بحق — هي الطريق التي نزلت بها الشريعة الغرّاء

٢٥٥ — ﴿ الفحم من لوازم الحياة الضرورية ﴾

الفحم جسم صلب هش سهل السحق أسود اللون ، ويكون إما بتقطير الخشب أو إحراقه في الهواء المطلق إحراقاً غير تام ، كما هي عادة تحضيره ، وإما بتكلبس أي إحراق العظم في إناء مغطى ويكون الفحم ثقيلاً متى كان متحصلاً من الخشب الصلب الكثيف وخفيفاً متى حصل من الخشب الأبيض الخفيف . ويختلف احتراق الفحم باختلاف خفته وكثافته ، فكلما كان خفيفاً سهل احتراقه والتهابه ، وبضد ذلك إذا كان كثيفاً . ولذا يستحسن استعمال الفحم الخفيف لعمل البارود

وأما المضار التي تتسبب عن احتراق الفحم ويجب التحرز منها فهي إذا أحرق الفحم [illegible] [illegible] من ذلك غاز

يسمى أوكسيد الكربون - وذلك إن كان مقدار الفحم المتقد زائداً أو تولد عنه غاز حمض الكربونيك إن كان مقداره قليلاً أو تولدا معاً وكلاهما سم قتال، فإن بهما أو بأحدهما تحدث آلام في الرأس وثقل ودوخان، وابتداء اسفكسيا (أي اختناق) وذلك كله إن كان إيقاد الفحم في محل محبوس الهواء، وليس الهواء متجدداً فيه، وإنا نرى كثيراً من أرباب البيوت يستعملون الفحم وقوداً في بيوتهم للتدفئة في زمن الشتاء، خصوصاً في المحال المحبوسة الهواء كالخزائن الصغيرة والمناظر والحمامات—فالذي ينبغي لهم في هذه الحالة ان لا يدخلوا الفحم المتقد في موضع من المواضع المذكورة الا بعد أن يلتهب جميعه في الهواء المطلق ويصفو بحيث يتقطع دخانه وبذلك يكون الانسان آمناً على نفسه من مضراته الهائلة وغازاته القاتلة

وأما منافع الفحم فعديدة—منها استعماله وقوداً في البيوت وفي الصنائع، ومنها دخوله في تركيب أنواع البارود، ومنها امتصاصه المواد الملونة والغازات (خصوصاً الفحم النباتي (بواسطة مسامه أي أخليته الكائنة بين جزئياته وهذه الخاصية صيرته نافعاً في الصنائع لإزالة المادة الملونة من بعض المحاليل كما في صناعة السكر وكما في الأعمال الكيماوية ولإزالة العفونة من السوائل والأطعمة، فإذا [illegible] الماء منتناً وأريد زوال عفونته واستعماله للشرب أو خلافه

يرشح على طبقة من الفحم . وإذا أنتن الطعام وجعل الفحم في خرقة نظيفة وأغلي مع الطعام أزال عفونته وصيره صالحاً للأكل، وكذلك ينفع الفحم لحفظ الماء من التعفن — ولذا تجد البراميل المعدة لحمل الماء في السفر يطلى باطنها بالفحم خفيفاً لتحفظ الماء من التغير زمناً طويلاً ومن منافعه أيضاً حفظ المواد العضوية من التعفن . وله استعمالات طبية باطنية وظاهرية وغير ذلك والله أعلم

٢٥٦ — ﴿ الهواء حق مكتسب لجميع العالم ﴾

بديهي أن الانسان لا يمكنه ان يعيش بدون الحصول على مقدار معلوم من الهواء، فهو غذاء ضروري به تنعش القوى وتتنبه الحواس،وضرورته كضرورة الطعام والشراب بل أهم لان الانسان يمكنه المكث من غير أكل أياماً ولا يمكنه الاستغناء عن ستنشاق الهواء لحظة — قال بعض الحكماء : كيفما يكن الهواء يكن الدم وكيفما يكن الدم تكن الصحة . وقال بعضهم : إن زهرة الإنسان أحوج الازهار إلى الهواء والشمس — ألا ترى أن سكان الأرياف مع عدم جودة غذائهم أصح من سكان المدن أبداناً وأقوى أعضاء وما ذاك إلا لجودة الهواء الذى يعيشون فيه

نعم إن الهواء من أجل النعم التي أنعم الله بها على جميع المخلوقات، لشدة لزومه للحيوانات والنباتات . إذ مد رحيتهما عليه

بحيث لو انقطع عنهما مدة وجيزة لمات الجنسان بلا توان

ومعلوم أن الإنسان قد يعيش أكثر من شهر بلا تناول طعام وبضعة أيام بلا شرب ماء، ولكنه لا يعيش أزيد من خمس دقائق تقريباً اذا انقطع عنه الهواء — ولما كان الهواء من الضروريات الشديدة اللزوم حياة كل ما أوجده الله تعالى من حيوان ونبات، جعله عاماً منتشراً في جميع المحال، فلا يخلو منه موضع، حتى ما نظنه فارغاً مثل الإناء الذي ليس فيه ماء ولا غيره فانه في الحقيقة ليس فارغاً بل مملوءاً بالهواء

ومن كرمه سبحانه وتعالى أن جعل وجوده سهلاً لا ندفع له عوضاً ولا نبذل له ثمناً

٢٥٧ — ﴿تأثير التمثيل الجاديّ في المدنية والحضارة﴾

التمثيل مرآة ترينا أطوار الأقدمين، في أشباح المتأخرين، وتاريخ يطّلع فيه الخلف، على عوائد السلف، بل حلم في يقظة، نرى فيه أحوال الأجيال الغابرة . في الآونة الحاضرة، وعظة بأغرب العبر، لقياس ما يأتي على ما عبر، بل هو صورة تظهر فيها العواطف والاخلاق مرسومة بعداد الملامح والأحداق — ففي المشهد يتجسد ملاك الحب وتتآنس آلهة الجمال، متسربلة بحلل الكمال، وفي المشهد تتجسم الفضيلة والرذيلة وتتناظران، ويشخص الوفاء والإخلاص والعفاف وكل سجايا الإنسان فالتمثيل الجديّ إلا معرض تستعرض فيه العواطف

والفضائل والرذائل والعوائد والاخلاق، فكما يبتهج النظر باستعراض المناظر الجميلة هكذا تبتهج النفس باستعراض العواطف الواضحة في صور الملامح البدنية — ولا يخفى ان العواطف تتفاهم بلغة الملامح، فبقدر ما يجيد الممثلون في اظهار احساساتهم وانفعالاتهم المقتضية أدوارهم يتأثر المشاهدون وتتحرك عواطفهم تبعاً لملامح الممثلين — فالتأثر من التمثيل غير متناه لأن الإجادة فيه غير متناهية أيضاً، ولهذا لا نعجب اذا رأينا الحاضرين في الملعب يذرفون الدمع مدراراً إشفاقاً على الممثل، إذ يمثل دوراً محزناً، أو يطرقون فرحاً مع الممثل اذا كان فرحاً مسروراً، لان العواطف تحاكي نظراءها — ألا ترى انك تبكي مع الباكين وإن لم يكن الداعي الى البكاء مايعنيك. وترثي للتعساء وإن كنت سعيداً، وتفرح مع الفارحين وإن كنت لست من ذوي الفرح

وبالجملة — التمثيل الجِدّي من أعظم البواعث على تأديب النفس وحسن تهذيبها. وبذلك كبرت فوائده، وعظمت مزاياه التي لا تحصى ولا تستقصى

٢٥٨ — ﴿ الاستمرار والثبات في الأعمال سبيل النجاح ﴾

الثبات فى الاعمال يكون بالمثابرة عليها، ومقابلة الاهوال والمشقات والصعوبات التي تعرض له في أثناء سعيه وراء النتيجة المقصودة له من تلك الاعمال بقلب ثابت وعزيمة صادقة، حتى يحصل

عليها، وينال أمنيته منها، فاذا عرض له ما يظن معه صعوبة الوصول الى النتيجة المطلوبة له ، فلا يكون ذلك حائلاً دون الاستمرار في العمل، فانه لاصعب مع الاجتهاد وتوجه النفس والرغبة فى ذلك الشيء المطلوب ، كل ذلك مع تدقيق النظر والفكر ، والتؤدة في العمل وتخير الوقت المناسب في الحالة المناسبة، وعدم الميل الى جانب الافراط فانه ممل ومتعب ، ولا الى جانب التفريط لعدم نجاح العمل معه فمن لازم الثبات بهذه الكيفية وجعله أساساً في سائر أعماله كانت السعادة احدى خطياته ، والنجاح أسير خطواته ، والفلاح قرينه والعز بيتاً هو قطينه، ومن استفزته الأهواء، وطوحت به الحوادث فاشتغل كل يوم بعمل وكد غير حكيم، واجتهد غير عليم، فلاشك أنه لا يجنى غير الشقاء، والتعاسة والعناء، بدون ثمرة تعود عليه، أو فائدة ترجع اليه

فالثبات هو الاستمرار فى العمل بلا انقطاع عنه إلى البطالة وفي الأقوال المأثورة (الثبات عنوان النجاح) ولاشك في أن الذين نجحوا هم الذين ثبتوا فى أعمالهم ولم يضيعوا أوقات العمل فى اللهو والبطالة

وبالجملة — فالدنيا ميدان تتسابق فيه الهمم، وتتبارى عليه الأمم فمن سبق فاز بالحسنى — وكانت يده في هذا الوجود هي العليا، ومن قصر وونى، كانت يده هي الدنيا، وعاش عيشة الأذل الأدنى، وإنما

ينال السبق بالثبات والصبر، وعدم التقلب والضجر، وليس في الوجود عمل إلا ويحتاج الى الثبات بنسبة ما فيه من المشاق، ولا يحول دونه من العوائق التي لا يزيلها إلا المثابرة عليه والثبات له — وفي الحقيقة والواقع، ما أفاض نور العقل على نفس الإنسان من هدى، وما حرك الآمال، فدفع بالرجال الى جلائل الأعمال، فتناولوا أسرار الطبيعة من كبد السماء، واستخرجوا كنوز الغنى والثروة من بطون الأرض وما عمر الأرض وأحياها، وشيد دعائم المدنية و ...ها، وما مكن في النفوس رغائب الحياة، فتنافست بمحاسن الأعمال: ...ستمسكت بعروة الجد، فبلغت منتهى الكمال إلا بالثبات الذي هو قوة ... النفس تحتاج إلى سبق الارادة وصدق العزيمة مع التصميم الذي لا يشـ... التردد في الرأي

وما قام لوجود البشر وجود، وقرب طريق ... السعادة للانسان كالثبات - - وفي المثل: من ثبت نبت ومن صبر ظفر

والمتصفح صفحات التاريخ يجد أن الثبات ...ن أهم دواعي سيادة الأمة الاسلامية على الأمم، وترقيها في معار... المجد

وهكذا الحال أيضاً في كل أمة كان الثبات ر...ئدها، وقوة العزيمة سندها، وهل ظهر أفراد الرجال إلا بالثبات، وهل ...دمت المدنية قوة كالاختراع والتفنن بالابتداع، وإنما هي قوة لا ...در عن غير أهل الثبات لما يلاقونه في سبيل العمل من المصاعب والمتا...عب التي لو خالطها

شيء من الملل والتردد لما نجح أربابها،وخاب عمل أصحابها – ولكن بالثبات بلغوا أقصى الغايات

ولقد بلغ الثبات عند الأمم الغربيـة مبلغاً عظيماً ، به خدموا بلادهم ، وأخرجوها من ظلمات الجهالة الى نور المدنيـة ، وتحملوا لأجله المكاره والمشـاق وأنواع العذاب ، وسوقهم الى السجون وإذاقتهم كأس المنون

٢٥٩ – ﴿ القمار معول الخراب والدمار ﴾

القمار مصيبة عظمى ،وطامة كبرى ، وهو داء عضال ، سرت سمومه في عروق كثير من الرجال فأضاعت نعمتهم،وسلبت ثروتهم فاضمحل أمرهم، وسقطوا عن مراتب الجاه الى أسفل درجات الذل والهوان،وأصبحوا على قوارع الطرق يتسولون – قال تعالى(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)

أخسر خلق الله منا صفقة   من يطلب اليسر بلعب الميسر
يجني حراماً ان جنى وقلما   يبلغ الا حسرات المعسر
فغنمـه جرم وأما غرمـه   ففقد ميسور وفقر موسر

فاليسر مهلكة للأمم ومضيعة للدين، فكم خرّب من قصور وكم التهم من أموال — كيف لا وأن المقامرة تقود الى كثير من الرذائل لأن الرابح يستفزه الربح الى امتطاء متون الشهوات فيخوض عباب اللهو والبطالة، ويندفع الى حمأة الرذائل، فيخسر صيته وصحته وصلاح أخلاقه واسراف أمواله

فالمقامر سواء ربح أم خسر لابد له من الانفاق من ماله الحرام ومال الحرام أثقل من الزيبق اذا وضع في الجيوب فلا يلبث أن يفتقها وينتثر منها -- وهكذا مال المقامرين تراه يجول بين جيوبهم

ففي الصباح ترى أكياسهم ملأى بالأصفر الرنان حتى اذا تتبعتهم في بحر النهار وآناء الليل تراهم يحسبون دنانيرهم واذا هي في الاكياس كالثمالة في الكاس، فتأخذك الدهشة ويستوقفك العجب، ويجول في ضميرك سؤال (أين ذهب الذهب) ومما لا شك فيه ان القمار معول الخراب، الذي لايحب ولايستطاب، فهو رسول الفاقة الذي ينزع البركة، ويعطل الحركة، بل هو الموت الأحمر، والعار الاكبر ولاعبه في الهيئة الاجتماعية لايذكر، لأنه عار من الآداب والفضائل ملبس بالجرائم والرذائل، ساقط المروءة والهمة، عديم الشرف والذمة

لكل نقيصة في الناس عار ... وشر معائب المرء القمار

هو الداء الذي لا برء منه ... وليس لذنب صاحبه اغتفار

وبالجملة — إن لكل داء دواء إلا المقامرة فانها أعيت من يداويها — وذلك لأن الانسان يميل بالطبع الى اللهو على شغفه بتحصيل المال والثروة عفواً — فاذا لاح له بارق الأمل من خلال البخت والنصيب وكان في يده مايسعفه على إجابة سؤال النفس الأمارة بالسوء ارتطم في هذه الورطة — وسواء ربح أو خسر فهو لايزال مواظباً على اللعب، آملاً تعويض الخسارة أو زيادة الربح حتى تصير المقامرة فيه ملكة راسخة متمكنة لا تقوى عليها نصائح الناصحين ونواهي الشرائع والدين ، فهي كالداء العضال لاينجع فيه دواء حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً

وجنون المقامرين فنون، وقصصهم عجائب وغرائب وهم منتشرون في كل مكان ، معروفون في كل زمن ، مقذوفون بكل لسان، محكوم عليهم في كل الشرائع والأديان ، وهم مع ذلك لا يرعوون ولا يزدجرون ، فان القمار كان من قبل منتشراً كثيراً بين الرومان

فالمقامرة تخلب العقول فلا يبصر المقامر الهاوية تحت أقدامه لأن بريق الذهب يبهر نظره فهو كالظمآن في الفلاة يرى السراب فيظنه ماء فيجد السير اليه ولا يزداد إلا ظمأ وكلما قرب منه ابتعد عنه حتى يعتريه الكلال فيهلك — وعلى هذا النحو يجد الذي يحضر اللعب من نفسه دافعاً يحمله على اقتفاء أثر غيره والتحدي بأصحابه ، وهو

يرى من خلال الامل بريق الثروة والسعادة — فكم من رجال حضروا مجالس المقامرة لمجرد رؤيتها فعادوا من أكبر المقامرين — ومن لعب مرة اضطرمت فيه محبة اللعب حتى لا يعود يقوى على دفعها، ولذلك قيل « المقامرة لجة يغرق الغائص فيها لا محالة لأنها لا قرار ولا ساحل لها — ومما نقش على باب أحد بيوت القمار « لهذا الكهف بابان باب الأمل وباب الإثم والهلاك يدخل اليه من الأول ويخرج من الثاني » فالمقامرة لا سبيل الى اجتناب ضررها الا بالابتعاد عنها وأفضل طرق الوقاية منها مجانبة الكسل والبطالة والبعد عن بيوت المقامرة ومصاحبة المقامرين — وهذه ذكرى للغافلين وتبصرة للعاقلين

٢٦٠ — ﴿ فوائد الاجتهاد ومضار الكسل ﴾

الاجتهاد حياة البلاد وأس نجاح الاعمال والوسيلة الى ارتقاء درج الكمال فكم وضيع باجتهاده صار رفيعاً وكم أمير بكسله أصبح وضيعاً — فمن اتخذ الاجتهاد شعاراً وواظب عليه وتعوّده دثاراً توّج بتاج السعادة ورزقه المولى الحسنى وزيادة

واذا هممت بأي أمر فاجتهد فيه فان لكل مجتهد نصيب

والكسل والترفه والتعوّد على كثرة القعود وترك العمل مضر بالجسم ووظائف أعضائه، ومؤدّ الى ضعف العصب واسترخاء العضل لأنه موجب لضعف الحركة العضوية وانحطاط القوة الحيويه فيكون

سبباً لبلادة الذهن وخمود وظائف البدن

على كل حال فاجعل الجدّ عُدّة   تقدمها عند النوائب في الدهر

فان نلت حظاً نلته بعزيمة   وان قصّرت عنك الحظوط فمن عذر

وان الكسل سبب الفشل ومبطأة للعمل ومخيبة للأمل

لبس البطالة والكسل   بالجالبين لك العسل

فاعمل فان الله قد   حث المطيع على العمل

ومنشأ الكسل عدم تربية الأبناء بتحسين أحوالهم، وتهذيب أخلاقهم، وتعويدهم من الصغر على الأشغال، والتجلد على المشاق وتدريبهم على اكتساب فضائل الرجال، وهمة الأبطال، وتنوير عقولهم، وإرشادهم لما فيه صحة أبدانهم، وحفظ أمور دينهم، خصوصاً بترك محبة شهوة البطن، ولا يتمتع صاحبها بالعيش الهنيء وتكون سبباً اضعف الهمة وقلة المروءة، إذ لا يخفى أن العدد الأكثر من الكسالى، إنما جاءهم الكسل من الافراط في المأكل والمشرب ولذا قال عليه الصلاة والسلام (لا تميتوا القلوب بكثرة الأكل والشرب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء)

فنحن كسالى في أعمالنا، وفي اقوالنا، وفي أفكارنا، وفى رياضتنا نحن كسالى في جميع أطوار الحياة ومظاهرها — نحن كسالى في الجد، وكسالى في الهزل، وكسالى أمام المصائب وأمام الأفراح وتلقاء

النافع وإزاء الضار — نحن كسالى في الصباح وفي المساء — نقوم من النوم كسالى ونذهب إلى النوم كسالى ونعيش بين هذين الوقتين كسالى — انظر تاريخ حياة كل فرد منا تجده مملوءاً بالأكل والشرب والنوم والأقوال الفارغة — وقد لا تجد في صحيفة واحدة من صحف أحدنا عملاً يذكر

وليس المقصود أن نعمل مافوق الطاقة، أو أن نأتي بالعجائب والغرائب، بل أننا نعمل الأعمال العادية التي بدونها لا يمكن الحفاظ على سلامة الجسم وصحة العقل — فعيبنا الكبير الذي يشاهد بوجه التقريب عاماً بيننا، ويكاد لا يخلو منه أحد، وإن كان يختلف قلة وكثرة هو الكسل

وقصارى القول — أن الاجتهاد استفراغ الطاقة في تحصيل أمر مستلزم للكلفة والمشقة — والعمل والاجتهاد في كفتي ميزان

إذا خف الاجتهاد هبط العمل، ومتى أصيب المرء بداء الكسل ضعفت همته، ووهنت عزيمته، وأصبح لا يستطيع العمل الحقير، بعد أن كان يتباعد عن العمل الخطير فقط، وأصبح آخر القوم في سبيل الحياة وعاش مرذولاً

شمر وجدّ لأمر أنت طالبه　　إذ لا تنال المعالي قط بالكسل

٢٦١ — ﴿ خزّان اصوان وما جلبه من المنافع العامة للزراعة ﴾

إن أرض مصر من أهم الأراضي الزراعية ، فلذا منحها المولى تبارك وتعالى ماء عذباً (ماء النيل السعيد) وحفظاً لهذه المياه من ذهابها سدى في البحر الأبيض المتوسط شيد خزان عظيم في أصوان ليعم الري جميع أراضي القطر المصري، وحينئذ سهل زرع الأراضي العالية مرتين بعد أن كانت تزرع مرة واحدة في كل سنة — ولتحفظ البلاد من الشرق والغرق ، وتكثر الفائدة وتنمو الخيرات ، وتنشر البركات ، وتزيد المحصولات ، وتتقدم التجارات ، ويرتقي الشعب ويمحق اسم السلب والنهب ، ويعيش كل فرد سعيداً ، يودع عيداً ويستقبل عيداً

وفي الحقيقة والواقع لما كان النيل الذي هو قوام الحياة في هذه البلدان عليه مدار الخصب والعمران ، اعتنت به ولاة الأمور ، وسجنته بقناطر هائلة تنزله بقدر مقدور، في أوقات مخصوصة بانتظام، كفلت الراحه للخاص والعام

أخزان مصر أنت أم هرما مصر ... أجل وأسمى في المكانه والقدر
وهيهات ما اهرام مصر وان سمت ... بأرفع رأساً من حضيضك لو تدري
وما أنت خزان المياه وطميها ... وأبليزها بل خازن الدر والتبر
تدفقت بالخيرات من كل جانب ... وجمعت أقطار المنافع في قطر

وحينئذ تسى الحكومة بذلك ان توزع مياه النيل الذي هو روح حياة مصر وسبب سعادتها توزيعاً عادلاً ، وأن تحفظ ما زاد من حاجاتها فى وقت الفيضان الى أيام انخفاط مياهه وقصوره عن ريّ ما ارتفع من واديه ، وبذلك امكن المصريون ان يزرعوا أراضيهم عدة مرات في السنة الواحدة وأن ينتفعوا بثمرات جهات ما كانوا ينتفعون بها من قبل — فازدادت ثروتهم واتسعت تجارتهم وغنيت حكومتهم — ولعمر الحق ان واحداً من تلك الخزانات التي تتدفق مياهها بالخيرات عند أولى الألباب لخير من الف هرم، فشتان ما بين آكام ضيع فيها نفيس الزمن، وقوى الرجال، وقناطير الأموال، وبين كنوز الذهب وعيون النشب ومواحق الجدب وطلائع لشائر الخصب

٢٦٢ — ﴿ تأثير المطابع فى انتشار العلوم والمعارف ﴾

الانسان يفتقر إلى ثلاثة أغذية — غذاء النفس وهو العمل الصالح وتقوى المولى تبارك وتعالى — وغذاء الجسد وهو ما طاب وحل من نبات وحيوان — وغذاء العقل وهو العلم والمعرفة. وهذا الغذاء الأخير مفضل على الغذائين السابقين إذ به يمهد السبيل اليهما ويقتدر المرء على إتقانهما فضلاً عما يستفيده من رفعة الشأن وحسن الحال في المبدأ والمآل

ولم يتيسر العلم للانسان ولا عمت منافعه حتى تمكن من إثبات

خواطره على القرطاس ونقل ما يكنه صدره إلى ما بين أيدي الناس وكان لأول عهده في الكتابة يقاسي المشاق في حفظ ما يكتب وادخار ما يقتبس من شوارد المعارف وشتات العلوم. وكان القدماء اذا أرادوا أخذ علم من العلوم طووا البيد والقفار، وتجشموا الأخطار تقرباً ممن أحرز العلم وامتاز به، ولم يكن من سبب يدفعهم الى مقاساة عناء الأسفار إلا قلة الوسائط التي تساعد على نشر العلم وبثّه في جميع أنحاء المعمورة ليستفيد منه كل قاص ودان، واستمرّت الحال على هذا المنوال، الى أن حنت دواليب المطابع حنين الناقه على الفصيل، وأخذت تدرّ للانسان ألبان العلوم والمعارف

ان المعارف للرقي وسائل　　لا تبصر الأشيا بلا أعيان

وإذا المعارف أشرقت في أمة　　نالت أمانيها بغير توان

ان المطابع للعلوم وسيلة　　والشمس لا تحتج الى برهان

وقصارى القول — أن للمطبعة أياداً تذكر فتشكر، وللخط مساوي لا تغفر، إذ الخط يعتريه التحريف لغير حناس، والطبع ينتج الصحة بدون قياس، والناسخ أسير النقل، وذو الطبع ينسج على منوال الفضل، والمطبعة تعمل في بضع أيام، ما لا يعمله الكاتب في أعوام ولعاب القلم يمحوه اللسان، وأثر الطبع لا يغيره الزمان، فذاك كالنقش على التراب، وهذا أثبت من الوحي في الصم الصلاب، وثمرة الخط

تجنى بيد المال الكثير ، وزهرة الطبع يشمها الغني والفقير والخط لو كان أنفاً لكان أجدعاً ، والطبع لو كان شكلاً لكان مربعاً والخط لو كان جماداً لكان حجراً صلداً ، والطبع لو كان جوهراً لكان جوهراً فرداً

٢٦٣ -- ﴿ الحديد أنفع أم الذهب ؟؟ ﴾

الحديد فيه منافع للناس ، على إختلاف الأجناس ، منه تصنع السكك الحديدية والأسلحة والآلات الحربية والأدوات الزراعية والسفن البخارية، بل متوقفة عليه كافة المنافع العمومية — كيف لا وهو الحافظ للارواح البشرية. والقاهر للاعداء، والحاكم بين الملوك والامراء — قال تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) وحينئذ هو أنفع من الذهب الذى يستعمل فى الحلى للزينة، ويستعمل نقوداً للمعاملة، ويمكن أن يستغنى عن ذلك بعملة الورق المستعمل الآن وخلافه — بخلاف الحديد فلا يمكن لاحد ما الاستغناء عنه بحال من الاحوال، إذ منه الكباري والجسور وآلات الحرث والري والزرع والحصد والطحن وسقوف المنازل وهلم جرا من كل ما تتوقف عليه مصالح العباد فى كل زمان ومكان

٢٦٤ — ﴿ الحلم أشرف الاخلاق الطاهرة ﴾

الحلم من أكرم الخلال ، وأتم الخصال ، وأفضل شمائل الرجال

وأعلى مراتب الكمال ، وهو أصل من أصول الدين ، وحصن من حصون الإيمان حصين ، وركن من أركان الشرع متين ، من استند اليه ، وتمسك به ،واعتمد عليه ، استنارت له الظلم ، وأمن عثار القدم وعصم من مواقع الندم ، وما زال الحلم يعرب عن نزاهة النفس وبعد الهمم ، والفوز بأوفر حظوظ الفضل والكرم ، يسمو بصاحبه في الدارين الى أرفع الرتب ، ويطفيء من الإنسان جمرة الغضب

قال تعالى (إن ابراهيم لحليم أواه منيب) وقال عليه الصلاة والسلام (تعلموا الحلم قبل العلم فما جمع شيء لشيء أحسن من علم الى حلم)

ألا ان حلم المرء أكرم نسبه   يسمو بها عند الفخار حليم
فيارب هب لي منك حلماً فانني   أرى الحلم لم يندم عليه كريم

والسفه من الشيم المبغوضة ، والخلال الرديئة المرفوضة ، الدالة على خسة الطباع ، وشمائل الأوضاع ، وصاحب السفاهة لا يثبت على حال ، ولا يقف على حقيقة من الأقوال والأفعال ، قال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه) وقال بعض الأدباء من غرس الغضب فى أرض السفاهة شجراً ، وأرسل عليها العجلة مطراً ، اجتنى منها الندامة ثمراً ، ولم يعدم في عواقبها ضرراً ، وقال الشاعر

إذا نطق السفيه فلا تجبه   فخير من إجابته السكوت
حلمت على السفيه فظن أني   عييت عن الجواب وما عييت

وبالجملة — فالحلم (وهو سكون النفس عند دواعي الغضب مع ترك الانتقام) من أشرف الأخلاق وأكرمها ، وأعلى مراتب الكمال وأعظمها ، يبلغ صاحبها ذروة المجد ، ويكسبه جميل الحمد، به يصون الإنسان عرضه ، ولا ينال منه السفيه غرضه ، ولا يكون الانسان حليماً — إلا اذا كان عالماً عاقلاً صبوراً جامعاً بين عظم القدر،وسعة الصدر،مترفعاً عن السباب،فان ذلك يدل على شرف النفس وعلو الهمة ويدرك بالرفق مالا يدرك بالعنف ، واحتمال السفيه خير من مشابهته والإغضاء عن الجاهل خير من مناضلته ، به تكثر الانصار،وتدفع الاشرار ، فمن غرس شجرة الحلم اجتنى ثمر السلم — قال الأحنف ابن قيس : ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث : إن كان فوقي عرفت له فضله ، وإن كان مثلي تفضلت عليه ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه

٢١٥ — ﴿ لا تكن ليّناً فتعصر ولا يابساً فتكسر ﴾

لكل إنسان غرائز شتى مختلفة كالحلم ، والجود ، والبخل والسرور ، والحزن ، والغضب ، والرضا ، واللين والشدة ، وهلم جرا والمتصرف في تلك القوى والحاكم بينها بالقسط واضعاً كلاً موضعه هو « العقل » ، فبه تدرك مواضع « اللين والشدة »

فاللين سهولة الأخلاق في جميع المعاملات . والشدة قسوة

القول والفعل في كافة الصفات ، ومن بنى جميع أعماله على إحداهما ألقى بنفسه إلى الهلاك والضلال ، وباء بالخسران والدمار والوبال ، ومن قرأ التاريخ يرى العجب العجاب، ويقف على أسباب التغير الناتج من إحداهما والانقلاب . هذا الحاكم بأمر الله الفاطمي اتخذ الشدة عادته في جميع أعماله، وسائر أحواله، فوقع في ارتباك شديد

وهذا المنتصر بن الظاهر الفاطمي اتخذ اللين ديدنه، والسهولة شيمته ، ولذا كان لا يبالي بما يقع في الدولة من الأخطار الجسيمة فانتشر الفشل في الرعية، ووقع النزاع بين جيشه ، وقامت الحروب في البلاد ، واشتد القحط، وأكل الناس بعضهم بعضاً، حتى ابتاعوا الكلاب والقطط بعشرات الدنانير — وقلما كانت توجد

وهذا اسكندر ذو القرنين وضع الشدة في موضعها، واللين في موضعه ، فبشدته غلبت فئة اسكندر القليلة فئة (دارا) الكثيرة وملك البلاد ، وقهر الأجناد ، وبلينه ملك القلوب واستقام له الملك

فما أحسن من وضع كلاً في موضعه، وأنزل كلاً في درجته وموقعه

أرى اللين ضعفاً والتسحج هيبة ومن لا يهب يحمل على مركب وعر
وما كل حين ينفع الحلم أهله ولا كل حين يدفع الجهل بالصبر

ومن قصرت بصيرته، وزاغت عقيدته، فلم يهتد للصواب، ولا يعرف من أين يطرق الباب ، ولم يميز بين من يقومه الحسام، وبين من

يصلحه الكلام، فالأولى به سلوك طريق اللين فقط، اتقاء من شدة الأخطار، والوقوع في المصائب والمضار — ولذا نرى كثيرين اتبعوا خطة اللين لأنه أقوى تأثيراً في النفوس، ولأنه خير الأمرين، وأقوم الطريقين، وأعدل الحكمين — قال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) وقيل الماء مع رقته، فتت الحجر مع شدته

ولي فرس للخير بالخير مسرج ولي فرس للشر بالشر ملجم
ومن رام تقويمي فاني مقوم ومن رام تعويجي فاني معوج
ولكن أوقاتي الى الحلم أحوج وللحلم أوقات وللجهل مثلها

٦٦٦ — ﴿ما هو الغرض من قدوم السياح الى بلادنا المصرية﴾

بلادنا المصرية أحسن البقاع تربة وهواء، وأصفاها سماء وماء وأوسعها مرتعاً وفناء، وأقدمها فخراً وآثاراً، وأشهرها معارف وأفكاراً، وأكبرها رجالاً، وأفضلها أبطالاً. تركوا بعدهم الآثار التي تدهش الابصار — لهذا نرى السياح يجوسون خلال ديارنا وينسلون إلى هذه الآثار من كل حدب أفواجاً في فصل الشتاء ترويحاً للنفس واستنشاقاً للهواء الجيد وفراراً من البرد القارص في بلادهم الذي يكاد يقضي على حياة كثير منهم واستكشافاً لآثار بديعة الصنع، محكمة الوضع، بقيت على الدهر وقد بادت قرون وهلكت عصور

ومن نظر الى الاهرام التي مضت عليها القرون الطوال، وهي شباب يندهش لبه، ويتحير عقله في كيفية بنائها وقطع أحجارها ورفعها الى ذروتها — ويشهد لهؤلاء ببراعتهم في الهندسة وقوة اختراع الآلات المتينة الصنعة، كما أنهم شادو المعابد العجيبة الوضع، والاسبلة العميمة النفع

وقد يستغرب المرء أن يكون من هذا الأثر الصامت كل هذه الفوائد والمزايا، ولكن من ينظر الى معنى الآثار بعين الإمعان يطلع على خفايا ثمينة، تتجلى للباحث المستقري الذي لا يعبأ بزخارف الامور، ولا يقف عند حد النظر السطحي

ولم تنشأ المتاحف الاجنبية ولم يبذل الاوربيون النفس والنفيس في جمع الآثار القديمة لمجرد وضعها في البيت أو المتحف زينة أو أثراً جليلاً، بل هم يتوخون من وراء ذلك فوائد جمة

وكثيراً ما كشفت لهم الآثار المصرية غوامض العلوم وخفايا الصناعات وكانت مورداً للعلماء، ونموذجاً للصناع، أولئك يدوّنون منها تاريخ الحضارة القديمة وهؤلاء يحاكونها في طريف المصنوعات فعادت هذه الآثار على العلم والصناعة بأفضل فائدة، وأجل عائدة

والفوائد التي تعود على بلادنا من قدومهم رواج التجارات، ونشر الصناعات، بل اتساع دائرة المعاملات وربح الفنادق وغير ذلك

وقد يتوهم كثير أن متاحف أوروبا خاصة بآثار أجدادهم المتقدمين،أو ملوكهم السابقين،وما هي إلا مشحونة بآثار المصريين والشرقيين ، فهم يفاخرون بما يهون لدينا

يقصد الأجنبي مصر من بلاده السحيقة لينظر آثارها النائية ويحمل من كنوزها ما يظفر به ، فيعود الى بلاده فرحاً مسروراً يحدّث الناس بما لاقاه وما شاهده وما اشتراه،فيسخر مواطنوه من جهلنا واهمالنا ، وعدم اكتراثنا بالصنائع والفنون

ولقد جبلنا معشر الشرقيين على عدم الاهتمام بالمفيد،فلا نعبأ بالدرّ داخل الصدف لأن في فتح الصدفة لاستخراج الدرّة مشقة وعناء

والآثار — إما بناء كالمعابد. والمساجد . والمدارس . والجوامع والاهرامات. والرباطات. والزوايا . والبيوت . والأبراج . والقلاع والقناطر .والأسبلة.وما شا كل ذلك — أو نقوداً كالدنانير والدراهم ونحوها — أو نقوشاً كالتي في جدران المعابد وما أشبه — أو صناعات كتطعيم أواني النحاس من الذهب والفضة . وكتطعيم الخشب بالعاج والأبنوس والصدف وخلافه — أو صباغة كدهان السقوف والجدران وغيرها — أو كتباً ككتب الطب والصناعة والتاريخ والمصاحف الشريفة — الى غير ذلك من العلوم والفنون

٢٦٧ — ﴿ فوائد تعلم اللغات الاجنبية ﴾

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الشدائد أعوان

فبادر إلى حفظ اللغات مسارعاً فكل لسان في الحقيقة إنسان

تعلُّم اللغات حفظ للذات، من جميع الآفات، فمن تعلم لغة قوم أمن من مكرهم، ووقف على خيرهم وشرهم، وعرف أخلاق ذويها وسيرتهم، وماهم عليه من الآداب والمحاسن الانسانية، فيأخذ منها ما يكون صالحاً لأمره، نافعاً لقومه، مفيداً لوطنه، ويصير بمنزلة كثيرين من الأفراد، وإن كان واحداً في نفسه — كيف لا وأنه يكون جامعاً أوجه الانتفاع مادياً وأدبياً لبني جنسه

حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة

فليس يحفظ دين إلا بحفظ اللغات

وبالجملة — أن الالمام باللغات الأجنبية يعرف الانسان ماللهم من طول الباع في المخترعات، وإتقان الصناعات، ومن أين تجلب التجارات، وكيفية الطواف حول الأرض في السياحات، ويدرك بماذا تقدمت هذه الأمة وتمكنت الحضارة والمدنية في نفوس أفرادها وبم تأخرت تلك الأمة وأضاعت بلادها، وخسرت رجالها، وفقدت شريعتها، واتحادها ونخرها ومجدها، وبذلك يتمكن حب الوطنية في قلبه، ويذب عن حوضها بسلاح شرفه

وما الوطن المحبوب إلا يتيمة وباقي المعالي كالدّراري التوائم

٢٦٨ — ﴿ هل الرزق بالسعي أو بالحظ ؟ ؟ ﴾

السعي حركة الإنسان في ظروفه الزمانية والمكانية ، لإصابة الرزق والراحة والجاه — فاذاً لا مرية في أن بقاء الانسان وارتقاءه يتوقفان على سعيه أولاً ،وعلى عمله ثانياً،لأ ن العمل خاتمة السعي الذي هو ناموس للبقاء والارتقاء — وما من أحد إلا وهو فازع الى سعادة يطلبها بجهد،ومن طلب شيئاً وجدَّ وجد،ومن قرع الباب ولجّ ولج قال تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ماسعى) ومن سعى رعى، ومن جال نال — قال تعالى (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وجاء في الحديث النبوي عن الاعرابي الذي أراد دخول مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وناقته بيده فقال يا رسول الله: أأرسل ناقتي توكلاً على الله عز وجل أم أعقلها —فقال النبي صلى الله علبه وسلم (اعقلها وتوكل)

ألم تر أن الله قال لمريم وهزي اليك الجزع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجزع من غير هزها جنته ولكن كل شيء له سبب

وقال تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) وقال عليه الصلاة والسلام(ما أكل رجل طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده)

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وأن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض)

وفي التوراة (ابن آدم خلقت من الحركة وأنا معك، ابن آدم أمدد يدك الى باب من العمل أفتح لك باباً من الرزق)

وفي بعض الحكم: هل يجوز في وهم، أو يتمثل في عقل، أو يصح في قياس، أن يحصد زرع بغير بذر، أو تجنى ثمرة بغير غرس أو يورى زند بغير قدح، أو يثمر مال بغير طلب، وقد جعل الله طلب الرزق مقصوراً على الخلق كلهم من الانس والجن والطير والهوام منهم بتعليم، ومنهم بالهام، فأهل التحصيل والنظر يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرز، وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال، ثم إذا نظر المتأمل الى الحالة الأولى من الهمجية، وما صارت اليه الحالة الحاضرة من التقدم والعمران بواسطة الجد والاجتهاد، وما وصلت اليه أميركا من الاكتشافات والاختراعات، بل وجميع الغربيين ما ارتقوا إلاّ بالجد والكد

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاء
ولا تقعد على كسل التمني تحيل على المقادر والقضاء
فان مقادر الرحمن تجري بأرزاق الرجال من السماء

مقدّرة بقبض أو بسط وعجز المرء أسباب البلاء

ومن الجهال الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم يعتقدون أن الأعمال والمساعي كلها عبث ، والرزق فى الدنيا بالقسمة الأزلية — ويستدلون بقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا — والله خلقكم وما تعلمون) وبقوله عليه الصلاة والسلام (الرزق عين ساهرة لعين نائمة) وبقول الشاعر

ليس ما يحوى الفتى من عزمه لا ولا ما فات يوماً بالكسل

ويتعللون بألفاظ لا يفهمون تخريجها ولا تأويلها — فاذاً ما يسمونه بختاً وحظاً وسعداً ونحساً ليس إلا أضغاث أحلام

كل يحاول حيلة يرجو بها دفع المضرة وابتغاء في الأمل

والمرء يغلط فى تصرف حاله فلربما اختار القعود على العمل

٢٦٩— ﴿ مقارنة بين سكنى المدن والقرى ﴾

لا شك في أن المدن مركز العلوم والمعارف، ومعدن الظرائف واللطائف، ومنبع التمدين والآداب، وحصن الأمن والاستتباب، فيها أسباب الراحة والرفاهية التامة، والحرية لجميع الأفراد عامة، فيها ما تشتهيه النفس وتقر به العين، وتنشرح به الصدور، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، من أنواع الطرب والسرور — بخلاف القرى فإنها بعكس ذلك على خط مستقيم ، إذ الفرق بينهما ظاهر جليّ

لأنه من البديهي أن القرى مأوى اللصوص ومجمع العصابات، والدليل على ذلك القضايا الجنائية ، فإن أغلبها بل كلها مقام على أهل القرى والسبب في ذلك تسلط الجهل عليهم،وسوء تربيتهم ،وعدم تدينهم وغلظ طباعهم ، وفظاظة أخلاقهم — فلذا يروى عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه قال لبعض أصحابه (لا تسكن القرى يَضِعْ علمك) ورُبَّ قائل يقول إن القرى هي المورد الوحيد الذي تستمد منه المدن جميع لوازمها الضرورية،وأنها جنة الله في أرضه، إذ فيها الماء والخضرة والهواء، ولذة العيش،والصحة،وبساطة الضمير — كما يقول الشاعر

تلك القصور وان راقتك زينتها ... دون التمتع في بحبوحة القصب
فاربأ بنفسك ان تبقى مخلدة ... بين الستور و بين السجف والحجب
واقصد خلاء تسر العين فيه لما ... يروقها من نضير الجو والعشب
واترك غمار ذوي الحاجات في بلد ... يموج بالناس والساري على القضب

حقاً إننا لا ننكر ذلك،ولكننا نقول: أن ذلك حاصل في المدن أيضاً زيادة على ما فيها من المزايا الكثيرة،وأن جودة الهواء ليست مختصة بكل القرى،كما أنها ليست ممتنعة عن كل المدن،فكم قرية أردأ هواء من مدينة وبالعكس

٢٧٠ — ﴿ مقارنة بين القلم والسيف ﴾

القلم منبع العلم والحلم والحكمة ، وهو الرسول بين الملوك

والأمراء، والصادق الأمين بين الأحبة والأصدقاء، وقرة أعين الأدباء والظرفاء، وجليس العلماء والحكماء، فهو اليد والساعد والعضد المساعد، يترجم عما في الجنان، بأفصح بيان، ويفهم الحاضر والغائب، وتأثيره أشد من تأثير الجيوش والكتائب

قوم إذا خافوا عداوة امرىء　　سفكوا الدما بأسنة الأقلام
ولضربة من كاتب ببنانه　　أمضى وأنفذ من رقيق حسام

وحق من علم بالقلم، أن فضله أشهر من نار على علم، وكفاه فخراً أن الله أقسم به في محكم كتابه، فقال (ن والقلم وما يسطرون)

اذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم　　وعدّوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخراً ورفعة　　مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

بالقلم — علم الانسان ما لم يعلم، وبه أدركنا أحوال من سبقنا من الأمم، وبه كتبت كتب الله المقدسة، وبه خرج الانسان من دائرة الهمجية الى عالم الترقي والحضارة والمدنية، به سطرت جميع العلوم والفنون، وهو للملوك عين العيون، ومنار الدين والدنيا. ونظام الشرف والعليا

قلم يفلّ الجيش وهو عرمرم　　والبيض ما سلّت من الأغماد
وهبت له الآجام حين نشا بها　　كرم السيول وصولة الآساد

قال بعض الأدباء (القلم هو أحد اللسانين، وهو المخاطب

للغيوب ، بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، من معان معقولة بحروف معلولة ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكر ونتاجها التدبير)

ولي قلم في أنملي إن هززته فما ضرني ألا أهز المهندا
إذا صال فوق الطرس وقع صريره فإن صليل المشرفي له صدا

والسيف آلة قاطعة مفرقة للأجزاء ، به تفتح البلدان ، وتنشر الأديان ، وسلاح القوة الحاكمة ، ومنعتها وشرفها ، لولاه ما انتظم العمران ، ولا نشرت راية الراحة والأمان ، ولا استتب الأمن والاطمئنان ، في جميع الأمصار والبلدان

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

ولكن لا يخفى على المتأمل أن حرب الأقلام أشد تأثيراً في النفوس من حرب الحسام — والتاريخ أعدل شاهد ، كما حصل في واقعة الملك (دارا) ملك الفرس مع مملكة (التتار) حيث تغلبت هذه الاخيرة على مملكة الفرس وهزمت جيشها بالحيلة بدون أن تشهر عليها سلاحاً — وهذه دولة انكلترا في الشرق ، وكثيراً من الممالك والشرائع قد فتحت وتأسست بغير السيف الذي لا يحمل إلا على الشمال ، بخلاف القلم الذي يحمل على الرأس ويجلس على اليمين

فلا مرية في أنه جليل القدر، وهو أحق بأن يقول: أنا سيد السيف ولا فخر

٢٧١ — ﴿ الخمر وتأثيرها في العقول والأجسام ﴾

واهجر الخمرة ان كنت فتى كيف يسعى في جنون من عقل

الانسان أكمل من سائر المخلوقات، وأحسن صورة من جميع الحيوانات، إلا انه ليس أسعد من غيره من الموجودات، لانه عرضة للتأثر بالمؤثرات الجوية وتقلبات الزمان، فهو مشترك معها في اعدامه الحياة، وليست سلطنته ولا تدبيره لها في الحقيقة ونفس الأمر إلا لما خصه الله به من الصفات المعنوية، التي هي أسرار الناطقية وأفضل ما في الانسان عقله ولسانه وحسن قوامه، فهو كما انه باعتبار خاصيته الحيوانية مجبور طبعاً بتغذية جسمه، كذلك باعتبار خاصيته الانسانية يجب عليه تغذية عقله بالمعارف وتحليه بالآداب. ولكن لسوء الحظ لم يقتصر على هذه الأسباب النافعة، بل تجاوزها واتخذ أسباباً تعاكسها ليست من ضروريات طبيعة الانسان. بل هي من مضعفات الجسد والعقل - ومن أقوى هذه الأسباب تعاطي المسكرات التي هي متلفة للبدن. مفسدة للعقل، مذهبة للأموال. جامعة لجميع العيوب والذنوب. مفتاح كل شر. طريق كل ضر. منبع كل خصلة شنيعة ورذيلة فظيعة. تورث الجنون لبعض الناس وتحدث مرض السل الرئوي واحتقان الكبد - قال بعض الحكماء: من السموم الخفية المشروبات

الروحية — وقال آخر : السكر رأس المعاصي

وبالجملة — فالسكر آفة الاستقامة، وعدوّ الشرف والأمانة، ومجلبة الذل والاهانة ، يدعو صاحبه إلى ارتكاب الموبقات ، والاقدام على جميع المحرّمات

من تقرع الكأس اللئيمة سنه فلا بد يوماً أن يسيء ويجهلا
ولم أر مطلوباً أخس غنيمة وأوضع للأشراف منها وأخملا

٢٧٢ — ﴿ فوائد ومضار الورق المستعمل بدل النقود ﴾

ان للأمم اصطلاحات غريبة كثيرة في المواد المستعملة نقوداً

فالصينيون كانوا يستعملون مكعبات صغيرة من الشاي المضغوط عليه — وبعض قبائل أفريقيا يستعملون الأصداف البحرية، وغيرهم المواشي، وغيرهم ملح الطعام — أما الأمم المتمدينة لهذا العهد ، فيستعملون الذهب والفضة لسهولة حمله ، وقسمته وحفظه بدون نقص في قيمته

وكثيراً ما تستعمل في العملة قطع من الورق عليها وعد بالدفع بدل النقود. ويستحسن ذلك في حالة ما اذا كان المبلغ جسيماً لأن الورق سهل الحفظ ، خفيف الحمل — فورقة البنك المرقوم عليها خمسة جنيهات تعهد من البنك الذي وضعها بدفع هذا المبلغ لمن يحملها ولذا يقال أن الورق قابل للتحويل فيما لو امكن مالكها استبدالها

بالنقود في أي وقت يريده، ففي هذه الحالة تكون بمثابة النقود، بل أفضل، وغاية ما يخشى منه أن البنك الذي وضعها ربما يعجز عن ابدالها بالنقود في بعض الأحيان — وكثيراً ما يحدث ذلك للبنوكات فتتوقف عن الدفع ولا تفي بما تعهدت به

ومع ذلك فقد تقوم الأوراق مقام النقود ولو تعسر وجود عملة أخرى، وحينئذ يقال لهذه الأوراق أنها غير قابلة للتحويل، أو أنها عملة فيقبلها كل انسان لعلمه أن غيره لا يقدر على رفضها لو عرضت عليه

٢٧٣ — ﴿ حالة الأمة اذا فقدت لغتها ﴾

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

أن فقد اللغة فقد الشعور، وتضييع الدين، واضمحلال لعرى الفخر والمجد المتين، وموت للاحساس والشرف والحرية، واستئصال الايجول في عروق الشعب من الحضارة والمدنية

قال ابن خلدون (اللغة ملكة صناعية متقررة في العضو الفاعل لها) وقال عبد الله النديم: (إضاعة اللغة تسليم للذات) وقال غيره (استقلال الأمة موقوف على حفظ لغتها) وقال آخر (اللغة هي عنوان الامة) فحياة الأمة بلغتها وآدابها

واللغة آلة عند قوم [illegible]

الانسان عموماً وخصوصاً — فاذا أهملت اللغة سادت الفوضى والإخلال بالنظام، وعم الفساد بين كافة الأنام — والويل ثم الويل لأمة أضاعت لغتها، والثبور ثم الثبور لأمة أضاعت منعتها وعزتها والشقاء ثم الشقاء من اضمحلالها، وتقهقرها وانحطاطها وتأخرها وتصير في عذاب اليم وتستمر طول الأبد في شقاء جسيم، هذه أمة اليهود مشتتة في كل واد، وعُرضة للاسترقاق والاستعباد، وهدفاً لسهام التعصب والاضطهاد، وما ذلك إلا لفقدها لغتها العبرانية ففقدت الشعور والإحساسات، وأصبحت أمة فوضى لا تألفهم أمة من الأمم — وهكذا اذا أنعم الإنسان نظره في كثير من الأمم الذين نبذوا لغتهم ظهرياً يجدهم في اضمحلال

٢٧٤

﴿ من عفا عمن يستحق العقوبة كان كمن حرم من يستحق المثوبة ﴾

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس يوماً بالذي لا يرحم

من تأمل في تاريخ العالم، رأى أن أعمال بني آدم، أقرب الى الشر من الخير، وان كان الخالق سبحانه وتعالى أودع فيهم بصيرة ترشدهم الى الخير، وتنهاهم عن الشر، الا أن الشهوات والأغراض تستدعي مخالفة أمر البصيرة — وجهلهم بالحقائق هو منشأ آخر للمصائب والخطايا والذنوب — وهذه الذنوب على أنواع شتى، وضروب

مختلفة — فنها ما يحسن الصفح عنها، والعفو عن عقاب من وقع فيها

من ذا الذي ما ساء قط　　ومن له الحسنى فقط

وذلك لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة

وأغفر عوراء الكريم ادخاره　　وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

ومنها ما لا يحسن إهمال الضرب على أيدي مرتكبيها بل ينبغي زجر مقترفيها — ومنها ما يجب عقاب آتيها . وإلا انتشر الفساد في جميع البلاد ، وإزهاق أرواح العباد

لعمرك ما تلك الحياة رخيصه　　فصبها [illegible] الحياة حياة

وقال تعالى (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب)

اذ المراد أن الانسان اذا علم أنه متى قتل امتنع عن القتل .

ويلزم من ذلك حياته وحياة غيره

قتلنا لاجل النفس نفساً نفعلها　　وقد قادنا للقتل اذ ذاك قرآن

[illegible]　　وهذا [illegible] الحق عدل واحسان

وبالجملة فلا بد من [illegible]

[illegible] أنه لابد من [illegible] مكافأة [illegible]

[illegible] على عمل ما هو أنفع [illegible]

[illegible] بخلاف [illegible] صور الهسم

والتقاعس عن الأعمال المفيدة [illegible] الفساد لا يقل عنه

الفساد الناشيء عن إهمال من انغمست يده في الجرائم حتى طغى وبغى ، وانتهك المحارم

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فحقيق وجدير بالحكام الضرب على أيدي هؤلاء الأشرار اللئام

لا تلطفن بذى لؤم فتطغيه واغلظ له يأت مطواعاً ومعوانا
ان الحديد تلين النار قسوته ولو صببت عليه البحر مالانا

٢٧٥ — ﴿ فوائد التصوير الشمسي ﴾

ان هذه الصناعة من ألزم الامور لتقدم العلوم والفنون، ولإتقان فن الحرب، ولتشخيص بعض الامراض، ومعرفة شكل النجوم، وحجم الميكروبات، ولامور أخرى كثيرة ملازمة للتمدين مرافقة لأشكال العمران — من ذلك أن تصوير الأفلاك والنجوم والشمس والقمر (بالفوتوغراف) صار اليوم أكبر آيات التقدم في معرفة الأجرام السماوية وشكلها. واستنتاج النتائج عما فيها من الجبال والأنهار، وغير ذلك مما يمكن معرفته بتكبير الصور — ومن فوائده أيضاً تصوير المجرمين ونشر صورهم بين الناس، وبين رجال الضبط حتى تعسر عليهم الهرب والفرار — وتصوير الخاءمة وغيرهم، والفضل في ذلك لرجل فرنسي

من مدينة شالون يدعى « نبيس » اكتشف بعد امتحانات عديدة بعض خواص الحجرة المظلمة، وهي كناية عن خزانة أو صندوق صغير مغلق إغلاقاً محكماً، لا ينفذ اليه النور إلا من نافذة صغيرة تدخل منها الأشعه الشمسية فتنعكس صور المرئيات الخارجة على لوح موضوع لهذه الغاية عند أسفل الخزانة ثم أخذت في التقدم شيئاً فشيئاً الى أن وصلت الى ماهي عليه في عصرنا الحاضر

٢٧٦ — ﴿أيهما أنفع للإنسان العزلة أو الاجتماع ؟؟﴾

ان الناس مدنيون بالطبع - أي لا بد لهم من الاجتماع والمخالطة لأن الفرد الواحد لا يمكنه أن يستقل بجميع حاجاته ولوازم حياته فهو مضطر بحكم الضرورة الى الاجتماع والمبادلة - فلا مرية في أن بقاء الانسان لم يكن الا بالإجتماع الإنساني ، وإلا فا الفرق بينه وبين الوحوش الضارية

والناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

فطرة الله التي فطر الانسان عليها أليفاً أنيساً ميالاً للمحادثة والمحاضرة . مضطراً الانضمام الى اخوانه تبادل المساعدة والمنفعة وقد قيل : المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه — فلا بد للناس من الإجتماع الأدبي الذي عليه مدار الحياة والسعادة والهناء فمعود عليهم وعلى بلادهم إتحادهم والا [illegible] الآراء فانها

وأعن الحق مكسبة للهم والهوان، ولو كان فيها نفع للانسانية لترك المولى آدم وحيداً في الجنة — وقد قيل: الشيطان مع الواحد وهو عن الاثنين أبعد، ويد الله مع الجماعة، ويقال: إياكم والعزلة فإن في لقاء الناس معتبراً نافعاً، ومتعظاً واسعاً، ومجالسة أفاضل الرجال تجلو البصر وتطرد الفكر

إذا لزم الناس البيوت رأيتهم عماة عن الاخبار خرق المكاسب

فحينئذ الاجتماع الأدبي أفضل من الوحدة والعزلة. وأما إذا كان الاجتماع لأكل لحم الناس، وسب عرض الأحرار، وانتهاك المحرمات، وأثم الراحات بالراحات، وارتكاب المنهيات والمعصيات فلا ريب في أن العزلة أفيد، والانفراد أولى وأسلم

وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

فالعزلة والانفراد خير من مجالسة السوء، لأن المعاشرة الرديئة تفسد الأخلاق الحميدة

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال

فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

وبالجملة — الانقباض عن الناس مكسبة العداوة، والانبساط اليهم مجلبة اقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط. فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة. ويختلف ذلك باختلاف الأحوال

٢٧٧ – ﴿ الأخلاق الصالحة ثمرة العقول الراجحة ﴾

لو أنني خيّرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق

أن ينبوع السعادة ومصدر السؤدد والسيادة وأنفس الأعراق حسن الأخلاق، فبه يشرف الانسان، ويتميز عن سائر أفراد الحيوان، في كل زمان ومكان، وما زال صاحبه يستميل بحسن شيمته النفوس ويجذب بمكارم أخلاقه الأفئدة والقلوب وينال من عدوه قبل صاحبه كل مرغوب ومطلوب

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلماً وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

فالأخلاق الصالحة ثمرة العقول الراجحة. قال عليه الصلاة والسلام (أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً)

لا تقعدن عن اكتساب فضيلة أبداً وإن أدت الى الاعدام

وفي الانجيل (سعة الأخلاق كنوز الأرزاق) وقال بعضهم الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في أمن وسلامة. والسيء الخلق من نفسه في تعب. والناس منه في عناء وجهد وبلاء.

إذا لم تتسع أخلاق قوم تضيق بهم فسيحات البلاد

قال سقراط: حسن الخلق يمنع من ارتكاب الدنايا فانه لا يشاكلها

ومن كلامه أيضاً : حسن الأخلاق يورث المحبة ، ويؤكد المودة ويقود إلى الفعل الحسن — وقال أرسطاطاليس : حسن الخلق حلية النفوس كما أن حسن الخلقة حلية الجسد

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم اذا كانت الأخلاق غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى فما كل مصقول الحديد يماني

وبالجملة — حسن الخلق أعظم حلية يتحلى بها الانسان ويعيش عيشاً رغداً بين مواطنيه لأن (من ساء خلقه ضاق رزقه) وفي الحقيقة والواقع أن أخس صفة في الشخص الخلق الدنيء، واللسان البذيء ولا يخفى ان من واجبات الدين حسن الخلق والسخاء ، فالحسن الخلق من نفسه في راحة ، والناس منه في سلامة ، وتراه قد كثرت مصافوه وقلّت معادوه ، وتسهل عليه الأمور الصعاب ، وتلين له القلوب الغضاب ، وأما السيء الخلق فتراه بالعجب ، وبالضيعة الأدب ، قد جهل قدر نفسه ، ولم يفرق بين يومه وأمسه ، وهو من نفسه في عناء ويعيش العمر في شقاء ، وترى الناس منه في بلاء

ومن أراد أن يجعل ذكره مدوناً في صحيفة حسن الأخلاق فعليه أن يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة لا يستفزه تقلب الأحوال وجريان الأقدار ولا يغره غناه فيسوقه الى ارتكاب الإثم ، وإذا كان متولياً أمراً فلا يجزع

ولا يستبدل حسن الخلق والصبر بالهلع والبذاء لأي سبب عرض أو لأي أمر طرأ

٢٧٨ — ﴿ وصف حريق هائل ﴾

بينما كانت السماء مشرقة بالأنوار . إذ بدخان قد ملأ الجو والفضاء، وحجب كواكب القبة الزرقاء، فتغيرت الأفراح بالأتراح وتبدل كأس الهناء بالشقاء . وذهب الصفاء ضحية العناء ، ورأيت الناس فوق الديار يقولون النار . النار . فأسرعت إلى الخروج من المنزل ، لأستكشف هذه الأخبار . فوجدت لكل إنسان شأناً يغنيه ، يوم يفر المرء من أبيه. وأمه وأخيه. وزوجته وبنيه، وأصحابه وأهليه . والناس في هرج ومرج . ولا دخول ولا خروج ، وفي شدة وضجة ، ورعدة ورجة . سكارى وماهم بسكارى . بل من شدة النيران حيارى. ولما وصلت محل الحريق رأيته منظراً يفتت الأكباد ويخلع شامخ الأطواد. رأيت القصور الشاهقة قد أمست قبوراً والمنازل العامرة قد باتت قفوراً .ومع ذلك كله فالنار زادت وتأججت كأن الجحيم قد سعرت، وامتدت ألسنتها وطالت ، وتطاول لهيبها وصالت ،فاشتد بين جميع الناس الخطب . واستغاثوا بجنود المطافي فحضروا وضربوا عليها الحصار . وصاروا يخلصون المنكوبين من مخالب النار . ثم أتوا بالمضخات . وشنوا الإغارة عليها بالطلمبات

ورموها بالخراطيم والميازيب، وقذفوا عليها المياه من فوهات الأنابيب وما تزداد إلا عتوًّا وفساداً، وتلتهم الانسان والحيوان قسوة وعناداً فاستمرت الحرب بينهما مدة من الزمان، وهي تكافحهم بأقوى جنان وأحدّ سنان، حتى فرقت أيدي سبا كل من حضر، وبددت الأموال والامتعه شذر مذر، فعززت فرقة المطافي رجالها بعدد عظيم من الجنود كأنهم أسود. فشنوا عليها الغارة بكل شجاعة وجسارة، وقاوموها مقاومة الأبطال، وأخمدوا لهيبها في الحال

٢٧٩ — ﴿ وصف يوم شم النسيم ﴾

شم النسيم ، عيد قديم ، تخرج فيه الناس وحداناً وزرافات، وقد سالت بهم الطرقات . واكتظت أحشاء الفلوات ، ونزحوا الى الحدائق والمنتزهات، وغادروا المعاقل ، الى حيث الربى والخمائل، كأنهم مطر درّته الغمائم ، أو جراد زفته الرياح السمائم ، أو مجتمعو أسواق لا يروج فيها إلا الفسوق ، تجتمع فيه الغواني والرفاق ، والساق على الساق ، والفم قريب من الفم ، يتلاقون الى جانب اليمّ ، يتبادلون التحيات بالحواجب، ويشفقون على القلوب، فيضمون الأيدي فوق الترائب ، يختلسون النظرات ، وتحتها سهام صائبات ، والغواني بين تلك الشعاب ، يتهادين تهادي الحباب ، ويتراسلن بالعيون، ويتحادثن والحديث شجون ، وتفنن القوم في اللباس ، تفننهم في الأرجاس، فمن

عمامة بيضاء، فوق هامة سوداء

ما كل من لبس العمامة سيد ما كل من لبس القباء أمير
ما كل ذي لب يدير مصالحاً حتى يهذب بيته ويدير
ما كل ذي حسب شريف إنما شرف الرجال يسوسه التدبير
ما كل أفراد البرايا واحد ولكل فرد فى الحياة نظير

ومن طربوش أحمر، على شعر أصفر، ومن حلة خضراء، على قامة سمراء، واشرأبت البرانيط، على دوم شماميط. ثم دارت رحا الأفراح، بين العقول والراح. وتحكمت الكؤوس. فى الرؤوس ودبت الصهباء فى الأعضاء. ويلثمون الراح بالراح. ويأكلون ويشربون، ويضحكون ويلعبون، بين نغمة الحديث الرخيم. ونشوة المدام الديم. ونغمات الأوتار، تدعو الى اغتنام الأوطار. تهدي الارتياح الى الأرواح. وتبدل الأفراح من الأتراح

٢٨٠ لا ينجح الأمل إلا بالعمل

ان الطبيعة البشرية قد أودعت فى نفس كل امرىء أملا فطرته عليه. فهو مجبول على حب الرفعة والعلاء. يحدث نفسه دوماً بالارتقاء الى أسنى المناصب. وأعلى المراتب. ومدفوع لاقتحام الأهوال. والاخذ بناصية الأعمال. طمعاً فى الوصول الى المرغوب. والحصول على المطلوب وهذه المطالب تختلف باختلاف الهيئات والبيئات التى تدفع الانسان

عليها،ويترعرع في مهد الميل اليها،فقد تكون «مالا» يفرغ كنانة الجهد في تحصيله أو «علماً» يحث مطايا الجدّ في احرازه أو «سؤدداً» يشحذ غرار الكدّ في نيله — وقد تكون تلك الرغائب بعيدة عنه حين شروعه في معاطاة أسباب تحصيلها،فما الذي يقصر مسافاتها المترامية ويسهل صوب مسالكها المتنائية ، ويطوى بينها و بينه مشقة البين ويجعلها منه معقد الأزار،وأقرب من الحاجب للعين بل أدنى من قاب قوسين،ويصير حصولها متحققاً كمضي أمس،أو كطلوع الشمس هو «الامل» تلك العاطفة التي أنار بها الحق جل جلاله نفس الانسان وجعلها له في وادي الاتعاب خير عزاء، وأعظم سلوان — فالأمل مدعاة الإقدام،ومجاب الجرأة والبأس،ومزيل القنوط ومبدد اليأس والحافظ بناء الأعمال من السقوط ، ومساعي الرجال من الحبوط والماحي من الأفكار ظلمات القنوط — فبه تنتعش القلوب وتحيا النفوس ويشد العزائم ويقوي الهمم

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

ولكن هل ينال الغنى بالمنى،أو يجنى الثمر من غير زرع الشجر وهل تأتي الأرض بالأثمار بدون حرث أو بذار ، أو تنسج الثياب بدون يد أو دولاب ، حاشا — فلا ينجح الأمل إلا بالعمل

والا . كيف يتأتى المؤمل من الدهر الارتقاء الى المناصب العليا أن

ينال آماله بفتوره وإهماله — تالله لو ظل طول الدهر على هذا الحال لما أدرك شيئاً من الآمال

فعلى الانسان أن يقرن الأمل بالعمل بحيث لا يألو جهداً في ذلك واصلاً ليله بنهاره غير مكترث بالمشقات والاتعاب . ولا مبال بما يقتحمه من الصعوبات والأهوال. فان من كان ديدنه العمل وشيمته الصبر لا بد أن يدرك مناه . ويحظى بما يتمناه

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

٢٨١ - ﴿ حياة الامم برجالها العاملين ﴾

لا ريب في أن كل أمة حياتها . موقوفة على الاعمال النافعة التي تؤدي بها الحقوق الوطنية ولا يكون ذلك إلا إذا صدرت الأعمال من رجالها الحقيقيين الذين تبعثهم الطبيعة الى القيام بها

فالامة لا نجاح لها في الحال الا إذا كان الماضي قد أعد لها رجالاً يديرون أعمالها . فان لم يكن كذلك اضطرت الى استعمال رجال من غير بنيها . وهم وان قاموا رسمياً بالواجب عليهم نحو وطنهم فلا يقومون اصلاً بالواجب عليهم نحو الوطن والأمة

وعلى هذا يكون الغرض من الأعمال فاقداً صفة الكمال ومسؤولية هذا النقص عائدة على الماضي ورجاله يعاتبهم عليه التاريخ وليس في الامكان تدارك هذا النقص حالاً . بخلافه استقبالاً فانه

يمكن أن يتدارك بتهيئة الرجال الأكفاء من الآن ، والمسؤولية في ذلك عائدة على الحاضر وبنيه ، فلا يكتفي في مؤاخذتهم بالتاريخ لأن المسؤول حي قائم تطالبه الأمة والوطن والتاريخ ،فلايخلصون من هذه التبعة إلا بالاهتمام بالأعمال الحالية ، وتنظيم إدارتها في الدوائر على اختلاف فروعها ، مع إقامة قسطاس العدل ، ومحو آفة الجور ومراعاة الأعمال وتطهيرها بالتربية ،لينزع من القلوب الحقد والتحاسد والتباغض ، فيموت من الأمة الانشقاق والاختلاف ، وتعقد الضمائر على الولاء والمحبة ، ليطرد من بينها العدو الباطن الذي هو أشد فتكاً بالجامعة من العدو الظاهر ،لأن ذاك العدو يتخذ المماراة والمداراة والنفاق حبائل لغاياته .فيخدع بظواهره البسطاء، بخلاف الثاني فهو مجاهر ظاهر يسهل الاحتراس منه، فإن تم لها ذلك وجد الاتحاد الذي هو روح حياة الأعضاء ، وداعية التعاضد والتكاتف الواجبين لغاية الاصلاح ،وهذه كلها معدات لتهيئة الرجال القادرين على استلام زمام الأعمال في المستقبل ، والساعي في ذلك إنما يعمل لحياة الأمة ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً — وانظر ما قدر هذا العمل المبرور ، وما جزاؤه عند الله وعند الناس والتاريخ

كفانيَ فخراً أن أموت مجاهداً وحبّ بلادي قائدي منذ نشأتي

وعلى الضد من ذلك من يسعون في تبديد هذه المعدات وإضاعة

تهيئة الرجال للمستقبل، فإنهم بذلك يحاربون الله ورسوله والأمة والوطن، ويجنون أعظم الجرائم وشر الجنايات. فما جزاء هؤلاء إلا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض. ذلك لهم خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم

ولقد أخطأ من يظن أن مجد الأمة وسلامة المملكة بالمال والحرية، لأن المال لا يهطل من السماء، والحرية لا تنبعث من الينابيع والجداول، وكلاهما لا يأتي إلا من طريق العزم والحزم. ولا يغرس في الأمة إلا بأيدي كبار رجالها الذين يحبون أن يروا شعبهم متحلياً بجلباب السعادة والرفاهية في أعين الشعوب

وهذا مما يوجب على أفراد الأمة التمسك برجالها أصحاب المبادىء الصحيحة الذين يحبون البلاد وسعادة أهلها ويسعون في جلب الخير إليهم وفتح أبواب الأعمال لهم. لأن إخلاص الأمة لكبار رجالها موجب لتقوية الرابطة الوطنية بينها وهو من قبيل الشكر على محاسن الأعمال وقد قالت الحكماء: إن أعظم شيء تسود به الأمة ثقة كبار رجالها والإخلاص لهم إذا عملوا ما يجب عليهم

وسبب ذلك أن من يعمل الخير ليحمد يجب أن يحمد ليوفى حقه. وأما من يعمل الخير لأنه خير فيجب أن يضاعف له الحمد والأمة التي تعرف قدر الافراد وتعرف لهم أعمالهم تختص بذلك

طريقاً الى تكثير رجالها، وتقوية روح الارتباط فيهم، وتستجلب بذلك مرضاة أعاظمهم، وبذلك تتحد ارادة جميع الأفراد، فيعمل الواحد صورة يتم بها عمل الآخر، وهذا هو الغاية التي تتمناها النفسها مع رعاياها الحكومات المنتظمة

ولا يخفى ان توحد الإرادة من أهم الأمور لنجاز الأعمال العظيمة الشريفة التي يصعب على أكبر الأمم القيام بها — وهذا لا يحتاج الى بيان، فان العاقل يعرف أن عشرين رجلاً تختلف ارادتهم في نقل حجر صغير لا يتسنى لهم نقله مهما أضاعوا من الزمان — بخلاف مالو اتحدت إرادة سبعة منهم مثلاً على نقله الى محل معين فانهم ينقلونه ولو استعمل كل واحد منهم واسطة، لأن الغاية واحدة، والإرادة متحدة، وهذا من أعظم المبادىء التي يجب على الأمة الالتفات اليها وتعويد نفوس النشء عليها، فاذا اتحدت ارادتهم مع ارادة كبار رجالهم اتجهت بهم تلك القوة العظيمة الى الأعمال النافعة وسعدوا بأنفسهم وفازوا فوزاً عظيماً

وحيث كنا معا نرمي الى غرض نجيد فاضل منا ومفضول

ولأجل أن يتعلم الإنسان هذا المبدأ يجب عليه أن يحرص على جميع أعمال كبار الأمة الذين أخذوا على أنفسهم القيام بعظائم الأعمال، وسعوا جهدهم الى نفع بلادهم وبنيها فيجعله درسه حتى يتبين

منها اتجاه قوى ارادتهم الصالحة — وحينئذ لا يألوا جهده عن السير على مقتضى تلك الخطة التي تشيد لوطنه الفخر والمجد وتمنحه السعادة والخير مهما اعتوره من المخاطر والاهوال ، متمثلاً بقول من قال

ولست أبالي حين أقتل مؤمناً　　على أي جنب كان في الله مضجعي

٢٨٢ — ﴿ هل الانفع لمن عنده مال أن يصرفه في تعليم أولاده أو يبقيه ميراثاً لهم بعد مماته ﴾

المال مادة الحياة وقوام ضروريات الإنسان وحاجياته وكمالياته من المطاعم والملابس والزينة. فلولاه ما بقي للحياة عين ولا أثر — وكما أن عليه مبنى وجود الجسم. كذلك به يحصل حياة الروح وكمالات النفس ولذة العقل، وهو الواسطة لتحصيل لوازم تعليم الفنون والعلوم النافعة، ومتى تعارض على المال خطة صرفه في سبيل التعليم في الحال أو إبقائه في المآل وجب صرفه في الوجهة الأولى. إذ العلم غذاء العقل وهو أشرف من الجسم. ولنعم العوض [illegible] على أن [illegible] من ادخار المال يناله أضعافاً مضاعفة بواسطة العلم — وناهيك [illegible] دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة. ولذة عالية. وآثاراً باقية. و[illegible] ونباهة شأن. وشرف [illegible] — وهل [illegible] ما [illegible] وهو المال الا [illegible] وهو العلم. وما شرف الماديات في [illegible] ولا [illegible]. وهل [illegible] [illegible] بالحي

بل مثل ماينفق في سبيل التعليم كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

على أن العلم يجري من المال مجرى الروح من البدن، والحاكم من المحكوم والحارس من المحروس، بل والفارس من المفروس، وهل خلد التاريخ في صحفاته إلا أهل العلم وأرباب الجدّ في الأدب، وأنصار البحث في الحقائق، فنهم السياسيون والملوك العادلون، وبهم استقامت البلاد وانتظمت الدول واستتب العدل، ومنهم العلماء والحكماء والمخترعون والمكتشفون، هدى للناس ونوراً، وهل رأيت لأحد منهم فيه ذكراً، أو سمعت له قط فيه شكراً

ففز بعلم تمش حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء

وبالجملة — فنحن بالطبيعة نشعر بالسرور التام، حينما يرى الواحد منا أن له ولداً يؤمل فيه النجاح، ويرى عليه دليل الفلاح، فينفق ما استطاع أن ينفق، وذلك لأن النفوس من طبعها تميل إلى العلا ولو كان كما يقول بعض الناس أن أميال الانسان الى الشر أكثر منها إلى الخير ما كنا نشعر بهذا الشعور وما كان لدينا هذا الاحساس ولكانت الأزمنة الهمجية باقية إلى الآن

علم الله أن المال الكثير الوافر ليس بشيء بجانب نجاح الأولاد وتهذيبهم، بدليل أنه يهون على الرجل أن يكون صفر اليدين

يجانب نيل هذا المبتغى ، كما نجد أن صاحب المال الذي لا أولاد له منكود الحظ منغص العيش

وأكثر من هذا حزناً على الشخص الذي له أولاد لا بركة فيهم ولا نجاح لهم فيحسب لانحطاطه ألف حساب ويتمنى لو مات هؤلاء الأولاد حتى يستريح فؤاده ويحفظ شرفه — والحقيقة أن لا عار أعظم من فساد الاولاد

إذاً الرجل الذي يبتغي أن يعيش سعيداً في أولاه وأخراه يجب أن يبذل كل نفيس وغال في تهذيب أولاده حتى يموت آمناً على بيته من الخراب ، وعلى عرضه من أن يثلم ، وسيرته من أن تقبح هذا من جهة — ومن جهة أخرى يضمن بقاء العز لأولاده وجميل الذكر لنفسه اذ الناس يثنون عليه ويطلبون له الرحمات كلما نالهم خير من أولاده — كما أن المال الذي أنفقه عليهم يأتي بأضعاف أضعافه وكلما طالت حياتهم زادت ثروتهم — ولو كان كل رجل يعتني بتربية أولاده لكانت الأمة راقية حية اذ كل واحد يعرف حقوقه ويمكنه أن يدافع عن نفسه وعن أمته فان الامة هي الافراد فان كانوا أحياء كانت الامة حية وان كانوا أمواتاً كانت كذلك

نعم الاله على العباد كثيرة   وأجلهن نجابة الاولاد

٢٨٣ — ﴿ الـكفاف مع العمل أهنأ أم الثروة مع البطالة ؟ ؟ ﴾

خلقنا لنعمل لطلب الخير، وتتحرك للحصول على الرزق، لأن الله أوجدنا لحكمة ، وهي أن نعمل فنعبده ونعظمه ، شكراً له على نعمة الوجود، وعلى بقية النعم الجليلة التي تفضل بها علينا، حتى يكون هذا العمل سبب سعادتنا في الدنيا والآخرة — وأمرنا أن نسعى في طلب الرزق بقوله عز شأنه (فامشوا في منا كبها وكلوا من رزقه) بأن نشتغل فندرس العلوم، ونفلح الارض، وندبر التجارة، ونحسن الصناعة، لتكون هذه الأعمال سبب سعادتنا وراحتنا في هذه الدنيا ونكون قد أدينا الثمرة المطلوبة منا، والغاية المفروضة علينا، وهي العمل والشغل — تأمل تجد أن الله خلق الاشياء وجعل فيها ثمرة تؤديها فثمرة النباتات حبوبها وأزهارها، وثمرة الأشجار فواكهها وثمارها وظلالها وأخشابها ، وثمرة الحيوانات ألبانها وأصوافها وأشعارها وأوبارها، ولحومها ونتاجها وركوبها وحمل الاثقال، وثمرة الطيور بيضها وريشها ولحومها — وليس للإنسان ثمرة من تلك الأثمار، وانما ثمرته شغله وعمله ، فاذا لم يعمل ويشتغل كان أحقر الحيوانات وأصغر النباتات ، وأخس الطيور خيراً منه — انظر الى النحلة التي هي من أصغر الحيوانات تعلم أن الله أمرها أن تشتغل وتتخذ لها البيوت من الجبال والأشجار، وتأكل من كل الثمار لتؤدي المنفعة المطلوبة منها

وهي العسل — فهل يليق بالإنسان سلطان المخلوقات أن يكون أقل شأناً منها أو من غيرها — كلا

وصفوة القول أن الله خلق الإنسان ليعمل ويسعى، وناط بعمله قوام الوجود وأساس النظام، وجعل أكثر الأمم غلبة في الارض أحسنهم عملاً وأدومهم سعياً في مرافق الحياة، فالعمل روح الحياة، ومصدر الغنى ومنشأ العمران -- فالذي يعمل ويجد طالباً عظائم الأمور وأسمى المراتب — واضعاً نصب عينيه «السماك أو الهلاك، العلاء أو الفناء النصر أو القبر» فلا بدَّ أن ينال ما يطلبه . ويبلغ ما يؤمله . ويجد الراحة مع الهناء ، ويعيش محترماً محاطاً بكل أنواع العز والصفاء

وغني البلاد نوابغ يهدونها نعم الحياة ويدرؤون شقاءها

وما المثري الذي لا يعمل شيئاً إلا عضو فاسد في المجتمع الانساني يجب بتره وقطعه قبل تفاقم الداء . فيعسر الدواء

وما للمرء خير في حياة إذا ما عدَّ من سقط المتاع

٢٨٤— ﴿ الاحساس والشعور دليل رقي الأمة ﴾

الإحساس . إما ظاهري وهو شعور النفس بالآثار الظاهرية عند وصولها من الجسم اليها وإما باطني وهو شعور النفس بآثارها الباطنية

والشعور الباطني هو أثر ينشأ عن هبوط أو صعود التصورات الحاصلة والشعور بها في النفس

وبعبارة أخرى — الإحساس أثر تبادل وتوارد التصورات صعوداً وهبوطاً ، فالأثر الحاصل عن الصعود يسمى إحساساً ارتياحياً وعن الهبوط يسمى إحساساً غير ارتياحي، مثال ذلك لو أعملنا الفكر في تذكر اسم شخص ، فإما أن تصعد فنتذكرها ، وحينئذ نجد من أنفسنا أثراً يرتاح اليه، وإما أن تهبط فلا نتذكرها، وحينئذ تشعر النفس بأثر لا تطمئن اليه

وبحكمة ارتباط الإحساسات النفسية بالتصورات يلزم من أراد أن يحدث احساسات ارتياحية أو غيرها أن يولد لها تصورات

والإحساسات صورية ومادية — فالإحساسات الصورية تنشأ عن الارتباط بين تصورين أو أكثر من جهة الصورة — وذلك كالانتظار والرجاء والكدر والفزع والدهشة والشك والملل والأنس

والاحساسات المادية هي الشعور بكيفية التصورات ومادتها وتتنوع إلى إحساس بالحقيقة ، وإحساس بالحسن ، وإحساس بالآداب ، وإحساس بالدين

فالاحساس بالحقيقة : هو البحث عن نتائج الأعمال من جهة مادتها والإحساس بها ارتياحي إذا حصل عليها ، وغير ارتياحي إذا حصل على الخطأ في إصابتها ، أو كانت غير واضحة

والإحساس بالحسن أو القبح : هو الاحساس بالاستحسان

المطلق أو الاستقباح المطلق اللذين هما بمعزل عن الغرض الذاتي وموضوعهما الأشياء الطبيعية والصناعية من حيث مادتها وصورتها وما نستحسنه مطلقاً نسميه حسناً ، وما نستقبحه مطلقاً نسميه قبيحاً

والأشياء المحسوسة خاصيتها لا مادتها أو صورتها ، فإن كان الاحساس بها ارتياحياً سميت مقبولة أو لطيفة ، وإن كان غير ارتياحي سميت غير مقبولة أو غير لطيفة

والإحساس بالآداب: هو الشعور بالخير أو الشر — فجلّ أماني الانسان أن الحسن والخير يلزم أن يحصلا . وأن القبيح والشر ينبغي ألاّ يكونا . ويحصل ذلك بواسطة التربية والتعليم والمعاشرة وترقب الانسان لأعمال نفسه وغيره — والغرض بالاحساس بالآداب أن تجتمع أفراد الانسان على إرادة واحدة

والاحساس بالدين: هو شعور الانسان بذات موجودة أزلية أبدية قائمة بنفسها — كيف لا . والدين هو الناموس الباطني المرشد الهادي إلى خطة الفلاح في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وحاجة البشر إلى الدين كحاجة الجسم إلى الغذاء . فكما أن الغذاء حياة الجسم وقوامه فكذلك الدين حياة للنفس لا قوام لها إلا به — وقد أثبت التاريخ ودلت الآثار على أن الدين مربي الانسان . ومرشد الأمم إلى طرق المدنية منذ تكونت جمعيات البشر حتى أننا لا نرى الآن أمة على

وجه الأرض إلا ولها دين معروف وشريعة خاصية بها

فلا نجاح لأمة نبذت دينها ظهرياً ، ولا فلاح لقوم استعبدوا لشهواتهم

إذا سلم الدين القويم من الأذى فكل أذى فيما سواه سلام

وعلى هذا، فلا بد لكل أمة من دين، ولو كان من وضع البشر كما هو حاصل عند بعض الشعوب الذي أهمل أمر دينه وفقد أصول الشرائع الالهية ، ثم رأى أن لا حياة إلا بالدين ولا اجتماع إلا على كلمته ، فاضطر إلى الوضع بأي وجه كان

فسبحان الله ما أعظم منته ، وأعدل عمله ، افترقت الشعوب فجمعها، وتغالبت الأنفس فهذبها، وتباينت المقاصد فوحدها، وافترقت القلوب فألف بينها ، فانضمت الأقوام الى ما شرع من شرائع إرتبطت بها مصالح الأمم، واتحدت كلمة الشعوب، فذللوا المصاعب ومدوا ظلال العمران ،وشيدوا الممالك، فوضحت لهم طرق السعادة فسلكوها، وتوصلوا الى نعيم الحياة فتمتعوا به — ولذا قال بعض الفلاسفه في تعريف الانسان: أنه حيوان ديني ولم يكتف بالنطق لان التدين يستلزم النطق الصحيح ومن لا دين له قريب من البهائم (ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً)—وصفوة القول ان النفوس لا بد لها من مقوّم ، والعقول لا تكفي في أن تسير أصحابها على

النمط الذي يرضي الخالق جل وعلا لأن من صفاتها الشر الغالب الخير إن لم يكن هناك عون له عليه ولا عون أقوى مما كان من عند الله

فبهذه الجامعة العظمى . والرابطة المثلى ، تألفت قلوب الأمم المتنافرة، وتضافرت قوى الشعوب المتفرقة. فاندفع الإسلام في أطراف البسيط الأرضي، يدوخ أهله الممالك، وينشرون الدين واللغة والمدنية ويبسطون نور العلم والتربية والتهذيب - كل ذلك فعلوه في أقل من قرن بواسطة « جامعة الدين » ورابطة الحق اليقين.

٢٨٥ - ﴿ يد الله مع الجماعة ﴾

قد اقتضت الحكمة الآلهية أن يكون للإنسان السلطان والتصرف في الأرض، لا لأن يكون ظالماً جباراً بل عادلاً يستعمل الكائنات فيما خلقت لأجله بالقدر الذي يقتضيه العدل وناموس الحكمة .. وحيث أن الانسان نوع ذو أفراد تحتاج بالفطرة إلى نمو المادة. وأنه ليس في طاقة الواحد الحصول على ما تنمو به مادته من الحاجيات اندفع بالطبع الى طلب المساعدة، الائتلاف بأبناء جنسه

والناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه: وإجماع الأمة آية رضاء الله

وما المرء إلا بإخوانه كما يقبض الكف بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم

فالامة التي يتحد أفرادها ، ويكون شعارهم (الواحد للجماعة والجماعة للفرد ، والفرد يفدي الأمة ، والامة تحمي الفرد) تسلك سبيل السعادة والهناء

كونوا جميعاً يابنيّ إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى القداح اذا اجتمعن تكسراً واذا افترقن تكسرت أفرادا

فإذا كان اجتماع أفراد العائلة قلباً وقالباً داعية القوّة والمنعة وعزة الجاه والجانب ، والظهور على المغالب ، والظفر بالعدو والمحارب فهو لا شك في الأمم روح جثمانها ، ودعامة حياتها ، وسلم ارتقائها وسيف احتفاظها بنفسها وغرار فتوحها — بل تاج عظمتها وصولجان سلطانها وما الوطن إلا عائلة كبيرة أعضاؤها عائلاتنا الصغيرة اذا حلّ بأفرادها نعمة تمتعوا بها جميعاً. واذا نزل بهم بلاء اقتسموه فالوطن له حقوق على أبنائه ، له حق فى اخلاص كلي في أمانة تامة فاذا هدد له أن يطالبنا ببذل دمائنا وأموالنا فنترك عائلتنا ظهرياً ونخرج لحمايته ودفع مايحوطه من المكاره

ولست أبالي حين أقتل مؤمناً على أي جنب بان في الله مضجعي

فسحقاً لمن دخل العدو بلاده عنوة واقتداراً ولم يدفعه عنها الى آخر نسمة من حياته مجاهداً في استخلاصها من قبضة يده

كفاني فخراً أن أموت مجاهداً وحب بلادي قائدي منذ نشأتي

والأمة النشيطة ذات النفوس الكريمة تصبر على القلة والجوع أكثر من صبرها على الهوان والخضوع -- ان مثل من باع بلاده وخان وطنه مثل الذي يسرق من مال أبيه وأخيه ويطعم اللصوص فلا أبوه يسامحه ولا اللص يكافئه

وصفوة القول ان الاتحاد دعامة السعادة، وينبوع العزة والسيادة وهو اليد العليا في الحياة الدنيا، وبدونه تحل بالأمة الطامة الكبرى

إذا رغبت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

٢٨٦ - ﴿ عدو عاقل خير من صديق جاهل ﴾

العاقل إذا والى، بذل في المودة نصحه ونصره، واذا عادى رفع عن الظلم قدره. فيسعد مواليه بعقله. ويعتصم معاديه بعدله. ان أحسن الى أحد ترك المطالبة بالشكر، وان أساء اليه مسيء سبب اليه أسباب العذر. أو منحه الصفح والعفو . وأما الأحمق فضال مضل، ان أونس تكبر. وان أوحش تكدر، شيا سته مكدرة. ... مبتذلة ولأن يعادي عاقلاً ... له ... من أن يكون له صديق أحمق

وورد في أمثال الأوائل. عدوٌ عاقل خير من صديق جاهل لأن ... العاقل لا تتعلق إلا بطلب الكمال . وهو ... الامور حق قدرها . ويوقفها عند حدها اللائق بها . فانه ينظر بقلبه

وخاطره لا بمجرد عينيه وناظره ، فله من عقله رادع عن التسرع اذا أثيرت عواطفه بما يكدّره من عدو تظاهر عليه بالعدوان، معلقاً خاطره باقوال النبهاء ، والأفاضل الاذكياء ، وغير ذلك من النُّظم والقوانين التي يجعلها دائماً نصب عينيه دواء لغضبه — أما الاحمق فليس عنده نظر في العواقب وجهول بالشرائع ، فالاقتراب منه ندامة ، والبعد عنه سلامة

يقول لك العقل الذي زين الفتى　　اذا لم تكن تقدر عدواً فداره
ولاقه بالترحيب والبشر والقرى　　وبارك له مادمت تحت اقتداره
وقبل يد الجاني التي لست قادراً　　على قطعها وارقب سقوط جداره

ذو العقل في معرك الأقدار مقتدر　　لكن ذا الجهل مغلوب ومغلول
وعقل ذي الحزم مرآة الأمور بها　　يرى الحقائق والمجهول مجهول

٢٨٧ — ﴿ فوائد رجال الشرطه « البوليس » ﴾

لا بد لكل أمة من حكومة، ولكل حكومة من نُظُم وقوانين تسير عليها وتعمل بها ، وإلا اختل نظامها وانفرط عقدها

والأمة هي مجموع الأفراد القاطنين في قطعة معلومة من الأرض والخاضعين لحكومة واحدة

والحكومة هي جسم اجتماعي يعتبر كأنه شخص واحد — له ماله من الارادة والفكر والعمل — وكل جمعية إنسانية خاضعة لقوانين

ونظام عام ، تكوّن جسماً اجتماعياً يسمى بالامة

وكما أن الجسم الانساني يحتاج لفكر يفتكر به، ونفس يريد بها وأعضاء يعمل بها. كذلك يجب أن يكون في هذا الجسم الاجتماعي إرادة وفكر، وأعضاء مادية. ويتعين على كل حكومة النظر في أعضاء الجسم الاجتماعي، وهم عبارة عن أفراد تلك الأمة، ولهذا يجب أيضاً على كل حكومة أن تحافظ على أن تكون العلائق بين أفرادها مؤسسة على العدل الذي يجده كل إنسان في نفسه . ولا يجوز لها أن تترك القوي يظلم الضعيف وغير ذلك

وكل فرد في المجتمع الانساني لابد وأن يشتغل بعمل ما. ولهذا احتاج الى القوة والمهارة والعلم — وعليه واجبات يؤديها لنفسه وللمولى سبحانه وتعالى ولعائلته ولوطنه. ولا يتسنى له القيام بذلك إلا بقوتين قوة قضائية ، وقوة تنفيذية - فالأولى ما تقوم بها . . . الشرطة والمقصد من إيجاد الشرطة توطيد الأمن والنظام والراحة العمومية

ويدخل في اختصاص الشرطة أمور كثيرة

منها مراقبة مجاري المياه التي ليست من الأملاك الخصوصية فلكل إنسان الحق فيها على حد سواء. وليس لأحد أن يستعملها استعمالاً مضراً بالصالح العام

ومنها مراقبة القنص والصيد بحيث تكون تحت قواعد مخصوصة حتى

لا ينشأ عنه ما يكدر راحة سكان الارياف، أو يكون سبباً في اتلاف الزرع والغيطان — وكذا صيد البحر يجب أن يكون على نظام واحد حتى لا يتأتى منه إهلاك الحيوانات المائية

ومنها مراقبة الصناع في المعامل والمناجم والمصانع فلا يجوز أصلاً أن تنهك قوى العمال خصوصاً النساء والاطفال

ولذلك وجب أن تكون مدة الشغل فيها محدودة

ومنها مراقبة المكاييل والموازين والمقاييس حتى لا يتأتى للبائع غبن المشتري

ومنها مراقبة الاشياء الذهبية والفضية لأن المشتري لا يكون معه في العادة ما يتمكن به من تحقيق ما إذا كانت الاشياء التي تباع اليه نقية أو خلطاً من معادن حقيرة تقلل قيمتها

ومنها مراقبة المواد الغذائية التي تباع في الأسواق بحيث تكون من نوع جيد خالية من الغش حفظاً لكل انسان

ومنها مراقبة منع انتشار الامراض المعدية بالتقويمات الصحية

ومنها مراقبة بيع الحيوانات وصحتها ودواب النقل للرفق بها

وصفوة القول انه يجب على رجال الامن العام أن يبذلوا النفس والنفيس في جلب الراحه والأمان والاطمئنان والسعادة في ربوع عموم المدن والقرى والبلدان — فبهم يبلغ الوطن من حسن نظام

المعيشة الغاية ، ومن الحضارة والمدنية النهاية

٢٨٨ – ﴿ فوائد الشجاعة ومضار الجبن ﴾

الشجاعة من الفضائل الجوهرية، لأنها من الوسائط العظيمة الضرورية، لحفظ الذات ونوال الغبطة والسعادة — فالرجل القوي النفس الشجاع الباسل يأبى الضيم، ويذب عن حياته وشرفه ودينه ووطنه بكل ما أوتي من قوة : ويأنف أن يأتي الظلم

ليس المروءة ان تبيت منعما وتظل معتكفاً على الأقداح
ما للرجال وللتنعم إنما خلقوا ليوم كريهة وكفاح

وان بشهامته وعلو نفسه في عمله يحصل على رزقه من وجوهه الشريفه المشروعة ، ويعيش بسلام مطمئن الخاطر قرير العين غير هياب ولا وجل ، وانه لقوة إيمانه وشجاعة نفسه اذا نابته النوائب التي لا يقدر على دفعها قابلها بالصبر احتمل . واحتال للخلاص منها بتؤدة وحكمة حكيم

فالشجاعه من هذا القبيل من أعظم الفضائل . ولهذا جعلها القدماء من أمهاتها . وهي غريزة يضعها الله فيمن شاء من عباده (ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية) قال بعض الحكماء : الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس الذي يشد اذا شدوا والشجاع الداعي الى البراز والمجيب داعيه — والبطل الحامي ظهور القوم اذا ولوا

ولو أن الحياة تبقى لحيّ لودونا ضلالنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا

أما الضعف والجبن فهما رذيلتان من شر الرذائل ، لانهما قد تصاحبهما في نفس صاحبهما آلاف الاوهام والخزعبلات

يرى الجبناء أن الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

فالجبن الضن بالحياة ، والحرص على النجاة

يفر الجبان من أبيه وأمه ويحمى شجاع القوم من لايناسبه

فالرجل الضعيف الجبان ، يعيش في الاوهام والمخاوف الدائمة فيضنى صحته بالفزع والوجل من لا شيء — وهذا الخوف أو الوهم والوسواس إنما هو آفة له قد يكون بها أسير أوهامه، ورفيق كل من يريد هضم أعماله ، وهو استعباد قواه وإذلالها ينتقص شأنه ويفسد عليه عيشه ، حتى انه ليجعل حياته طوع ارادة وهوى من يخافه ويتملقه

واذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لاينجو من القدر

على أن أكثر هذه الصفات قد تكون وراثية أي أنتجتها أحوال سابقة للأمم والافراد — غير أن التربية قد تصلح من تلك الصفات على تمادي الاجيال، متى ما قصدت الامم اليها، وعرفت ما

ينقصها منها — لان كثيراً ما يتعلق بارادة البشر اصلاح أحوالهم وإنما تعوزهم العزيمة والثبات، لا ما بمعرفتنا ما ينقصنا من الاخلاق وشعورنا بالنقص فيها يمكننا أن نسعى الى إحيائها في نفوسنا بحيث نهيء ذرارينا لها باصلاح أحوالنا على قدر الطاقة

وصفوة القول — ان الجبن هو الذي أوهى دعائم الممالك، فهدم منارها وقطع روابط الامم فخل نظامها وأوهن عزائم الملوك، فانقلبت عروشهم وأضعف قلوب العالمين فسقطت صروحهم هو الذي يغلق أبواب الخير في وجوه الطالبين ويطمس معالم الهداية على أنظار السائرين، يسهل على النفوس احتمال الذله ويخفف عليها مضض المسكنة ويهون عليها حمل نير العبودية الثقيل، ويوطن النفس على تلقي الاهانة بالصبر والاحتمال والتجلد الجبن يلبس الناس عاراً دون احتماله موت أحمر عند كل ذي روح ذكية، وهمة علية يرى الجبان وعر المذلات سهلاً، وشظف العيش في المسكنات رهفاً ونعيماً. لا: بل يتجرع مرارة الموت في كل لحظة ولكنه راض بكل حال. وإن لم يبق له إلا عين تبصر الاعداء. ولا ترى الاحياء، ونفس لا تسعد إلا بالعسد، . وإحساس لا يلم به إلا الآزلا. هذه حياته أضاع كل شيء في الساعة بلا شيء. وهو يظن أنه أدرك الغاية وحصل على النهاية كيف لا والجبن انخذال النفس عن مصادمة كل عارض

لا يلائم حاله ، وهو مرض من الامراض الروحيـة ، يذهب بالقوة الحافظة للوجود التي جعلها الله ركناً من أركان الحياة الطبيعية

٢٨٩

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أيّ مفسـدة

الشباب مطية الجهل ومركب الذنوب، وشعبة من الجنون ـــ ولذا قيل: سكر الشباب أشد من سكر الشراب . قال النابغة الذبياني

وإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطيـة الجهل الشباب

والمال فتنة ـــ قال الله تعالى (إنما أموالـكم وأولادكم فتنة)

فالمال ميال للهوى، بل سبب حتف الانسان، كما أن الطاووس قد يذبح لحسن ريشه

ألم تر أن المال يهلك ربه إذا جمّ آتيه وسدّ طريقه

فمتى وجد الشاب مالاً كثيراً وثروة عظيمة ، بلا تعب ولا كدر . وكان وقته خلواً من الأعمـال ، لم يلبث أن يتطرق اليه الفســاد من حيث لا يدري ولا يشعر ، ويلحقه الدمار والوبال من حيث لا يفهم ولا يعقل، تأمره نفسه الدنيئة بالسوء والرذائل، فيخضع للشهوات واللذات، ويسبح في بحار الضلال، ويتيه في وديان الغواية والظلام ، ويصرف نفيس وقته في التفنن بضروب المفاسد، طوعاً لاوامر الشباب وخضـوعاً لسلطان الغرام ، ويضيع تلك الاموال

الطائلة ، ويبدد تلك الثروة الهائلة، في غير مصارفها المباحة ، فتفسد أخلاقه ، ويرتكب أخس الدنايا ، ويحمل ذميم السجايا ، ويتجاهر بالفسق والفجور . ويتلهى بالزنا وشرب الخمور ، ويجتمع حوله كثير من إخوان السوء وأعوان الشيطان . الذين لا حظ لهم في مجالسته ومصاحبته،سوى اختلاس أمواله وإضاعة ثروته .فلا يلبث أن تنفد تلك الثروة وتذهب أدراج الرياح . ثم يلتفت يميناً وشمالاً لينظر أصحابه فلا يبصر أنيساً ولا جليساً ، ويصبح خالي الوفاض بل يكون الحزن حليفه . والكدر أليفه ، والفقر قرينه ، والذل دثاره والهوان شعاره

هذا الذي إن عاش لا يعتنى به وإن مات لم تندب عليه أقاربه

ويصبح من أموات الاحياء عالة على المجتمع الانساني كئيب الحال كاسف البال

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء

فالشخص الذي لا يعمل عملاً ينفع به نفسه ووطنه وأمته [illegible] لا عضو فاسد في المجتمع الانساني يجب بتره قبل استفحال الداء فيعسر الدواء . و[illegible] الخرق على الراقع

عدوى البليد إلى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد

كيف لا وأن الإنسان لم يخلق ليلعب ويمرح ويلهو — ويترك ما خلق لأجله وهو العمل

صدقت أن الرزق يطلب أهله ولكن بسيرة متعب مكدود

وصفوة القول ان الشباب والمال والفراغ دعائم الفساد، ورأس الضياع وطرق الوقوع في الحفر البعيدة الغور — فان الشاب الغني الذي كثر ماله، وعظمت ثروته. ولم يتقيد بعمل من الاعمال لا يتطلع الى شيء من معالي الأمور — فان الفراغ منشأه عدم تقويم نفسه في صغره وعدم تعليمه وبث روح العمل فيه، فينشأ كارها له، غير مدرك قيمته ومن نشأ على شيء صار عادة له. والعادة طبع ثان والطبيعة تصعب محاربتها

وقائد الانحطاط لذلك الشاب الذي لا عمل له وجود المال عنده فلا يحجم عن أي عمل تسوله له نفسه الأمارة بالسوء، ولا يزال يتحرك طوع شياطينه حتى تلتجىء نفسه الى مالم تكن تعهده من الذل والهوان

وإن رأيت الشغل يوماً مجهده فإنما الفراغ قطعاً مفسده

٢٩١

لا تصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا صلاح اذا جهالهم سادوا

تهدى الامور بأهل الرأي ماصلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد

ولاة الأمور من أعظم واجبات الحياة، فهم قوام الدين والدنيا

وعليهم في حركة الاعمال، مدار البركة العليا، وبدونهم يختل نظام العالم فلولا ولي الأمر لما قدر العالم على نشر علمه، ولا الحاكم على تنفيذ حكمه، ولا العابد على عبادته، ولا الصانع على صناعته، ولا التاجر على تجارته، ولولاهم لانقطعت السبل، وتعطلت الثغور، وكثرت الفتن والشرور، ولولا ردع الملوك لتغالبت الناس، وطمع بعضهم في بعض واستولى الاقوياء على الضعفاء، وتمكن الأشرار من الأخيار، فيضطرون الى التشرد والتفرد. وفي ذلك خراب البلاد. وفناء العباد فالملك كالروح . والرعية كالجسد -- ولا قوام للجسد إلا بروحه

ونظام العمران محتاج الى قوتين إحداهما القوة الحاكمة الجالبة للمصالح الدارئة للمفاسد — وثانيهما القوة المحكومة وهي القوة الاهلية التي لا تسود ولا تنمو إلا بالقوة الحاكمة التي تكون من العلماء العاملين الذين تدربوا وتمرنوا وتعودوا الاصابة في الرأي. والاجادة في الحكم. والنظر في العواقب. والرفق بخلق الله تعالى — وحينئذ فلا ينبغي أن يكونوا جهلاء. فان الجهل هو السبب الكون د في تقدم الأفراد. بل ى تقدم الأمم ... يوقع الـ س في الا . ان المابرة في العداء والشقاق. والتفرق . الظلم والاس ... لاهو وم ... عن البحث فيما يهمهم . عن الخيرات التي لا تناق إلا ليقمعوا بها سواه . وقد قيل الناس على دين ملوكهم فاذا كان الملك جاهلاً خائر

العزيمة كانت أمته كذلك، وإن لم يكن الملك عارفاً واجباته، دارساً سياسة ملكه ، فلا يلبث أن يضيع من يده فيقعد ملوماً محسوراً وقد قيل « جهل الرئيس يضل المرءوس »

واحتياج الملك للعلم ليس بأقل من احتياجه للعدل، فانه أساس الملك وإن لم يكن متوجاً به تألبت عليه الرعية وأسقطته من فوق عرشه وكذا التدبير والحزم — وإلا تداخل أعداؤه في شؤونه وأفسدوا عليه أموره

قالوا — يجب أن يكون نموذجا للرعية ، ومثالاً للكمال والاستقامة من كل وجه حتى ترغب فيه أمته وترجو له عمراً طويلاً وملكاً كبيراً وتحرسه وتفديه بأرواحها واموالها

٢٩٢ — ﴿ وصف نهر النيل وفوائده في مصر ﴾

نهر النيل من أعظم أنهار الدنيا طولاً ، وأعذبها ماء ، وأعمها نفعاً وأرواها — يأتي الديار المصرية كل سنة من بلاد السودان والحبشة ، فيفيض عليها بدائع الخيرات وأجل البركات بما يأتي معه من الزبد وطين الطمي ، وهو مكون من أمطار غزيرة ، ولولاه لما عاش في مصر إنسان ولا حيوان، يزيد عند الحاجة وينقص كالرجل المدبر ، فيأتي إلى الأرض في اشتداد الحر ويبس الهواء وجفافها فيسقيها ويرطب الهواء

كأن النيل ذو عقل ولب لما يبدو لخبر الناس منه

فيأتي حين حاجتهم اليه ويمضي حين يستغنون عنه

فهو سلطان الأنهار، وحياة هذه الديار، وروح جسمانها، وإنسان عين إحسانها ، إذ لولا وجوده لما كان لها وجود ، ولولا جوده لما اخضر لها عود

فرح الأنام بنيلهم إذ صار أحمر كالشقيق

وتبركوا لشروقه فكأنه وادي العقيق

وهو موزون على ديار مصر بوزن معلوم . وتقدير مرسوم لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، ولا يطغى على البلاد بالفساد، ويأتي من جهة الجنوب إلى الشمال . فيكون فعل الشمس فيه دائماً ، وتأثيرها على إصلاحه متواصلاً ، وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ، فاكسب أرض مصر الخصب والنماء ، وأهلها الراحة والهناء ، حتى صارت منبع الخيرات وأم الثمرات

٢٩٣ — ﴿ وصف يوم ذهبت أنواره وكثرت أمطاره ﴾

بينما كان الجو صافياً والغزالة مشرقة بأنوارها، مضيئة نهارها إذا اكفهر وجه الأفق ، واشتدت العواصف في الشوارع والطرق وتوارت الشمس بالحجاب . وتلفعت السماء بأذيال السحاب ، والرعد [illegible] بين يديه . فإذا همر صاح به وزمجر عليه . والبرق

يلمح ويلمع ويمنح ثم يمنع ، وقوس الغمام للجو نطاق ،لا بل تاج على مفارق الآفاق ، يزهو بلجينه وعسجده، ويفخر بياقوته وزبرجده فلبس ذلك اليوم حلة السواد ، وتسربل بثوب الحداد ، عبوس قطرير، كشر عن ناب الزمهرير،أرضه مفروشة بالقوارير اللامعة وهواؤه كالزنابير اللاسعة، تراكمت فيه السحائب والغيوم،وأسبلت الستور على النجوم، ووضع عليها أعظم غطاء، من الصباح لغاية المساء ،وما نشعر إلا وقد اغرورقت مقلة السماء ، فأرسلت الأمطار أمواجاً ، والأمواج أفواجاً ، فسالت به الاودية والصحاصح ،كما سالت بأعناق المطي الأباطح ، فبتنا بليل ماطر ، وأصبحنا بين ماء غامر،فلازمنا المنازل ثلاثة أيام بلياليها،حتى عادت المياه إلى مجاريها

٢٩٤ — ﴿ فوائد النار ومضارها ﴾

إن أعمال الانسان متوقفة كل التوقف على النيران التي لولاها لما نضجت أطبخة ، ولا تركبت أشربة ، ولا صيغ ذهب ولا فضة ولا نحاس ولا رصاص ولا قزدير،ولا غير ذلك مما يتوقف عليه منافع العباد، كالحلي والأواني وآلات الحروب والطبع والغزل والحرث والحصاد والري والتجارة والسفن البخارية والسكك الحديدية ولولاها لما كان تهيأ للخلق من الذهب والفضة والمعدن نقوداً ولا زينة ولا منفعة . قال الله تعالى(أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها

أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين فسبح باسم ربك العظيم)

كيف لا — والحياة للإنسان بدونها غير ممكنة في الأقطار الباردة كبلاد سيبريه ومعظم بلاد الروسيا وأميركا الشمالية فيدفعون بها ضرر الثلوج والرياح الباردة. ويستضاء بها في غسق الليل ويهتدى بنورها — ولما علم المولى سبحانه وتعالى أن كثرتها وبثها في العالم مفسدة جعلها الله بحكمته محصورة حتى إذا احتيج اليها وجدت واستعملت — وينبغي الاحتراز دائماً منها لأنه يحصل بسببها مصائب عظيمة. وأخطار جسيمة (ومعظم النار من مستصغر الشرر)

٢٩٥ - ﴿ رُبَّ قول أنفذ من صول ﴾

لما كان اللسان آله للتفاهم بين الناس . كان مصدر كل تأثير سواء كان في الخير أو الشر ، ولهذا حذر الحكماء من فضول القائل ونددوا بحصائد الألسنة . واستعاذوا من السلاطه والهذر . كما استعاذوا من العي والحصر . لأن الصمت الساكت خير من القول بالجهل . والتكلم بالشر - والقول مع العلم والتكلم بالخير هو غاية المنافع المستوى . ودرجة المآثر العليا . وعليه حث العلماء المحدثون قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . لا خير في الصمت مع الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل - وقال أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب رضي الله عنه : ترك الحركة غفلة ، وطول الصمت يفسد اللسان — وقيل إذا ترك الانسان القول ماتت خواطره،وتبدلت نفسه وفسد حسه وذوقه وما إخالهم أرادوا بذلك الا لان النطق من لوازم العقل مما جعل اللسان مترجماً عن الضمير ، وضابطاً للفكر ومقبداً للخواطر ، وان شأن المعاني التي تختلج في النفس وتتصل بالفكر أن يتحيزها النطاق فيعبرها الى عالم التفاهم ، ليؤتي على الغاية المقصودة من اجتماع بني الانسان ، وتحصل الفائدة المودعة في جوهرة هذا اللسان

كذلك لو قصر الانسان على التكلم في موضوع من المواضيع دون غيره — أو حظر عليه الكلام الا في معنى خاص، بحيث يحال بينه وبين ما حرم عليه بحجاب كثيف ، فتوصد فى وجهه أبوابه وتتصرم معه أسبابه، وتنقطع عنه مواصل الاطلاع من جهة ذلك المعنى ، فحكمه بالعلم به حكم من عاش وحده لا يفقه ولا يعي إلا بقدر ما يتاح له من استطلاعه غفلة ، واستشرافه خلسة مما يسفل عن رتبة العلم ، ويحط عن درجة المعرفة ، بخلاف ذلك تراه في الموضوع الذى منحت له حرية التكلم فيه، قد اختبر أمره وأكنه سره.وقلب بطنه وظهره،ووقف على سره ومكنونه،ودرى أصوله وفروعه، وأحاط بأطرافه بما يتفرغ له من المفاوضة بشأنه واستعمال

أداة التفاهم التي تقفه على رأي غيره، وتريه منزلة رأيه عندهم، بحيث تكون له مرآة عقلية يرى فيها ما لنفسه وما لغيره

ولا يخفى أن الانسان اذا أتقن العلم بشيء من الاشياء حيث كان لهذا الشيء اتصال بعالم التعرف وكان العلم هاتفاً بالعمل، رأيت المرء أحذق في شأنه وأعلم باتيانه — ولو نظرنا في حال الرجال المشاهير بحسن سيرتهم وسداد أعمالهم ونبل أفعالهم لرأينا في كلامهم الخاص من البلاغة والإحاطة والدليل على شدة امعانهم في أسرار الأمور وتعمقهم في بواطن الاشياء ما يقصر عنه وصف الواصفين وتشهد به أذواق العارفين

وبديهي ان اتقان العلم باعث على اتقان العمل ما وجدت الهمة وتوفرت العزيمة

واذا كان هكذا حكم الفرد من الأشخاص فهو حكم الامة التي هي بمجموعها على حد الفرد بلا فرق سوى الزيادة في النتيجة انظر الى حال الأمم التي أ[illegible] [illegible] [illegible] خطابه واتسع عندها مجال القول كيف عم فيها العلم [illegible] [illegible] وتوفرت العقول واستنارت الألباب بما [illegible] من المعاني الرفيعة والمواضيع العالية، والم[illegible] السا[illegible] [illegible] [illegible] بذلك من وسائل الإرشاد وطرق التبليغ . وأسباب الدعوة . و[illegible] [illegible] من أبواب الاشارة

والاستشارة والمشاركة في ثمرات العقول ونتائج الأفكار — ولا سيما في الامور العامة ، والخطوب الطامة ، حتى شقت الخطبة من الخطب لأنها مايقال عند الأمور العظيمة — وإذا كانت الأمة على هذه الدرجة من سهولة الاطلاع والكشف كانت على غاية من الانتباه والحذر والتيقظ لمصالحها ، والتبصر بحوائجها ، والتحفز على درء مضارها ، بحيث تكون أسبق الأمم قدماً الى منازل العز ، وألمحها بصراً الى معالي الأمور ، وأسدّها تدبيراً فيما تباشره من الأعمال ومن ثم تحرز الغبطة والبسطة والجاه والثروة وتحوز الغلبة على من سواها

وحسبنا شاهداً في كل زمان الأمم التي اشتهرت بالرئاسة والسيادة والسداد والقوة والجاه والحكمة — منها أمة اليونان في الأزمان القديمة بلغت ما بلغت من الشهرة في العلوم والحكم وحسن السياسة وتثقف العقول وأدب الطباع ، بما كان فيها من حرية التكلم وتعميم العلم بالخطابة ، ولقد كان مشاهيرها أساطين الحكمة وسلاطين الكلام وملوك المقال والمتمكنين من أزمة البيان — ومنها أمة العرب الى عهد الاسلام ومابعده بقليل بلغت حدّ الاعجاز من البلاغة، وتجاوزت طور الأمم في البيان ، وفي لسانها من التعابير والتراكيب والأمثال الدالة على شدة تسلطها على المعاني وقبضها على المواضيع واحرازها لظواهر الأشياء ما يقضي بالعجب العجاب

ومن أنعم النظر في خطب عمر بن الخطاب، أو علي بن أبي طالب مثلاً أو غيرهما من أمراء الجيوش وعمال الأقاليم الذين عاشوا فى صدر الاسلام وعلم أن مثل تلك البلاغة الشاهقة والحكمة السامية مما كان مألوفاً عند أفهام العوام في تلك الأيام، وهي مما يعجز عنه اليوم مدارك الخواص. تمثلت له حالة البيان فى ذلك الزمان ولم يتعجب لباهر تدبير هؤلاء الرجال وشدة نفاذهم على الأمور. فانهم سطوا على الأغراض فأحرزوها، وتمكنوا من الحقائق فأبرزوها وذلت لأفهامهم المشاكل، وخضعت لأفكارهم المقاصد، وانقادت لخواطرهم الشوارد. ومن كان هذا شأنه من الفهم والتفهيم بين أحوال العالم وأموره، فقد بلغ به العقل السعادة التامه، والحكمة العامة والمنزلة الخاصة دون البشر

ومن هذا القبيل الشعوب الأوربية. لهذا العهد أدركوا الغاية القصوى من النجاح. وتسنموا المعرفة العليا من الفلاح. وصاروا الأشد طولاً. والأوفر حولاً. والأغزر مادة. والأكثر بضاعة من كل صنف من أصناف المعالي والمراتب. والمتممين [illegible] المكاسب وذلك بعد أن أدلفت عندهم الحرية. وأحبت [illegible] لكل نوع من أنواع الصناعة. والتربية لكل فرد من أفراد الأمة. فعم عندهم مشرب الحب الوطني. وصارت كل أمة منهم تشابه الشخص الواحد

تنطرب بكليتها للمصلحة، وتتجه بأجمعها إلى المقصد — ولا يتم هذه الاتحاد في الرأي والعمل حتى تكون الأمة كلها على نبأ من خطبها فتهيأ لتلقيه بالتي هي أحسن ، ولا يكون ذلك إلا باتخاذ المجالس والنوادي والمحافل السياسية ، ومنابر الخطابة ، والجرائد والصحف والأجزاء المنشورة ، وسائر وسائل اللسان والقلم، فترى الأمة إذا أصابها خطب أو دهمتها نازلة من النوازل، قامت قائمتها من كل جهة لاسترجاع الحق ودفع الأذى، فصعدت الخطباء على المنابر، وصدعت الكتاب بالجرائد ، وانبسطت للمسألة الواقعة للجميع ، بما يستعرض الأفكار ، ويستدرج الآراء ، ويستوري زناد الروية ، ويستمطر سحاب القريحة للعمل بالأولى، واتخاذ الخطة المثلى، فتندفع المملكة كلها في مداركة الخطب وملافاة اليأس، ولا يزال العويل قائماً، والنفير متلاحقاً، وأصداء المحافل متجاوبة بالمناقشة والمحادثة، وأوراق المطابع متزاحمة بالمجادلة والمباحثة ، حتى تتمحص جميع الوسائل والأدوية وينتهي الأمر باختيار الأنفع وارتضاء الأنجع — وأما الرأي العام المعروف فلا سبيل إلى انعقاده إلا هذا الطريق — وهذه الحالة هي الآخذة بطرفي المنفعة المادية والادبية ، الماسكة بناصيتي المصلحة العمومية والخصوصية ، وذلك فضلاً عن تحري السداد ، والفوز بالنجاح في انتهاج هذه الطريقة في أمور المملكة ، يصبح كل واحد

من الأمة ، عالماً بالشأن الذي ينبغي له ، ضليعاً في الامر الذي عين عليه وأنه ليقوم الخطيب في القوم مرتجلا ارتجالا ، فتأتيه المعاني ارسالا . فيأتي على موضوعه كله ، لا يدع وجهاً إلا قلبه، ولا رأياً إلا كاشف به ، ويجيء الكاتب لانشاء فصل من الفصول ، فلا يتناول القلم إلا وقد تداعت عليه المعاني من كل جانب . وكل عندهم يحمد ويضطرم ، وينهض ويبرم . إذا اشرأبت إلى رأيه الأعناق وارتاحت الى رشده النفوس . ولهذا صاروا ابصر الجميع في لوازمهم وأنجحهم في مطالبهم ، وأنشطهم الى مصالحهم ، فشمروا عن ساق الجد ، وانصلتوا في السير الى المجد ، ونالوا الحظوظ الوافرة وأصبحوا على ما نراهم في حالة تبهر العيون ، وتملأ الصدور

وكثير من الشعوب بفساد أمرائهم . واستبداد رؤسائهم وتحكم حكامهم ، وتخونهم لحقوق عامتهم . مما نشأ عنه سوء تربية الاشخاص وتعطل أخلاقهم . وانقلاب فطرهم ، وانعكاس خلقهم قد حرموا منفعة الخطابة . والتكلم في الامور العامة . مما ينور عقولهم من جهة . ويسدد أعمال دولهم من أخرى ، فهم لا ينشطون لمقال ولا ينشدون من مقال . وذلك أنه جرت العادة عند الملوك المدماء المستبدين أنهم متى فسدت طباعهم . وأرخوا العنان لاهوائهم جروا في الاغتصاب والانتهاب كل مجرى . وذهبوا في الحيف والجور كل

مذهب ، لم يطيقوا سماع مندد بأهوائهم، ممدد لاسوائهم ... لقبح صنيعهم تجرفاً وكبراً منهم عن أن ينظروا قبائحهم بأعينهم أو ضعفاً عن إصلاح سيرتهم ، فضربوا بين رعيتهم وبين الخير ستاراً ، حتى إذا حولوا الابصار عن النظر في أعمالهم وصرفوا الخواطر عن التأمل في حركاتهم، انطلق بهم جماح الشهوة الى حيث شاءوا بلا معارض ولا منازع، واعتنوا بتضييق الواسع على رعاياهم ليتمادوا في الغباوة ، ويرتكسوا في الضلالة ويسقطوا في الظلمات فيستضيمون حقوقهم ويتحكمون في أعناقهم وأرزاقهم وهم صاغرون ولهذا أخلوا دولهم من المجالس الشوروية الدستورية ، وانحصرت الامور العمومية التي عودتها على ألوف الألوف بل الملايين من البشر في رأس شخص واحد أو اثنين ليس لغيرهما حق في أن يعلم ماهو مصيره وأمته، ولا أن يبحث في شأن من الشؤون العامة أصلا فترى الأهالي وقد كبحتهم حكمة القهر عن التكلم في مصالح المملكة وغمست عنهم الأخبار السياسية، وطويت المسائل المهمة في أدراج السكوت في أسوأ حالة من الجهل بأمورهم ، والغفلة عن مصالحهم وقلة الاستعداد لدرء الملمات ، وإزاحة الكروب ، والقصور عن الجد في منفعة وطنية ، بما غل أيديهم من سلاسل الاستعباد وارتفع على أعناقهم من نير الاستبداد ، ولما صار الى هذه الدرجة

بهم بأنفسهم ، بما حجب عنهم من العلم ، وأطيل من ذلك الحجاب كلت هممهم ، وماتت نفوسهم

٢٩٦— ﴿هب أنك وُلّيت الملك فماذا تعامل أمتك لتكون محبوباً عندهم﴾

إي – والله أكون الملك العادل، قوام كل مائل، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف – وأكون كالراعي الشفيق على ابله الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى . ويذودها عن مراتع المهلكة . ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحر والبرد . وكالأم الشفيقة ، البرّة الرفيقة بولدها تفرح بعافيته وتغتم بشكايته . . كالاب الحاني يسعى لاولاده صغاراً ، ويعلمهم كباراً . يكتسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بعد مماته

وما المرء إلا ذكره وفعاله وكل مقام غير هن حقير

أيرضى الوالد الرحيم أن يأكل واشرب أطيب المأكول والمشروب ويلبس الكسى الفاخرة وأولاده يقتنعون من دهرهم بالخشب من المطعم والملبس أيرضى أن ينام على فرش وثير وأبناؤه يتوسدون الثرى

ولذة ساعة ذهبت وولت وابدت بعدها حسرات

وأكون موجهاً نظري في عمارة الارض قبل توجيه نظري الى استجلاب الخراج لأن ذلك لايدرك إلا بالعمارة ولا عمارة إلا بالعدل « فالعدل أساس الملك » ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، وأهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلاً

فما ابن آدم إلا ذكر صالحة | أوذكر سيئة يسري بها القلم

فالملك الذي يسلب أموال رعيته ويثقل كاهلها بالضرائب، مثله كمثل من يأخذ الطين من أصول حيطان بيته فيطين به سطوحه فيوشك أن يقع عليه البيت

وليس يعين الظالمين بظلمهم | سوى أدنياء تستلذ المثالبا
فهم مثل كلب الصيد يتبع ربه | ليلتذ لا نفعاً جنى بل متاعبا
ومن آثر الدنيا على حسن سمعة | وذكر له يبقى ويبقى المناقبا
فذاك كمن عاف النعيم مخلداً | بلذات دنيا برقها كان خالبا

واني أخاف الله تعالى فلا أسلك بأمتي سبيل الظالمين ولا أسلط المستكبرين على المستضعفين ، ولا أنظر الى قدرتي الدنيوية ،ولكن أنظر الى قدرتي الأخروية ، وأنا مأسور في حبائل الموت وموقوف بين يدي ملك الملوك الاعلى سبحانه وتعالى

غداً توفى النفوس ما كسبت | ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم | وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

وأ كون موجهاً نظري الى نشر العلوم والمعارف في أنحاء المملكة فقد قال فيكتور هوبعو (علموا الجهال ما استطعتم فان أعظم جرائم الحاكمين أنهم لا يجعلون التعليم مجاناً ، والجهل ظلمة وان تبعة الذنوب التي تجري في هذه الظلمة عائدة عليهم ، وليس المجرم من يقترف الذنب بل المجرم من ينشر الظلمة على الأرض)

ولا أسلب أمتي الاستقلال والحرية فانه لا سعادة إلا بالحرية ولا معنى لحياة العبودية ، فالحرية فطرة طبيعية مغروزة في قلب كل حي — قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (تريدون أن تستعبدوا الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً)

فعلي عهد الله وميثاقه أن أواصل الليل بالنهار في إصلاح شؤون أمتي ما استطعت — وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

